الم قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان
ايات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به
على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القران او عن جميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتبادر
الى الفهم ح عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الايات بما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة
عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها
عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد
وقران اي قران عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق
بين الحق والباطل والحلال والحرام وتقديم الكتاب باعتبار تقدم حال الكتابة وتنكير القران لتفخيم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصف الكتابية والقرانية على
طريقين احدهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقه كونه ممتازا عن غيره
نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية ان الاشارة الى امتيازه
عن ساير الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه
عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال ساير الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة
النحل خلا انه قدم فيها القران على الكتاب لما سيذكر هناك وكما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه
المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف
الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة
التاء الضامة مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخولها على الفعل وحقه الدخول على
الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع
فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقران وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين
منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك
الودادة يوم القيامة او عند موتهم وعند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين
من النار روى ابو موسى رض انه قال للنبي صلعم اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله
تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى
النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل
القبلة في النار فيخرجون منها فح يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي

الله عنهما

الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك
يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت
دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل ان يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما
جي بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول البعض
قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب
جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن
يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انيقة فسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث
لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على وداده الكافرين للاسلام في كل
ان من انات اليوم الاخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يخفى على احد ولو حي بكلام يدل على ضده
وعلى تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان
حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بهم وبما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا الاية
او ذلك بالى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه
ولا يقارن ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على
ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل
لا يباشر ما يرجى فيه التندم او يقل وقوعه فيه فكيف مقطوع الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل
فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء
ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه
كل ان وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هو عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومعنا ما خطهما
واحد فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم
من ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان
بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك
او تمتعهم لاستماع ما ينقص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون
مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما هم يصيرون اليه او على الايمان
والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال
وان لا يلقوا في العاقبة والمال الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن
الامر للترك بالامر بها على طريق المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة
عاقبتها غير سامعين بسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب
القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامر عليه الصلوة والسلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم
فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال

التي الجاتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اكد وعيد وتهديد تعليل للامر
بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار ولا تحقق الامر
بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا
شروع في بيان سر تاخر عذابهم الى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي اهلكنا
من قرية من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل باخرين الا ولها في ذلك
الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعات بحيث لا يمكن تبديله لوقوع حسب الحكمة المقتضية له
معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتاخر فكتاب مبتدا خبره الظرف والجملة حال من قرية
فانها لعمومها لا سيما بعد تاكد بكلمة من في حكم الموصوف كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال
الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته
بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها
في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة
التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها
كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا الطعام المذكور
لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس
لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسط
الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط
فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان
امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية وما بين ان الامم
المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم
منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها
المكتوب في كتابها اي لا تجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا
على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمروا فمعناه انه جازه وخلفه وراءه واذا كان واقعا
على زمان كان الامر بالعكس والتدرج ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فيما سبق
يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد
وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما تقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه
من الاهلاك وما يستاخرون اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك
مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما
واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان
السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت

عقوباتهم

عقوباتهم الى الاخرة وتاخر ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم
اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تاخر عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل
على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حرف الجار والمجرور والجملة مبينة لما
سبق والمعنى ان تاخر عذابهم الى يوم القيامة حسبما اشير اليه ببيان وداده اهم للاسلام اذ ذاك وبالامر
بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله
تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان
كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا اهل مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه
الذكر خاطبوا به رسول الله صلعم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام واشعارا بعلة
حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كذاب آل فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي
مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عندما تدعي انه ينزل عليك
لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى الى
كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك
ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى اسناده الى الفاعل لوما تاتينا لو عند تركبها مع
تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التخصيص خلا انه عند ارادته لا يليها الا فعل ظاهر
او مضمر او عند ارادته المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا تاتينا
بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا
او يعاقبوننا على التكذيب كما تاتي الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله
تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل
وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين
وماضيا منه ومن التنزيل ومن الثلاثي هو كلام مسوق الى النبي عليه الصلاة والسلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا
لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اول ارائهم اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا
الذكر الاية كما فعل في قوله تعالى قال انما ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا
ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه
للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وبالعكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول
عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقول ما ناتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حيث
اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم على من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد
الامكنة المتساوية الى الاخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة

وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذى يليق بشانهم النزول من مقامهم العلى وكون ذلك بطريق
التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اى ملتبسا بالوجه الذى يحق ملابسة التنزيل به مما يقتضيه الحكمة ويجرى به السنة
الالهية كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذى اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم
وهم هم ومنزلتهم فى الحقارة والهوان ومنزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل
بالوحى الذى لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افاد كمل المومنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما
الذى يدخل فى حقهم تحت الحكمة فى الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة
ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض
مطلوبهم كما فى قوله تعالى واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا قال النظم لفظ اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول
اتيتك اذ جئتنى اى حين جئتنى ثم ضم اليه ان فصار اذان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجئ لفظة ان دليل على اضمار
فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذن كان ما طلبوه انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كداب ساير الامم المكذبة
المستهزءة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتاخير عذابهم الى يوم القيامة حسبما اجمل فى قوله تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل وحال حايل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازدياد عذابا وبايمان
بعض ذراريهم واما تعلم ايمان بعضهم فى سمط الحكمة فياباه مقام بيان تماديهم فى الكفر والفساد ولجاجهم فى المكابرة
والعناد هذا هو الذى يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل فى تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم ح يكونون
مصدقين عن اضطرار او ان لا حكمة فى ان تاتيكم بصورة شاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال
الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هولاء الكفار انه لو انزل اليهم
الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا مع اخلال كل من ذلك بقطعية النافى لا يلايم
من فرض وقوع شئ من ذلك تعجيل العذاب الذى يفيده قوله وما كانوا اذن منظرين هذا على تقدير كون
اقتراحهم بنزال الملائكة لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انما تنزل الملائكة للتعذيب
الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما
اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيامة لارتفاعهم بل تشديدا عليهم
كما مر من قبل وحيث كان فى نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب
عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة
لتاخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحى وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكار
هم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلعم بذلك وتسلية له اى نحن بعظيم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذى
انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر
لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا
اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس
بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة فى حقيته ويجوز ان

ان يكون منصوبا على الوصفية بان فقد الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما
ترى تسلية لرسول الله صلعم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا
بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالرسول ولذلك قيل كذلك اشارة الى
ما دل عليه الكلام سابقا من القاء الوحى مقرونا بالاستهزاء اى مثل ذلك السلك الذى سلكناه فى
قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب نسلكه اى الذكر فى قلوب المجرمين اى اهل
مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه
اى نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثل اى مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما
تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما فى
الوجود والسلك الواقع فى الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشئ فى آخر يقال سلكت
الخيط فى الابرة والرمح فى المطعون لا يؤمنون به اى بالذكر حال من ضمير نسلكه اى غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة
فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور فى الغاية على ان الباء للملابسة
اى نسلك الاستهزاء فى قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان
كفرهم مقارن للالقاء كما فى قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اى قد مضت
طريقتهم التى سنها الله تعالى فى اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جئ به تكملة
للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اى على هولاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اى بابا
ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا الرقى والصعود اليه فظلوا فيه فى ذلك الباب يعرجون بالة
او بغيرها ويرون ما فيها من العجايب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون
فى ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم فى المكابرة وتفاديهم
عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اى سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت
كما يعضده قراءة من حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلعم كما قالوه عند ظهور ساير الايات الباهرة
وفى كلمة الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم
وفى السمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه
فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار
فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا فى السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات
وهى البروج الاثنا عشر المشهورات المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع اتفق
عليه الجمهور من بساط السماء وجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير
فهو مفعول ثان له متعلق لمحذوف اى جعلنا بروجا كاينة فى السماء وزيناها اى السماء بتلك البروج المختلفة
الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها بمعنى النيرين ظاهرا والمتفكرين المعتبرين
المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة

وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها
ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء وهو المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين
عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها بالجملة والمنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف
فيها عن ابن عباس رضه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما
ولد النبي صلعم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة
نار ساطعة وقد تطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن
شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق
السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول
الله صلعم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلعم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه ثم قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ
ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله عليها ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي
قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال
والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير لم يقرأ بالرفع لرجحان النصب
للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابتا
وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض ام فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة
ومقدارا او قيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب او ما يوزن
ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة
وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم معايش
وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا
العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش
ولمن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من
الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعل لاعتماده
او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول وخزائن مرتفع على انه فاعل اي الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه
نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى
الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين مصونة عن وصول ايديهم
مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها
وجدت بلا تاخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية وذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية
وما ننزله اي ما نوجده وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار

معين تقتضيه الحكمة ويستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة
معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة لا بد له
من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وبهذا البيان تبين عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة مما
هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا
بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من
العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج
عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش
وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الرياح التي تجيء بالخير من انشاء
سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا
بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل
الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل
نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين
له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان
طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الا
حياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل
والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول
لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن
الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي
الحاكمون في الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه
على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم
ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج بعد
او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من
الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلعم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امراة كانت تصلي خلف رسول الله صلعم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر اخرون ليروها
فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط
ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه
ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية

اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم دلالة على اللطف به عم انه حكيم اى بالغ الحكمة متقن
في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقايق الاشيا على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع
علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اى هذا
النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق ساير افراده انطواء اجماليا كما مر
تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند نقره قيل اذا توهمت
في صوته مدا فهو صلصال وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حما من
طين تغير واسود بطول مجاورة الما وهو صفة لصلصال اى من صلصال كاين من حما مسنون اى مصور
في سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اى مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من
الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر
عن حما تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حما كانه سبحانه افرغ الحماء
فصور من ذلك تمثال الانسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جواهر اخر فتبارك الله
احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان
تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه
بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز
كون المراد بالمتقدم احد الثقلين وبالمتاخرين الاخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر
الشديد النافذ من المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا
عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله
تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وسياق الاية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا
واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من ان ذلك ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللايق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عم اشعار بعلة الحكم وتشريف
له صلعم اى اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سياتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على
انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اى انسانا قيل ليس هذا عين العبارة
الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند
الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال
متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا من صلصال كاين من حما مسنون تقدم تفسيره
ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين
من التغير والاسوداد وما ورد عليه من اثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غاية
انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية

او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح
لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة
القابلة لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر
من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما
او اسجدوا لله تعالى على انه عم بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب اثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان
رضه أليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقران والسنن فسجد الملائكة اى فخلقه فسواه
فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم عن
احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح
يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطابي التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا
ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى
الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ اخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا
للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم وهذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي
من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في
غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء
متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة
جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استيناف مبين لكيفية عدم السجود
المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار
او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث
ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير ادم عم ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام
في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك
فقيل قال يا ابليس ما لك اى اي سبب لك لا اى غرض لك كما قيل قوله تعالى ما منعك الا تكون في
ان لا تكون مع الساجدين لادم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه
عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك
وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن
على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن اخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في
التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه قال اى ابليس وهو ايضا استيناف مبني على سؤال الذي ينساق اليه
الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اى ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشراف العناصر
واعلاها ان اسجد لبشر اى جسم كثيف خلقته من صلصال من حما مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية

الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به في خبر قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين
بمجرد ذكر كونه عم من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه
طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عم
من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل ءاسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك
ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وتعدوله عن تطبيق جوابه على السؤال يروم
فليقصه عن المناقشة واني له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن انتظام في سلك الملائكة
بل عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول وقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه
فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي افحشها الكبر والاستعصاء على
امر رب العالمين فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عم في الجنة
انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس بصاع ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي
هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة
بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رض ولا ينافي هذه طرده على رؤوس الا
شهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان
يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان
عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على سنة العباد
قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه
وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا
يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هناك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة
من الافانين العذاب فتصير هي كالزايل وقيل انما حدت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير
العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الاخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه
بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف يستجب عليه الكلام اذا
جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم
ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالة بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة
الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله للاخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه
اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت
آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار
المذكورة به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية
للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل نظمه
في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الاخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم

مقام الانتظار مع الحياة ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الذين مع اضافته في السؤال الى الى
البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء
والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة
غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد وان يكون له مقام يقتضيه مغاير
لمقام غيره وان حكي اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المجاورة ان اقتضى احد الاساليب
المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى
معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي
علم انه يصعق عنده من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا
والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين
كما ذكر في الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستيثاره تعالى بعلم فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم
في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اوسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين
سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رح تعالى انه قال قدمت المدينة اريد
امير المؤمنين عمر رض فاذا انا بحلقة عظيم وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عم الوفاة
قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب ان يا آدم انك
ستر والى الجنة ويؤخر اللعين الى النذرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت
صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى
والحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع
واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل الى بغيضي وسطوتي
على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة
وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلؤوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها
وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة
لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذ
يقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق
فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيغوص البحار فتنز منه البحار فلا تقبله فيهرب الى المغرب فاذا هو بين
عينيه فيغوص البحار فتنز منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط
الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع
الذي اهبط فيه آدم عم وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية
وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم
الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت

علينا بحكمك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اى اقسم باغوائك اياى
لازينن لهم المعاصي في الارض اى في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقامة
بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم
بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذلك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى
بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصي
وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام
واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر و
يصيرون الى النار امهل اولم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين
لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم
كيدي وقرئ بكسر اللام اى الذين اخلصوا نفوسهم لك عز وجل قال هذا صراط علي اى حق علي ان راعيه
مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه
طريق يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية وقرئ من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم
بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما
قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس
بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اى لموعد المتبعين او الغاوين والاول
انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في
الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة
ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية
والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم
ضرب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى
والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضه
ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين
والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات
القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديد الزاي في الوقف
والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون اى مستقرون فيها
خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منها كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر
العين حيث وقع في القران العظيم ادخلوها على ارادة القول امرا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها

امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام حال آمنين
اى سالمين او مسلما عليكم آمنين من الافات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اى حقد كان في الدنيا
وعن علي رضه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في
في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الا
ضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه في معنى متصافين
وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع
احوالهم لا يمسهم فيها نصب اى تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لابد لهم منه لحصول
كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم
والاستيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابدا الا بادلان تمام النعمة
بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب
كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما تقتضيهما الذات
وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على
ابراهيم عم من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عم مع اهله التابعين له
في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم
عن ابن عباس رضه انهم جبريل عم وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معهم عليهم السلام وقيل جبريل وميكائيل
واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء
وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى
ابراهيم عم بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر اى اذكر وقت دخولهم
عليه او خبر مقدر مضاف اى خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في
الاصل فقالوا عنه ذلك سلاما اى نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اى خائفون
فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عم حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان
المعتاد عندهم انهم اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما
راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عم بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت
اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء
بما بين في غير هذا الموضع الا يرى انه لم يذكر ههنا رده عم لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل
ولا توجل من اوجله اى اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف لتعليل النهي عن
الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحة خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله
في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحاق عم لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا

لبشارة يعقوب عم اكتفاء بما ذكر في سورة هود وعليم اي ابلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك
على ان مسني الكبر واثر فيّ تعجب عم من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك مقام فبم تبشرون
اي باي اعجوبة تبشروني او باي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء
او باي طريقة تبشروني لان البشارة بما لا يتصور وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون
الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما لا يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو
امر الله تع وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا
بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصوده عم استعظام نعمة تع عليه في
ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تع المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته
سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط
استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة
رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عم لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط
عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تع وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان
تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها
من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عليهم السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما
شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك اكتفاء بما ذكر ههنا قال اي ابراهيم عم وتوسيط
بين قول السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة
ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير بها الى مكانها كما في قوله تع قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك
هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تع فاخرج
منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه
بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره
بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر
لاجله ارسلوا فكأنه قال عم ان لم يكن شأنكم لمجرد البشارة كلهم فماذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عم
بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك
اكتفى بالواحد في ذكريا عم ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت
تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام
وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجر
موا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل
لوط لنهلك الاولين وننجي الاخرين ويدل عليه قوله تع انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما يصيب
القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من سلوكهم

بحمل

شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين او لتعليله فان من تعلق بهم التنجية بمعزل من شمول العذاب
او منقطع من قوم فقوله تع انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تع الا امرأته استثناء من
آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ
بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل
التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله
جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما
جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل
في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي
عنه عم بقوله تع قال انكم قوم منكرون انما قاله بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم
يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو
المعهود المعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته في مثل
تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان
قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قال عند ابتداء ورودهم
خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب
الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عم جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه
بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما ذكر
نا لاجل بل بما يسرك ويقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عم من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك
وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة
على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عم باهلاك قومه وتنجية آله
عقيب ذكر بشارة ابراهيم عم بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها
اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع
اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عم مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم
جاؤه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به وأتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال
فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب
المذكور وقوله تع وانا لصادقون تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون
في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد وقوله تع
فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السري
وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتح الباب
وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل ليس بهم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن

على اثرهم فتذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة
في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التاخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتاخر
والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اى منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه
او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما
يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المراة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان
ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله
تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتباع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول
اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اى
اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه
وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اى دابر هؤلاء
المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير
عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور وابهامه ثم تفسيره ما لا يخفى من الدلالة
على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرى بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم
احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى
مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل
والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اى جاء اهل المدينة منزل لوط عليه السلام
يستبشرون اى مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في
الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي
الضيف والتاكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم واظهار اعتنائه بشانه وتشميره لمراعاة حقوقهم
وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اى عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم
قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا
اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اى لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض
لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر
تاثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد
الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب
لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة
لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيط
بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذا قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اى عن التعرض لهم

بمنعهم

بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان
يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تصدى
له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة
ابيهم او بناته حقيقة اى فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية
المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود بحجرة لوط عليه السلام والتقدير لعمرك قسمي ولعمرك
في لعمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم وشدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتمييزهم بين الخطا والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة
اعتراض فاخذتهم الصيحة اى الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق
الشمس فجعلنا عاليها اى المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل
في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل
من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اى فيما ذكر من القصة لآيات
لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اى المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم ليعرفوا حقيقة
الشيء بسمته وانها اى المدينة او القرى لبسبيل مقيم اى طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك
فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمراى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين
بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء
صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان
المشاهد هاهنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
واللام هي الفارقة اى وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة والليكة الشجرة الملتفة
المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم
بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجؤوا اليها يلتمسون الروح فبعث
الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه
عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر
البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب
واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل
المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبيون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة
والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها
او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من

العذاب لحسانهم ان ذلك لجهم منه عن جابر رض انه قال مررنا مع رسول الله صلعم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله صلعم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء المخلص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء دفعا لفسادهم وارشاد المسترشدين الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذلك فاصفح اى اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم اذ هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقدير وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للتعليل والكثير والخلاق تختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رض والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة واما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرا بعدها في الصلاة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدها مثناة او مثنية صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران مما ذكر او لانه مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القران فهو عطف احد الوصفين

صفين

على الاخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم ولقد اتيناك ما يقال السبع المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا يدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبا به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع ايات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل او انهم المتمتعون به وتعديته بكلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اى تواضع لهم وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسا من ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اى المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد اتيناك الخ اى انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القران عضين اى قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه لا لتفهم بل للاستهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة ال عمران لي وهكذا او قسموا ما قرؤوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه حل المقام على التشبيه ولقد اوتي بهم ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني يهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فايدة التشبيه وهي تاكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذار اى انذر المقتسمين الذين يجزؤون القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلعم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر شاعر والاخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقومه بافات وفيه مع ما فيه من الاشراك لما سبق في عدم

قع

كون العذاب الذى شبه به المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعد الوقوع انه لا داعى الى تخصيص
وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم فى ذلك فان وصفهم لرسول الله
صلعم وصفوا بالسحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقران بذلك وهو الانقسام التعضية والا
الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزلهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث تشبه به عذاب غيرهم
ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم ان بعض المنذرين كالوليد المغيرة والعاص ابن وابل
والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثانى على الاول
كما ترى وقيل انه وصف انه المفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون فى مداخل مكة كما مر وفيه
مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح فى انه من الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلاة والصلاة والا
عتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الامر هو الملك كما فى
فى قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون
فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا غير صريح اى انا النذير المبين بعذاب
مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا م فاهلكهم الله
وانت تدرى ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القران العظيم صالح لان يقع مشبها
للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين ح فسواء جعلناه مفعولا
اول للنذير ولما دل هو عليه من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية فى حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام
بالمعنى المزبور فى حيز المفعول الثانى فايدة لما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت
للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه التشبيه عذابهم بعذابهم حاقة لعدم
اشتراكهم فى السبب فان المقتسمين بمعزل التقاسم على التبييت الذى هو السبب الهلاك اولئك كما ان اولئك
بمعزل من التعضية التى هى السبب لهلاك هولاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجود القبح وقوع احدهما
فى جانب والاخر فى جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص
الذى هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه
اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره جملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل
اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل
الكتابين وان الموصول مع صلة صفة مبنية لكيفية اقتسامهم وحمل الكاف النصب على المصدرية وحديث
جلالة المقام عن التشبيه من لوايح النظر الجليل والمعنى لقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم ايتاء
مماثلا لانزال الكتابين على اهلها وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة
بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما فى جانب المشبه به على ما فى جانب المشبه بان
يقال كما اتينا المقتسمين حسبما وقع فى قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتائين من التنافى
فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثانى ولا يقدح ذلك فى وقوعه مشبها به فان

ذلك انما هو لمسلمية عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما فى الصلاة
الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم ع م واله اتم واكمل مما فاض
على النبى صلعم وانما ذلك للتقدم فى الوجود والتنصيص عليه فى القران العظيم فليس فى التشبيه
شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق
به الثانى وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكار الاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا
بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك فى العلة والاتحاد فى
الحقيقة التى هى مطلق الوحى وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان
حال ما اوتى النبى صلعم ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام
بمكانه واستغناؤه به عما سواه ثم نهى عن التفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع
المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعد ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعات المؤمنين والاكتفا بهم
عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل فى تضاعيف ما اوتى من القران
العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادرج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان
مشاركته لما ريب لهم فى كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل انى انا
النذير المبين كما قد انزلنا فى الكتب انك ستاتى نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان
ما فى كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهى مع ما فى حيزها فى محل النصب
على الحالية من مفعول قل اى قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اى موافقا لذلك مما تبين
فى محل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبى صلعم
وقوله تعالى عضين جمع عضة وهى الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما
جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القران بالتعضية التى هى تفريق الاعضاء
من ذى الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتفريق الذين ربما يوجد
ان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوا بالقران العظيم وقيل هى فعلة
من عضهته اذا بهتّه وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثانى هاء
فوربك لنسالنهم اجمعين اى لنسالن يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع
عما كانوا يعملون فى الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من اقتسام والتعضية دخولا اوليا فنجزيهم
بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التى ذكر
بعضها وفى التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه ع م اظهار اللطف به ع م فاصدع بما تومر فاجهر به من صدع
بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد
محذوف اى ما تومر به من الشرائع المودعة فى تضاعيف ما اوتيته من المثانى السبع والقران العظيم
واعرض عن المشركين اى لا يلتفت الى ما يقولون ولا يبال بهم ولا يقصد للانتقام منهم انا كفيناك

المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش بن الوليد المغيرة والعاص بن وايل
والحارث بن قيس بن الطلالة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى
صلعم والاستهزاء به فنزل جبريل عم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بسهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت
فيها شوكة وقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عينى الاسود
بن المطلب فعمى والى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة
فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوكة حتى مات الذين يجعلون مع الله الها اخر وصفهم بذلك
تسلية لرسول الله صلعم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عم بل اجترأوا على العظيمة
التى هى الاشراك بالله سبحانه فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون من كلمات الشرك والطعن فى القران والاستهزاء بك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق
ما تضمنته من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار ما يوجبه من اقوال
الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى وبما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا
بحمده وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم ما لا يخفى من اظهار اللطف به عم والاشعار
بعلة الحكم اعنى الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اى المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فيهم
بما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك
دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف انفا لتاكيد ما سبق من اظهار
اللطف به عم والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن اللحوق بكل حى مخلوق
واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحى طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت
حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلعم تسليما كثيرا

الى امر الله اى الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان
بان تحققه فى نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة
نظم المتوقع فى سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات
وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع فى قوله عز وجل فلا تستعجلوه
فان النهى عن استعجال الشئ وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة
تفريعه على وقوعه او بالوقوع يستحيل الاستعجال راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب
للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة
ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول

فلا بد لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه واما الثانى
فلان استعجالهم له بطريق التحقيق واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمها صيغة واحدة
والالتجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سوية تعسف لا يليق بشان
التنزيل الجليل وروى من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد
قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب
للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت
اتى امر الله فوثب رسول الله صلعم فرفع الناس رؤسهم فلا تستعجلوه فاطمأنوا فليس فيه دلالة على
عموم الخطاب كما قيل لا لا نوهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل من ان يدفع بما حققته بل لان مناط
اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان الادعاى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة
لامتناع النهى عنه لما ان النهى عن الشئ يقتضى امكانه فى الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهى من
الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضى لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل
كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله تعالى هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور
استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود
للكفرة خاصة لكن الذى يقتضيه الاعجاز التنزيلى انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك
من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقادهم
ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا فى تضاعيفه ان صح مجئ العذاب فالاصنام
تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستيناف سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس
بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك
فيدفع ما اراده بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره
والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية
شنايعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط
بالمتنزه عنه وقرى على صيغة الخطاب ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا
ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شئ فى شئ وايذانا
بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع اشارة الى امر البعثة
والتشريع وكيفية الوحى والتنبيه على طريقة علم الرسول صلعم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه
ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهار البطلان رأيهم فى الاستعجال
والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد
بالملائكة اما جبريل عم قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا وهو ومن معه من حفظة
الوحى بامره الله تعالى وقرى ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبنى

للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحى الذى من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح اى بالوحى الذى من جملته القران الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على راى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكاين من امره الناشى منه او متعلق ينزل ومن للسببية كالباء فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اى ينزلهم بامره على من يشاء من عباده اى ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تاهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بان انذروا اى بهذا القول والى ظنوا به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملائكة نقله للامر كما يشعر به الباء فى المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف اى ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشئ اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اى اعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه كذا فى القاموس اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايثار مضمونه على المحذور وليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كان فى كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفا فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى تنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له فى الالوهية فاتقون فى الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تحميله الدليل السمعى للتوحيد شرع فى تحليل الادلة العقلية خلق السموات والارض بالحق اى اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفايق والنمط اللايق تعالى وتقدس بذاته بافعاله التى من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذى لا يبدى ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع فى تعديد ما فيه من خلايقه فبدأ بفعل المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اى هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال

بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قايل من يحيى العظام وهى رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روى عن ابى بن خلف انه جاء الى النبى صلعم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام وهى الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذى بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيبقى من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة ومنافع هى درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع ان الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقى الى الاعلى ومنها تاكلون اى تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء انها لا تبقى عند الاكل كما فى السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهى باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد والمعتمد فى المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بها فان الحبوب والثمار الماكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها جمال فصل من انواع المنافع الضرورية اى زينة فى اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية والاكناف بها وبتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها فى ذينك الوقتين واما عند كونها فى المراعى فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها فى الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه فى استتباع ما ذكر من الجمال واتم فى استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملاء البطون مرتفعة الضروع حافلة الفروع وقرى حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيها وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رض اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرى بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر

عليه شقا وحقيقة راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف
القوة لما يناله من الجهد فالاضافة للانفس مجازية او على تقدير مضاف اى الا بشق قوى
الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق
الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدار النعم السابقة الى الجملة
الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعم ليست في العموم بحسب المنشا وبحسب
المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب
المنشا مختصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين
غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما
او في عامة الاوقات ان ربكم لرؤف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعمة الجليلة ويسر لكم الامور
الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اى
خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوا تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب
في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل دون
الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه او مصدر بفعل محذوف اى وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو
اى خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله
اى متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اى يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف
النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اى ما ليس
من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية من الله عز وجل اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون
هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمه
الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات والارضين
السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما
الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون
الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة وعلى الله
قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم على طريق الاستعارة
ام على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اى حق
عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه
الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس
اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قال ابو البقاء اى عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اى

جعل

جعلنا بحيث يصل سالكه الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء
كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب
الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره ويعلم
يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي
الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال
بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن غيابات الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف
بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك
ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد
ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقه بالاستدلال
فبدأ بالفعل المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله
المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين
قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد
عن بيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه
وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون
ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله واليوم الاخر الخ اى بعض السبيل او بعض
من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق
الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في
منها راجع اليها بتقدير المضاف اى ومن جنسها كما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه
ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واياما كان فليس في النظم الكريم تغيير
الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن
يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفيني
فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفيني ولكن عدل الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد
ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح
اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد التغيير
الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية
الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يعرف
ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة يستدعيه ولا يتوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائر لها
ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جئ بها لبيان الحاجة الى البيان
والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق

وتعديل بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى الموصل وهذا هو الهداية المفرزة
بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس
بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن
والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اى لو شاء
ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك
ولكن لم يشاء لان مشيته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشية لما ان الذي يدور عليه
ذلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال
التي بها ينوط الجزاء هذا هو الذي تقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد قيل كون قصد السبيل
عليه تعالى بانتهايه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلا على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة
على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلا لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى
هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما ترى في قوله تعالى ومنها
جاير معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف
عنه ولو شاء لهداكم اجمعين الى الاول وانت خبير بان هذا وجه في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة
موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه
اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه
بعثا للمخاطبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل على احوال النبات
فقيل هو الذي انزل بقدرته من السماء اى من السحاب او من جانب السماء ماء اى نوعا منه
وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانزال من السماء شيئا هو الماء
لا انه انزل من السماء والسر فيه ما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه
فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب اى ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول
او مبتدا وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس
في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى نفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار منه
لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل
والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين
وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اى ومنه
تحصيل شجر ترعى المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا او تبعيضية مجازا لانه
لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الابال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلا الذي تاكله
الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض

ينبت اى الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
بيان للنعم الفايضة عليهم من الارض بطريق الاستيناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد
والاستمرار وانها سنة جارية على مر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول
الصريح لما مر انفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه
لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه
وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقايها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من
الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن
كل الثمرات للاشعار بفضلها او تقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر
او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من
اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم
ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا
الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اى في انزال الماء وانبات ما فصل لاية دالة على تفرده تعالى بالالو
هية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع
في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض
وتنشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار
والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبايع وعلى
نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبايع
السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله واثاره لا يمكن ان يشبهه شيء
في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية
واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات
الفكرية قطع الاية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضا
جها والشمس والقمر يدابان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات
التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاءوا
كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظايره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم
كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في
المسخرات من صعوبة الانقياد بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر
وان تجددت اثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدا وخبره اى ساير النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث
والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم
في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم بمباداة الاختصاص بل ذكر على وجه

يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شئ آخر ولذلك عدل من الجملة الفعلية الدالة على الحدوث
الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول
اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اى وجعل النجوم مسخرات بامره او على
انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما فى سخر من معنى نفع اى نفعكم بها
حال كونها مسخرات لله الذى خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده ولتقديره او لحكمه او مصدر
ميمى جمع لاختلاف الانواع اى انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى ان يقال
ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا
امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وتعالى وقدرته واختياره وانت
تدرى ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم فى قبوله قال تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث
ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شئ فى شئ فضلا عن ان يشاركه الجماد فى الالوهية ان فى ذلك
اى فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت
هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات
وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه
ح تعاجيب الدقائق المودعة فى العلويات المدلول عليها بالتسخير التى لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين
علماء الحكمة ولا ريب فى ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله والنجوم رفعا ونصبا على انه
مفعول لجعل اى وما خلق لكم فى الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اى اصنافه
فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال الكيفيات
او جعل ذلك مختلف الالوان اى الاصناف لتتمتعوا بذلك بمن نأى صنف شئتم وقد عطف
على ما قبل من المنصوبات وعيب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم
التسخر لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اى
خلق وانبت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان فى ذلك الذى ذكر من التسخيرات
ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك
غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها فى الطبايع والهيئات
والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع
تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق
الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جئ به للاستدلال به على

ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شئ فى الالوهية وهو الذى سخر البحر شروع
فى تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اى جعله بحيث تتمكنون من
الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا
للتلويح بانحصار الانتفاع به فى الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة
الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى فى خلقه
عذبا طريا فى ماء زعاق وفى اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثورى الى ان من حلف لا يأكل اللحم
حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب فى انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك
لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يرى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان
شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ
والمرجان تلبسونها عبر فى مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن
لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه مقبلة ومدبرة وماخرة منه بريح واحدة شقه بحيزومها
من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك ولتبتغوا عطف على لتستخرجوا وما عطف هو عليه
وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادئ الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج او على علة محذوفة اى لتنتفعوا بذلك
ولتبتغوا ذكره ابن الانبارى او متعلق بفعل محذوف اى وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة
رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة و
التوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع
احمال ثقيلة فى مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها فى تضاعيف
المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به
وبحصولهما معا والقى فى الارض رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه فى اول سورة الرعد ان تميد
بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة
حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب
لتحرك فلما خلقت الجبال على وجهها توجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق
الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا
اى وجعل فيها انهارا لان فى القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم
يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل اى جماعة يشمون التراب ويتعرفون به
الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس
وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع
كرهن ورهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم
كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم فى اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب

وتقديم النجم والخام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هولاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة
او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار
ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة
بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به
تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يوذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سالتهم الاتيين والاقتصار على ذكر
يخلق من بينهما لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اى ابعد ظهور اختصاصه
تعالى بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية اده بالاستحقاق
العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها
وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان تقوم بالمتشبهين اختير ما عليه
النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملائكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين جريانها المغفلة
قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس بمجرد دفع الاصنام عن محلها بل هو حط
لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه لايا ما
كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان
من يخلط حيث لم يمكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واما ما كان فدخول الاصنام
في حكم عدم المماثلة والمشابهة بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الا انها بدلالة النص
على الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا يذكرون اى الا تلاحظون فلا يتذكرون
ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكر اجمالي لنعمه تعالى بعد
تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا يعلمون ولعل فصل
ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل
التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية
الخلق ضرورة ظهورها لا لتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية
الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اى ان تعدوا نعمة الفايضة عليكم
بما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيعوا حصرها
وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل
الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم
بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من
اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايما نعمة فالجملة تعليل
للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون

تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اى تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اى يستوى
بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى
وتقديم السر على العلن لما ذكرنا في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما
على ابلغ وجه كان علمه بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه
تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من
استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك
منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها و
انهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اى والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على
صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اى ليس من شانهم ذلك
ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك
صريحا فقيل وهم يخلقون اى شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في مهيتها ووجو
داتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي
المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله
جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة
في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز منهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل
الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه
استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين
احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث
كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا ولاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى
حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اى لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله
تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اى ما يشعر اولئك الالهة اى اى وقت يبعث عبدتهم ففيه على طريقة التهكم بهم
لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه
ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد
لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة عقب اقامة الحجة فالذين لا يومنون بالاخرة
واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء المنكر لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحـ
ـدانية جاحدة لها او للايات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة
عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة
والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من
نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار

بكونه معللا بما فى حيز الصلة فان الكفر بالاخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة
والعقاب على المعصية يودى الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب
لانكارها وانكار مدلولها والاستكبار عن اتباع الرسول عم وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو
لامحالة الى التامل فى الايات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر
الله تعالى لا جرم اى حقا وقد مر تحقيقه فى سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون
من استكبارهم وقولهم للقران اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب
المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اى لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات
الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اى لاولئك المستكبرين
المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او
بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اى اى شئ انزل او ما الذى انزله قالوا اساطير
الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من
الانزال فى شئ قيل هولاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلعم
عند سوال وفود الحاج عما نزل عليه عم ليحملوا متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم
وهى اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شئ بنكبة اصابتهم فى الدنيا كما يكفر بها اوزار المومنين يوم القيامة
ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال
لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل فى نفس الامر من غير ان يكون
غرضا وصيغة الاستقبال الدالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال
من الفاعل اى يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمل على المعنى غير عالمين بانهم
يحملون يوم القيامة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل فى الحال قالوا وتاييده بما ياتى
من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال
والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيامة
والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوى كما ستقف عليه او حال من المفعول اى يضلون
من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذى لب وانما يتبعهم
الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين
المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اى بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم
وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من
العذاب العاجل اى قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اى امره وحكمه بنيانهم
وقرى بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهى الاساطين التى تعمده او اساسه
اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اى سقط عليهم سقف بنيانهم اولا يتصور القيام

بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين فى تسويتهم المكايد والمنصوبات التى ارادوا بها الايقاع
برسول الله سبحانه وفى ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا
وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرى
فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اى الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل
يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هولاء الماكرين القائلين للقران العظيم
اساطير الاولين سياتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله
ثم يوم القيامة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى هذا الذى فهم من التمثيل من عذاب
هولاء او ما هو عم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاوهم فى الدنيا ويوم القيامة يخزيهم اى يذلهم بعذاب
الخزى على رؤس الاشهاد واصل الخزى ذل يستحى منه وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل
عليه من التراخى الزمانى وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزى على يوم القيامة كما هو المتبادر
من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم فى الدنيا موذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس
مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه فى الاخرة فيسبق الكلام على وجه يوذن بان
المقصود بالذكر اخزائهم لا كونه يوم القيامة والضمير اما للمفترين فى حق القران الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم
من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا و
توبيخا فهو الجز بيان للاخزاء اين شركاى اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ
اثر توبيخ مع الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون الانبياء والمومنين فى شانهم بانهم
شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة
الاستهزاء والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يحال بينهم وبين
عبدتهم حينئذ ليتفقدوهم فى ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفى فى ذلك
عدم حضورهم بالعنوان الذى كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء
ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل
فكيف يتصور منهم التفقد وقرى بكسر النون ان تشاقوننى على ان مشاقة الانبياء والمومنين
لا سيما فى شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم
الانبياء والمومنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم فى الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم
ويتكبرون عليهم اى يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم تحقيقا
لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد فى اخباره سبحانه
ونحو كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزى الفضيحة والذل والهوان
اليوم منصوب بالخزى على راى من يرى اعمال المصدر باللام او بالاستقرار فى الظرف وفيه
فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر فى الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل

ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفايدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم اى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اى فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركاى وما بينهما جملة اعتراضية جئ بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اى فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اى من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه لذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركاى كما في سورة الانعام عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابه المعدلة وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها اى اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اى عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعلية لثواهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اى جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا روما للمحافظة على ان لا كذب ثم يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس له دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير رو ما للفرار من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول اذا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلعم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اى اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اى مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا

في الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اى دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدا مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له اى انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اى لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق به اى حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشتهيات او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اى كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين اى طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبين النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اى قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي رح اذا استدعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عم فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخي المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اى ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وليس بينهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او ياتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للاشعار بان اتيانه لطف به صلعم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيمة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلايمه العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اى مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيلقى من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموصلة لذلك انفسهم يظلمون

كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان
غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع
اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين
من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اى جزية اعمالهم
السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم
اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اى احاط بهم من الحوق الذى هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع
ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين اشركوا اى اهل مكة وهو بيان لفن اخر من كفرهم و
العدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شئ اى لو شاء عدم عبادتنا لشئ غيره كما تقول لا عبدنا ذلك نحن ولا اباؤنا
الذين نقتدى بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شئ من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذ
يبا للرسول وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه
شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم ما حرمنا شيئا كما يقول الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل
لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من
ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اى مثل ذلك الفعل الشنيع
فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا بالله وحرموا احله وردوا رسله فجادلوهم بالباطل حين نهوهم عن
الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين
اى ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحى التى من
جملتها تحتم تعلق مشية الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم
فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة الذى عليها يدور امر التكليف في شئ حتى يستدل بعدم ظهور
اثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشية تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال
العباد لابد ان تعلق مشية تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الحزئى الى تحصيله والا
لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالفاء للتعليل كانه قيل فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس
شانهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها واجراء مواجبها على الناس قسرا والجاء وايرا
د كلمة على للايذان بانهم في ذلك مامورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل
قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا
تحقيق لكيفية تعلق مشية تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا
من باب المشية المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اى بعثنا
في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان يكون ان مفسرة لما في البعث

من معنى القول ان يكون مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان
وكل ما يدعوا الى الضلالة فمنهم اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى بلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة
الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذى هو عبادته واجتنا بالطاغوت
بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى الى التحصيل ومنهم من حقت عليه الضلالة اى وجبت وثبتت الى حين
الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك
لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشية الهداية وعدمها الا حسبما
حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشية
تعالى بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة
المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في
منازلهم وديارهم اثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة
عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على
السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شئ ان تحرص خطاب لرسول الله صلعم وقرى بفتح الراء وهى لغة على هداهم اى ان تطلب
هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدى من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه
الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليهم الضلالة له
وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست بقادر
على ذلك لان الله لا يهدى من يضل وهؤلاء من جملتهم وقرى لا يهدى على بناء المفعول اى لا يقدر احد
على هداية من يضل الله تعالى وقرى لا يهدى بفتح الهاء وادغام تاء يهتدى في الدال ويجوز ان يكون يهدى
بمعنى يهتدى وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادى لمن يضل ومن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية
او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع باعتبار الجمع يقتضى انقسام الاحاد الى الاحاد لا لان المراد نفى طائفة
من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن اخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد
ايمانهم مصدر في موقع الحال اى جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله عليهم ابلغ
رد يقول الحق بلى اى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه
او لمحذوف اى وعد ذلك وعدا عليه صفة لوعدا اى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده
او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اى حق حقا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما
يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة
التى جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق
فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية

لما دل عليهم بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المومنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين
بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال بتفتح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك
وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هى ومعاينتها بصورها الحقيقة الشان الذى يختلفون فيه
من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا
وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعد الحق انهم كانوا كاذبين يقولون
لا سيما فى قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته والاشعار بعلية
ما ذكر فى حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده فى معرض
الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعى للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان
للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث اذا كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون فى انكاره كان
ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول
لمن ينكر انك تصلى لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها
والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته و
وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره فى مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان
الذين كفروا كانوا كاذبين بل جئ بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذى هو عبارة عن اظهار
ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذى نطق به القران فاختلف فيه المختلفون
واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضرورى حاصل لهم من قبل انفسهم وقدم تحقيقه فى سورة
التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما حقق الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين
الاية لان علم المومنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا استيناف لبيان كيفية التكوين على
الاطلاق ابدا او اعاده بعد التنبيه على انية البعث ومنهم نظر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله تعالى
لشئ اى اى شئ كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ لىى فى قولك قلت له قم فقام
وجعلها الزجاج سببية اى لاجل شئ وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند
تعلق مشيته تعالى به لا انه كان شيا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اى وقت ارادتنا
لوجوده ان يقول له كن خبر للمبتدأ فيكون اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام
اى فنقول ذلك فيكون لقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف
اى فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه
يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال انما يستدعيه انحصار قوله تعالى
فى قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره
فى كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات حسب تعلق

مشيته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فى ذلك من طاعة المامور المطيع لامر الامر المطاع
فالمعنى انما ايجادنا لشئ عند تعلق مشيتنا به ان نوجده فى اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذى هو قول
مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتامل وفى الاية الكريمة من الفخامة
ما يحار فيه العقول والالباب وقرى منصوب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر والذين
هاجروا فى الله اى فى شان الله تعالى ورضاه وفى حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل
مكة من اصحاب رسول صلعم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بواهم الله المدينة حسبما
وعد بقوله تعالى لنبوئنهم فى الدنيا حسنة اى مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة هو الانسب
لما المشهور من كون السورة غير ثلاث ايات من اخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضى
الله عنهما من انها نزلت فى صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابى جندل بن سهيل اخذهم
المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت
معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر رض قال ربح البيع
يا صهيب قال عمر رض نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكى عن الاصم من كون
كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الاية الى اخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول
الاية فى اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلعم من
جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرى لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لننزلنهم فى الدنيا
منزلة حسنة وهى الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة
ولاجر الاخرة اى اجر اعمالهم المذكورة فى الاخرة اكبر مما يجعل لهم فى الدنيا وعن عمر رض انه كان
اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا وما
فى الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله تعالى يجمع لهولاء المهاجرين خير
الدارين لوافقوهم فى الدين وقيل للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى الاجتهاد او لما تالموا لما
اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل و
الوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين   صح
عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر
التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحى اليهم وقرى بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان
ان يكون له رسول من البشر كما هو منبئ قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اى جرت السنة الالهية فيما
اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها
الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلعم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب
اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر اى اهل الكتاب الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك

ان كنتم لا تعلمون حذف جواب لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى
جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امراة ولا تنافيه نبوة عيسى عم وهو
في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات
والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا
داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اى ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا
بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من
يجوز ان يعمل ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اى الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي
على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل يوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض او لقوله تعالى
لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر
اى القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا
ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب
اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد
ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه
دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون
اشارة الى ذلك اى ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل
ما اصاب الاولين من العذاب افامن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا رسول الله صلعم
وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان الا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم
الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة
والسيئات نعت المصدر محذوف اى مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل
المذكور على تضمينه معنى العمل اى عملوا السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن والسيئات
صفة لما هو المعفول اى امن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى
كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي
من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات
ان يخسف الله بهم الارض كما قيل يقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا اى الم يتفكروا فامنوا على
توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه
الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الخ او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اى في حالة غفلتهم
او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين او ياخذهم في
تقلبهم اى في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على
ما يوهمهم حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته

وقطاعة حسبما قال صلعم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على
دوام النفي لا لنفي الدوام او ياخذهم على تخوف اى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك
قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب
عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حال الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل
التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اى ياخذهم على
ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله
سبحانه على اهلاكهم باى وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم
مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اى من كل شيء اى ترجع
شيئا في نيا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتانيث الفعل عن اليمين
والشمائل اى الم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها
استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو
والاصال والمراد بسجودها تصرفها على مشية الله سبحانه وتاتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص
وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اى صاغرون منقادون حال من الضمير في
ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال
من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها
كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام
داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه
والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها
بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ
بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك وقيل
المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وجانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر اخذه في الارتفاع و
السطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار من الشرق واقعة على
الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين
سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه شرع في بيان
سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اى له تعالى وحده
يخضع وينقاد لا لشيء وغيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب
بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات

فاطبة وما في الارض كاينا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين
فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش
هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجل مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل
على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة
السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اى الملائكة مع علو شانهم لا يستكبرون
عن عبادة عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصد والجملة اما حال من فاعل يسجد مسندا الى
الملائكة والاستئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اى مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم
من فوقهم اى يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق او يخافون
ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله
سبحانه لا يستكبر عن عبادة ويفعلون ما يؤمرون اى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد
الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده
الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات
يخضعون للخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد
اصلا بالله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطف
على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي
عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق لا تتخذوا الهين يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اى قال تعالى
لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على
ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له
سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول فيه التفات من التكلم الى الغيبة على راى من اكتفى
في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه
فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم
المفعول وكرر الفعل اى ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فان ذلك الواحد الذي
يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقيادها فيها
له سبحانه وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا
في قوله تعالى وله الدين اى الطاعة والانقياد واصبا اى واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله الواحد
الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء
الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على
مقدر ينسحب عليه السباق اى اعقيب تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات

للسجود

للسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك
لتخصيص التقوية به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اى اى شيء يلابسكم
ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة لهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى
ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون
بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية
المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس
ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها بالمخاطبين
بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به
الى تحقق وجوب الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي
زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما ترتب عليه من مفاجاة
الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من
الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة
وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر
كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن للتبعيض ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح
ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط
وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك
ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب
وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون
اجلة عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداد الجناياتهم اى يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى
عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون اى لما لا يعلمون حقيقته وقدره
الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاها ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على
ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد
اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكونها عبارة عن الهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء
او مصدرية واللام للتعليل اى لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع و
والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها الهة حقيقة بان
يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة

الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل
عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جرأتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين
وما مرفوعة المحل على انه مبتدأ او الظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقعه وجعلها
منصوبة بالعطف على البنات اى يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى الى جعل الجعل بمعنى يعم
الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اى اخبر بولادتها ظل وجهه اى صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية من الاغتمام والتشوير وهو كظيم ممتلئ حنقا
وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة
العقلاء ايمسكه اى مترددا في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقرى هوان ام يدسه
يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا
شانه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون
لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم
له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالاخرة
ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذى هو كالمثل في القبح وهى الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم
وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادى كل ذلك بالعجز و
القصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح
هو الكفر بالاخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اى الصفة العجيبة الشان التى هى مثل في العلو
مطلقا وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين
ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مواخذتهم بذنوبهم
الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم
وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها
بالناس وبقوله تعالى من دابة اى ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشوم ظلم الظالمين
كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم
لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك
في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض
دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك
بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون
عن ذلك الاجل اى لا يتاخرون وصيغة الاستقبال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهى مثل
في قلة المدة ولا يستقدمون اى لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجئ

الاجل

الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان
من كان كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر
في تفسير سورة يونس ويجعلون لله اى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون
لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون
له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى كقوله ولئن
رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرى الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد
لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التى ليست وراء
عذابها عذاب وهى علم في السوء وانهم مفرطون اى مقدمون اليها من افرطته اى قدمته في طلب الماء
وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته وقرى بالتشديد وفتح الراء من فرطته في
طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصى فلا يكونان
من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلعم
عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم
زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيام على طريقة حكاية الحال
الاتية وهى حال كونهم معذبين في النار والولى بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم لا غيره مبالغة في نفى الناصر عنهم ويجوز ان
يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم وان يكون على
حذف المضاف اى ولى امثالهم ولهم في الاخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب
اى القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اى
الناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفا
على محل لتبين اى وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف
التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرط ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة
بالمؤمنين لانهم المغتنمون اثاره والله انزل من السماء من او من جانب السماء ماء مر وهذا تكرير
لما سبق تاكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من من ادلة التوحيد ماء نوع خاصا من الماء هو المطر وتقديم
المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النبات
بعد موتها اى يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة
ان في ذلك اى في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لاية واية اية دالة على وحدته سبحانه
وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم
وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واى عبرة يحار في دركها العقول ويتيه في فهمها الباب الفحول نسقيكم

استئناف لبيان ما ابهم اوللامن العبرة مما في بطونه اى بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ
فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق كما ان تانيثه في سورة
المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها اوله
على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا
الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما
ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما
في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم
يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين الصفراء والسوداء ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري
على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد
والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او
او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض ويطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر بدائع
صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي
رأفته ورحمته فمن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا
من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده ولاسيما
اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر
تنافيا وتنائيا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في
قوله تعالى هو الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه
موضع العبرة خالصا من شائبة ما فيه الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة
الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص
احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف مثل هين وميت ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم للاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن
مطعوم كما انه مشروب اى ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اى من عصيرها قوله
تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون وتكرير الظرف
للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفة تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون

من

وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير
الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر
مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل
والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان
في ذلك لاية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتامل واوحى ربك الى
النحل اى الهمها وقذف في قلوبها وعلمها لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اى
بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتانيث
الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اى اوكارا
مع ما فيها الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اى يعرشه الناس اى
يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك
بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض
لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان فيها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها
حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اى مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة
النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى
بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اى مذللة غير
متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اى اسلكي منقادة لما امرت يخرج
من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي
موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اى عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم
ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها
تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع
فيها شئ كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف
سن النحل او الفصل او الذى اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض
ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن
اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال
النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل
والقرآن ان في ذلك الذى ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى لاية عظيمة لقوم يتفكرون فان من
تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة

القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بالات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجايب احوال ماذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجايب احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما يقتضيه مشيته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا وشبانا وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وتسعون سنة على ماروى عن علي رض وتسعون سنة على مانقل عن قتادة وقيل خمس وسبعون و وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوء حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الاجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبايع لما بلغ التفاوت والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ماملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لايردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لايردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لايرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية سلطانه في شيء لايختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لايليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذات بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة مافعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون مايفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب اذ ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا تحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك

لامرية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على فعلهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد نحكي عن ابي ذر رض انه سمع رسول الله صلعم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فماروي عبده بعد ذلك الا ورداه رداه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم و قيل هو خلق حواء من ضلع ادم ثم وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهم بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموصفين على المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصالحكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الاخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحاير ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ماذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لايحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل ولا والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا اي الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي مالا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزق اي كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا لا يملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم راسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للالهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لاتشركوا به والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشؤون فان ضرب المثل تشبيه

تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اى لا تشبهوا به شأنا من الشؤن واللام مثلها فى قوله تعالى ضرب الله
مثلا للذين امنوا امرأة فرعون لا مثل فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظايره والفاء للدلالة
على ترتب النهى على ما عدد من النعم الفايضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به سبحانه بمعزل عن
ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق تم فضلا من نعمة الخلق والتفضيل فى الرزق
ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم للنهى تعليل المذكور ووعيد على النهى عنه اى انه تعالى يعلم كنه ما تاتون
وما تذرون وانه فى غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك فى الا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء
وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الامر والنهى ويجوز ان يراد
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون
فيه من مهاوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال فى هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اى ذكروا
وردتشبيها يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادى
بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء بدل من مثلا وتفسير له والتنافى بحقيقة حالته
العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر
لاشتراكهما فى كونهما عبد الله سبحانه وقد ادرج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب
والماذون الذى لهما تصرف فى الجملة وفى ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة و
ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اى رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للا
شعار باختلاف حالى ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعالى رزقا حسنا حلالا طيبا
او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق
على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية
الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددى سرا وجهرا اى حال السر والجهر او انفاق
سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة
الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق
القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخى تحقيق بان
الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى
اياه من غير ان يكون لهم مدخل فى ذلك مع محاولة المبالغة فى الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال
بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق
العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورين من الجنسين
المذكورين لا فردان معينان منهما اى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات
مع ان الفريقين سيان فى البشرية والمخلوقية لله سبحانه وانما يفضله الاحرار ليس مما لهم دخل فى ايجاده
ولا فى تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به

مالادليل

مالادليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اى كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت
على ايدى بعض الوسايط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما
يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر
فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفى العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك
وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا
اى مثلا اخر يدل على ما يدل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعدما ابهم وذلك لتنتظر النفس
الى وروده وتتركه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس
لا يقدر على شىء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل
ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلى امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم
قدرته على شىء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اى حيث يرسله مولاه فى امر بيان لعدم قدرته على اقامة
مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضى من التوجه لا يات
بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوى مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يامر بالعدل وهو على صراط
مستقيم اى من هو منطيق فهم ذو راى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع
الفضايل وهو فى نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات
المذكورة بهذين الوصفين لانهما فى حاق ما يقابلها فان بحصل الصفات المذكورة عدم استحقاق الما
مورية ولمحض هذين استحقاق كمال الامرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب
حيث لم يقل والآخر يامر بالعدل الاية لمراعاة الملائمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين
من الفريقين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضى بل المراد انشاؤه بما
ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا لخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك
للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوى بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين
حكاية للضرب الماضى ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اى
الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا اضافة اليهما
التعلق بهما اما باعتبار الوقوع حالا او مالا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى
من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبية لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر
كذلك فى نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضورى فان تحقق الغيوب فى انفسها علم بالنسبة
اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التى هى اعظم ما وقع فيه المماراة
من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتهما عن اهلهما او ظهور اثارها فيهما عند وقوعها فان وقت
وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان انيتها من الغيوب التى نصبت عليها الادلة
اى ما شانها فى سرعة المجئ الا كلمح البصر اى كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اى بل امرها

فيما ذكر اقرب من ذلك الزمان واسرع زمانا بان يقع فى بعض من زمانه فان ذلك وان قدر حركة اينية لها
هوية اتصالية منطبقة على زمان لها هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هى ازمنة ايضا بل فى ان غير منقسم
من ذلك الزمان وهو ابتداء تلك الحركة او لطرفها الا كان شئ الذى يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو
اقرب واما ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها فى فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شئ قدير
ومن جملة الاشيا ان يجئ بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التى كنهها و
وكيفيتها من الغيوب المختصة به سبحانه وهى اماتة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والاخرين وتبديل
صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان وسرعة الوقوع
وسهولة التاتى الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شئ قدير فهو قادر على ذلك
لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما ان علمه بخصوصه غايب عن اهلها
فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا منتظم معه فى سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السما ما وقوله والله خلقكم
وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرى بكسرها ايضا جمع الام زيدت الها فيه
كما زيدت فى اهراق اراق وشذت زيادتها فى الواحد قال امهتى صندق والياس الى لا تعلمون شيئا
فى موقع الحال اى غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس
فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك
الجعل لا يظهر قبل الاخراج اى جعل لكم هذه الاشيا الات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم
جزئيات الاشيا وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرار الاحساس
فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فواد وهو وسط
القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور
على المنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر
ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون اى لتعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه
وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقى الوحى اولان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه
مصدرا فى الاصل الم يروا وقرى بالتاء الى الطير جمع طاير اى الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشئ منقادا
للاخر يتصرف فيه كيف يشا فكان الفلك مسخرا للبحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء
للطير لتطير فيه كيف تشا فكان مقتضى طبع الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران فيه تنبيه على ان الطيران
ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى وجو السماء اى فى الهواء المتباعد من الارض والسكاك
واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه فى جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن فى الجو حين
قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء

تقتضيان

تقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر فى مسخرات او من
الطير واما مستانف ان فى ذلك الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها
اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها
خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لايات ظاهرة
لقوم يؤمنون اى من شانهم ان يؤمنوا انما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم
معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما نسبنا من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه
لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم اى من بيوتكم المعهودة
التى تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم فى الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا
فعل بمعنى مفعول اى موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه
اى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اى بيوتا
اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة وهى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة
سهلة المأخذ يوم   وقت ترحالكم فى النقض والحمل والنقل وقرى بفتح العين ويوم اقامتكم وقت
نزولكم فى الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضماير للانعام
على وجه التنويع اى جعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اى متاع البيت
واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا اى شيئا يتمتع به بفنون التمتع الى حين اى
ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه من معرض البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا
والكلام فى ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء
تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة
وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسراب والكلام
فى الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذى مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اى
جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين
عن ذكر الاخر اولان وقايته هى الاهم عندهم لما مر انفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم
اى الباس الذى يصل لبعضكم من بعض فى الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا
حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود
الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يؤويه الى الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم
بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه فى الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم
باسكم ثم قال كذلك اى مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى ارادة ان
تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والافاقية فتعرفوا حق منعمها

الى

فتومنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا الامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او
لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبريا شئ قليل وقرئ تسلمون اى تسلمون من العذاب
او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماضى على طريقة الالتفات وصرف الخطاب
عنهم الى رسول الله صلعم تسلية له اى فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القى اليهم من البينات
والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اى فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هى البلاغ الموضح
او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب يعرفون نعمة الله استيناف لبيان
ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها و
ويعرفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون وغيرمنعمها او بقولهم انها بشفاعة الهتنا
او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد
المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل
كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم
الكافرون اى المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث
الكمية لا ينافى كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا لنقصان
العقل او التفريط فى النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا
يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار
اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلى وهو عند ما يقال لهم
اخسؤا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام واطم ولا هم يستعتبون يسترضون
اى لا يقال لهم ارضوا ربكم او الاخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكرا
وخوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم ما لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب
الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اى يمهلون كقوله تعالى
بل تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم فى الدنيا وهم الاوثان
او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه وقارنوهم فى الغى والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك اى نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا فى توزيع العذاب بينهم
كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اى شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس
الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم كانوا
راضين بعبادتهم لهم وكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم فى تسميتهم شركاء والهة تنزيها
لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم

على وجه القهر والالجاء كما قال ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى
وكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا الى الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه فى الدنيا وضل عنهم اى ضاع وبطل ما كانوا يفترون
من ان الله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين
كفروا فى انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق
العذاب الذين كانوا يستحقون بكفرهم قيل فى زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب
امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير
فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اى زدناهم
بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد فى
كل امة شهيدا عليهم اى نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وجئنا بك ايثار لفظ
المجئ على البعث لكمال العناية بشانه عليه الصلاة والسلام وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع
شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا وقيل على امتك والعامل فى الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا عليك
الكتاب الكامل فى الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد
تبيانا بيانا بليغا لكل شئ يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون
كالدليل على كونه عم شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الاية الكريمة من بعث الشهداء
وبعثه عم شهيدا عليهم وكذا من جملته وبعثه عم والتبيان كاللقاء فى كسر اوله وكونه تبيانا لكل شئ
من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبى
صلعم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضى رسول الله صلعم لامته
باتباع اصحابه حيث قال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد
وكانت السنة والاجماع القياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما فى البعض من الخفاء
فى كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل فى قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه
من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة
للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم اثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة
او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يأمر اى فيما نزله تبيانا لكل شئ وهدى وبشرى
وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط
بين طرفى الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة
المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة
والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الا

الاعتقادية التوحيد والقول بالكسب المتوسط الجبر والقدر من الحكم العملية المتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهيب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اى الاتيان
بما امر به على الوجه اللايق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عم
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى اى اعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء الافراط فى متابعة
القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط فى اظهار اثار القوة الغضبية والبغى
الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من القوة الوهمية الشيطانية التى هى حاملة
من رذيلتى القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس فى البشر شر الا هو مندرج فى هذه الاقسام صادر عنه
بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رض هى اجمع اية فى القران للخير والشر ولو لم يكن
فيه غير هذه الاية الكريمة لكفت فى كونه تبيانا لكل شئ وهدى يعظكم بما يامر وينهى وهو اما استيناف واما حال
من الضمير فى الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلعم
فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اى حافظوا على حدود
ما عاهدتم وما بايعتم به رسوله عم ولا تنقضوا الايمان التى تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود
فى اثناء العهود ولا على ان يكون النهى مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا
فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظة عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود
فيجازيكم عن ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتى نقضت غزلها اى ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اى كالمراة التى نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث
فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح
حال النقض بتشبيه الناقص بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت
مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر
ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى لا تكونوا او فى الجار والمجرور الواقع
موقع الخبر اى مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل
الشئ ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هى اربى اى ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة
اخرى اى لا تغدروا بالقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة
فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اى بان تكون امة اربى من امة اى يعاملكم
بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلعم ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشية قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء هدايته حسبما يعرف اختياره الى

قع

تحصيلها ولتسالن جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا وهذه اشارة الى بالوح به من الكسب
الذى عليه يدور امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تاكيدا
او مبالغة لبيان قبح المنهى عنه وتمهيد لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها
فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اى قدم كانت عزت او هانت محذور
عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اى العذاب الدنيوى بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن
سبيل الله الذى ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره
ولكم فى الاخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اى لا تاخذوا بمقابلة عهده وبيعة رسول الله صلعم
او بالاية الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا اى لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا انما
عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروى هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اى ان
كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهى على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق
الاستيناف اى ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده
وينقضى وان طال امده وما عند الله من خزاين رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية
فظاهر واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات
الصالحات وفى ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون
العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد
القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال وليجزينكم
اجركم بحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اى وبالله لنجزين
الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التى من جملتها الوفاء بالعهود والنذور وفى بالياء
من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اى لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من
الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اى لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه
الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما فى قوله سبحانه وحسن ثواب الاخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن
دون حسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد
اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما يعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من
الاجر الجزيل لا انا نعطى الاجر بحسب افرادها المتفاوتة فى مراتب الحسن بان نجزى الحسن منها بالاجر
الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجليلة باغتفار ما عسى يعتريهم فى تضاعيف الصبر من بعض
جزع ونظمه فى سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء
دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه

الحسن

من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب فى تحصيل ثمراتها بل التعرض للخراج بعض اعمالهم عن مدارية
الجزاء من قبيل الجر الرحمة الواسطة فى مقام توسيع جمالها من عمل صالحا اى عملا صالحا اى عمل كان و
وهذا شروع فى تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح عقب ترغيب طايفة منهم فى الثبات على ما هم
عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعلمهم المذكور وقوله تعالى من ذكر
او انثى مبالغة فى بيان شموله للكل وهو مؤمن قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب
او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية
الحالية على نظمه فى سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة
فى الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى
بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصايم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليلة بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه ولنجزينهم فى الاخرة اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع فى الضماير العائدة الى الموصول
لمراعات جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس
لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية وقوع ما فى حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق
الافتراق والتعاقب الملايم للافراد واو قد قد انتهى الامر الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن
سوء الفساد فقيل فاذا قرات القران اى اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة
اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هى الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله
عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة
فان له همة بذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان
فى امنيته الاية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلعم وتخصيص قراءة القران من بين الاعمال الصالحة
بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عم وفى ساير الاعمال الصالحة اهم فانه عم حيث
امر بها عند قراءة القران الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عم فيما عدا القراءة
من الاعمال والامر للندب وهذا هو مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فا
ستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رض قرات على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالسميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلاة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه
جبريل عم عن العلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشأن او للشيطان ليس له سلطان تسلط
وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اى اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون فى كل ما ياتون
وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضى فى الصلة
الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال فى الثانية لافادة الاستمرار التجددى
وفى التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه

المتوكلين

المتولى اى يعدك او نحوه انما سلطانه اى تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه
بالقهر والالجاء فانه منتف من الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لى وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اى يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته
ويطيعونه فان المقسوم بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون او بسبب الشيطان
مشركون اذ هو الذى حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين
المتوكلين دليل على ان لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى الشيطان وان كان
بينهما واسطة فى المفهوم وان لم يتوكل عليه تعالى ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان من حيث
لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابلته وايثار الجملة الفعلية
الاستقبالية فى الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددى كما ان اختيار الجملة الاسمية فى الثانية
للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير
المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التى هى بمقابلة الصلة الاولى فيما
سلف لرعاية المقارنة بينهما وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعى الترتيب السابق لانفصل كل
من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان اية اى اذا انزلنا آية من القران مكان اية منه وجعلناها
بدلا منها بان نسخنا ما بها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الاخر فكم من مصلحة فى وقت تنقلب فى وقت
اخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرايع الا مصالح للعباد فى المعاش والمعاد
تدور حيثما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفى الالتفات الى الغيبة مع
اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية
وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اى متقول على الله تعالى
تامر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات
الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان فى النسخ حكما بالغة
واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اى القران المدلول عليه
بالاية روح القدس يعنى جبريل عم اى الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى
القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة فى ذلك الوصف كانه طبع منه
وفى صيغة التفعيل فى الموضعين اشعار بان التدريج فى الانزال مما يقتضيه الحكم البالغة من ربك
فى اضافة الرب الى ضميره صلعم من الدلالة على تحقق افاضة اثار الربوبية عليه عم ما ليس فى اضافته
الى ياء المتكلم المبنية على المحض بالحق اى ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث
لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه تعالى
فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللايقة بالحال رسخت عقايدهم واطمانت

قلوبهم وقرئ لتثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطو
فان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة
لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اى القرآن
بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس ام وكلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تضمنه
من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي في متعلقه فانهم
مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسار
اكانا يصنعان السيف بمكة ويقران التورية والانجيل وكان الرسول صلعم يمر عليهما ويسمع ما
يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان ا
الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم
ليس نسبته ام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه ام معدن العلوم
الاولين والاخرين لسان الذى يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من لحد القبر اذا امال حفره
عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد
في دينه اى لغة الرجل الذى يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء
والحاء وتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان
مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه
معناه فكيف يعلمه هذا الذى اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات
الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اى لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون
فيها ما يقولون يسمعونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل
النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب
اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله صلعم الى الافتراء
والتعليم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله
بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول
والمعنى والله تعالى اعلم ان المفترى هو الذى يكذب بايات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اى تكذيبها
على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى
في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة
المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعنى قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفترى الكذب ويليق
ذلك بمن لا يؤمن بايات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به
من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوف بما ذكر من عدم الايمان بايات الله

هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب اياته تعالى والطعن فيها بامثال تلك
الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر
بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة له سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله
المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت
مفتر من كفر بالله اى تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعدما
امن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف
للدلالة الخبر الاتى عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه
او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم
بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه
لا نفس الاكراه لان مقارنته اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدى نفعا وانما المجدى مقارنته للكفر الواقع
به الا من كفر بالاكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يصرح به
ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك
بل شرح بالكفر صدرا اى اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين
المجرورين المراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روى
ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئت بحربة
في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام
واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلعم كلا ان
عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي فجعل رسول
الله صلعم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر
عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروى ان مسيلمة الكذاب
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلعم قال رسول الله قال فما تقول في قال فانت ايضا فخلاه
وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فبلغ رسول
الله صلعم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان
او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا اثروها على الاخرة وان الله لا يهدى الى الايمان
او الى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجا القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدى
اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية
الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان
ذلك لكن الثانى مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اى اولئك

الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك
الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن
تدبر العواقب لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما يفضى الا الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضى الله عنهم اى لهم بالولاية
والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السالفة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة
الخبر الآتى عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم
هذه عن رتبة حالهم التى يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة
لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم
بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اى عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا فى سبيل الله تع وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد
والصبر وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة
فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد
وفى التعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين ايماء الى علة الحكم وفى اضافة الرب الى ضميره صلعم
مع ظهور الاثر فى الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلاة والسلام واشعار بان افاضة
آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عم ولكونهم اتباعا له يوم تأتى كل نفس منصوب
برحيم او بما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها
عن ذاتها تسعى فى خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس اى
تعطى وافيا كاملا ما عملت اى جزاء ما عملت بطريق اطلاق الاسم السبب على المسبب اشعارا بكمال
الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتى
المجادلة والتوفية وان كانتا فى يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب
ولا يزاد فى عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه فى
سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدى الى الاثنين لتضمنه معنى الجعل وتأخير قرية
مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثانى بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل
مخل بتجاوب اطراف النظم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده و
وتشوقا اليه لا سيما اذا كان فى المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال
ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة فى الغابرين واما مقدرة اى جعلها
مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تع عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تع بنعمتهم نقمة ودخل
فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل خوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج يأتيها
رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها

امنة

امنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اى كفر اهلها بانعم الله اى بنعمه جمع
نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن
المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران
نعم كثيرة فاذاقها الله اى اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم
باللباس الغاشى للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال
المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع
استعمالها فى ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم
ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه فى الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كثر استعمال
فى المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا
او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشى للابس
المناسب للخوف فى جامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية
واخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق فى جامع الكراهية فاومى اليه بان اوقع عليه
الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة
والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم
فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينهما وبين اتيان الرزق
وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس
الخوف بما كانوا يصنعون فيما قيل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى
اهل القرية تحقيقا للامر اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفى صيغة الصنعة
ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جئ بها
لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة
لحجة الله على الخلق ايضا اى ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اى من جنسهم يعرفونه باصله
ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه فى رسالته
او فيما اخبرهم به فما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب
المستأصل فشأنهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون اى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم
الذى هو كفران نعم الله تع وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه
وفيه دلالة على تماديهم فى الكفر والعناد وتجاوزهم فى ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على
تكذيب الرسول جرى على سنة الله حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة
مجازية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو فى خصلة فذة كيف

لا وقد كانوا في حرم امن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت يجبى اليه
ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول صلعم ما اختلف
الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلعم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم
بدعائه عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اعن عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد
وازمة محصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر
المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلعم حيث كانوا يغيرون
على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام
ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل
مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد صلعم وبالعذاب ما اصابهم من جدب
ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه وكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم
عما يؤدي الى عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب
ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلعم كيلا
يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلعم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه
حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحاير ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران
والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل
فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما
يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي
يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك
قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه
من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم
الله من الغنائم مما لا يليق بشان التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل
ما امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحاير والسوايب ونحوها
فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر اخر ولا عاد اي متجاوز
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يواخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية
ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم اظهار لكمال اللطف به عم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثل ما في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي لا تقولوا في شان ما تصف السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة

مثل

لذكورنا

لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده
الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه
ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام
وان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف
ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حرام وهذا حلال لوصف السنتكم
الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له
في المسامع كان السنتهم لكونها منشأ الكذب ومنبع الزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس
ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف
السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد
بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم
او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فان
مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون
ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطا
التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والاخرين حرمنا ما
قصصنا عليك اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية من قبل متعلق
بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم
في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما
حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه
حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ولقد القمهم الحجر قوله
تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا
التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي بسبب جهالة
او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله
تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا اي ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة
واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة اثار الربوبية

لبهم

من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه ءم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على
حيازة لحيازة من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله
بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك
والقمهم الحجر ببينات باهرة لا يبقى ولا يذرو ابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه ءم
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او
اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما
وايراد ذكره ءم عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احل
الله تعالى للايذان بان حقيقة دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله
مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين
على ملة ابناء ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه ءم كان على
ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
انعمه ينتظم امر ايراد التحريم والسبب سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع
القلة للايذان بانه ءم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح كونه ءم على خلاف ما هم عليه
من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل
اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه ءم بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة
قرينة الاجتباء واتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى
انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم
والتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه ءم وانه في الاخرة لمن الصالحين اصحاب
الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني
وجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة
اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين
بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة
ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي ءم
ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون احادها
والمراد بملته ءم الاسلام الذي عبر عنه انفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه كان المضاف
لشدة اتصاله به ءم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت وجه هند قائمة والمأمور به
الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان
بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه ءم وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير
لنزاهته ءم عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه

للعبادة

للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كلية
حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا الى اخره فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام
وان ابراهيم ءم كان محافظا عليه اي ليس السبت من شعائر ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها
حتى يكون بينه ءم وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة
وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة
الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وبهم بالاسم
الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء
المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا وعلى ما امر الله تعالى به واختيارا
للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية في الاختلاف وعموم الغائية للفريقين بل باعتبار حال من اختار
عن الطرف المخالف للحق ذلك ان موسى ءم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة
وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض
وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه
فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه
قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب
والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الاخر بالنسبة الى ما سيقع
في الاخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو
المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا
على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى
ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب
المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين
من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكورين حكاية امر النبي صلعم باتباع ملة
ابراهيم ءم وبين امره صلعم بالدعوة اليها من قبيل الفصل وبين الشجر ولحائه فتامل ادع اي
من بعثت اليهم لا الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع
اي يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن
البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه
تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم ءم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلعم في مقام الامر بدعوة الامة
على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلعم والاجلال

يقين

وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اى
الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة
خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد
فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اى ناظر معانديهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق
المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة
تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل ع م ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذى امرك
بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم با
بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك فى الدعوة والمناظرة
الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده المكتسب
وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلى فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى يقتضيه الحكمة فانه
كاف فى هداية المهتدين وازالة عذر الضالين اما عليك الا ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول
الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدى اليه فيجازى
كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث
لما انه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها واعراض من الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذى
هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ
عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وما ليهما من العقاب والثواب
وبعد ما امره ع م فيما يختص به من شان الدعوة لما امره به من الوجه اللايق عقبه بخطاب شامل له ولمن
شايعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اى اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحمى ان اكلت
فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم
المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعات العدل مع
من يناصبهم من غير تجاوز حين مال الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة الماموربها
لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهى موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق
فى قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم
الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت
دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلعم لما رأى حمزة رض يوم احد قد مثل به قال لئن
اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا
اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة
فى المثلة من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الاكد فقيل
ولئن صبرتم اى عن المعاقبة بالمثل لهو اى لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين

مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر
المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم لدخولهم فى جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلعم
صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزايم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه
ووفور وثوقه به فقيل واصبر على ما اصابك من جهتهم من فنون الالام والاذية وعاينت من
اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء وما صبرك ملابسا ومصحوبا
بشيء من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق فى مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه
تسلية له ع م وتهوين لمشاق الصبر عليه وتعريفه ما لا مزيد عليه اولا بمشيئته المنبئة على حكم بالغة
مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته
فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اى على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك
ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب
بجزالة النظم الكريم ولا تك فى ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اى لا تكن فى
ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين الى فى امر ضيق فيما يمكرون اى من
مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهى عن التالم بمطلوب من قبلهم فات والثانى عن التالم بمحذور
من جهتهم ات والنهى عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأموربه لاسيما على الوجه الاول
لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه
بسرايرنفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فيهتم بحزن بفواته او
فكيف عن خوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهى والمراد
بالمعية الولاية الدايمة التى لا تحوم حول صاحبها شايبة شيء من الجزع والخوف وضيق الصدر و
ما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هى من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال فى
قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظايرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة من الجامعة لما تحتها
من مرتبة التوقى عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك اعنى التنزه عن كل ما يشغل
سره عن الحق والتبتل اليه بسرايره وهو التقوى الحقيقى المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله
سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولى الذين تبتلوا اليه بالكلية و
وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء عن مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته
او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأموربه حسبما اشير اليه رتبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما
فى قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق فى مقامه والا لمجرد التوقى عن المعاصى
لا يكون مدار الشيء من العزايم المرخص فى تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفه وانما مداره المعنى
المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر عليه النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر
بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة ورادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون

للاشعار بانه من باب الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في
قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال
على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلعم بقوله ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين
في ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما
ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها سمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان
لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام
داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عم ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين
الجليلين وفيه رمز الى ان صنيعه عم مستتبع لاقتداء الامة به لقول من قال لابن عباس
رضى الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس وعن هرم بن
حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم
سورة النحل عن رسول الله صلعم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار
الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

سبحان الذى اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى
لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل
متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ
من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح
اى واسع الجرى ومن جهة النقل الى ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع
له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل
هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة
بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسرى
بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على
البعضية من حيث الاجزاء دلالة على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما
يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت
الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من اى
بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات

القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول
المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية
تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدأ الاسرى فقيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر فانه روى عنه صلعم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتاني جبريل عم بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام
الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به اولان الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
انه عليه الصلاة والسلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء وكان ما كان فقصه عليها
فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عم وان كذبوني فلما خرج
جلس اليه ابو جهل فاخبره عم بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لؤى بن غالب
هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى
الى ابى بكر رضه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى اصدقه على ابعد من
ذلك فسمى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوا المسجد فجلى له بيت المقدس
فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها و
احوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق كما قال ثم لم يؤمنوا فقالهم الله انى
يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف
ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في
المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضى
انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلعم ولكن عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير
بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة
بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة
ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها
الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض التى من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان
فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبى صلعم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم
يكن معجزة الى المسجد الاقصى اى بيت المقدس سمى به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك
من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذى باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحى ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية الاسراء من آياتنا العظيمة التى من جملتها ذهابه في
برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت
المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك

البركات والآيات وقرئ لبريه بالياء انه هو السميع لاقواله عم بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤدون به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عم ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة واتينا موسى الكتاب اى التوراة وفيه ايماء الى دعوته عم الى الطور وما وقع فيه من المناجات جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلعم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اى آتيناه التورية بعد ما اسرينا به الى الطور وجعلنا اى ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في تضاعيفه ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اى ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تاكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عم او على انه احد معمولي لا تتخذوا وعلى قراءة النفي ومن دوني حال من وكيل فيكون كقوله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغادوة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اى ان نوحا عم كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عم وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عم وقضينا اى انهينا واوحينا منزلين الى بني اسرائيل اى موحين اليهم من الكتاب اى في التورية فان الانزال والوحي الى موسى عم انزال ووحي اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المجنوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عم وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحد فاذا جاء وعد اولاهما اى اولى كرتي الافساد اى حان وقت حلول العقاب بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اى ترددوا والطلب بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خلال الديار في اوساطها للتعليل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا اعلامهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية وكان وعدا مفعولا لا محالة بحيث

لاصارف

لاصارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عم لجالوت وامددناكم باموال كثيرة بعد ما غلبت اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمغيراء احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اى عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اساتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزم السوء الذاتي او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة حال وقت ما وعد من عقوبة المرة ليسوؤا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اى بعثناهم ليسوؤا ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على ليسوؤا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة اى في اول مرة وليتبروا اى يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم فقال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الا ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلعم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذي آتيناك يهدي اى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب آتيناه موسى هي اقوم اى اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد

التعيم لها وللمحالة والحصلة ونحوها مما يقرب به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لكفاية ظهورها
لاسيما بعد ذكر الهداية التى هى من روادفها والمراد بهدايته بعنى كونه بحيث يهتدى اليها من يتمسك به
لا لتحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين ح ويبشر المؤمنين بما فى تضاعيفه من الاحكام
والشرايع وقرى بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التى شرحت فيه ان لهم اى بان لهم بمقابلة تلك
الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يؤمنون
بالاخرة واحكامها المشروحة وفيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين ساير
ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعات التناسب بين اعمالهم وجزائها الذى انبأ عنه
قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اى اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده
من الاخرة عذابا اليما وهو ابلغ فى الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع
والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا
مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنباء الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية
القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر الخ بيان لحال المهدى اثر بيان حال
الهادى واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكى
عنه حاله فى بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعوا الانسان الى الخير الذى لا خير فوقه من الاجر
الكبير ويحذره من الشر الذى لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه وهو الكافر يدعوا
لنفسه بما هو الشر من العذاب اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن
كلهم دعاءه بالخير اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه
اللايق بحاله وكان الانسان اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب
كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا فى العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع
تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادى فى استيجاب العذاب بتلك
الاعمال وعلى الثانى ان القرآن يدعوا الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض احيانه كما عند الغضب

ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى
ان يزول عنه ما يعتريه روى انه ع م دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل
من الم القد فهرب فلما اخبرت النبى صلعم قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة
فقال ع م انى سألت الله تعالى ان يجعل دعائى على من لا يستحق من اهلى عذابا رحمة او يدعوا بما هو
شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر فى اموره حق التدبر ليتحقق ما هو حقيق

بالدعاء

بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع فى بيان بعض وجوه
ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلايل الآفاقية التى كل واحدة منها
برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية
الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات
القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعات الترتيب او لانه مؤدى الافهام بنسلخ النهار وفيه
تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها فى
من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليه بلا واسطة اى جعلنا الملوين بهيأتهما وتعاقبهما واختلافهما فى
الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار فى فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما
وتهديان الى ما يهدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة اما بيانية
كما فى اضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية التى هى الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة
ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما فى قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشأهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا
مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل — وجعلنا آية النهار اى الآية التى هى
النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره
فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور فى نفسه فالفاء كما ذكروا اما
نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو فالفاء للتعقيب وجعل
الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله
تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اى وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم فى بياض النهار فضلا

من ربكم اى رزقا اذ لا يتسنى ذلك فى الليل وفى التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء
والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد
فى تحصيل الرزق تاثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا
بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعنى محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط
اذ لا يكون ذلك بانفراده مدار العلم المذكور اى لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث
الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وساير احوالهما عدد السنين التى يتعلق بها غرض
علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب المتعلق بما فى ضمنها من الاوقات اى الاشهر والليالى
والايام وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظم الحساب
وانما الذى تعلق به القصد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس فى الحيثية المذكورة
اعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة
من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من انها تلك الطائفة المعدودة

يعدها اى بعدها من غير ان يعتبر فى ذلك تحصل شئ معين تحقيقه ما مر فى سورة يونس من ان الحساب
احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل
كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شئ كذلك ولما ان السنين لم
يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل
مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات و
الالوف اعتباري لا لتجدد فى تحصل المعدود ذاتا وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما و
وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما فى تضاعيف السنين من
الاوقات اولان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا اولان من حيث انه لم
يعتبر فيه تحصل شئ آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب اولان
العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم فى مقام الامتنان والله سبحانه اعلم وكل
شئ تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع
الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اى بيناه فى القرآن الكريم
بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ فظهر كونه هاديا للتى هى
اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له
كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له فى القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه
فى العلم الازلى من قولهم طار له سهم كذا فى عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اى الزمناه عمله
بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون
النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول و
الضمير للطائر وكذا قراءة يخرج من خروج يوم القيامة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر من
عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف والراجع
الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر فى الفعل من ضمير الطائر يلقاه اى يلقى الانسان او يلقاه
الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثانى حال منها وقرئ يلقاه من لقيته
كذا اى يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت
طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة اقرأ كتابك اى قائلين
ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة
بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه فى جوهر روحه امر مخصوص
الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت
علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك
قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح

النفس نقش كل شئ عمله فى مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
اى كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارم ومن حسب عليه كذا او بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكيره
لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبنى على تأويل النفس بالشخص على
انها عبارة عن نفس المذكور كقول جبل بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل
ينفعك اليوم تذكير من اهتدى فانما يهتدى لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم
الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اى من اهتدى بهدايته وعمل بما فى تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما
نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريق التى
يهديه اليها فانما يضل عليها اى فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة
العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اى لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس
اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم انما تحمل كل منها و
وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من
يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه
بحسنته وتضرره بسيئته فهو فى الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة
اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذى يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة
والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما جزاء الاضلال
لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم
لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية
اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم
مؤاخذة النفس بجناية غيرها اى وما صح وما استقام منا بل استحال فى سنتنا المبنية على الحكم
البالغة او ما كان فى حكمنا الماضى وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار
اكتفاء بقضية العقل حتى لا لهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد
الشرائع حسبما فى تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفى اما عذاب الاستئصال
كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدى وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوى والاخروى
وهو من افراده واما ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه فى وقته المقدر له لا لعدم وقوعه
مطلقا كيف لا والاخروى لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوى ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما
يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى

واذا اردنا ان نهلک قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته و
وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد
في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنا وقت تعلق ارادتنا
باهلاک قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستيصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او
نوع مما ذكرنا شانه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستيصال لما لهم من الظلم والمعاصي ودنوا نقضيه
الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها
وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه
الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به لما ظهر ان المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما
بعد ذكر هداية القرآن لما هي اقوم لما يهتكر اليه وانما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها
اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اي ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب اثر ما ظهر منهم
ما ظهر من الفسق والطغيان فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب
لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى
الفسق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة
مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامرنا من الافعال والتفعيل وقد
جعلت من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على
الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم
وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان
لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان تخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون
او مائة وقد ايد ذلك بانه صلعم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون من بعد
نوح من بعد زمنه عم كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن
لم تقص وعدم نظم قومه عم في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكرهم عم رمز الى ذكرهم وكفى
بربك اي كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا محيطا بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقديم
متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات
ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب
فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها
سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلول على العلة كالاسباب او باعمال
الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة
العاجلة فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الا

الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها
بها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد بالحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الاستمرار بها من جملة ما عجل له فالانسب
بذلك كله من كان في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد
لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة
وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء
وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي
وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يتراءى من قوله تعالى من يريد الحياة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها لا يبخسون من نيل كل متوسل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد
اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من
اصناف العذاب يصلاها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استئناف مذموما مدحورا
مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما نقل ان السورة مكية سوى آيات معينة ومن اراد باعماله الآخرة الدار
الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا
التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح
فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول
بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية
لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر
من الخصال الحميدة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول
مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عن المضاف اليه اي
كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيقي بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد مرة بحيث
يكون الانف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة
المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة والاشارة
كما يشفق عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء
المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالضمير
ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتأكيد
للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي
له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستحقاق
بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد

الاعتنا بشانه والاشعار بالعلية للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فايض على من قدر له بموجب المشية
المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض
لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدائيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية
العطا بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخرى بنظر الاعتبار
كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وضالع وضليع ومالك
ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد
بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وفي اكثر درجات
واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا
وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بها بالامداد
والعطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم
بها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم
اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ممن يريده ومن
يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطا بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الاية
واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث
قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق
الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب
للرسول صلعم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب
فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز
من قعد عنه اي عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين
والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر امرا مبرما و
قرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا
نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة
ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة وبالوالدين اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا
لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية
وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التوكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول
مع ان حقه التاخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعيف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل
وتاخره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من
الضمير الثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تاكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك

فيما

وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف
والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اي لواحد منهما حالتي الاجتماع
والانفراد اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم
منونا وغير منون اي لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن ساير
ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشانه فقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم او
هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن
الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عم اذ قال لابيه
يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودين الدعار سئل الفضيل
بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما و
لا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا و
تقوم بخدمة اوداهما من بعدهما فعن النبي صلعم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما
جناح الذل عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكما قيل
واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذا اصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطاير يخفض جناحه لافراخه تربية
لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام
من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله
تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك
الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في
محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة
ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان
الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف
للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث
افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل
تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلعم رضى الله في
رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل
العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلعم ان ابوي بلغا من الكبر اني
الى منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك

باب

وانت تفعل ذلک وانت تريد موتهما وروی ان شيخا اتی النبی صلعم فقال ان ابنی هذا له مال کثير
وانه لا ينفق علی من ماله فنزل جبريل عم وقال ان هذا الشيخ قد انشا فی ابنه ابياتا ما قرع سمع مثلها
فاستنشدها فانشد الشيخ فقال غذوتک مولودا ومنتک يافعا تعل بما اجنی عليک وتنهل اذا
الليلة ضافتک بالسقم لم ابت لسقمک الا باکيا اتململ کانی انا المطروق دونک بالذی طرقت به دونی وعينی
تهمل فلما بلغت السن والغاية التی اليها مدی ما کنت فيک اؤمل جعلت جزای غلظة وفظاظة کانک
انت المنعم المتفضل فليتک اذ لم ترع حق ابوتی فعلت کما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلعم وقال
انت ومالک لابيک ربکم اعلم بما فی نفوسکم من البر والعقوق ان تکونوا صالحين قاصدين الصلاح
والبر دون العقوق والفساد فانه تعالی کان للاوابين ای الرجاعين اليه تعالی عما فرط منهم مما لا يکاد يخلو عنه البشر
غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفی من التشديد فی الامر بمراعاة حقوقهما
ويجوز ان يکون عاما لکل تائب ويدخل فيه الجانی علی ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربی ای ذا القرابة
حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة کما ينبئ عنه قوله تعالی والمسکين
وابن السبيل فان المامور به فی حقهما المواساة المالية لا محالة ای وآتهما حقهما مما کان مفترضا بمکة بمنزلة الزکاة
وکذا النهی عن التبذير وعن الافراط فی القبض والبسط فان الکل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا
نهی عن صرف المال الی من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق فی غير موضعه ماخوذ من تفريق حبات
والقائها کيف ما کان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاکثار فی صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذی هو تجاوز
الحد فی صرفه وقد نهی عنه بقوله تعالی ولا تبسطها وکلاهما مذموم ان المبذرين کانوا اخوان الشياطين تعليل
للنهی عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا فی قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة فی کل ما لا
خير فيه من صفات السوء التی من جملتها التبذير ای کانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة
والملازمة ای کانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذکر من التبذير والصرف فی المعاصی فانهم کانوا ينحرون الابل
ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فی السمعة وساير ما لا خير فيه من المناهی والملاهی او المقارنة
ای قرناءهم فی النار علی سبيل الوعيد وکان الشيطان لربه کفورا من تتمة التعليل ای مبالغا فی
کفران نعمة تعالی لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالی من القوی والقدرة الی غير ما خلقت
هی له من انواع المعاصی والافساد فی الارض واضلال الناس وحملهم علی الکفر بالله وکفران نعمه الفايضة
عليهم وصرفها الی غير ما امر الله تعالی به وتخصيص هذا الوصف بالذکر من بين ساير اوصافه القبيحة
للايذان بان التبذير الذی هو عبارة عن صرف نعم الله تعالی الی غير مصرفها من باب الکفران المقابل
للشکر الذی هو عبارة عن صرفها الی ما خلقت هی له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بکمال عتوه
فان کفران نعمة الرب مع کون الربوبية من اقوی الدواعی الی شکرها غاية الکفران ونهاية الضلال
والطغيان واما تعرضن عنهم ای ان اعتراک امر اضطرک الی ان تعرض عن اولئک المستحقين فان
ابتغاء رحمة من ربک ای لفقد رزق من ربک اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد لسبب الابتغاء

زجرها

زجرها من الله تعالی لتعظيم وکان صلعم اذا سيل شيئا وليس عنده اعرض عن السايل وسکت
حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسکوته عم فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم
وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد اوقل لهم رزقنا الله واياکم من فضله علی انه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم ولا تجعل
يدک مغلولة الی عنقک ولا تبسطها کل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا علی
ما بينهما من الاقتصار کلا طرفی قصد الامور ذميم وحيث کان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامور وقع
ذلک فی التصوير باقبح الصور ولما کان غاية الاسراف فی آخره بين قبحه اثره فقيل فتقعد ملوما ای فتصير
ملوما عند الله تعالی وعند الناس وعند نفسک اذا اصبحت وندمت علی ما فعلت محسورا نادما او منقطعا
بک لا شیء عندک من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روی عن جابر رضه انه قال بينا رسول الله صلعم
قاعد اذ اتاه صبی فقال ان امی تستکسبک درعا فقال صلعم من ساعة الی ساعة فعد الينا فذهب
الی امه فقالت له قل ان امی تستکسبک الدرع الذی عليک فدخل عليه الصلاة والسلام داره ونزع قميصه
واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فيباه ان السورة مکية فلا ايات
فی آخرها ولذا ما قيل انه عم اعطی الاقرع بن حابس مائة من الابل وکذا عيينة بن حصن الفزاری فجاء عباس
مرداس فانشد يقول اتجعل نهبی ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما کان حصن ولا حابس يفوقان
مرداس فی مجمع وما کنت دون امری منهما ومن تضع اليوم لا ترفع فقال عم يا ابا بکر اقطع لسانه اعطه
اعطه مائة من الابل وکانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربک يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
تعليل لما مر ای يوسعه علی بعض ويضيقه علی آخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحکم فليس
ما يرهقک من الاضافة التی تحوجک الی الاعراض عن السايلين او نفاد ما بيدک اذا بسطتها کل
البسط الا لمصلحتک انه کان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق ای يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم
ما يخفی عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسراير والظواهر الذی بيده السموات
والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالی يبسط تارة ويقبض اخری فاستنوا
بسنته فلا تقبضوا کل القبض ولا تبسطوا کل البسط وان يراد انه تعالی يبسط ويقبض حسب مشيته
ولا تبسطوا علی من قدر عليه رزقه وان يکون تمهيدا لقوله تعالی ولا تقتلوا اولادکم خشية املاق ای
مخافة فقر وقری بکسر الخاء کانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلک نحن نرزقهم واياکم لا
انتم فلا تخافوا الفاقة بناء علی علمکم بعجزکم عن رزقهم وهو ضمان من لرزقهم وتعليل للنهی المذکور بابطال
موجبه فی زعمهم وتقديم ضمير الاولاد علی المخاطبين علی عکس ما وقع فی سورة الانعام للاشعار
باصالتهم فی افاضة الرزق او لان الباعث علی القتل هناک الاملاق الناجز ولذلک قيل من املاق
وههنا الاملاق المتوقع ولذلک قيل خشية املاق فکانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقکم شیء
فيعتريکم ما تخشونه واياکم ايضا رزقا الی رزقکم ان قتلهم کان خطئا کبيرا تعليل آخر ببيان المنهی عنه
فی نفسه منکرا عظيما وخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأ کاثم اثما وقری بالفتح والسکون وبفتحتين بمعنی

كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الحاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها لذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا من مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته و
وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اى بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلعم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وعن حذيفة رضه انه قال عليه الصلاة والسلام اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الاخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعت المصدر محذوف اى لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص تعض له ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لمن يلي امره من الموارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا او استيلاء على القاتل يواخذ بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرى لا تسرف في القتل اى لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان نزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرى بصيغة النفي في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يسترد عليه ولا يخرج من دايرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما او اسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عايدان الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والاجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اى لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن اى الا بالخصلة والطريقة التي

مبالغة

هي احسن

التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن بالمدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسئولا اى مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود فيه ونظيره في قوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم على ان اصل الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا انه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اى اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اى وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرى بضم القاف المستقيم اى العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الالة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله الى ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال قد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اى ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من ال اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اى تبعه وقرى ولا تقف من قاف اثره اى قفاه ومنه القافة في جمع القايف ما ليس لك به علم اى لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد وقرى بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء اولئك اى كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة من احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا

اى كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على ان اسم كان ضمير مرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافى بطريق الالتفات او الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤلا وقيل الجار والمجرور فى محل الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب فى منع تقديم الفاعل اذا كان جارا ومجرورا او يجوز ان يكون من باب يحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا فى قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤلا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه فى محل النصب وسال ابن جنى ابا على عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع فيما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اى فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما فى قولهم يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اى كان صاحبه عنه مسؤلا او مسؤلا صاحبه ولا تمش فى الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشى عليها مما لا يليق بالمرح مرحا نكرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اى ذا مرح او يمرح مرحا او لاجل المرح وقرى بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهى وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اى لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرى بضم الرا ولن تبلغ الجبال التى هى بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال برفع راسه ومشيته على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم فى تضاعيف ذكر الاوامر والنواهى من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذى نهى عنه وهى اثنا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغضا غير مرضى او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهى عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية فى وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما فى اية الليل واية النهار وقرى سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهى عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرى به او مجرى على موصوف مذكر اى امرا مكروها اى مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة وقرى سياته وقرى شانه ذلك اى الذى تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اى بعض منه او من جنس الحكمة التى هى علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التى لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الايات الثمانى عشرة كانت فى الواح موسى عليه السلام اولها

لاتجعل

لا تجعل مع الله الها اخر قال تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وهى عشر ايات فى التوراة ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف فى الصلة اى كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها اخر الخطاب لرسول الله صلعم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته فى العقبى فقيل فتلقى فى جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفى ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها اخذ بكفه فيطرحها فى التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشىء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اى افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص واثر لذاته اخسها وادناها كما فى قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصدهما بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتاكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التى هى اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذى هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره فى استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترى عليه احد حيث تجعلونه تعالى من الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شىء وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التى هى اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه فى هذا القران على وجوه من التصريف فى مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرى بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرى بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القران ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الايات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اى اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من اثار القران ونتائجها وما يزيدهم اى والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى معرفته بطلان ما هم عليه من القبائح قل فى اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى الهة كما يقولون اى المشركون قاطبة وقرى بالتاء خطابا لهم من قبل النبى صلعم

والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اى كونا مشابها لما يقولون والمراد
بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء لكو اى لطلبوا الى
ذى العرش اى الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما
هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل
بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر
الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث
لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما
يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى
متباعدا عما يقولون من العظيمة التى هى ان يكون معه الهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه فى اقصى غايات الوجود وهو
الوجوب الذاتى وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا فى ابعد مراتب العدم اعنى الامتناع لا لانه
تعالى فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه
من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه
الهة ولا ريب فى ان ذلك ليس بداخل فى حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه
من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك يسبح بالفوقانية وقرى
بالتحتانية وقرى سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان
المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شئ من الاشياء
حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم
الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا
عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذى به يفهم ذلك وقرى لا يفقهون على صيغة المبنى للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما
ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر فى الدلائل الواضحة
الدالة على التوحيد والانهماك فى الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القران الناطق
بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع في
جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعى الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة اوثر
الموصول على الضمير ومالهم بما فى حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالاخرة من بين سائر ما كفروا به من
التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به فى القران وتمهيد لما سينقل عنهم من انكار البعث
واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل
ولذلك اجترؤا على تفوه العظيمة التى هى قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روى

بنت

بنت ابى بكر رضى الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء امرأة ابى لهب وفى يدها
فهر والنبى صلعم قاعد فى المسجد ومعه ابو بكر رضى الله عنه فلما راه قال رسول الله لقد اقبلت هذه
واخاف ان تراك قال انها لن ترانى وقرأ قرآنا فوقفت على ابى بكر ولم تر رسول الله صلعم مما لا يقبله الذوق
السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ساترا كما فى قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى
غير حسى او مستورا فى نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا بحيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اى كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل
عليه الكلام اى منعناهم ان يقفوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفى اذانهم وقرا صمما وثقلا
مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤن النبى صلعم وفرط نبو قلوبهم عن فهم
القران الكريم ومج اسماعهم له جئ بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم التسبيح
لسان الحال وايذانا بانه لا يبعد من هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوى يعتري المشاعر
فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا
اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه
فى حق القران والنبى صلعم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القران
سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبى صلعم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال
بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب فى ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك
فى القران وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده وتوا على
ادبارهم اى هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون ملتبسين به من اللغو والا
ستخفاف والهزء بك وبالقران يروى انه كان يقوم عن يمينه رجلان من عبد الدار وعن يساره
رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته
تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد
وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق
النظم والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذى يتناجون
به فيما بينهم او الاول ظرف يستمعون والثانى يتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم
من غير تاخير وبما به التناجى وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اى ذوو نجوى
او هو جمع نجى كقتلى جمع قتيل اى متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان
ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم فى ذلك ظالمون
مجاوزون للحد اى يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع
فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اى سحر فجن او رجلا ذا سحر اى رئة يتنفس اى بشرا
مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فى جميع ذلك

عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيها فتون
ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احدا او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية
الرسول صلعم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد و
الاستنكار بالبعث بعد ما ال الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان
استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال
الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل
عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد
وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت
وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في
قولهم ائنا لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر
النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره على راى الجمهور
فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم
ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية
ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم
في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على
ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر
في صدوركم اي يعظم عندكم من قبول الحياة لكمال المباينة والمنافات بينها وبينه فانكم مبعوثون
ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة
قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم
القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم
ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها
المعهودة بلى انه على كل شئ قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا
ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على
انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما
نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون
قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا
او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على
انه ظرف ويكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر
المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير وما الحرب

الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي
اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التاتي وبان المقصود منهما
الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير فتستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير
مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة اثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف
على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور
الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم
مع المشركين التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة
والمشاره والمعاره والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تؤكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر
السابق وقرئ بكسر الزاء ان الشيطان كان قديما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل
لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم
بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها و
لا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه لا يهيجهم على الشر ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم
الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول اية
السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افراط اذية المشركين بالمؤمنين
فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله
وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون
الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر
والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم
لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل
النفسانية والتبرء عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع واتينا داود زبورا بيان لحيثية
تفضيلهم فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلعم
فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى
ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلعم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه
في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد اتينا داود
زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلعم وقرئ بضم الزاء على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل
ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون

كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اى ولا تحويلا الى غيركم اولئك بالهمزة
الذين يدعون اى اولئك الالهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون ويطلبون لانفسهم
الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون اى
موصولة اى يبتغى من اقرب اليه تعالى الوسيلة بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل
يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كد
كداب ساير العباد فاين من شرف الضر فضلا عن الالهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان
يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه
بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية
بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من
الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية
الكافرة اى ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اى مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها
بالمرة لما ارتكبوا من عظايم الموبقات المستوجبة لذلك وفى صيغة الفاعل وان كانت بمعنى
المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيامة لان الاهلاك يومئذ
غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اى معذبوا اهلها
على الاسناد المجازى عذابا شديدا بالقتل والسبى ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل لا يمكنه
لكنه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك
من قبلية يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم
القيامة كان ذلك الذى ذكر من الاهلاك والتعذيب فى الكتاب اى اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا لم يغادر منه شىء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة ووقته المضروب له هذا وقد
قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك
بن مزاحم فى تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمر
والدوانى فى كتاب الفتن انه روى وهب بن منبه ان الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب
ارمنية وارمنية امنة حتى تخرب مصر ومصر امنة حتى تخرب الكوفة ولا يكون الملحمة الكبرى
حتى تخرب الكوفة فاذا كان الملحمة الكبرى فتحت قسطنطنية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب
الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب المصر من انقطاع النيل
واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم
حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من الغرق وخراب الايلة
من قبل عدو يحصرهم برا وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان قبل التبت وخراب التبت

من

من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب
المدينة من قبل الجوع وعن ابى هريرة رضه ان النبى صلعم قال اخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة و
قد اخرجه العمرى من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السياق واللاسياق وما
منعنا ان نرسل بالايات اى الايات التى اقترحها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا و
نحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى وما منعنا ارسالها شىء
من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيته المبنية
على الحكم البالغة لا لمنع بالغ عن ذلك عن التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور
بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الاخرين بحكم الاشتراك
فى العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافيا للارسال
ما اقترحوه من الايات لتعين التكذيب المستدعى للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من
تاخير عقوبات هذه الامة الى الاخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك
المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادى الارسال لا كان عموا من عدم ارادته تعالى
لتأييدهم بالمعجزات وهو السر فى ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعى الايات
الى النزول لولا ان مكايد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون
من الاخرين كما فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم
بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم واتينا ثمود الناقة عطف
على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون حيث
اتيناهم ما اقترحوا من الايات الباهرة فكذبوها واتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل
اى بينة ذات ابصار او بصاير يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم
ذوى بصاير من البصرة جعله بصيرا وقرى على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهى نصب على الحالية
وقرى بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وظلموا بها فكفروا بها ظالمين اى لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا
بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود
عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون اثار هلاكهم ورودا وصدورا
او لانها من جهة انه حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا
وما نرسل بالايات كالمقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هى عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل
كالطليعة وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب ويجوز ان يكون حالا
من ضمير ظلموا اى فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالايات التى هى من جملتها الا تخويفا
من العذاب الذى يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اى علما كما
نقله الامام الثعلبى عن ابن عباس رض فلا يخفى عليه شىء من افعالهم الماضية والمستقبلة من

من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤية التي اريناك الا فتنة للناس الى اخر الاية تنبيه على تحقيرها
بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجئ بعض الايات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات
منزلة من جناب الله تعالى لتصديق النبي صلعم فتكذيبهم لبعضها مستلزم الباقي كما ان تكذيب الاخرين
بعد المقترحة يدل على تكذيبهم بالايات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلعم ليلة المعراج من
عجايب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه
لا فرق بينها وبين الرؤيا او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناكها عيانا مع كونها اية عظيمة وانه اية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة
الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف الرؤيا والمراد بلعنها
لعن طاعمها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من
الرحمة اى وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم
يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا يضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر
السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرى بالرفع على حذف الخبر
كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك وبنظايره من الايات فان
الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف
الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الايات لفعلوا بها ما فعلوا
بنظايرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة
الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة
تسلية لرسول الله صلعم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الايات التي اقترحوها
لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت
رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في
قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك
به من تبليغ الرسالة الا يرى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة
للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش
يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه
في اخباره واولت الرؤيا بما عسى راه عم في المنام من مصارعهم لما روي انه عم لما ورد
ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان فتسامعت

به

به قريش فاستسخروا منه وربما راه عم انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده
المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم و
وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا ونقيض المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه
يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير
واقع عند نزول الاية وقد قيل الرؤيا ما راه عم في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت
فتنة للناس واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة
من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من
حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة
ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اى واذكر وقت قولنا
لهم اسجدوا لادم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم
امتثالا بالامر وادا لحقه عم الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود
قال اى عند ما وبخ بقوله عن سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله
ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله وما منعك ان تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر ااسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت
طينا نصب على نزع الخافض اى من طين او حال من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو
طين او من نفس الموصول اى ااسجد له واصله طين والتعبير عنه عم بالموصول لتقليل
النكارة بما في حيز الصلة قال اى ابليس لكن لا عقيب كلام المحكي بل بعد الانظار المترتب
على استنظاره المفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى بالطعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك
اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني
بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب
وهذا مفعول اول والموصول صفة والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اى اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدا حذف عنه حرف الاستفهام
والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اى اخبرني اهذا من كرمته
علي وقيل معنى ارايتك انا ملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه
لئن اخرتني حيا الى يوم القيامة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته
اى لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث

ما شئت ولأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها
الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك
المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذ هب
اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية
جزاء موفورا اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر
مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم بمعنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
اي استخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي
صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل
من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا
من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان
من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلعم
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص
على انه فعيل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمها مثل حدث وحدس وندس ونظائرها اي جمعك
الراجل ليطابق الخيل وقرئ ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله
ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم
ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم
بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف
الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير
التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات
الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس
ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة
للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى
ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص
عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة
الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك

في البحر مبتدا او خبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم
الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي
معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر
توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما
حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق
من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة
المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي ذهب
عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر
ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا واشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم
ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن
التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض افامنتم
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو
مامنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على ان الكل والجوانب في الجهات
بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون
حاصبا اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب
ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم
فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة
لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا
فيرسل عليكم وانتم بالبحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم
او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه
عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم
لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا
كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم
بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير
ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان
كل حيوان تتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القردة في
ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطا بها القاذورات لا بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات
شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول

هو لا نسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اى فنون النعم وضروب
المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من
القوى المدركة التي بها تميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا
الملائكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم
في تحصيل العقايد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا
عن فضل عن من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من هذا
التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع
فيه فان المراد ههنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن
ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل اى حاجة الى
بقيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان الاستثناء الملائكة عليهم السلام جميع
افراد البشر عليهم السلام لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراد عليهم قلنا لا بد من تعيينه
البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل
هم ادنى من كل دنى حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا يوم ندعو نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون
وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعوا بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو
وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدلا عنه والنون محذوفة
لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع بتقديره كما في يدعى كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم
في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب
احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اى بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل
بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب
كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عم واظهار شرف الحسنين رضي
الله عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر
الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار
معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شان جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع
لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اى اولئك
المخلصون تلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور يقرؤن كتابهم الذي اوتوه على الوجه المتين
تبجحا بما فيه سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اى لا ينقصون من اجور
اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اى قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة
او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا

التي

التي فعل لهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف
ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعنا فيه من العقول
والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك
لا يهتدي الا ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى
التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني
مفخما واضل سبيلا اى من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه
هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك
العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق
للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان
من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر
السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت
في ثقيف اذ قالوا للنبي صلعم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبي في صلواتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربو علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة
وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك
وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة وقالوا
لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك
فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره
لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك
خليلا اى لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت
عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اى
لو ثبتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسيرة لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون
وهذا صريح في انه عم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى
وعنايته اذا لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان
اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف

الحياة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب
وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من
الارض اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع على انه عطف على خبر
كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب واعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك
ابعدك قال خلت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عم وقيل نزلت
الاية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان
كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عم فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية اي سن
الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى
الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لد
لوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عم اتاني جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر
واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها يدلك عينيه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي
غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين والسلام للتاقيت مثلها في قولك لثلاث
خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس اقامتها بين الوقتين على
وجه الاستمرار بل اقامة كل صلاة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عم كما ان اعداد ركعات
لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر
فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن ساير الاوقات
وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكورات بيان لمبدائه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى وقران الفجر اي صلاة نصب عطفا على مفعول اقم
او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية
ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في
صلاة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران
الفجر حثا على تطويل القراة في صلوة الفجر ان قران الفجر اظهر في مقام الاضمار لانه الاهتمام به كان
مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم
الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير
الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل
قيل نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا بد ان يكون معناها
التبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصحيح بل هو منصوب على الظرفية

بعض اي قم بعض الليل فتهجد به اي انزل والق الهجود اي النوم فاصيغة التفعل هي للازالة
كالتحرج والتحنث والتاثم ونظايرها والضمير المجرور للقران من حيث هو لا يفيد اضافته الى الفجر
او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب
بتهجد اي تهجد بالقران بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة زايدة لك على
الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخر ذكرها عن ذكر صلاة
الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرايض بل لكونها زيادة له صلعم في
الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون
التطوع زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل
الواقع في فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى
تهجد فان ذلك عبارة زايدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اي حال كونها صلاة نافلة
واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي في ذلك البعض نافلة لك
عسى ان يبعثك ربك الذي يبلغك الى كمالك اللايق بك من بعد الموت الاكبر لما انبعث من الموت
الذي هو الموت الاصغر بالصلاة والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث
معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا
بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل
وروى ابو هريرة رض ان رسول الله صلعم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن
عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى
وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه يجمع الناس في صعيد
واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلعم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند
البعث مخرج صدق اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء وبما عده من البعث المقرون بالاقامة
المحمود والتي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال
هو المقصود وقيل ادخاله عم مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه
من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني خروجا
كقوله وعضة الدهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت
دعوته ثم بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله

ليستخلفهم في الارض وقل جاء الحق اى الاسلام والوحى الثابت الراسخ وزهق الباطل اى ذهبت وهلك
الشرك والكفر وتسويلات الشياطين من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا ماكان زهوقا اى
شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه عن ابى
مسعود رض انه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت فى يده فى
عين واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان
من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران وقرى ننزل من الانزال ماهو
شفاء لما فى الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما فيه تقويم
دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القران
كذلك وعن النبى صلعم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن بمعنى ان بعضه ليس كذلك
بل بمعنى انا ننزل منه فى كل نوبة ما يستدعى الحكمة نزوله ح فيقع ذلك فمن نزل عليهم بسبب موافقته
لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافى المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب
الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفا لكن لا فى كل حين بل عند تنزله وتحقق التبعيض باعتبار الشفا
الجسمانى كما فى الفاتحة وايات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين الا خسارا اى
يزيد القران كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء فى غير مواضعها مع كونه فى
نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اى هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء
الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك او بالنقصان المنبى عن حصول بعض مبادى الاسلام فيهم
وزيادتهم فى مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا
ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم فى اثناء
الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك
واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون فى ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه
سببا لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر وناى تباعد عن طاعتنا بجانبه
الناى بالجانب ان يلوى عن الشىء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن
الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
وفى اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات
والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض
افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تع واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره فان
ذلك شان بعض اخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرى ناء على القلب كما يقال فى
راى وراء على انه نهض قل كل اى كل احد منكم وممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التى تشاكل

حاله فى الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذى براكم على هذه الطبايع
المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة
والدين ويسالونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدبر البدن
الانسانى ومبدا حيوته روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان
اجاب عنها جميعا او سكت فليس نبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح وهو مبهم فى التورية قل الروح اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء به من امر ربى كلمة
من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة الثانية للاختصاص العلمى لا الايجادى لاشتراك الكل فيه وفيها
من تشريف المضاف ما لا يخفى كما فى الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اى هو من جنس ما استاثر الله
بعلمه من الاسرار الخفية التى لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه
بامثال ذلك روى انه صلعم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا
ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو انما فى الارض
من شجرة اقلام الاية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية
بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير فى
نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكوينى من غير تحصيل من مادة و
تولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا
من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين
سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر
وانما الممكن هذا القدر الاجمالى المندرج تحت ما فى الاسلى بقوله تع وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى الا علما
قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيا من احواله التى يدور عليها معرفة
ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اى كائن بتكوينه
حادث باحداثه بالامر التكوينى فمع عدم ملائمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فان ما
سألوا عنه مما يعلمه علماؤهم ح وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحانى اعظم من الملك وقيل جبريل
وقيل المعنى من امر ربى وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك
من القران الذى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التى اوتيتموها وثبتناك علمه حين كادوا
يفتنونك عنه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له
بما فى حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم
ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشية والمراد من الذهاب به
المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رض ان اول ما تفقدون من

من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران نصبحون
يوما وما فيكم منه شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابنانا
ويعلمه ابنانا ابناهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب
ثم لا تجد لك اى بالقران علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من
ربك
فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثنا منقطعا بمعنى ولكن رحمة من
ربك تركته غير مذهوب فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه
وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان
عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون
جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت
الانس والجن اى اتفقوا على ان ياتوا بمثل هذا القران المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت
الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى
منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا ياتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى
المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفى الاتيان بمثل ما اى لا ياتون
بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو
جواب للقسم الذى ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم
لكون الشرط ماضيا كما في قوله زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالى ولا حرم وحيث كان
المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القران مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدى للمعارضة من كل
واحد منهم على الانفراد ومن المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعارض الا
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر
اى لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الى اخره وقد حذف المعطوف عليه حذفا
مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفى
عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب
على الحالية حسبما عطف عليه اى لا ياتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم
الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض اياته ببعض ولا مساغ
لكون الاية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك علينا به وكيلا كما قيل لكن لا قيل من الاتيان
بمثله اصعب من استرداد عينه ونفى الشى انما يقرره نفى ما دونه لا نفى ما فوقه فان منفية
للاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة ليست مسوقة الى النبى صلعم
بل الى المكابرين من قبلهم ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان
ووكادة رسوخ واطمينان للناس في هذا القران المنعوت بما ذكر من النعوت وبيان القائلين

كل

كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس او من اكثرهم
على الاخبار تاكيدا او توضيحا الا كفورا اى الا جحودا وانما صح الاستثنا من الموجب مع انه لا يصح ضربت
الا زيدا لانه متاول بالنفى كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان
لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك فانهم
بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلى
وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا يقتضى الحكمة وقوعه من الامور
كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرى بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا
عينا لا ينضب ماؤها يفعول كيعبوب من نبع الماء كغب الماء اذا زخر او يكون لك جنة اى بستان
يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فيفجر الانهار اى تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد
اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه والفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرى بالسكون كسدرة وسدر وهى حال
من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون
بذلك قوله تعالى او يسقط عليهم كسفا من السماء او تاتى بالله والملائكة قبيلا اى مقابلا كالعشير والمعاشر
او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اى والملائكة
قبيلا كما حذف الخبر في قوله فانى وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت
من زخرف من ذهب وقد قرى به واصله الزينة او ترقى في السماء اى في معارجها فحذف المضاف
يقال رقى في السلم وفى الدرجة ولن نؤمن لرقيك اى لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك
فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه تصديقك نقروه نحن من غير ان نتلقى من قبلك عن ابن عباس
رض قال عبد الله ابن ابى امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها
وتاتى معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون
بها تيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات
ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال
قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها الحضرة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات
الشنيعة التى تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربى
وقرى قال سبحان ربى هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور من الترقى في السماء ونحوه رسولا مامورا
من قبل ربى بتبليغ الرسالة من غير ان يكون خيرة في الامر كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم
الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
سبحانه بشى منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفة وما منع الناس اى الذى حكيت اباطيلهم
اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان بمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اى الوحى طرف لمنع او يؤمنوا

اى وما منعهم وقت مجئ الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك
او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجئ ما ذكر الا ان قالوا فى محل الرفع على انه فاعل منع اى
الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد
ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا
القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم
ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب
الحال اعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به من غير ان
يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب
المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر يجعلونه مانعا منه قل لهم اولا
من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اى لو وجد واستقر فى الارض بدل البشر
ملائكة يمشون مطمئنين قادين فيها من غير ان يعرجوا فى السما ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه واما عامة البشر
فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من
جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك
بشرا فى قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما
قلت وبينت لهم ما يقتضيه ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على انى اديت ما على من مواجب
الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه رسولا باظهار
المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى بينى وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا
محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلعم
وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدا يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة
اجمالية اى من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتد اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب
او المهتد الى كل مطلوب ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم
وايثار ضمير الجماعة اعتبار المعنى من كما اوثر فى مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق
وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اى انصارا
يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة من
العذاب يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام

الآحاد

الآحاد الى الآحاد ونحشرهم الالتفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر حشرهم يوم
القيامة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار
على وجوههم او مشيا فقد روى انه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المنصوب فى الحال السابقة
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا فى
الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم
وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر فى بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استيناف
وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اى كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق
فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل
ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها
برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اى ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اى بسبب انهم كفروا باياتنا
العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدا وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون
مبتدا ثانيا بانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف
وقالوا منكرين اشد الانكار ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من
غير لفظه اى لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اى مخلوقين مستانفين اولم يروا اى الم يتفكروا
اولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم فى
الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا عطف
على اولم يروا فانه فى قوة قد علموا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر
على خلق امثالهم من الانس وجعل لبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيامة فابى الظالمون
وضع لهو موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اى جحودا قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربى خزائن رزقه التى افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم
لو ذات سوار لطمتنى وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذن لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق
مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس فى الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره
لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا فى البخل
مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض عما يبذله ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهى العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور
على بنى اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذاك

جديدا

وان الاوليين لا تعلق لها بفرعون وانما اوتيها بنوا اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا
سأل النبي صلعم عنها فقال الا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا
تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله ثم وليا عدها
ايضا ما ذكر ولعل جوابه عم بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التوراة مسطورا وقد علم
انه علمه رسول الله صلعم الا من جهة الوحي فاسئل بني اسرائيل وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من
فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
ويؤيده قراءة رسول الله صلعم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عم اي فاسألهم عن تلك الايات ليزداد يقينا
وطمانينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا وبسال على القراءة المذكورة وباتينا او بمضمر هو يخبروك
او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلعم فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما اتيناه
من الايات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط
عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الايات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما
ومدبرهما والتعرض لربوبيته تع لهما للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الايات العظام الا
خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر
نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بانه عم على كمال رصانة العقل فضلا عن
توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت بيقين ان هذه الايات الباهرة انزلها الله
عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عم ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون
افك مبين وظنه عم يحوم حول اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يستخفهم ويزعجهم من الارض
ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا
الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة الاخرة الحيوة او الساعة او الدار الاخرة
اي قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل
الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا
من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية ما اثر تحقيق حقية انزال القران وقرانا
منصوب بمضمر يفسره قوله تع فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقراه على الناس على مكث على
مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه

الحكمة

الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم
به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين
قرؤا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين
الحق والباطل والمحق والمبطل او راوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى عليهم اي القران يخرون
للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تع او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك
الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ هو يتحقق الخرور عليها
وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم
من قوله تع امنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به
احسن ايمانا من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلعم كانه قيل
تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان
ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من
المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف
السبب فان الاول لتعظيم امر الله تع او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران
حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي القران سماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تع
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلعم يقول يا الله يا رحمن فقالوا
انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تع
في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف
الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء
الى المقصود وهو اوفق لقوله تع اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية فهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه او للتخيير والتنوين في اياما عوض عن المضاف اليه وما مزيدة
لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما
تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن
جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال و
الاكرام ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك
اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا قصدا فان خير الامور اوساطها
والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم
الى المطلوب وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر
رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر

رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكران يرفع قليلا وعمران يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا كما يزعم اليهود والنصارى وبنوا مليح حيث قالوا عزير بن الله والمسيح بن الله والملائكة بنات الله عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك فى الملك اى الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولى من الذل ناصر ومانع منه لاعزازه به اولم يوال احدا من اجل مزلة ليدفعها به وفى التعرض فى اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه دون غيره اذ بذلك يتم الكلام والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا ووه

وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتحميد واجتهد فى الطاعة والتمجيد ينبغى ان يعترف بالقصور فى ذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه صلعم من قرا سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عن ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

والحمد لله رب العالمين

تم

الحمد لله الذى انزل على عبده محمد صلعم الكتاب اى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القران او عن جميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفى وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول صلعم بالعبد مضافا الى الجلالة تنبيه على بلوغه صلعم الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اى تشريف واشعار بان شان

الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى فى حق عيسى عم وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اى شيئا من العوج بنوع اختلال فى النظم وتناف فى المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج لحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما فى المعانى وقيل الفتح فى اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر فى اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا فى الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفى العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفى عنه العوج مع كونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفى العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل فى بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرى قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما فى الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثانى وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اى انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا به بأسا اى عذابا شديدا من لدنه اى صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرى من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرى بالتخفيف المؤمنين اى المصدقين الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التى بينت فى تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال فى الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اى بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور فى لهم فيه اى فى ذلك الاجر ابدا غير متناه اى خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقى البأس الشديد للايذان بكمال قطاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اى وينذر من بين ساير الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل تلك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير بن الله والنصارى القائلون المسيح بن الله وترك اجراء الموصوف كما فعل فى قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما فى حيز الصلة فى الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضى فى الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه

الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين
ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس
وبشر الذين امنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة
ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول ما لهم به اي باتخاذه سبحانه
وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء او على الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة
حالية او مستانفة لبيان حالهم في مقالهم او ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقة مع تحقق
المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين تلقوه منهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
او ما لهم علم بما قالوه أهو صواب ام خطأ انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله
تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت
كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه بكبرياء جنابه الى ما لا يكاد يليق
بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما الضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير
مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي
كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من افواههم
صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم الى التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج بالايكاد يدخل
تحت امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حالهم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم
عن الايمان بالقران وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة
احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له على الحذر والاشفاق من
ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على اثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اي القران الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فما لهم باخع بجملة على حكاية حال ماضية لاستحضار
الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال
مما فيه من الضمير او متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين
اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله
على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما
عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان
حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلق بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها
ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها او استدلالا فان الحيات والعقارب من حيث

تذكيرهما العذاب الاخروي من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته
على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع
ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق
بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب
حسبما يتبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين بحسب امتياز مراتب
علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع
سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبره والجملة في محل النصب متعلقة لفعل
البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل
او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي
في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون
الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد
القولين لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب
لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير
منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له
الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة
كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار
اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية
للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية
وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل
والصعيد التراب او وجه الارض قاله ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج
هو الطريق الذي لا نبات له جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار
وتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال
الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة
والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت
من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون
الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلعم والمراد انكار حسبان
امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة
الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم

كانوا في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر من اياتنا من بين اياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي اية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى ساير الايات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همدا وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم اخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمل على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا للحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف اوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم بيانه الى الكهف بجبلهم بنجلوس واتخذوه مأوى فقالوا ربنا اتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات ومن ابتدائية متعلقة باتنا ام بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي اتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلاف معنييهما وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقديم تعلقه باتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤل مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله كما في قولك رأيت منك اسدا فضربنا على اذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان بالذكر مع اشتراك ساير المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الاذان كناية عن الانامة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية

اي انمناهم من التعرف مع عدم ملاءمة لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع ان المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او لقد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين ساير الايات العجيبة فان صدق لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وايا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ونظايرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز ولا يتسنى نظم شيء من ذلك في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي احصى اي ضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت احترازا عما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل الارادة العلم عبارة عن الاختيار فاختبر واختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول من المحذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل

العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اى ليعلم الله الناس اى الحزبين احصى الخ وعن
عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا
بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى
كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت
عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار
قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك
المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اى
لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة من الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور
فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد ما يقع غاية ومنتهى
لذلك الكون المستمر باعتبار كمية المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات
وهو ان انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا يتسنى احصاء كاتريل
باعتبار كمية المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى
السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين
الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين
فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة
التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار
انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية
ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اى للذى لبثوا فيه من الزمان الذى عبر عنه
فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما حققه وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول
وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في ساير الايات
الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا
يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتاخر عنه وليس
كذلك وادعاء ان مجيء افعل تفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس
مطلقا وعند ابن عصفور فيما ثبت بهمزة للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل و
وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا والمعنى فلا نسلم ان
ان يمنعه لصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر زمانه تقطيعا او يقال ان العامل في امدا
فعل محذوف ويدل عليه المذكور اى حصى لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر
مع ما فيه من الاعتساف وكلال بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختيار

افلما

افلما يعجز الكل عنه راسا فهو فعل ماض قطعا ونوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم
عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل
فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اى نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان المناسبة في
مطلع سورة يوسف عم نباهم النبأ الخبر الذى له شان وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال
من ضمير نقص او من نباهم اى صفة له على رأى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص
قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نباهم ملتبسا به او نباهم الملتبسين به ونباهم
حسبما ذكره محمد بن اسحق بن سار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا
الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا
فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عم وكان
يتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع
ومن اثر عليها الحياة الابدية قتله وقطع ارابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا
عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء
فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين
عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن
نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده و
خرج هو الى مدينة سوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل
بساير المسلمين فاجمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت
ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه اناء الليل واطراف
النهار ويبتهلون الى الله تعالى بالانين والجوار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه
الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود
الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا
اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما راى يمليخا ما راى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي
ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا
رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على اذانهم فناموا ونفقتهم عند
رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احدا
ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم
باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وعلا
انهم فتية استيناف تحقيقى مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية
للصبي امنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من

المقالة صبا سبحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم وانتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيئا ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضى بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما يقتضى ربوبيته لما فيهما اى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فح يكون ما سيأتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط اى تجاوز عنه بعدا وقولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا فى الظلم هؤلاء هو مبتدأ وفى اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبر وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اى هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان مبين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه فى سورة هود واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم فى الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسمانى وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اى اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم فى عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا اى التجئوا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذا فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذا اعتزلتموهم اعتزال الاعتقاد فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذى انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن رأى صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء فى الزاء وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوير وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذى اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اى تراها عند غروبها تقرضهم اى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اى ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم فى فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان كفتها عنهم يد التقدير ذلك اى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتى الطلوع والغروب مع كونهم فى موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب المغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم فى ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلعم على اخبارهم فلا يساعده ايراده فى تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذى اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت فى التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده فى نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود اى نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على

ذكره السابق من الضرب الى اذانهم وتقليبهم فى رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اى جهة
تلى ايمانهم وذات الشمال اى جهة تلى شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس
رض لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم يقلبتان فى السنة وقيل تقلبه واحدة يوم عاشورا وقيل
فى تسع سنين وقرى يقلبهم على الاسناد الى ضمير جلاله وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ
عنهم وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه
الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فانى احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم
على دينهم ويؤيده قراة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه
واختلف فى لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير
وقيل ريان وقيل نعود وقيل نظمون وقيل ثور قال خالد بن معدان ان ليس فى الجنة من الدواب
الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائى وهشام وابى جعفر من البصريين
يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اى بموضع الباب
من الكهف لو اطلعت عليهم اى لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشى بالمعاينة
والمشاهدة وقرى بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدر
من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اى
فارا اذ يجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما فى قولها فانما هى اقبال وادبار واما على انه مفعول له
ولملئت منهم رعبا وقرى بضم العين اى خوفا يملا الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز
وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والبهية كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد ان
يتكلم وقيل الطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن
بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم من انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير
هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما فى الترتيب على الاطلاع اذ لو روعى ترتيب و
الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب
بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هولاء فنظرنا اليهم
فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال
لو اطلعت عليهم الاية قال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف فبعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرى بتشديد اللام على التكثير وبابدال
الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى
والتحلل اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اى ليسال بعضهم بعضا
فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاعتبار من حيث

انه

انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر اثاره قال استئناف
لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم فى منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة
حالهم لما هو المعتاد فى الجملة قالوا اى بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض
يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اى بعض اخر منهم بما سنح
لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اى انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها
الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعات حسن الادب وبه يتحقق
التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن فى حالتين ولا يساعده النظم الكريم
فان الاستئناف فى الحكاية والخطاب فى المحكى يقضى بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل
ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق فى البحث واقبالا
على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة
يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشترى بها قوت يومهم ذلك وقرى بسكون الراء وبادغام القاف
فى الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافى التوكل
على الله تعالى فلينظر ايها اى اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما فليأتكم برزق منه اى من
ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة كيلا يغبن او فى الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم
احدا من اهل المدينة فانه يستدعى شيوع اخباركم اى لا يفعلن ما يؤدى الى ذلك فالنهى على الاول
تاسيس وعلى الثانى تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهى اى ليبالغ فى التلطف
وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اى يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم
ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم فى ملتهم اى يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة
لقوله تعالى او لتعودن فى ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذى
هو اشد شئ عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على
الدين المؤدى اليه وضمير الخطاب فى المواضع الاربعة للمبالغة فى حمل المبعوث على الاستخفاء وحث
الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل فى القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر
ولن تفلحوا اذا اى ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بالخير ابدا لا فى الدنيا ولا فى
الاخرة وفيه من التشديد والتحذير ما لا يخفى وكذلك اى كما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازدياد
فى مراتب اليقين اعثرنا اى اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اى الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا
من احوالهم العجيبة ان وعد الله اى وعده بالبعث او موعوده الذى هو البعث او ان كل
وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق
لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اى القيامة

ن بكم

التي هي عبارة من وقت بعث الخلايق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فانّ
من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والعفن
ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم
فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم
عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل التنازع فيه امر دينهم حيث كانوا
مختلفين في البعث فمن مقرّ له وجاحد به وقايل يقول ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول
ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مومنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حتى فصل
فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز
وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سدّ به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك
بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري
به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة
فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هولاء فانطلق الملك واهل
المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس
والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فراهم في المنام
كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى
مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية
قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال
والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا
فصيحة اي اعثرناهم عليهم فراوا ما راوا ثم ماتوا فقالوا اي قالوا بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا
لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما راوا
عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف
قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه رد لقول الخائضين في حديثهم من
اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا
في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فادخ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون
لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا
القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس
في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع
تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو موخر في الوقوع سيقولون الضمير في الفعل

الثلاثة

للثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عم من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل
منها الى الكل بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم
كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء في
التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية
من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف
مستأنف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء
بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقن من هذا
الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عظم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو
المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي اخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي
اعلم اي اقوى علما بعدتهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا من العلم بعدتهم الا قليل
من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت
الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي اخر لما خفي
عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله تعالى
وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هولاء اصحاب يمين الملك وكان عن
يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي
الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمهم كفشطيطوس كذا ذكره الامام الواحدي
في الوسيط فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم
فيهم في بيان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه
الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق و
لا تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه
لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضماير الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر
من الشواهد لارشاد المومنين الى صحة القول الثالث وفيه محيص عما في الاول من التكلف في جعل
احد الاقوال الحكية المنظومة في سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الاخرين بخلافه ووضوع في
سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى واذ قد وقعت على ان كلهم لبسوا على خطا في ذلك فلا تجادلهم
في شان الفتية الا جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من تجهيل جميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء
لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة وقوعهم بعضهم فالمعنى لا ترجع
اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من
الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اي فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان

مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه عم فقال ايتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه فى النهى مناط فان وسعة المحال دليل القدرة فافهم الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهى اى لا يقولن ذلك فى حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله اوفى وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان يقوله لا مطلقا بل مشيته اذ كان النسيان ايضا بمشيته تعالى ولا مساغ لتعليله بفاعل بعدم اسناد استثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهى وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا الفول تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متدارك له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار واطلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبى هذا فى تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربى اى يوفقنى لاقرب من هذا اى لشئ اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتى رشدا ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتانى من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد اياتهم والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهى جملة مستانفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن على رض انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلاث مائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اى بالزمان الذى لبثوا فيه له غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمى دون التكوينى فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج علمه

علمه ادراك المدركين لا يحجبه شئ ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفى والجلى والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما فى كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذى نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولى يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك فى حكمه فى قضائه او فى علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ فى نفى الشريك من ان يقال من ولى ولا شريك وقرئ على صيغة نهى الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القران الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبى صلعم من المغيبات على انه وحى معجز امره عم بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ايت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد ابد الدهر وان بالغت فى الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند الهام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى اى دايمين على الدعاء فى جميع الاوقات وقيل فى طرفى النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهى علم فى الاغلب على تاول التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله عم نح هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عم انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما فى حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن فى يدعون اى مريدين لرضاه تعالى ولا تعد عيناك عنهم اى لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو ولا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى ذى الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهى حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة من الفاعل على الوجه الثانى منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما فى قوله لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل وهى من المستكن فى الفعل على القراءة الاخريين ولا تطع فى تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اى جعلناه غافلا ببطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اى لم يسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن

مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المومنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه
تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في المحسوسات
حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرى اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب
اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره
فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم
للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تودي الى اتباع الهوى المودي الى
التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة
وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق
المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء
فليومن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المامور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق
التهديد لا التفريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم
من شاء ان يومن به [illegible] المومنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به
[illegible] من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى
واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى
قل لهم ذلك من شاء ان يومن به او ان يصدقك فيه فليومن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك
فيه فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما فيه من الزجر عن الكفر
او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من
دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك
انا اعتدنا للظالمين اي هيانا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين
للتنبيه على ان مشية الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم
اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقيق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من
النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها حائط من نار وان
يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب يشوي الوجوه حرارته عن النبي صلعم
هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا
متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت
مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان بان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين
امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مال الفريقين اي الذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك

وعملوا

وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية
مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل
زيدا او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار استيناف لبيان الاجر او هو
الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية
والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا
خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي
مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
متكئين فيها على الارائك على السرر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي
الارائك مرتفقا اي متكا واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمومن مثلا رجلين مفعولان لاضرب
اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمومنين لا من حيث
احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان
الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين على مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين
او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومومن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية
الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المومن نصيبه الى وجوه المبار وآل
امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم
هو ابو سلمة عبد الله بن الاشد زوج ام سلمة رضي الله عنها او لا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين
بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل
اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين
حوله فيزيده الباء مفعولا اخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما
جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين اتت
اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرى بسكون القاف وقرى كلا الجنتين اتى اكله ولم تظلم
منه لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام
وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار ياتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين
كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرى بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن
ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل و
تفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة
واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان الاكل لا
يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر

ماله اذا كثرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك
وقال مجاهد الذهب والفضة خاصة فقال صاحبه المومن وهو اي القايل يحاوره اي صاحبه الذي
وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا
اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها
وهيأتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان
الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف مبني على
سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن
ان تبيد هذه الجنة اي تفنى ابدا لطول امده وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة
موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات
وما اظن الساعة قايمة كاينة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن
يومئذ خيرا منها اي من هذه الجنة وقرى منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا
الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه
ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كاسمر فايدتها
التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما
اظن الساعة قايمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق ادم ثم منه
متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه ثم اذ لم تكن فطرته الشريفة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لجريان اثارها على الكل فكان خلقه ثم من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك
اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة اي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدا
متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول
للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله تعالى عز وجل قايل
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي اصله لكن
انا وقد قرى كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا
خبره الله ربي والجملة خبر انا والعايد منها اليه الضمير وقرى باثبات الف انا في الوصل والوقف
جميعا وفي الوقف خاصة وقرى لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكنن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك
قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مومن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان
كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم
الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في ان الدخول من غير ريب لا للقصر ما شاء الله
اي الامر ما شاء الله كاين على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شي شاء الله كان على انها شرطية

منصوبة

منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء
ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك
من اعمارها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبي صلعم من راى شيئا فاعجبه فقال
ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترني انا اقل منك مالا وولدا انا هو كدلالة المتكلم او ضمير فصل
بين مفعولي الروية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا للاخير
ان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر او ما اصله المبتدا والخبر وقرى اقل بالرفع خبرا لانا
والجملة مفعول ثان للروية او حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان
يوتيني خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه
ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك
نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره
الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حسب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع
حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سيأتي للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا
مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر
والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح على الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غايرا
في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له طلبا اي للماء الغاير طلبا فضلا عن
وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو
وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف
لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن
وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص
الندم به دون ما هلك الان من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق
في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع به وكان
يرى انه لا تنالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه
الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشي السريع
الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعايمها المصنوعة
للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهي من
متممانها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها
فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا
فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم

يعبه ما اصابه قبل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له
وقرئ باليا التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الهلاك او على رد المهلاك او الاتيان
بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يردونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على
ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام
وفي تلك الحال الولاية لله الحق اى النصرة له وحده لا يقادر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها
اولياء المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير
عقبا اى لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اى هنالك السلطان
له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان اضطرارا وجزعا مما دعاه
على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل وبنصبه على انه مصدر
مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اى
واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الاخرة
صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التى هى في الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اى هى كما
انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اى تشبك بسببه
نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روى
ورف فمقتضى الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان
كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجتها ورفيفها هشيما
مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه
به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم
هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شئ من الاشياء التى من جملتها الانشاء
والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا
يفتخرون من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شانها
نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية المحكية انفا وقوله وامددناكم
باموال وبنين وغير ذلك من الايات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك
وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الاباء والبنين في كل وقت
وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط
لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه
زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها
مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما

يفتخرون

يفتخرون به من المال والبنين شئ يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب
الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التى شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هى اعمال
الخير وقيل هى الصلاة الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه
الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون
وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء فوائدها عند فناء ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا
خير اى مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ
عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودى الافادة لا سيما في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلهما من المال
والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة
الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى
التعرض له خيريتها عند ربك اى في الاخرة وهو بيان لما يظهر فيه اثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة
الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في
الخيرية في الاخرة ثوابا عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الاخرة كل
ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف
حيثيتى الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اى اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها
في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب او نسير اجزاءها
بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف
على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ
تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد
الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد
ممن يتاتى الرؤية عنه وقرئ وترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروزها فلان تحت الجبال فظاهر
واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالان اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضى بعد نسير
وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء
وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز
ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اى لم نترك منهم احدا يقال
غادره اذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفاء والغدير الذى هو ما يتركه السيل في الارض الغائرة
وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت
وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليامر فيهم بما يامر وفي التفات الى الغيبة
وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عم من تربية المهابة و

ويجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به ام مالايخفى صفا اى غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة
الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا
على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير
كما قيل فبعيد من جلالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوا
مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال ومرور الارض كما خلقناكم نعت لمصدر
مقدر اى مجيئا كائنا كمجيئكم منذ خلقناكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اول مرة
حفاة عراة غرلا او ما معكم شئ مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى
كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اى زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقت ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما
يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف
اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع
ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد
فيه ما اورد امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اى وضع صحايف الاعمال وايثار الافراد
للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين
قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب
ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوا من بين
الهلكات مستدعين لها فيها ليهلكوا ولا يروا ما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى فهذا اوان حضورك
ما لهذا الكتاب اى اى شئ له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اى حواها وضبطها
جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب واستينافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه
قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا
من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات
او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهار المعدلة القلم الازلى واذ قلنا للملائكة اى اذكر وقت
قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس
فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء
اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اى خرج
عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف
الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين
بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس
وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والتعجب والفاء

التعقيب

للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اى اولاده واتباعه جعلوا ذرية
مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن
جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اى والحال
ان ابليس وذريته لكم عدو اى اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو
وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار
وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اى للواضعين للشئ
في غير موضعه بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع
الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف
مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد
والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم
ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور
حذارا في تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم
التغليب بناء على ان المعنى انه فات في نفى اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه
انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما
نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مداريه الانكار المذكور في شئ على ان اشهاد
بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على دلالة على كمال باعتبار ان له مدخلا في خلق
المشهود في الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور
متمحضا في نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اى متخذهم
وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء
عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي على الشركة في بعض احكام
الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي
لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم
اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيته وارادته فيهم وانهم
بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم
في شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله تعالى عز وجل ولم … قيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضايل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة
للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلعم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووضعهم بالاضلال
لتعليل نفى الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وفتحها

وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد ويوم يقوله
اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركاى الذين زعمتم انهم شفعاؤكم
ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اى نادوهم للاغاثة
وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا
لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفى ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم فى الحماقة بحيث
لا يفهمون الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من
وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او مهلكا
يحدث الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اى
وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الاخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى
عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط
بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم
وذما لهم بذلك فظنوا اى فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ راوها من
بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا ينصرفون اليه ولقد صرفنا
اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم فى هذا القران للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل
من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة الداعية
الى الايمان التى هى فى الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه و
كان الانسان بحسب جبلته اكثر شئ جدلا اى اكثر الاشياء التى يتاتى منه الجدل وهو ههنا شدة
الخصومة بالباطل والمماراة بالجدل الذى هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوى
على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اى اهل
مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم
الهدى اى القران العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعانى الموجبة له ويستغفروا ربهم
عما فرط منهم من انواع الذنوب التى من جملتها مجادلتهم ملحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين اى الا
ايتان سنتهم او الا انتظار ايتانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه و
سنتهم الاستيصال او يأتيهم العذاب اى عذاب الاخرة قبلا اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما قرا
قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرى بفتحتين اى مستقبلا يقال لقيته قبلا وانتصابه على الحالية من
الضمير او العذاب والمعنى ان والمعنى ان ما تضمنه القران الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث
لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لا امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط
وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب
منذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات

والسؤال

والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اى بالجدال الحق اى يزيلوه عن مركزه
ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو
شاء الله لانزل ملائكة ونحوها واتخذوا اياتى التى تخر لها صم الجبال وما انذروا اى انذروه من
القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو
ما يستهزؤ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه وهو القران العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها
وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعى نفى الاظلمية من غير تعرض لنفى المساواة فى الظلم الا ان
مفهومه العرفى انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما فى حيز الصلة من الاعراض عن القران للاشعار
بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسى ما قدمت يداه اى عمله من الكفر والمعاصى التى
من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر فى عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية
كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل
عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوا وفى اذانهم اى جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط
وجواب عن سؤال النبى عليه الصلاة والسلام عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال ما لى لا ادعوهم
فقيل ان تدعهم وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده
فى المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة
اى الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب
ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهى فعل
وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم
بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم
اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصى التى من جملتها ما حكى عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن
ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار
المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفى
المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان
المعنى على المضى لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع
الواقع موقع الماضى يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق فى موضعه بل لهم موعد اسم زمان
هو يوم بدر او يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدرة كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة
لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى او ملجأ يقال وأل اى نجا ووأل اليه اى لجأ اليه وتلك القرى
اى قرى عاد وثمود واضرابها وهى مبتدأ على تقدير المضاف اى واهل تلك القرى خبره قوله تعالى
اهلكناهم معقول حقهم مقترنه لما ظلموا اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبائح

وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى كما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذى عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الخ وجعلنا لمهلكهم اى عينا لهلاكهم موعدا اى وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل لقريش من تعيين الموعد لتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله عم لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم سمى فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه من سمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة تذكير ما فى القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من ساير المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اى لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله ابلغ لان ذلك غاية تستدعى ذا غاية يودى اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيرى حاصلا حتى ابلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اى لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل بحر الكر والرس بارمينيه وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضى حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عم لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل واوحى اليه بل اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر عم وقيل فى ايام افريدون قبل موسى عم وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عم سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس على علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فدلنى عليه قال اعلم منك الخضر قال ابن اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذى جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اى نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسى يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يأمره فيه بشئ روى انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التى لا يصيب ماؤها ميتا الا حى وتعارؤ وسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد

الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع وقيل توضأ من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع فى الماء فاتخذ سبيله فى البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اى مجمع البحرين الذى جعل موعدا للملاقاة قبل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى عم الجوع فعند ذلك قال لفتاه اتنا غداءنا اى ما نتغذى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الحوت لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء وقيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة فى محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما فى اثناء التغدى من استراحة ما قال اى فتاه عليهما السلام ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اى التجانا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه والتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عم مما اعتراه هناك مع كونه مما من العظايم التى لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابنى يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فانى نسيت الحوت وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسى وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور بايتائه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده فى المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كساير الحيتان مع زيادة اى نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اى ما انسانى ان اذكره ذلك وفى تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره ثانيا على طريقة الابدال المبنى على تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عنه وقوعه وحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عم والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله فى البحر عجبا بيانا لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حى واضطراب ووقع فى البحر واتخذ سبيله عجبا ثانى مفعولى اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثانى وعجبا صفة مصدر محذوف اى اتخاذا عجبا وهو كونه شبيه الطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اى تعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى

ولبس بذاك قال اى موسى عم ذلك الذى ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرى باثبات الياء
والضمير العايد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اى نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اى رجعا
على اثارهما طريقهما الذى جاء منه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان اثارهما اتباعا او مقتفيين حتى
اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا
بن ملكان وقيل ليسع اليا س عليهم السلام اتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة كما يشعر به تنكير
الرحمة واختصاصها بجناب الكبريا وعلمناه من لدنا علما خاصا ولا يقادر قدره هو علم الغيب قال له
موسى استيناف مبنى على سؤال نشا من السياق كانه قيل فما ذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمنى استيذانا منه فى اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اى علما ذا رشد
ارشد به فى دينى والرشد اصابة الخير وقرى بفتحتين وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت محذوف
وكلاهما منقول من علم المتعدى الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا
ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبى آخر ما لا تعلق به باحكام شريعته من اسرار العلوم
الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اى الخضر انك لن تستطيع معى صبرا
نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط
به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة
لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى قال الخضر يا موسى انى على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه
وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اى لم تحط به خبرك قال موسى عم ستجدنى ان شاء الله
صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولى الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم
تعلقه بالصبر ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص وفى عد هذا الوجدان من
المبالغة ما ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدنى فلا محل له من الاعراب والاول هو
الاولى لما عرفته لظهور تعلقه بالاستثناء وفيه دليل على ان افعال العباد بمشية الله سبحانه قال
فان اتبعتنى اذن له فى الاتباع بعد اللتيا والتى والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عم للصبر
والطاعة فلا تسألنى عن شئ تشاهده من افعالى اى لا تفاتحنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة و
الاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اى حتى ابتدأ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية
حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألنى بالنون المثقلة فا
اى موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عم الى بنى اسرايل قيل
انهما مر بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا فى السفينة استعمال الركوب فى امثال
هذه المواقع بكلمة فى مع تجريده عنها فى مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشعرنا
اليه فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان فى ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لججوا اخذ فاسا
فقلع من الواحها لوحين مما يلى الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرى

بالتشديد من التفريق وليغرق اهلها من الثلاثى لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اى عظيما هائلا
من امر الامر اذا عظم والاصل امر فخفف قال اى الخضر الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا تذكير لما قاله من
قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذنى بما نسيت بنسيانى
او بالذى نسيته او بشئ نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال
الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى كما ورد فى صحيح البخارى
من اول الامر كان من موسى نسيانا او اخراج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهم
انه قد نسى ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب مع التوسل
الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقنى اى
ولا تحملنى من امرى وهو اتباعه اياه عسرا اى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك
المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اى فقبل عذره فخرجا من السفينة حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان وقيل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه
بالسكين قال اى موسى عم اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اى
بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفى هذا المبيح بالذكر من بين ساير المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا
بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عم
ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عم فى معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك
انما هو ما صدر عن الخضر عم فى الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لغرابتها ووقوعها
فى نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة فى الشرطية الاولى لما
صدور الخوارق منه عم خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال
موسى عم هل يحافظ على مراعات شرطها بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يأتى الى
المناقشة كما مر فى المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عم ففعل ما فعل ولله در شان التنزيل
واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة فى الكلام فليس من دفع
الشبهة فى شئ بل هو مؤيد لها فان القتل اقبح من مباشرة قلة صدوره عن المؤمن وندرة وصول خبره
الى الاسماع وذلك مما يستدعى جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة
صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول
اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زيد لك لزيادة المكافحة
بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير
حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية قال اى موسى عم ان سألتك عن شئ بعدها اى بعد هذه المرة فلا
تصاحبنى وقرئ من الافعال اى لا تجعلنى صاحبك قد بلغت من لدنى عذرا اى قد اعذرت

ووجدت من عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلعم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا تضيف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة القرية ولعل العدول عن استطعامهم الى ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء عن الاضافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا واصل ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لتنتعشا به بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك اي الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سأنبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبيه بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا التاويل رجع الشيء الى ماله والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عم للصبر دون ان يقال بتاويل ما رايت ونحوه نوع تعريض به عم وعتاب اما السفينة اي التي خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ به غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة

على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عم منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتها وسائر حقوقها وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن لمن يؤمن يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف تطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك وفي اضافة الرب الى ضمير موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عم تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادة سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رايهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امري عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان

ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل مالم تستطع اي لم تستطع فحذف
التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رأيته اي ماله وعاقبته فيكون انجازا للتنبيه الموعودة
او الى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة
غير ما تقدم تكرير للتكرير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه
كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب
من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد فقالوا والياس ايضا في حيوة يلتقيان كل سنة
بالموسم وقيل انه ميت لما روي انه صلعم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان
رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعد
مائة سنة روي ان موسى عم لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به
واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سألوه قريش
بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين
الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردبه من
ولد يافث بن نوح عم وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن
قنان بن منصور ابن عبد الله بن الازد بن زيد بن كهلان بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل
ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان الذي
قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان
ذا القرنين ابو كرب سمي بن عبير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو
الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ
المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من
اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي
والاول هو الاظهر لان بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو
الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التاريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد
ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى
الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه
ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن
دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه
وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع
الى خراسان وبنى بها مداين كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام
وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على الارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان

يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له
دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب
فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب
واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة
وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما لا يخفى
ثم وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا
يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا
لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من
كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا
لما روي ان عمر رضه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم اما رضيتم ان تسموا باسماء
الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا
عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى
سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان خضر على مقدمة جيشه بمنزلة المشار
الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عم فطاف
معه بالكعبة هو واسماعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عم بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بو
صايا ويقال انه اتى بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى
له الاسباب وبشره ابراهيم عم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا
غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا
لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه
تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل
الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل
لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات
ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله وقيل لانه رأى في منامه انه صعد الفلك فاخذ
بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه
النور من امامه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني
فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن
يونان بن يافث بن نونه بن سرحون بن رومية بن لوبط بن برقيل بن رومي بن الاصفر بن اليفز بن
بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني
المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من

الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي
قتل دارا بن دارا وذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما
واحد وان المذكور في القران العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطأ كبير كيف لا والاول كان عبدا
صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطا
طاليس الفيلسوف وقد كان بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت
المقدوني نسبة الى بلده من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة
بالشعاير الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز
اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها
احد ولكن فيها علايم تحكي كلام عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت عند
القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الاثار ما فيه عبرة لاولي الابصار
قل لهم في الجواب سأتلوا عليكم اي ساذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا
وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلوا انا وسأتلوا من
جهته تعالى في شانه ذكرا اي قرانا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تأييده عليه السلام
وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت
منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه
الاية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن الروح
ومن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ايتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما
ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود
والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى
الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الاخر كما في قوله
عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والالات
على انواع التصرفات فيها ما لم نجعل لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا
اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى
انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والراي والاسباب حيث سخر له
السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض
وذللت له طرقها واتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا
اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او الة فاتبع بالقطع اي فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من

تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج
من الترك وماجوج من الجيل والديلم واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم
على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم
من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل
عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرئ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون
ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل
نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس
والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من
الملك والمال وساير الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني
بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل بالالات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة
على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب الامر بينكم وبينهم تقديم
اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما
راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب
مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه اتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف
في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما
ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الالة
من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون ساير الالات
من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قايلا حتى اذا ساوى
بين الصدفين اي اتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا
لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية و
سووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ
فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه
على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الالة قال للذين يتولون امر النحاس اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني
قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه

الافتعال والفرقان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اى
منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي
الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبداء الاطوال على احد
القولين وجدها اى الشمس تغرب فى عين حمئة اى ذات حماة وهى الطين الاسود من حمئت البير
اذا كثرت حماتها وقرى حامية اى حارة روى ان معاويه رض قرا حاميه وعنده ابن عباس رضى
الله عنهما فقال حمئة فقال معاويه لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين
ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين وروى فى ثاط فوافق قول ابن
عباس رض وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون اليا فى
الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاويه الى قول ابن عباس رضى الله عنهم
فما سمعه من كعب مع ان قراته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراة ابن عباس قطعية فى مدلولها وقراته محتمله
ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس فى مطمح نظره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها
عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله عز وجل
ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اى امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق
المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع
على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اى اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك
وهكذا الحال والاتحاد ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبى فى ذلك العصر او كان ذلك
الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبى قال اى ذو القرنين لذلك النبى او لمن
عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اى نفسه ولم يقبل دعوتى واصر على ما
كان عليه من الظلم العظيم الذى هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتاده انه كان يطبخ فى القدر
ومن امن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه فى الاخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اى منكرا فظيعا وهو عذاب
النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحى اليه وان مقاولته كانت مع النبى او مع من عنده
من اهل مشورته واما من امن بموجب دعوتى وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله فى الدارين
جزاء الحسنى اى فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على
المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اى يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدا والخبر المقدم عليه
او حال اى مجزيا بها او تمييز وقرى منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا
على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب
الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى فى حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له
الا بما يجب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان

يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ اليه للستر الذى وقفت عليه انفا وكذا الكلام فى
قوله تعالى فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين وقرى بالادغام وفيه جمع
بين الساكنين على غير حده وقرى بقلب السين صادا والفاء فصيحة اى فعلوا ما امروا به من ايتاء
القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج ماجوج فقصدوا
ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه ان يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا
له نقبا فضلا بنه وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا
يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر فكانه سبحانه
وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شى
قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها بحيث
لم يبق هناك فرجة اصلا قال اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى
السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذى ظهر على يدى وحصل بمباشرتى من السد
الذى شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربى على
كافة العباد ولا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة
بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتى والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء
وعد ربى مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل ان لا يساعده النظم
الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجئ مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى ع م ونحو ذلك
لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التى ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اى السد المشار اليه
مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس فى توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور
دكا اى ارضا مستوية وقرى دكا اى مدكوكا مسوى بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك
ومنه الجمل الادك اى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجئ الوعد بمجئ بعض مباديه وفيه بيان لعظيم قدرته
عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربى اى وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا
اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر
مؤكد لمضمونها وهو اخر ما حكى من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف
على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اى جعلنا بعض الخلائق يومئذ الى يوم اذ جاء الوعد بمجئ بعض
مباديه يموج فى بعض اخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من
شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج فى بعض اخر منهم
حين يخرجون من السد مزدحمين فى البلاد روى انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون
الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله عز وجل نغفا فى اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل

فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول من امرنا اى مما نامر به يسرا اى سهلا متيسرا غير شاق
وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرى بضمتين ثم اتبع سببا اى طريقا راجعا من
مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى يطلع عليه الشمس اولا
من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اى مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه فى اثنتى
عشرة سنة وقيل فى اقل من ذلك بناء على ما ذكر انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها
اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم
خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هولاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم اذا
احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس
قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم افقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس
على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه
فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه لك فى رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب
من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم او على قوم مثل ذلك
القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال وغير
ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعنى ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به
الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وصدر
عنه واما لاقاه فتأمل ثم اتبع سببا اى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى
الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلى المشرق
لا جبل ارمينية واذربيجان كما توهم وقرى بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل
الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التى تستعمل اسما ايضا كما
ارتفع فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر فى قوله تعالى فراق بينى وبينك وجد من دونهما اى من ورائهما مجاوزا
عنهما قوما اى امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرى من باب الافعال
اى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى انهم اى الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك فقال السدى
الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم
وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احد وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة
فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب
والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا
اى بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذو القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله

كما

الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من بلتهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع
فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح وقتل الدجال ونفخ فى الصور اى النفخة الثانية بقرينة الفاء فى
قوله فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار
ولئلا يقع الفصل بين ما وقع فى النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها فى النشاة الاخرة
اى جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم فى صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اى
جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اى يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين
منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اى عرضا فظيعا هائلا لا يقادر
قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم
وهم فى الدنيا فى غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكرى عن
الايات المؤدية لاولى الابصار المتدبرين فيها الى ذكرى بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصا
ئرهم فى غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشانى او عن القران الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون
لفرط تصاممهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلعم سمعا استماعا للذكرى وكلامى الحق الذى لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم
عن الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جئ به لذمهم بما فى حيز
الصلة وللاشعار بعلية لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما
عرض لهم فى الدنيا من الايات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به فى الاخرة افحسب الذين
كفروا اى كفروا بى كما يعرب عنه قوله تعالى عبادى والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افحسب والهمزة للانكار
والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما فى قولك اضربت اباك انكار الوقوع كما فى قوله اضرب
اى والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا
قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى افلا تعقلون منفيا والمعنى اكفروا بى مع جلالة شانى فحسبوا ان يتخذوا
عبادى من دونى من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطانى وملكوتى اولياء معبودين
فيصير وهم من باسى وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على
ان الحسبان ناشئ من التعامى والتصام وادخل عليهما همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف
عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامى
والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة
كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام
الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر عن ذلك تعسف لا يخفى واما فى حيز صلته ان حاد مسد
مفعولى حسب كما فى قوله تعالى واحسبوا ان لا تكون فتنة اى افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان
ذلك ليس من الاتخاذ فى شئ لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن

ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعول الثاني محذوف اى افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان فى هذا تقليلا لنفس الاتخاذ واعتدادا به فى الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اى الحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء او الخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل فى العمل فالهمزة ح بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اى هيانا هالكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذمالهم واشعارا بان ذلك الاعتداء بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اى شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم فى حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفى ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هى انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع فى صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة فى انفسها وفى حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة اثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة فى انفسها مع كونها حسنة فى حسبانهم الذين ضل سعيهم فى اقامة تلك الاعمال اى ضاع وبطل بالكلية فى الحيوة الدنيا متعلق بالسعى لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابى وقاص ومجاهد ويدخل فى الاعمال ح ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم فى الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب على ما سيأتى من قوله تعالى اولئك الاية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعى كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة فى تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح وللاعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بتعيينه نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى اى يحسبون انهم يعملون ذلك لاعجابهم باعمالهم التى سعوا فى اقامتها وكابدوا فى تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اى بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون فى ذلك وينتفعون باثاره او من المضاف اليه لكونه فى محل الرفع نحو قوله تعالى مرجعكم جميعا اى بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور فى الاول ضلال سعيهم وفى الثاني نفس سعيهم والاول ادخل فى بيان خطائهم اولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل

تعريف

تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الامر اى اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعى مع الحسبان المزبور الذين كفروا بايات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم فى الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الاخرة على ما هى عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اى لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيامة وزنا اى فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا او اعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فيجئ بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصى ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك فى الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان لحال كفرهم وساير معاصيهم اثر بيان مال اعمالهم المحبطة بذلك اى الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعايد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لساير القبائح التى انبئ عنها قوله تعالى واتخذوا اياتى ورسلى هزوا اى مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالايات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين امنوا بيان بطريق الوعد لمال الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مالهم بطريق الوعيد اى امنوا بايات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هى الجنة الملتفة الاشجار وقيل هى الجنة التى تنبت ضروبا من النبات وقيل هى الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس فى الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلعم فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسئلوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل حال من نزلا فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة فى الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فظاهر خالدين فيها نصب على

حالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر اى لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شئ اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اى جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربى لتحرير كلمات علمه وحكمته التى من جملتها ما ذكر من الايات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شئ لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربى لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلعم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جئ به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اى لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان لمجموع المتناهيين متناه بل لمجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مدادا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما نبهت لهم شان كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعى الاحاطة بكلماته التامة يوحى الى من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجوا لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اى فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بايات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روى ان جندب بن زهير رض قال لرسول الله صلعم انى لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال عم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروى انه عم قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عم اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له

نورا يتلألأ الا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

كهيعص باماله الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء واماله الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف انها لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اى المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها هي نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما اجنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ واسم الاشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اى هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عم للايذان بان تنزيل السورة عليه عم تكميل له وقوله تعالى عبده مفعول الرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اى بلغني وقوله عز وعلا زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عم حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان ذلك منه عم لضعف الهرم قالوا كان سنه ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير

سورة ال عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب انى وهن العظم منى اسند الوهن
الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصاب الضعف والرخاوة اصاب كله اولانه اشد
اجزائه صلابة وقواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراه اوهن وافراده للقصد الى الجنس
المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر
الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الراس شيبا شبه علم الشيب
في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ
باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق
الراس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل
شيب راسى فاسند الاشتعال الى الراس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان
اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد
تفخيم بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم اكن بدعائك رب شقيا اى لم اكن بدعائى اياك
خايبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها
او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل راسى شيبا وهذا توسل منه عم بما سلف منه من الاستجابة عند
كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب الرافة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد
ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض
في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عم
لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد
العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته وانى خفت الموالى
عطف على قوله تعالى انى وهن مترتب على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادى خوفه عم
من يلى امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائى اى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن
اى فعل الموالى من بعدى او جور الموالى وقد قرئ كذلك او بما في الموالى من معنى الولاية
خفت الذين يلون الامر من ورائى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ
خفت الموالى من ورائى اى قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدى او خفت الموالى القادرون
على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اى ارتحلوا مسرعين اى درجوا قداما ولم يبق
منهم من به تقوى واعتضاد والظرف متعلق بخفت وكانت امراتى عاقرا اى لا تلد من حين شبابها
فهب لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية
مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول
ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة

للعزان

وليا اى ولدا من صلبى وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع
ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده
لها يتمكن عنده فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل اولى لتوسطهما
بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عم
من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عم عن حصول الولد بتوسط
الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع اخر
الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عم للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله
تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الكل
هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك من موطن اخر من النكت التنزيلية
وقوله تعالى يرثنى صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اى يرثنى من
حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عم نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثنى الحبورة وكان عم حبرا ويرث من ال يعقوب يقال
ورثه وورث منه لغتان وال الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة والصحبة او للموافقة
في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى يرث منهم الملك وقيل هو يعقوب بن اسحاق
بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبى والمقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من
نسل سليمان عم وكان ال يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبى كانوا بنو ماثان رؤس
بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث
من بنى ماثان ملكهم وقرئ او يرث ال يعقوب بالتصغير ففيه ايماء الى وراثته عم لما يرثه
في حالة صغره وقرئ وارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثنى على طريقة التجريد اى يرثنى
به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل ال يعقوب عم انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا
مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولى الجعل للمبالغة في الاعتناء بشان ما يستدعيه
يا زكريا على ارادة القول اى قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان خاطبه عم بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكى له عم هذه العبارة عنه عز وجل على نهج
قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا الاية وقد مر تحقيقه في سورة ال عمران وهذا جواب لندائه
عم ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
بل بعضا حسبما يقتضيه المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان
كانوا مستجابى الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عم في
حق ابيه والى دعوة النبى صلعم حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها

فقة

طب

وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال ح و
في تعيين اسمه ع تاكيد للوعد وتشريف له ع وفي تخصيصه به حسبما يعرض عنه قوله تعالى لم نجعل
له من قبل سميا اى شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله يحيى مزيد تشريف وتفخيم له ع فان
التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء ساير الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها
في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في
الاسم قالوا لم يكن له ع مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية من قوله تعالى مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فانه منقول
عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته قال استيناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال ع حين قيل رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى
اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجات والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى
يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما
يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات انى يكون لى غلام كلمة انى بمعنى كيف
او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من
الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى كيف او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان يتعلق
اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اى انى يحدث كائنا لى غلام او ناقصة
اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولى متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى
وكانت امرأتى عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا
حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تاكيد اى كانت امرأتى عاقرا لم تلد في شبابها وشبابى فكيف
وهى الان عجوز وقد بلغت انا من اجل الكبر السن جاوزه نحو لا بالمفاصل والعظام او بلغت
من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو او اصله عتوو كعقود فاستثقل توالى الضمتين
والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية لا
جتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل
ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة ال عمران لما انه قد ذكر حاله في
تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك
فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته الى ان المسارعة الى بيان
قصور شانه انسب وانما قاله ع مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى
عز وجل لا سيما بعد مشاهدة للشواهد المذكورة في سورة ال عمران استعظاما لقدرة الله

تعالى

تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وعلا وفضله
مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به
فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه ع استفهاما عن
كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة
ستون سنة وكان قد نسي دعاؤه وهو بعيد قال استيناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف
والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه
مصدر وتشبيهى لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد
السابق لا الى قول اخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
وقوله تعالى هو على هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول
كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اى مثل ذلك الوعد الخارق للعادة
وعدت هو على خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو على هين فالجملة ح حال من
ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهى مؤكدة ومقررة لما قبلها
ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء بالتربية المهابة وادخال الروعة
كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكانا انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره
ع تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه ع من ايجاده من
العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع
اساس استبعاده ع لحصول الموعود ويورثه ع الاطمينان بانجازه لا محالة ثم النعت من
ضمير الغايب العايد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو
القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له ع خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره
قوله تعالى هو على هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اى قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو
واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية
معطوفة على الجملة الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال
بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى المتكلم
كالذي مر انفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا ع اى قال تعالى قلت تصديقا فيما حكاه من حاله
المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله ربك الخ استيناف مسوق لازالة الاستبعاد
بعد تقريره اى قال تعالى هو مع بعده في نفسه على هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى
على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لما ان تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان

المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض
لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى ادم عم وهو المخلوق من
العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك او ادم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة
الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عم لتاكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه
على كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عم من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة
على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
اثارها على الكل فكان ابداعه عم على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقهم
على هذا النمط السارى الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو
المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم
زكريا اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور
اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام
الامتنان حقه فكانه قيل ولقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق ادم ولم تك اذ ذاك شيئا
اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي لم يك شيئا معتدا به فيأباه
المقام ويرده نظم الكلام قال رب اجعل لي اية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم
يكن هذا السؤال منه عم لتاكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة
وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي
لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره
الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة ال عمران الى ان هذا السؤال ينبغي
ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روى ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام
بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عم كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا
زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عم وهي بنت عشر سنين او بنت عشرة سنة واجعل ابداعي
واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
او بمحذوف وقع حالا من اية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين
اولهما اية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون اية مبتداء عند انحلال الجملة الى مبتداء وخبر
سوى تقديم الظرف ولا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال ايتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر
على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة
ال عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي
تمنع الكلام تنطق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على

قومه

قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب
فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله
تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية
والمعنى اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما
صلوة الفجر وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر
قومه بذلك يا يحيى استيناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي
قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة اي بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا
قال ابن عباس رض الحكم النبوة استنباه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم
التورية والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا
من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق من متعلق بمحذوف وقع صفة له
مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي واتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة
من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اي طهارة من الذنوب او
تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا
عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان
بما ينال به بني ادم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيامة وعذاب
النار واذكر في الكتاب كلام مستانف خوطب به النبي صلعم وامر بذكر قصة مريم اثر قصة
زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القران اذ هي التي
صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر
للناس مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك
المضاف لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده
بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد
بها نبأها فان الظرف مشتمل على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال
لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما في ضمنه
من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو
السر في تاخيره اي تاخير مكانا عن الجار والمجرور عنه اي اعتزلت وانفردت واتت
مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرفة
للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكا

صدقة

موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي
في مغتسلها اتاها الملك عم في صورة آدمي شاب امرد وضئ الوجه جعد الشعر وذلك قوله
تعالى فارسلنا اليها روحنا اى جبريل عم عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه
سببا لما فيه روح العباد الذى هو عدة المقربين في قوله تعالى واما ان كان من المقربين فروح
وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا
او قيل تمثل في صورة تربها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه
وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدى لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع
مفاوضته واما قيل من ان ذلك لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان
آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت انى اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل
بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة
نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال اللائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع
والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب
آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقى الله تعالى وتبالى
بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اى فانى عائذة به او فتتعظ
بتعوذى او فلا تتعرض لى قال انما انا رسول ربك يريد عم انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت
من الشر وانما انا رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما اى لاكون سببا في
هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة
الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرنى ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من
الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام
كما وصفت ولم يمسسنى بشر اى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان
تنزهها من مبادى الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسنى داخل معه في حكم الحالية مفصح
عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول
بمعنى الفاعل اصلها بغوى فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى
فعيل بمعنى الفاعل ولو قيل بغو كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب
كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الرجال للتجوز بها قال اى الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها
كذلك اى الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر له اى قال ربك
الذى ارسلنى اليك هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا
على هين وان كان مستحيلا عادة لما انى لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى

ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون
به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اى لنبين به عظم قدرتنا و
لنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة
عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا
كما قد تعلق به قضاؤنا الازلى او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا
مقضيا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عم في درعها فدخلت النفخة في
جوفها قيل انه عم رفع درعها فنفخ في جيبه فدخلت وقيل نفخ من بعد فوصل الريح اليها فحملت
في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته
وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت
وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية
اى فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب
بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اى فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى
في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحركت الولد في بطنها للخروج
الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم
يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها
ويطعمها الرطب الذى هو خرسها النفساء الموافقة لها قالت يا ليتنى مت بكسر الميم من مات
يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اى هذا الوقت الذى لقيت فيه ما لقيته
وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عم من الوعد الكريم استحياء من الناس
وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين
عند اشتداد الامر عليهم كما روى عن عمر رضه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ولم
اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اى شيئا تافها شانه ان
ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر
اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمى به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا
من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا منسيا لا يخطر
ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اى جبريل
عم من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اى من مكان اسفل منها تحت الاكمة
وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عم وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزنى

اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك
تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته بالامساك
امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل
عم ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عم وقيل كان
هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة
لا راس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك راسا
وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر
من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا نبيا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام والتنوين
للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة
تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اي الى
جهتك والباء في قوله عز وجل بجذع النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى قال
الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ بالخطام او للالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز
بجذعها او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي هزي
اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب
تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التائين وتساقط
بطرح الثانية ويساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط
من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراآت
الثلث الاول مفعول وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع
قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا
وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي ذلك الرطب وماء السري او من الرطب
وعصيره وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك
عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية و
والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك
وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما
يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة
الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر
احدا اي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخي بين الهمزة
والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا و

وقد قرئ

وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا
اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها
بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق
وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة
السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عم فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت به قومها
اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا
مؤنبة لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا فريا اي عظيما بديعا منكرا من فرى الجلد
قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب يا اخت هرون استئناف
لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ عنوا به هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان
معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح
او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان
ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان
الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى عم ان كلموه
والظاهر انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه
دلالة على ان المامور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به
قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا
يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده
وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة
وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان بعد
ذلك فقيل قال عيسى عم اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اثر ذي اثير
تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام
وعن السدي رض لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي
انه عم كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره
واشار بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان
آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ
الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع
لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنباه طفلا اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني
بالصلوة اي امرني بها امرا موكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذائل

مادمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه
مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله
تعالى لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على
ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس
السلام لنفسه تعريض بضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض
بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من
معنى البعد للدلالة على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله
منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على
الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على
انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله و
قرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي
يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب
ما كان لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه
له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان
شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا
شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله
ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عم قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت
القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي لانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه
كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اي الذي
ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب
لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ
للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عم مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى
ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى
فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد
الى السماء تعالى الله من ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل
للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم

من مشهد

من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من
وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد
عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وسائر
ارابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا
في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه
اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد
ان كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم
ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع
وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته
حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك
ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى
اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال
حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل
الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح و
اهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف
باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم
في الاخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال
مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول
انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة بمعنى التعليل انا نحن نرث
الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها
بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى غيرنا
استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القران
ابرهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابرهيم فانهم
ينتمون اليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما
للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله
تعالى واياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام
بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر اخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى
من النبيين والصديقين الاية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب

ترتيب

المنادي صح

للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من
ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان
المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اى كان جامعا بين الامرين حين قال
لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اى يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك
لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك
له وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من
المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني اى لا يقدر على ان
يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم
سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد و
لا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم
وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا
لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على
ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا
سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف
العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة
القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر
ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر
السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق و
ان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله
برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اى مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا
عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل
احد ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما
انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي
يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي
وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع
للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار
لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته
لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحما
نية

لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء
عاقبة ما كان فيه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة
من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك
الكريم فتكون للشيطان وليا اى قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عند ما سمع منه عليه
السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم
اى معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة
عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد
وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اى والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها
لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اى فاحذرني واتركني مليا اى زمانا طويلا او مليا
بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة
السيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن ساستغفر لك
ربي اى استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله
تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت
على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له
عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع
الا يرى الى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى
ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم
عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان قبل انقطاع
رجائه عن ايمانه لعدم تبين انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة و
استثناؤه عما يؤتسى في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن
لا لان ربك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شأن
الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي
اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود
الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب
استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لا يستدعي وقد انقطع ذلك ورود الاستثناء وذلك مما لا
يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه

الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت
هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على
نهج التاكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه
في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اى بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم
اى اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر
فيكم نصايحي وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء
ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده
السياق والسياق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اى خائبا ضايع السعي وفيه تعريض
بشقائهم في عبادة الهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب
والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب
وذلك الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم الموهوب الكفرة لكن لا عقيب
المهاجرة فان المشهور ان الموهوب في اسمعيل عم لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله
رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي
اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد
واحفاد اولو شان خطير وذو واعداد كثير هذا وقد روى انه عم لما قصد الشام اتى
اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب
الاظهر وكلا اى كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم
عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اى كل واحد منهم جعلنا
نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم انبياء
للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل
هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله
واجعل لي لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان
العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم
وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في
الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل عم لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام
انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى و
واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله

الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور
الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اى ناديناه من ناحيته اليمنى من
اليمين وهي التي تلي يمين موسى عم او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام
من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب وتشريف مثل حاله عم بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه
لمصاحبته ونجيا اى مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما روى انه
رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اى من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض
رحمتنا اخاه اى معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي
لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون
عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز
كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عم
بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله صابر
فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد
ابرهيم عليهم السلام كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان
يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر
اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل
اهله امته فان الانبياء عليهم السلام اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة
التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي
نوح فانه نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام اشتقاقه من الدرس
يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته
روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان
صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر اخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق
نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر
الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة
روى عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عم انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس
فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة
عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها
ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف
عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى فرفعه الى السماء
اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم

وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اى انعم عليهم بانواع
النعم الدينية والدنيوية مما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى
من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم
اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا
وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا
ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اى ومن
جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن
خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوقا
لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب
وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اى ساجدين
باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك
كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت
الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية
لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته
بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك
الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين
لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب
الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة
وقرئ الصلوات اى تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال
نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد و
ركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اى شرا فان كل شر عند العرب غي
وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن
الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في حق
الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا اى فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة
بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اى لا ينقصون

من جزاء اعمالهم شيئا او ولا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم و
ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي
وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر
وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس
فجرى لك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه
بلا وصف وعند غير البصريين وصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف
الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان
الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر
هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب
اى غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب
للوعد اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات
الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل مأتيا اى يأتيه من وعد له لا محالة
بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اى مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اى فعله
لا يسمعون فيها لغوا اى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها
وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع
اى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق
بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما بحيث استلزم كون السلام لغوا استحال سماعهم له
بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه
الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم
ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة
وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها
التي نورث اى نورثها من عبادنا من كان تقيا اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما
نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من
الالفاظ من حيث انها لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من
الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله عليهما السلام لما سئل
عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ

عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه
وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة والضحى والتنزل النزول
على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل
وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل
من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي
تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك
وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا
الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر
الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه
وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا
لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان
لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان
يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء
في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه
تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال
العاملين والمعنى حين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى
لذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفته انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا
من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك
ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والاخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله
تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سميا السمي هو
الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو
رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه
وآكده فالجملة تقرير لما افادة الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب
تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك وانتفاء ما يقتضي اشتراك الغير به تعالى في الجملة حقا او باطلا
وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم
بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق والمعنى هل تعلم

شيئا يسمى باستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة
حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان
ءاذا ما مت اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقل الجميع كما
يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن
خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي
اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض
او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت
الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد
مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به
التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما
جرى عليه من شؤن التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس
او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل
عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي
حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك
الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد
مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكر وقرئ
يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسامه باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام
لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين
بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على
ابلغ وجه وآكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال
والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم
لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا
ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا
لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم
والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثو كقعود فاستثقل اجتماعهما بعد
ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت

واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى
وكسرت الجيم اتباعا لها لما بعدها وقرى بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اى
لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق
به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد
بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون الى شاطئ جهنم جثاة بهم او لعجزهم عن القيام لما
اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اى من كل امة شاعت دينا من الاديان
ايهم اشد على الرحمن عتيا اى من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد
تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة
فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم فى النار
على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان
حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا
حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرى منصوبا
ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية والتقدير
لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز
اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن
بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان
سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله تعالى ثم
لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون
ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم
واضلالهم والصلى كالقبى صيغة واعلالا وقرى بضم الصاد وان منكم التفات لاظهار
مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد
الاول انه قرئ وان منهم اى ما منكم ايها الانسان الا واردها اى واصلها وحاضر دونها
يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال
اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اى ورودهم اياها على ربك حتما
مقضيا اى امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة
وقيل اقسم عليه ثم ننجى الذين اتقوا الكفر والمعاصى مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب

على الوجه

على الوجه سلف فيساقون الى الجنة وقرى ننجى بالتخفيف وينجى وينجى على البناء للمفعول
وقرئ ثمة ننجى بفتح الثاء اى هنالك ننجيهم ونذر الظالمين بالكفر والمعاصى فيها جثيا منهارا
بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون
الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية الى
اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اى
واذا تتلى على المشركين اياتنا التى من جملتها ما تلى من الايات الناطقة بحسن حال المؤمنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اى مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها او ببيان
الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من اياتنا قال الذين كفروا
اى قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له
او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث واتباعه
الفجرة واللام فى قوله تعالى للذين امنوا للتبليغ كما فى مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل
لام الاجل كما فى قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى
قالوا لاجلهم وفى حقهم والاول هو الاول لان قولهم ليس فى حق المؤمنين فقط كما ينطق به
قوله تعالى اى الفريقين اى المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا خير نحن او انتم مقاما
اى مكانا وقرى بضم الميم اى موضع اقامة ومنزل واحسن نديا اى مجلسا ومجتمعا
يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين
الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم
منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على
الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم
العاجل وما هذا القياس العقيم والرأى السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثا ورئيا اى كثيرا من القرون التى كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد
وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما اتيناهم
لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء
ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم
يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا فى حيز النصب
على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثى ما ليس منه
ورثا والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرى ريا على قلب الهمزة
ياء وادغامها او على انه من الرى وهو النعمة والترفه وقرى رئيا على قلب وريا بحذف

الهمزة وزيا بالزاء المعجمة من الزى وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون
الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هولاء المفتخرين عالهم من
الحظوظ ببيان مال امر الفريقين اما على وجه كلى متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات
الفانية المبتهجين بها على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم
بالتمكن لذمتهم والاشعار بعلة الحكم اى من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل و
الغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اى يمدله ويمهله بطول العمر واعطاء
المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي
ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد
الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا
للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان
المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية للمد الممتد
لا للقول المفسر كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار
بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل
للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوى بغلبة المسلمين واستيلائهم
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما نالهم فيه من الخزى والنكال على
طريقة منع الخلو دون الجمع فان العذاب الاخروى لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون
جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اذا بينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوى والاخروى
فقط فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما
كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اى فئة وانصار
الا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم
اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل ويزيد
الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال
الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة
يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس

لفضله

لفضله عقيب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد
ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقديرى الاستيناف
والعطف كلام مستانف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل
في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اى الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها
ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
لتشريفه صلى الله عليه وسلم ثوابا اى عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التي يفتخرون بها لا سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير
اليه بقوله تعالى وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية و
تاكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم
افرايت الذي كفر باياتنا اى باياتنا التي من جملتها ايات البعث نزلت في العاص بن
وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به
حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي مال وولد فاعطيك وفي رواية
قال لا اكفر حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت
وابعث فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والايذان بانها من
الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين الم تر وارايت بعد
بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى
من صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارايت مثل الذي
صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه
ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى انظرت فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال
مستهزئا بها مصدرا الكلام باليمين الفاجرة والله لاوتين في الاخرة مالا وولدا اى نظرت اليه
فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد
قيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب
حديث اولئك الذين قالوا اى الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور
استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه
من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه
لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها
اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اى اقد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى

السائر به العليم الخبير حتى ادعى ان يوتى في الاخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا
بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار
بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب
عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كان كذلك
وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطابه سنكتب ما يقول اى
سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اى يتبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم
منه انتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول
لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشئ الخفى
منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون
استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد باحداثها ومدار الثانى
تسمية الشئ باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب
مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اى نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد
عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك
اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اى مسمى ما يقول ومصداقه
وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى
ما ذكر اى ننزع عنه ما اتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا
فضلا ان يوتى ثمة زائدا وقيل نزوى عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه
معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول
ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير
بان ذلك مبنى على ان صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه
به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قاله بطريق
الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالمحال واتخذوا من دون الله الهة حكاية لجناية
عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها
لنقيض مضمونها اى اتخذوا الاصنام الهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اى
ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك
الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اى
ستجحد الالهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة
حين شاهدوا سوء عاقبة كفر عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين
ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول تكون الالهة التى كانوا يرجون ان تكون

ثم

لهم عزا ضدا للعز اى ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم والة لعذابهم حيث تجعل وقود
النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على
العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثانى يكون الكفرة
ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد
الضد لوحدة المعنى الذى عليه يدور مضارتهم فانهم بذلك كشئ واحد كما فى قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرى كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف
نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله اقلى اللوم عاذل والعتابن وقولى ان اصبت
لقد اصابن او على معنى كل هذا الراى كلا وقرى كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى
سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما نطقت به الايات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء
الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادى
فى الغى والانهماك فى الضلال والافراط فى العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه
بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا
ما فى الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم
واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق
الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من اثار اغواء الشياطين كما ينبئ
عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع
جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم
اى تغريهم وتهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات
فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم بان يهلكوا
حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم والفاء
للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهى عنه محوجة الى النهى كما فى قوله تعالى ان
هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل
لموجب النهى ببيان اقتراب هلاكهم اى لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام
وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف
للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة
والدواهى العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اى نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذى
يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم

يهم

النامهم وتسوق المجرمين كما قاق البهايم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد
الماء لايورده الا العطش اوكالدوات التى ترد الماء تفعل بالفريقين من الافعال
ما لايفى ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به صلى
النبى صلى الله وسلم اى اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل
على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذى يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه
جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض
ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين
لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام و
الشفاعة على الاولين مصدر من المبنى للفاعل وعلى الثالث ينبغى ان يكون مصدرا من
المبنى للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا
يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد
ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلى بالايمان والتقوى او من امر بذلك من
قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس فى تحصيل الايمان
والتقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة وعلى الثانى استثناء من الشفاعة على حذف
المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون
الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا فى الاسلام وعلى الثالث
استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى
لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على
القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات
المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل نهاية
الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر
اثقلنى وعظم على اى فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان
فى معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات الخ صفة لادا او استيناف
ببيان عظم شانه فى الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة
بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل
وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اى وتكاد تنشق
الارض وتخر الجبال اى تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال

من الجبال اى تهد هدا او مصدر من المبنى للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر
لانه بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول
منصوب على الحالية اى مهدودة او مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا
والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة
لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها فى استجلاب
الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على
من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور
باضمارها اى تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا
وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور فى منه كما فى قوله على جود
بالماء حاتم وقيل خبر مبتدا محذوف اى الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل
هدا اى هدها ان دعوا والولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى الى
مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى
مطاوعه ادعى الى فلان اى انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا
حال من فاعل قالوا او دعوا مقرر لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اى
قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد
ولا ينطلب له لو طلب مثلا لاستحالته فى نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار
بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يليق ان يجانس من هو
مبداء النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذ ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا
ان كل من فى السموات والارض اى ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا اتى الرحمن
عبدا الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل
لقد احصاهم اى حصرهم او احاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة
قدرته وملكوته وعدهم عدا اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شئ عنده بمقدار
وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اى كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار
وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس فى صيغة المضارع لو
قيل يأتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبايح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن
احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير
تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية

لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول
لجبريل عم احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل عم ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب
فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية
وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين رجاء اسلام او لان
الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من
الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من
الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتلاعن فانما يسرناه
اي القران بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى
الانزال اي يسرنا القران منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم
كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك
العربي المبين لتبشر به المتقين اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر
والنهي وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد
الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي
قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استيناف
مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اي صوتا
خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال
المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا
يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي
عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وساير انبياء المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم طه

فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو
وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي تصدر بها السورة
الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند
سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند

الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصر
فوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر
ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص في
ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طاها بصيغة
الامر من الوطئ فقلبت الهمزة في يطاء الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك
المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض
بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما
على صورة الحرف كما يأباه التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ
بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله طاء فقلبت همزته هاء
كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطاء الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت
واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين
فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطري
الكلمتين وعبر عنهما باسميهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لا
سميهما ليعبر عنهما بل من حيث انهما جزءان لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكر
هما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين
الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزءان للاسمين ويراد باسميهما
الشطران من حيث هما قايمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري
الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما
من حيث هما قايمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين يعني
طا على تقدير كونه امرا وكونه حرف نداء وها على تقدير كونها كناية الارض وكونها
حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما فيبرم البطلان كيف وطا وها
على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف
نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره
من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على
نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب
وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فانه استيناف سيق
لتسلية صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء
شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب
بالمبالغة في مكابدة الشدايد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف

على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على اثارهم الاية بل [illegible]
للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما
كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل
حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليهما السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلنا
عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدايد الفادحة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك تشقى حيث تركت دين ابائك وان القران نزل عليك
لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به
الاستثناء الاتي هذا واما اسم للقران محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقران
ظاهرا ادفع موقع العايد الى المبتدأ كانه قيل القران ما انزلناه عليك لتشقى او النصب
على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان
ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يبتنى على ذلك التقدير لكن
لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان القران صادق على السورة
لا محالة اما بطريق الاتحاد بارادة القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج
ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا
على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة
كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من
قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتيب الشقاء السابق عليه حتى
يتصدى لنفيه منه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان حاله ان يقال
هذه السورة ما انزلنا القران المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه
لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى
الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى
ما انزلنا عليك القران لتتعب بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك للتاديب
الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية
حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا زجرا لغيرك
فان التاديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتاذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد
عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة
المجامع للتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما
يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا تكثيرا لثوابك فان الاجر بقدر التعب

ولا من

ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة
بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد
نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك
القران لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها
فعل الفاعل الفعل المعلل اى لمن شانه ان يخشى الله عز وعلا ويتاثر بالانذار لرقة
قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة
والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستانف مقرر
لما قبله اى نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلنا
للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص
وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اى يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت
خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظايرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد
يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظاير كما في قوله تعالى يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه
مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل
واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القران ولا مساغ له الا بان يكون
قيدا لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل
على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى
متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبة
الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد
خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الاية
لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس اظهر عنده
ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه
من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى سوق لتعظيم شان
المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة
المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية
المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن وقد عرفت
في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم

يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته
وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف
منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية
السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى
ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن
او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش
استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون معلوم الثبوت
للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار به صريحا
وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول
خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء
على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على
السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير
اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما
بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير
اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة
وايجادا واعداما وما تحت الثرى اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في
الارض لزيادة التقرير روي محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي
ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة
علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي
وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما
اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان
تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتي وتنكيره
للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل
لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره
وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدأ محذوف
والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود

بالحق

بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو
تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى
من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء
بينا وقوله تعالى له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية و
العالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي
صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر
والحسنى تأنيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى
وآياتنا الكبرى وهل اتاك حديث موسى استئناف لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى
مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى
عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما
الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم
في الايتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في
تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق
وقوله تعالى اذ رأى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى نارا كان كيت
وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عليه السلام
استأذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق
مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له
ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة قد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو كذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من
جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه
فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا
يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ
الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم اني آنست نارا
اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة
تعليل للامر والمأمور به لعلي آتيكم منها اي جيئكم من النار بقبس اي بشعلة مقتبسة
من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس او اجد على
النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف
اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى
ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها

سائل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة
القصص حيث قال لعلي قبل اتيكم منها بخبر او جذوة لاية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون
منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب
منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما
مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي آملة بفعل قد حذف ثقة بما يدل
عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما حال
من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الاية وقد
قدمنا تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اي النار التي انسها قال ابن عباس رض رأى شجرة
خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف
متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة
تغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف
يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف
لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع له
نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور
بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار جهنم والجحيم روي
ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى اي نودي فقيل يا
موسى اني انا ربك او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي
باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي
يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات
بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من
آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا
روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير
اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في
التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين
وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ
وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته
تعالى عليه والسلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالوادي المقدس

تعليل

تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة
وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء غير منون
وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل
هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى
وانا اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء
في قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر او المأمور به على ما قبلها فان اختياره مما ذكر من مو
جبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية
اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب
التنازع واعمال الاول فلا بد من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى انني انا الله
لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط
والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به
سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلوة خصت الصلوة
بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة بفضلها وانافتها على سائر العبادات
بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري
اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها
لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء
وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري
اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت
الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها لان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري وقرئ لذكرى بالف التأنيث
وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى ان الساعة آتية تعليل لوجوب
العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها
بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها بان اقول انها
آتية ولولا ان في اخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقا
عها من اخفاه اذا اظهره بسبب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره
وقيل اخفاه من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى
متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى
بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها
مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا

في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من ايتائها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن فقط قد علق بالاخيرين لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عم وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقدم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عم عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم الخ فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عم كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عم كما في قوله لا ارينك ههنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اي ما يهواه بنفسه من اللذات الحسنة الفانية فتردى اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع

في حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عم وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع واهش بها اي اخبط بها الورق واسقط على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عم كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من السؤال العليم الخبير قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال القها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استيناف كما سبق خذها ولا تخف عن

ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما راه كذلك
خاف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي علة
النهي على الامر اشعار بان عدم المنتهي عنه مقصود ولذاته لا لتحقيق المأمور به فقط و
قوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر
والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة با
ظهار معجزة اخرى على يده عم وايذان بكونها مسخرة له عم ليكون على طمانينة من امره ولا يعتريه
شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة
العصوية قيل بلغ عم عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ
بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى
سيرتها او على ان اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في
طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت قبل
تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى
جناحك امر عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها
تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران قوله تعالى تخرج
جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف
هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة
عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده
من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر آية اخرى اي معجزة اخرى
غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من
الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ و
دونك قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه
قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى صفة لآياتنا
او نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا
متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وايا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا
واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تعالى
تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية العصا عن
وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصد من تمهيد المقدمات
السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رايته من الآيات

الكبرى

الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور
اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف
مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عم حين امر بهذا الامر الخطير والخطب
العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر بما امر به
من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
وساله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما
حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها
بصدر فسيح وجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها
واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام
الكلام بدونها تاكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا
وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء
حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عم رتة من
جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها لما كان
فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرا ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت
عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك
ومن لم يقل به احتج بقوله عليه السلام هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن
الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها
بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا قولي جواب الامر
غرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل
على بقائها في الجملة اما قوله عليه السلام هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء
الحل كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا تستدعي بقاءها اصلا بل تستدعي
عدم البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك
مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان
والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها
بعضا من الكثير ومتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني محذوف هو صفة لها ليس متعلق
به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما
يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من

اصلح هرون اخى اى موازرًا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر
الذي هو الثقل او ملجأً اعتصم برائه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازيرا
من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في
موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تع هرون اعتناء
بشان الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة
له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون
عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هرون
او عطف بيان اخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تع ولم يكن له كفوا
احد ورد بان الاسمية المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية و
لا مساغ لجعل وزير مبتدا والخبر عنه ما بعده اشدد به ازري واشركه في امري كلاهما
على صيغة الدعاء اى احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها
كما ينبغي وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة
عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط
بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلثة الاخيرة فان
كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الاخر ومضاعفا له بسبب
انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح
والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد و
الانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى
الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا
منهما يصدر عنه بتاييد الاخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد
وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اى ننزهك عما
لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله
منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات
الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة
فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا و
نحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا
وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة
وبان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة
الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اى اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز

والاكل

والاكل بمعنى المخبوز والماكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تع بوقوع تلك المطالب
وحصولها له عم البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عم وان كان وقوع بعضها
بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر باعتباره قيل سنشد عضدك باخيك
وقوله تع يا موسى تشريف له عم بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء
وقوله تع ولقد مننا عليك كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين
نفس موسى عم بالقبول ببيان انه تع حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من
غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى
واحرى وتصويره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اى بالله لقد انعمنا مرة
اخرى اى في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تانيث
اخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة
من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ماله
افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الا
شياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها
ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سياتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة
وقوله تع اذ اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء
على لسان نبي في وقتها لقوله تع واذ اوحيت الى الحواريين الاية واما
الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله
تع واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر
بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون
اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام
به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشانه
في ان يكون مما لا يعلم بالالهام او بالاراءة في المنام وان في قوله تع ان اقذفيه في التا
بوت مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اى بان اقذفيه
ومعنى القذف ههنا الوضع واما في قوله تع فاقذفيه في اليم فالالقاء وهذا
التفصيل هو المراد بقوله تع فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق
الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج
الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان
كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له

في ذلك بأخذه عدو لي وعدو له جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر
والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما
هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر
بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار المتوقع وليس
المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري
ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته و
القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأتى به الى بركة في
البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا
هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه و
ذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة
لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها
في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل
هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله
تع ولتصنع على عيني متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك
ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء
المحبة والجملة مبتداء اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر
بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخا لف
به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى
بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو و
هو المصداق لقوله تع ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها
على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع
متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله فنجيناك من الغم فان جميع ذلك
من المنن الالهية والحق ان لا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت
كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها
ظهر يوم فتح التابوت فتقول اي لفرعون وآسية حين رأياه يطلبان له مرضعة
يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم
على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها يروى انه
فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا
الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا

ما قالو

ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في قوله تع فرجعناك الى امك فصيحة معربة
عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك
فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك
بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية
متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هي نفس القبطي
الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا من عقاب الله تع
بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء عنه بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي
ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء
كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من
الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان
ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك من محنة بعد
محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم
فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في
ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه
النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع
قبل وصوله عم الى مدين بقضية الفاء في قوله تع فلبثت سنين في اهل مدين اذ
لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر
لبثه عم فيهم دون وصوله عم اليهم الى جميع ما قاساه عم في تضاعيف تلك السنين
العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة
شعيب عم على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي المكان الذي اونس فيه النار
ووقع فيه النداء والجؤار وفي كلمة التراخي ايذان بانه عليه السلام جاء بعد
اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك
على قدر اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك
فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من
الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة وقوله تع
يا موسى تشريف له عم وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي
وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تع واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله
تع وانا اخترتك وتمهيد لارساله عم الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه
بعد تذكير المنن التابعة والسابقة تأكيدا لوثوقه عم بحصول نظائرها اللاحقة

وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه
واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة
الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيد لافراد لفظ النفس اللائق
بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي
وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت
استيناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع باياتي اي بمعجزاتي التي اريتكهما من
اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما ايات شتى كما في قوله تعالى فيه
ايات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا اية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر
قدره اية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه اية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له
بحيث كان يدخل يده في فيه فلا يضره اية اخرى ثم انقلابها عصا اية اخرى وكذلك
اليد فان بياضها في نفسه اية وشعاعها اية ثم رجوعها الى حالتها الاولى اية اخرى
والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالايات متمسكين
بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها او ايصالها اليه
ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اي بما يليق
بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي
وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها
واعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتاييد واعلما ان امرا من
الامور لا يتاتى ولا يتمشى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة
هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون
وهو بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله انه طغى تعليل لموجب
الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان
تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي
الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا
انا رسولا ربك الايتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح
وملكا لا ينزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب
فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي
فقولا له لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر

مباشرة

مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد
باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة
قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا
باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما ياتي ويذر ويجوز ان يكون هرون
قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الاية كما في قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع
ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في
الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب اننا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس
فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل
من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى
اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراته وقساوته والاطلاق
من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر
والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبني على السوال الناشئ
من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من
ساق الى مساق اخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى
عليه السلام بخلاف ما سياتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد
بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما
اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب
النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله
اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق
بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني
حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها
فاتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار
وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امرا بذلك
تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض
لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على
ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم
من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام

كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا
تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار
وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون
نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء باية دالة
على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم
معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة
عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الاية نوع طول كما ترى فتاخير
ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان
تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك باية من ربك
تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان
مجيئهما بالاية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما
واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من
التقرير والتعليل وتوحيد الاية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها
لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشيء
مبين واما قوله تعالى فات باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية
من الايات والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم
من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق ايات الله تعالى الهادية الى الحق و
فيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى انا قد اوحي الينا من جهة ربنا
ان العذاب الدنيوي والاخروي على من كذب اي باياته تعالى اي اعرض عن قبولها
وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال
اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما
كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور
بحيث لا حاجة الى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق
حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك باية من ربك لغاية
عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسل اولانهما
قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار
ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال
على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي
ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عم مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة

ولو تولى صح

قصار

وهرون

103

وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عم رتة فاراد
ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك
الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر قال
اي موسى عم مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره
او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم
انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه
كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء
خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى
مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به
او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير
بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه
على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول
الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه
او للاختصار مع كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج
اليه ثم هدى اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى
بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية
النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام
متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام
وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عم جوابه على نمط رائق واسلوب لائق
حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها
بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد
ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات
الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عم في سلك
الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عم
وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عم عن سننه الى ما لا يعنيه من
الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى
يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما
حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب
عم بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله

عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من
من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه
انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الا
مور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة
لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما
نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله
ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم
وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب
عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته
في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار
للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم
الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع
حيث كشف من حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى
ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات الذي
جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ
محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول
وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا
لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال
والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها
ومرافقها وانزل من السماء ماء هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو
عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه
من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم
الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق
السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا
ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى
فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت
فيه الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها
واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات

وكذا

وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر
يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح
للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق
عباده لما كان تحصلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم
وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة
آذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى لآيات للتفخيم كما
وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله
وعلى نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولي النهى جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن
اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي
العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبل منه الفئة الباغية
وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم
اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام
اذ لم يكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة
سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها
خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من
الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ليأخذ من تربة المكان الذي يدفن
فيه المولود فيبذرها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة
وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها
نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد
الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج
لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو
الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة ولقد اريناه
حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام من الدلائل القاطعة
الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها
واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل
امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد
والله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا حين قال لموسى عليه السلام ان كنت

جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع
يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع
الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت
واخوك باياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روي
انه عم لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس
مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك
بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما
شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا
نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه
النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الايتين ايات جمة لكنها لما كانت غير
مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه اياتنا بجميع مستتبعاتهما
وتفاصيلهما قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الايات
التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو
من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترتب
بعدوا بعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق
البحر وما ظهر بعد مهلكه من الايات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء
اريد به الحجر الذي فر بثوبه او الذي انفجرت منه العيون واكذا ان يعد منها
الايات الظاهرة على الانبياء عم بناء على ان حكايته عم اياها لفرعون في حكم اظهارها
بين يديه وارائته اياها لاستحالة الكذب عليه عم فان حكايته عم اياها لفرعون
مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سياتي من حمل ما اظهره عم على السحر والتصدي للمعارضة
بالمثل يابا ذلك اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز حمل ما
فصل عم من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة الايات
فكذب موسى عم من غير تردد وتاخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة
بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب
بالايات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال

على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت
علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه
من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عم بابراز ان مراده
عم ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة
اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة
وسمى ما اظهره عم من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه
بمثل ما اتى به عم فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها و
اللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل
سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى
لا نخلفه فانه المناسب لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت
وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب
وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب
الات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط
كلمة النفي بينهما للايذان بمسارعته الى عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عم ولذلك اكد
النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف
او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب
في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل
على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان
يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر
في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوي مسافته الينا واليك و
هو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة
يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما خصه عم
بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك
اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم
مشهود على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر
الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب
فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اي
انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي
الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه

وعدم

بعد ما رئي ونعلم وقوله تعالى قال لهم موسى الخ بطريق الاستيناف المبني على
السؤال يقضي بان المترقب من احواله عم والمحتاج الى السوال والبيان ليس
الا ما صدر عنه عم من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غني عن التصريح به كانه قيل
فماذا صنع موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم
بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي
سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستاصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره
وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد و
وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء
المنهي عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عم كان
ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم من مغالبته عم وتشاوروا وتناظروا
بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي
من موسى عم لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق
التناجي والاسرار ان هذان لساحران الى اخره فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم
وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان
قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام
بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على
لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتداء
وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتداء وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين
لساحران وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء
عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان
عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل
طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عم ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب
علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا
فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها
مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة

منهم

منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا يذان بكون الانذار والتحذير بانه
المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم
امنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم
قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم
تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما
ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا
عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من
الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم
ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب
الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه
اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من
اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية
وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا
متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر اخر منه
ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه
في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود
واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله
تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين
اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر
والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم
جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم
على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل
كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك
ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه
وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه وحمله قولهم
ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا
عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت اراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة
للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن
الاختلاف وامرهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف

تحمل لجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف مبني على سؤال
ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا
فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق
الاصطفاق اشعارا بظهورامرهما وغناهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه
اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة
اللازم واما ان نكون اول من القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عم
بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عم ما راوا من مخائل الخير ورزانة الراي واظهارا
للجلادة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما
القاؤك او القاؤنا قال استيناف كما سلف ناشئ عن حكاية تخيير السحرة اياه عم
كانه قيل فماذا قال عم فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن من
ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة
لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا
قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن ما عنهم
الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا
فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها
وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية
والمعنى فالقوا ففاجا موسى عم وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم
من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرى تخيل بالتاء على اسناده الى
ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرى يخيل باسناده
اليه تعالى وقرى تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة
موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة
على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل
من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتاخير
الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى
تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه

والكد

والكد كما يعرب عنه الاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر
ولفظ العلو المنبي عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي
عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها و
ايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة بل
خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة و
عدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع اخر لا يستدعي عدم مراعاتها
عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم و
عصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها ياباه ظهور حالها فيما مر مرتين على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو
فعلت العصي ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى
تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث
لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل
اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير
وقرى تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرى بالرفع
على الحال او الاستيناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل
موجبه ببيان كيفية غلبته عم وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس
في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عم لم يكن
مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عم والا لعلل بما يزيله من الوعد
بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عم وقوله تعالى ان ما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف
ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه
كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى
تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرى بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرى
كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية
الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر ان هذا الجنس حيث اتى
اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها
معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله
تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوفين ينساق
اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عم في الامتثال
بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع

من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي
آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات
تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال
الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عم على صحة رسالته
لاجرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل
لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا
سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول
عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة امنا برب هرون وموسى تاخير موسى
عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا
هكذا اما لكبر سن هرون عم واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من
جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عم في صغره فلو قدموا
موسى عم لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال
اى فرعون للسحرة آمنتم له اى لموسى عم واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع
وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اى من غير ان آذن لكم
في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم
في ذلك واقع بعد او متوقع انه يعني موسى عم لكبيركم اى في فنكم واعلمكم
به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون
شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان
منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عم
فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء
الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فان المبتدأ من المعروض مبتدأ
من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اى لاقطعنها
مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقق اى القطع الامر وايقاعه لا محالة
بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لانها افظع من غيرها ولاصلبنكم في
جذوع النخل اى عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا
تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قيل

هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف ولتعلمن
اينا يريد به نفسه وموسى عم لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان
في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عم والهزء به لانه لم يكن من
التعذيب في شيء واما لاراءة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان
عن خوف من قبل موسى عم حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم
ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي امنوا به بقولهم امنا برب هرون وموسى اشد
عذابا وابقى اى ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان
والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عم من البينات من المعجزات الظاهرة
فان ما ظهر بيده عم من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم
كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا اى اوجدنا خلقنا وسائر المخلوقات
وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما في ضمنه اية عقلية نظرية وما شاهدوه آية
حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلية الحكم فان خالقيته
تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى
وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف
الجواب لدلالة المذكور عليه اى وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور
جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ
وقوله تعالى فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اى فاصنع ما انت
صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده
تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اى انما تصنع ما تهواه او تحكم بما
تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا امنا
ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الاخرة
لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى
وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اى ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة
موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المداين القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه
في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب
ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب
المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين
وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر
وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل

فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
وباياه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ائن لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اى فى حد ذاته
وهو ناظر الى قولهم والذى فطرنا وابقى اى جزاء ثوابا كان او عقابا او خير ثوابا و
وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى
جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرها بضمير الشان للتنبيه على فخامة
مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة
التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اى
قوله تعالى من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصى فان له جهنم لا يموت فيها
فينتهى عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا
به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التى من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات
الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا يذكر غالبا مع الموصوف وهى
كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار
معناه كما ان الافراد فى الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب
ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على
عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح فى استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان
المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهذا التشاجر
الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة
او لارض الجنة فقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين
فيها حال من الضمير فى لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة
الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم
جزاء من تزكى اى تطهر من دنس الكفر والمعاصى بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة
وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية
عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد
قيل هذه الآيات الثلث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس فى القرآن ان فرعون
فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت فى الاخبار ولقد اوحينا الى موسى
حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى فى البين ذكر ما جرى

بينهم

عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعد ما غلب السحرة فى نحو من
عشرين سنة حسبما فصل فى الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها
وان فى قوله تعالى ان اسر بعبادى اما مفسرة لان الوحى فيه معنى القول او مصدرية
حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عبادا له تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامر
والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل
بهم من فنون الظلم ما فعل اى وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادى الذين
ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اى سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اى فاجعل
او فاتخذ لهم طريقا فى البحر يبسا اى يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة و
وى يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به
الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من
المامور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف
وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل فى حكمه اى ولا تخشى
الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف
للاطلاق كما فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للمسارعة
الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون
بجنوده اى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اى تبعتهم وذلك اذا
كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم
فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده
اى ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية
ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اى ففعل ما امر به
من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روى
ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك
فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى
الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثنى عشر فرقا كل فرق
كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده
فغشيهم من اليم ما غشيهم اى علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقادر
قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل
والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما
غشاهم اى غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذى و

هم

ما غطاهم صح

وتوريطهم للهلكة وبإبائه الإظهار في قوله تعالى وأضل فرعون قومه أي سلك بهم مسلكاً أدا
هم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي
المتصل بالعذاب الخالد الأخروي وقوله تعالى وما هدى أي ما أرشدهم قط الى طريق
موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لإضلاله وتأكيد له اذ رب مضل
قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما أهديكم الا سبيل
الرشاد فإن نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة
وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الإضلال والهداية على ما يختص بالديني
منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة
عن الإضلال في البحر والإنجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما
خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك
بل بعد ما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما أفاض وقيل هو انشاء
خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم
بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعاً ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما أعجلك الآية
ضرورة استحالة حمله على الإنشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفاً على أوحينا
أي وقلنا يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم
الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيتكم
وأنجيتكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر
للجوار أي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الأيمن نظراً الى السالك من مصر
الى الشام أي اتيان موسى عم للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبت المواعدة اليهم
مع كونها لموسى عم نظراً الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان
حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين
مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عم وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم
المن والسلوى أي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني
فيذبح الرجل منه ما يكفيه كاممراراً كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة ما
ذكر لهم واتماماً للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم أي من لذائذه أو حلالاته
وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الإنجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من
حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه أي فيما رزقناكم بالإخلال
بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي

جواب

جواب للنهي أي فيلزمكم عقوبتي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى أي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء
من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان
فيما ذكر وآمن بما يجب الإيمان به وعمل صالحاً أي عملاً صالحاً مستقيماً عند الشرع والعقل (بتمامه)
وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والإيمان وقوله تعالى ثم اهتدى
أي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي
الرتبي وما أعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عم من الكلام
عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة أي قلنا له أي شيء أعجلك منفرداً عن قومك
وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لإنكار انفراده عنهم لما في ذلك
بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأموراً باستصحابهم
واحضارهم معه لا لإنكار نفس العجلة الصادرة عنه عم لكونها نقيصة منافية للحزم
اللائق بأولي العزم ولذلك أجاب عم بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية
قال هم أولاء على أثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل
بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة أصلاً وبعد ما ذكر
عم ان تقدمه ذلك ليس لأمر منكر ذكر انه لأمر مرضي حيث قال وعجلت
اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك
وزيادة رغبة لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذاب قال استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عم وهو السر في وروده على صيغة
الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين
على صيغة التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه فقيل قال فإنا قد (فتنا قومك)
من بعدك أي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هرون عم وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفاً والفاء
لترتيب الإخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عم بعجلته لكن لا لأن الإخبار
بها سبب موجب للإخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من أحدهما
الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فإنه روي انهم أقاموا بعد ما مضى
به موسى عم عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع أيامها أربعين وقالوا قد أكملنا
العدة وليس من موسى عم عين ولا أثر وأضلهم السامري حيث كان هو المدبر
في الفتنة فقال لهم انما أخلف موسى عم ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام
عليكم فكان من أمر العجل ما كان فإخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه اما باعتبار

تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة ونظائره اولان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند
ذهاب موسى عم وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة
عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اى اشدهم ضلالا لانه
ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة
قيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه
المعهود اى بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة
فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هى باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى
غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع
بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة
كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا
لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء
باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب
وقيل الحزين قال استيناف مبنى على سؤال ناشى من حكاية رجوعه كذلك
كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية
فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده
على ابلغ وجه واكده اى وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى
افطال عليكم العهد اى الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه
فقط اى اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل
اى يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كاين من ربكم اى من مالك
امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدى اى وعدكم اياى بالثبات على ما امرتكم به الى
ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان
اخلافهم الوعد الجارى فيما بينهم وبينه عم من حيث اضافته اليه عم اشنع
منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقى الترديد
على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطاء ام
اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل
اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اى فوجدتم الخلف في موعدى لكم بالعود
بعد الاربعين فمما لا يساعد السباق ولا السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك

مفعوله

اى موعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى
فاعله لما مر انفا بملكنا اى بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول
لنا السامرى ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وفتحها
وهى لغات في مصدر ملكت الشئ ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق
واعتذار عما فعلوا ببيان منشاء الخطاء وقرئ حملنا بالتخفيف اى حملنا احمالا من حلى القبط
التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد
كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هى ما القاه البحر على
الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات واثام حيث لم تكن
الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اى في النار رجاء للخلاص عن ذنبها وكذلك اى ومثل
ذلك القذف القى السامرى اى ماكان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقى ماكان
معه من الحلى فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذى القاه التربة التى اخذها من اثر
الرسول كما سيأتى روى انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأى
ان نحفر حفرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اى السامرى
لهم للقائلين عجلا من تلك الحلى المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار
والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اى جثة ذا دم
ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اى صوت عجل
نعت له فقالوا اى السامرى ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى
فنسى اى غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامرى
فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة
القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان الاخراج والقول
المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم
للسامرى وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والجعل لهم مما يهون مخالفة المعتذرين
فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين
لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل قولهم بنو فلان
قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه
بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامرى ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال
فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضى بفساده سباق
النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون الى انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين

والمضلين جميعاً وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته
على احد وهو اتخاذه الهاً والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا يتفكرون فلا
يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اى انه لا يرجع اليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً فكيف يتوهمون
انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد
افعال اليقين اى الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولاً من الاقوال وتعليق
الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم
وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً عطف على لا يرجع داخل معه
في حيز الرؤية اى افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضراً او يجلب لهم نفعاً
او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون
من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم
على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم
على كنه الامر من قبل رجوع موسى عم اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل
من قبل قول السامرى كأنه عم اول ما ابصره حين طلع من الحفرة توهم منهم الافتتان
به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اى اوقعتم في الفتنة بالعجل
او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله
الذي يدعيه القوم لا الى قيد المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة
لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن
بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان
الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام
بالزجر عن الباطل اى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى
فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اى اذا كان الامر
كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امرى هذا واتركوا عبادة ما عرفتم
شانه قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه العجل وعبادته عاكفين
مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عم اليهم غاية لعكوفهم على عبادة
العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عم بل بطريق التعليل والتسويف
وقد دسوا تحت ذلك انه عم لا يرجع بشيء مبين تعويلاً على مقالة السامرى
روى انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عم في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل
فلما رجع موسى عم وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين
كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا قوله تعالى قال استئناف

مبني

112

مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عم كأنه قيل فماذا قال موسى عم
لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل
قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته وبرأسه يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا
بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء
ان لا تتبعن اى ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في اذ اى اى
شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة
مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم
للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك زجرا
لهم وفيه ان نصائح هرون عم حيث لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته
اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة
يخافون رجوع موسى عم فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم
قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عم افعصيت امري اى بالصلابة
في الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما حتما فان
الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة
للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم تتبعني او اخالفتني
فعصيت امري قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه
لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتي
ولا برأسي اى بشعر رأسي روي انه عم اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من
شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عم حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين
رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الخ استئناف سيق
لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره
بل ممتثل به اى اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون
القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي
لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عم اخلفني في قومي واصلح الخ
يعني اني رأيت ان الاصلاح في حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك
استأنيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية
القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني قال استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية ما سلف

من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى واعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامرى فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامرى اى ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اى السامرى مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سيأتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات فى الحال فعرف ان له شأنا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اى من تربة موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اى فى الحلى المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لى نفسى اى ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما افادة اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشئ آخر من البرهان العقلى او الالهام الالهى فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحيوة الخ تعليل لموجب

الامر وفى متعلقة بالاستقرار فى لك اى ثابت لك فى الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اى ثابت لك كائنا فى الحيوة اى مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حمّا من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة والعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التى هى من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اى فى الآخرة لن تخلفه اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرئ بكسر اللام والظاهر انه من اخلفت الموعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اى لنذرينه وقرئ بضم السين فى اليم رمادا او مبرودا كأنه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذى لا اله فى الوجود لشئ من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شئ من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شئ علما اى وسع علمه كل ما من شأنه ان يعلم بدل من الصلة كأنه قيل انما الهكم الذى وسع كل شئ علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل

الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شئ و
ثم حديث موسى عم المذكور ولتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى
كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق
الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص
حديث موسى عم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في
الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك من
انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القصص
المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب
اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول
كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء
ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن
الناس من يقول الخ وتاخيره من عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر اى مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء
لا قصصا ناقصا منه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين
من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص
والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة باتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم
وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا
عظيما وقرانا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه
من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض
عنه عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن
الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه
اى المعرض عنه يحمل يوم القيامة وزرا اى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر
ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو
الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اى في الوزر او في
احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود
في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر
الى لفظها وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا
والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه

لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل
الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر
قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم
يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقد قرئ ننفخ بالنون على
اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل
عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ اى يوم ينفخ في الصور
وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا
حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها
الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو
اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى
يتخافتون بينهم اى يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اى يقول بعضهم
لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اى ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اى عشر ليال استقصارا
لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر
وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه في الدنيا و
يعدونه من قبيل المحالات لا يجدون بدا من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه
كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم اقطع من ان تمكنهم من
الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون
وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اى اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة
هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل
على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اى عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من
ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اى يجعلها كالرمل
ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها الضمير اما
للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها اى فيذر ما انبسط
منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض
المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل
قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض
فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوى

الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان
اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول
ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله
تع لا ترى فيها اى في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين
اى اعوجاجا ما كائنا لغاية خفائه من قبيل ما في المعانى اى لا تدركه ان تأملت بالمقاييس
الهندسية ولا امتا اى نتوا يسيرا استئناف مبين لما سبق من القاع الصفصف
او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من
طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اى يوم اذ نسفت الجبال
على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تع يتبعون الداعى وقيل بدل
من يوم القيمة وليس بذلك اى يتبع الناس داعى الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل
ثم يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها
العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى عرض الرحمن فيقبلون
من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن اى خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اى يوم
اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن
له الرحمن ان يشفع له ورضى له قولا اى ورضى لاجله قول الشافع في شانه او رضى
قوله لاجله وفي شانه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء
المتصدين للشفاعة للناس كقوله تع فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء
كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم
الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هى عنه اصلا كما في قوله تع لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تع ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار
عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله
بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تع ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن
في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال و
قيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون
به علما اى لا يحيط علومهم بمعلوماته تع وقيل بذاته اى من حيث اتصافه بصفات

الكمال التى من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون
جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحى القيوم اى ذلت وخضعت خضوع
العناة اى الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تع سيئت وجوه الذين
كفروا ويؤيده قوله تع وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من اشرك
بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا
وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم
فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تع ومن يعمل من الصالحات الخ قسيم لقوله تع
وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تع وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اى
ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله
تع من انبائهما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات
فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف
جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرى فلا يخف على النهى وكذلك
عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الايات المتضمنة للوعيد
المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اى مثل ذلك الانزال انزلناه اى
القران كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول
حاضرا في الاذهان قرانا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه
خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد
اى كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه انفا لعلهم يتقون اى
كى يتقوا الكفر والمعاصى بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالاخرة
الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التى يصرف عليها عباده من
الاوامر والنواهى والوعد والوعيد وغير ذلك اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة
المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى
وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك اى يتم وحيه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحى يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة
لكمال اعتنائه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد
لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ
بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تع فقيل وقل اى في نفسك
رب زدنى علما اى سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال قيل

انه نهى عن تبليغ ماكان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل
البيان مما لاريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى ادم كلام مستأنف مسوق
لتقرير ما سبق من تعريف الوعيد في القران وبيان ان اساس بني ادم على العصيان
وعرق راسخ والنسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك
من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره
ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اى واقسم
او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل هذا الزمان فنسى اى
العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او ترك المنهي عنه وقرى فنسى اى نساه الشيطان
ولم نجد له عزما تصميم راى وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان و
لما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه في بدء امره من قبل ان يجرب الامور و
يتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام
بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب
فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه
قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب
لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية
فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذ وف
هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى واذكر وقت قولنا
لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا
من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه
فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب
بوجوداتها العينية اى اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه
وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستأنفة
وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد
فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اى ابى السجود كما في قوله تعالى ابى
ان يكون مع الساجدين او غير منوى راسا بتنزيله منزلة اللازم اى فعل الاباء
واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصيحته يا ادم ان هذا الذى رأيت ما فعل عدو لك

ولزوجك فلا يخرجنكما اى لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا
بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك
ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب
للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامر
واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب
في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها
مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج
عنها والعدول عن التصريح بان له فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا
باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى
الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك
الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي
عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى
ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع اخر واقتصر
على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى اخره ان لا يصيبه
شئ من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض
اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك
بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شئ من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى
حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر انفا وفصل الظماء عن الجوع في الذكر
مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام
الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو
جمع بين الجوع والظماء لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري
والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور
المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد
والتبعية لنفي بعض اخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرى انك
بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان
المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها
لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف

مناط التحقيق في مادة واحدة والاجتماع فيها وقعت خبراً لها فان اتحاد المناط مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسماً للمكسورة تحقق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتماً فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعاً وانما لم يجوز وان يقال ان ان زيداً قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيداً قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم يكن حرفاً موضوعاً للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلاً فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العرى وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عدم الظمأ والضحو مطلقاً كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان له تحقيق عدمها فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمأك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسة او اسرها اليه قال انما بدل من وسوس او استيناف وقع جواباً عن سوال نشاء منه كانه قيل فماذا قال في وسوسة فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنه عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلد او عن الماء مورده او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جلبت واصل الكلمة الجمع ونبني

فتاب عليه

التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استيناف مبني على سوال نشاء من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشاء الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريف والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو منهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المومن الطالب للاخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه راس الاية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك اياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بايات ربه بل كذبها واعرض

من تاب ومن لم يتب ... هدى ومع الغير ... يتسع الضمير

عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اى من ضنك العيش
او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستأنف مسوق
لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزى الآية والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على
على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول
او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير
ضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية
يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر فى قوله عز وعلا اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة
بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله
المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم
الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون فى محل
النصب على انه وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون فى مساكنهم
حال من القرون او من مفعول اهلكنا اى اهلكناهم وهم فى حال امن وتقلب فى ديارهم
او من الضمير فى لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة
من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين فى مساكنهم اذا سافروا الى
الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا
لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمكنون من
المشى ان فى ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة
الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو
شأنه فى بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن
هو هاد واى هاد ويجوز ان يكون كلمة فى تجريدية فافهم لاولى النهى لذوى العقول
الناهية عن القبائح التى من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى و
التعامى عنها وغير ذلك من فنون المعاصى وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل
لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف سيق لبيان
حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب
القرون المهلكة اى لولا الكلمة السابقة وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة
تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اى لازما لهؤلاء الكفرة
لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفى التعرض بعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه عم كما ينبئ عنه قوله تعالى

وما

وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما
فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف
على كلمة اى ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لما تأخر
عذابهم اصلا وفصل عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال
كل منهما بنفى لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآى الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
فى كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد
اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كداب عاد وثمود واضرابهم ولم
ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اى اذا كان الامر على
ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولونه
من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله
على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اى صل وانت حامد لربك الذى يبلغك الى
كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له
على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله
تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل
غروبها يعنى صلوتى الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله
تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر ومن آناء الليل اى من ساعاته جمع انى
بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح اى فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم
الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة
اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ
واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتى الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد
مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس كقوله من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين
او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه
باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع فى اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق
بسبح اى سبح فى هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى
على صيغة البناء للمفعول من ارضى اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى لا تطل
نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اى
اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير
والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من
التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا زهرة الحيوة الدنيا منصوب

محذوف يدل عليه متعنا اى اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية من محله او من
ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي
لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه
المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار
بهجته حالا اى لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق
ربك اى ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير
مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة
بخلاف ما منحوه وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفعه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك
بالصلوة امر عليه السلام بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر
هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت
ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك رزقا
اى لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك بامر
الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اى لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روى انه عليه السلام كان اذا اصاب
اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض
اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر عليها اى هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى
النبوة او بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا
من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترءوا على التفوه بهذه
العظيمة الشنعاء فقوله تعالى اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اى التورية والانجيل
وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا
تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات
واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة
للعادات اى امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال
ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امي لم
يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده
واي آية ترام وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التورية
والانجيل وسائر الكتب السماوية اى شاهدا بحقيقة ما فيها من العقائد الحقة و
اصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من انباء الامم من
حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيقته حقيق باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه

شأنه

شأنه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه ما
يأتي به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للتنبيه والهمزة لانكار الوقوع والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم يأتهم الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف
الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا وان اجترءوا
على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف
بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة
والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف
هو صفة لعذاب اى بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
لقالوا اى يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع آياتك
التي جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم
نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اى كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن
قريب من اصحاب الصراط السوي اى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط
الجيد وقرئ السوء والسوى تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في
الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي
العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون
معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على
اصحاب او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

سورة الانبياء

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان
قال ابن عباس المراد بالناس المشركون وهو الذي ينفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه
في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها
من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم

هذه من قبيل وصف الشيء بوصف صاحبه كقولهم [illegible] الكلام على التوصيف اذ الكريم حقيقة هو الله تعالى [illegible]

ذلك واللام متعلق بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة
الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب
كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما
خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب
حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل
عما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم
السيئة الموجب للعقاب وفي اسناد الاقتراب المبني على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان
العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما
من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه
ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة
السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله
عز وجل او باعتبار ان كل ات قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من
صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا
فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره هنا لان
قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل
الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب
حقيقة ولو بالنسبة الى شيء اخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم
غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال
لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الايات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما
خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار
بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون
ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القران تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة
اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم
او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به
والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع
حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء مفرغ
محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى
وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من

لشيء صح

واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه
لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية لتناهي غفلتهم وفرط
اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر
واسروا النجوى كلام مستانف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة
والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها
او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من
واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدا خبره اسروا
النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا
على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الى اخره في حيز
النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل
قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا
الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد
والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على
وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان
الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزعمهم
ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون و
انما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد
مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون
قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما اوحي اليه احوالهم و
اقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات
علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة
واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى
في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله
تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها
ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن
للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق
الى حكاية قول اخر مضطرب في مطارب البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام
هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يديه من القران الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام

النصب

ثم ضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصلا ثم قالوا
بل هو شاعر وما اتى به شعر تخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج
متحيرا لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهة تعالى والثانى والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم
هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب فى انه
كان ينبغى حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول لقالوا المضمر
قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث
احلام وانما صرح بقالوا لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا باية
جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا
من الله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون اى مثل الاية التى ارسل بها الاولون كاليد والعصا
ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لاية ويجوز ان تكون
مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف
اى فليأتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان
بالاية من فروع الارسال بها اى مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم
على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال فى كل واحد من طرفى التشبيه لكنه ترك فى جانب
المشبه ذكر الارسال وفى جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك
فى الموطن الاخر حسبما مر فى اخر سورة يونس عليه السلام ما امنت قبلهم من قرية
كلام مستانف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمنى
بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم فى اقتراح تلك الايات كالباحث عن حتفه بظلفه
وان فى ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم
قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل فى الامم السالفة على ان المقترحين
اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت
كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية
اى من اهل قرية فى محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتاكيد العموم وقوله تعالى
اهلكناها اى باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجئ ما اقترحوه من الايات صفة لقرية
والهمزة فى قوله افهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته
الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن
امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الايات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون
لو اجيبوا الى ما سالوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما امنت

على ان الفاء متقدمة على الهمزة فى الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم
ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راى الجمهور وقوله
عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما
دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك
الرسل صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم
قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر فى تفسير قوله تعالى قال
انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن
منظرين ولان فى هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق
ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق فى الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر
البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها
على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور
فلك التكوين والتشريع وانما الذى يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى
ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحى اليهم استئناف مبين لكيفية الارسال
وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوص
المعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك اليهم امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس
مستاهلين للاصطفاء والارسال نوحى اليهم بواسطة الملك ما نوحى من الشرايع والاحكام
وغيرها من القصص والاخبار كما نوحى اليك من غير فرق بينهما فى حقيقة الوحى وحقيقته
مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله
موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم فى البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من
الرسل وان ما اوحى اليك ليس مخالفا لما اوحى اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى
اليهم بالياء على صيغة المبنى للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله
قوله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة
لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب فى امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها
بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب
الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسالوا ايها الجهلة
اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهتكم امروا

بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امورهم ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى • وما جعلناهم جسدا • بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة • ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة • واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد • وقوله تعالى • لا ياكلون الطعام • صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه • وما كانوا خالدين • لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا على ما جعلنا تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستانف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالاخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قوله مال هذا الرسول ياكل الطعام • وقوله تعالى • ثم صدقناهم الوعد • عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم • فانجيناهم • ومن نشاء • من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستيصال • واهلكنا المسرفين • اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي • ولقد انزلنا اليكم • كلام مستانف مسوق لتحقيق حقية القران العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما ياتيهم من اياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام وقد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش • كتابا • عظيم الشان نير البرهان • وقوله تعالى • فيه ذكركم • صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه

جليل المقدار بانه الاثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى • وانه لذكر لك ولقومك • وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم • وقيل فيه ما تطلبون بحسن الذكر من مكارم الاخلاق • وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى • افلا تعقلون • انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر • وقوله تعالى • وكم قصمنا من قرية • نوع تفصيل للاجمال في قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى • وقوله تعالى • كانت ظالمة • في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بايات الله تعالى كافرين بها كدابكم • وانشانا بعدها • اي بعد اهلاكها • قوما آخرين • اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى • فلما احسوا باسنا • اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس • اذا هم منها يركضون • يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع • لا تركضوا • اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثم من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا • وارجعوا الى ما اترفتم فيه • من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة • ومساكنكم • التي كنتم تفتخرون بها • لعلكم تسالون • تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تتفقدون اذا رئيت مساكنكم خالية وتسالون اين اصحابها او يسالكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم • قالوا • لما ايسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب • يا ويلنا • اي هلاكنا • انا كنا ظالمين • اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك • فما زالت تلك دعواهم • اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك • حتى جعلناهم حصيدا • اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع

حامدين • اى ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد • وما خلقنا السماء والارض • اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المتقدين باثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما • وما بينهما • من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل • لاعبين • لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى • لو اردنا ان نتخذ لهوا • استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب • لاتخذناه من لدنا • اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاة الحكمة فيستحيل اتخاذه قطعا وقوله تعالى • ان كنا فاعلين • جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده • بل نقذف بالحق على الباطل • اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد • فيدمغه • اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق

عنه

غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم • فاذا هو زاهق • اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل • ولكم الويل مما تصفون • وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به • وله من في السموات والارض • استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا • ومن عنده • وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره • لا يستكبرون عن عبادته • اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا • ولا يستحسرون • ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية • يسبحون الليل والنهار • اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ عما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى • لا يفترون • اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر • ام اتخذوا آلهة • حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد • ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى

من الارض • متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة واياما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص
وقوله تعالى • هم ينشرون • اى يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الانكار والتجهيل
والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اى بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم
وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك
صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص
الالهية حتما ومعنى التخصيص فى تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم
للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى افى الله شك وقوله تعالى ابالله وآياته كنتم
تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به
ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال
بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم
جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار • لو كان فيهما آلهة الا الله • ابطال لتعدد الاله باقامة
البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان
للجمعية مدخلا فى الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة
ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لو لا انه
حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط
بان يكون فى كلام غير موجب اى لو كان فى السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل
لفسدتا • اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة
ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا
وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منها وهو محال لاستحالة
وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منها فالبواقى بمعزل من الالهية قطعا
واعلم ان جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر فى المقدم تعدد الآلهة فيهما والا
فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل فى
المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى
التالى تعين انتفاء المقدم والفاء فى قوله تعالى • فسبحان الله • لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
ثبوت الوحدانية بالبرهان اى فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التى
من جملتها ان يكون له شريك فى الالوهية وايراد الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم
فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التى من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة
وادخال الروعة وقوله تعالى • رب العرش • صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل • عما يصفون •
متعلق بالتسبيح اى فسبحوه عما يصفونه من ان يكون دونه آلهة لا يسأل عما يفعل

كلا مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية فقال وانما شددت لامها لتقوية المعنى ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين وعند غيره بسيطة فهى عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج واكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر لا معنى لها عندهم الا ذلك حتى انهم يجيزون ابدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها مغنى اللبيب

استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته
ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك فى الالهية • وهم • اى العباد
يسألون • يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة
• ام اتخذوا من دونه آلهة • اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة آلهة
حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التى من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على
استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك
الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة
البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا
والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة
مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية • قل • لهم بطريق التبكيت والقام الحجر • هاتوا برهانكم
على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية لا سيما
فى مثل هذا الشأن الخطير وما فى اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا
ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى • هذا ذكر من معى وذكر من قبلى • انارة لبرهانه واشارة
الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة
وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحى الوارد فى شان
التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلى ذكر امتى اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته
فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتى وهذا كتاب انزل على
امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها
غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم
وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وبه وعن
الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى • بل اكثرهم لا يعلمون الحق •
اضراب من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان
الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا
يميزون بينه وبين الباطل • فهم • لاجل ذلك • معرضون • اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد
واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغى والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج
او معرضون عما القى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف
وسط بين السبب والمسبب تاكيدا للسببية وقوله • وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به

عبارة الكشاف عن ابن عباس

ن

الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغايب مبنيًا للمفعول
وانما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارًا لصورة الوحي • وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا • حكاية لجناية فريق من المشركين جي بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن
ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة
بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة
وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى
مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة • سبحانه • اي تنزه
بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او اسبحه
تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى
بل عباد • اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى
مكرمون • مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشا غلط القوم و
قوله تعالى • لا يسبقونه بالقول • صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره
تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند
السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد
تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا
يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار
والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه
مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى
في السبق فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم
بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتصور صدوره عنهم • وهم بامره يعملون • بيان لتبعيتهم له تعالى في
الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولونه
وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى
امر غيره • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم • استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده
فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم
فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى • ولا يشفعون الا لمن ارتضى • اي يشفع له
مهابة منه تعالى • وهم • مع ذلك • من خشيته • عز وجل • مشفقون • مرتعدون واصل الخشية
الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن
يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر • ومن يقل منهم • اي من الملائكة
اذا الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم • اني اله من دونه • متجاوزا اياه تعالى • فذلك

الذي فرض قوله فرض محال • نجزيه جهنم • كسائر المجرمين عنهم ولا يغني عنهم ما ذكر من
صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة
كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهموا اولئك الكفرة ما لا يخفى • كذلك نجزي الظالمين • مصدر
تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في
غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان
دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه • اولم ير الذين كفروا • تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الايات
التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته و
الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم
يعلموا • ان السموات والارض كانتا • اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا • رتقا • الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف
المضاف او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا
اي مرتوقا • ففتقناهما • قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري
وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء
الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا
فتوسطتها ففتقها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها
وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت
السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة
طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء وعليه اكثر
المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء
بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق او السموات
جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما
بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق
عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب • وجعلنا من
الماء كل شيء حي • اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من
اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لا بد له
من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتداء وخبر وحق
الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتداء فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر

افلا يؤمنون • انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية
الانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت
ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اى ايعلمون ذلك
فلا يؤمنون • وجعلنا في الارض رواسي • اى جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشئ اذا
ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اياما
معلومات واياما معدودات • ان تميد بهم • اى كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم
بحذف اللام ولا لعدم الالباس • وجعلنا فيها • اى في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعول
ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطريق • فجاجا • مسالك واسعة
وانما قدم على قوله تعالى • سبلا • وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك
او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون • اى الى مصالحهم ومهماتهم • وجعلنا السماء سقفا محفوظا • من الوقوع
بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيتنا او من استراق
السمع بالشهب • وهم عن اياتها • الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته
التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة • معرضون • لا يتدبرون
فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى • وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر • الذين هما اياتهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات
الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اى هو الذي خلقهن وحده • كل • اى كل واحد منها
على ان التنوين عوض عن المضاف اليه • في فلك يسبحون • اى يجرون في سطح الفلك كالسبح
في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز
انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة
حالهم • وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد • اى في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية
افان مت • بمقتضى حكمتنا • فهم الخالدون • نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء
لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك
بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته
فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون
حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى • كل نفس ذائقة الموت • اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها
برهان على ما انكر من خلودهم • ونبلوكم • الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق
الالتفات اى نعاملكم معاملة من يبلوكم • بالشر والخير • بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا
فتنة • مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه • والينا ترجعون • لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا

فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى
ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء
على الالتفات • واذا رآك الذين كفروا • اى المشركون • ان يتخذونك الا هزوا • اى ما يتخذونك
الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه
هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان
اتبع الا ما يوحى الى في سورة الانعام • اهذا الذي يذكر آلهتكم • على ارادة القول اى ويقولون
او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله تعالى • وهم بذكر
الرحمن هم كافرون • في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه
ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من
التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احق بالعيب
والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقديم وهم كافرون بذكر الرحمن
والضمير الثاني تأكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد بالمعمول
خلق الانسان من عجل • جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق
منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى
الكفر واستعجاله بالوعيد روى انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر الاية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بالانسان
آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى انه لما دخل الروح في
عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة
قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره
لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام
ساريا الى اولاده • قيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى • ساريكم اياتي •
تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد
والوعيد اى ساريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره • فلا تستعجلون • بالاتيان بها و
النهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها • ويقولون متى هذا الوعد • اى وقت
مجئ الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار
كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيينه وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك • ان كنتم صادقين •
اى في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات
الكريمة المنبئة عن مجئ الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف
في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء

فان تغيير الكلام المسوق لغير من الله تعالى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب كما تقرر في تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب منه سلمه الله

فيجازيكم

منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا
بسرعة ان كنتم صادقين • لو يعلم الذين كفروا • استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه
وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان
كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في
افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن
الى لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان
ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى • حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم • مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا
يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار
وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى لو لم يستمر عدم علمهم
بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب
وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة
بها للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم • ولا هم ينصرون
من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول
منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الى اخره استئناف مقرر لجهلهم
ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال • بل
تأتيهم • عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة • بغتة فتبهتهم
اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله تعالى
فلا يستطيعون ردها • بناء على تأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار
وقيل الى البغتة لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية • ولا هم ينظرون • اى يمهلون ليستريحوا طرفة
عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا • ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه سيصيبهم
ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلوة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة
تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اى وبالله
لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • فحاق • اى احاط عقيب ذلك او نزل او حل
او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق
ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى • بالذين سخروا منهم • اى من اولئك الرسل

عليهم

عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى • ما كانوا به يستهزؤن • للمسارعة
الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار
متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث
اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا
ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام
لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب
موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي
بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الاخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة
الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية الى اخرها • قل • خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امر المستهزئين الى الهلاك وامر له عم بان يقول لاولئك المستهزئين
بطريق التقريع والتبكيت • من يكلؤكم • اى يحفظكم • بالليل والنهار من الرحمن • اى من بأسه
الذي تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد
وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر
عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى
يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الافات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على
ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى • بل هم عن ذكر ربهم معرضون • بيان ان لهم
حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا عن ان يخافوا
بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة
قول من قال عوجوا فحيوا النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق الاعراض
بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبي عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته
تعالى من الدلالة على كونهم تحت ملكوته من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا • منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله
من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم
بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار ان تكون
لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او
من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى
وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ
من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا

لا يستطيعون نصر انفسهم ولاهم منا يصحبون استيناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح
لبطلان اعتقادهم اى هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا
فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب
عما توهموا ببيان ان الداعى الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على
بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل
كاذب حيث قيل افلا يرون اى لا ينظرون فلا يرون انا نأتى الارض اى ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه
الله عز وجل من ديارهم على ايدى المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام افهم الغالبون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من
نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل اتعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم
كما مر فى قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفى
التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد
ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى
عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذى يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير
ذلك من مساوى احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه
من الساعة بالوحى الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اى انما
شأنى ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان
برهانى وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض
قد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام
للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالتصام وتقييد نفى السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون
الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذى هو عبارة عن
عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة
لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم فى غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على
طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم
من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرى بالياء
ايضا على ان الفاعل هو عم وقرى على البناء للمفعول اى لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله
تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجئ نفس العذاب اثر بيان

عدم

تأثرهم من مجئ خبره على نهج التوكيد القسمى اى وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شئ من عذابه
تعالى بنى عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين
القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اى نقيم الموازين العادلة التى توزن بها صحائف
الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال وقد مر
تفصيل ما فيه من الكلام فى سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة
ليوم القيامة التى كانوا يستعجلونها اى لجزائه او لاجل اهله او فيه كما فى قولك جئت لخمس
خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل
يوفى كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين
وان كان اى العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اى مقدار حبة
كائنة من خردل اى وان كان فى غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر وقرى
مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اى احضرنا ذلك العمل المعتبر عنه بمثقال
حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرى آتينا بها اى جازينا بها من
من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه باعمالهم بالجزاء وقرى اثبنا من الثواب
وقرى جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى و
هرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحى اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم و
اهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمى لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد
بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكرى او بالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا
بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به
الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون مغانم آثاره او
ذكرى ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو
اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما
التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذى اقترحه الكفرة مثله بقولهم فليأتنا
بآية كما ارسل الاولون وقرى ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين
يخشون ربهم اى عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب
او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اى يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم
غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا
ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اى خائفون منها بطريق الاعتناء

129

وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على
الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف
به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه • وهذا
اى القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره • ذكر • يتذكر به من تذكر
وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقة لما مر في صدر السورة
الكريمة • مبارك • كثير الخير غزير النفع يتبرك به • انزلناه • اما صفة ثانية لذكرا وخبر
آخر • افانتم له منكرون • انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كانه
قيل ابعد ان علمتم ان شانه كشان التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه
منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا و
ولقد آتينا ابراهيم رشده • اى الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار و
هو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على
اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رَشَده وهما لغتان كالحَزَن والحُزْن
من قبل • اى من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال
القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه ويأباه المقام • وكنا
به عالمين • اى بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار
في افعاله ما لا يخفى • اذ قال لابيه وقومه • ظرف لآتيناه على انه وقت متسع وقع فيه
الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستانف وقع تعليلا لما
قبل اى اذكر وقت قوله لهم • ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون • لتقف على كمال
رشده وغاية فضله والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل
منه عم حيث سالهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف
انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها
بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض
قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون
التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف
معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • اجابوا بذلك
لما ان مآل سؤاله عم الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عم اياهم
بالعكوف لها كانه عم قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجا
يعتد به التجؤوا الى التقليد فابطله عم على طريقة التوكيد القسمي حيث • قال لقد كنتم انتم
وآباؤكم • الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة • في ضلال • عجيب لا يقادر قدره • مبين

اى ظلم

اى ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال
لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اى والله لقد كنتم مستقرين
على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة
قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله
عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عم على وجه الجد • اجئتنا
بالحق • اى بالجد • ام انت من اللاعبين • فتقول ما تقول على وجه الملاعبة والمزاح وفي
ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم • قال عم اضرابا
عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك • بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن • وقيل هو
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى
بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل
من الربوبية اى انشاهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه
من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في
الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التامل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات
وانا على ذلكم • الذي ذكرته من كونه ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان
من الشاهدين • اى العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء
من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين ذلك
وابرهن عليه • وتالله • وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل
وفيها تعجب • لاكيدن اصنامكم • اى لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز
وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عم سرا وقيل سمعه رجل واحد • بعد ان تولوا مدبرين
من عبادتها الى عيدكم وقرئ تَوَلَّوا من التولي بحذف احدى التائين ويعضدها قوله تعالى
فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اى فولوا فجعلهم • جذاذا • اى
اى قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر
وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ
وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه
فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة
على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما
مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان
بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك

قوله تعالى • الا كبيرا لهم • اى للاصنام • لعلهم اليه • اى الى ابراهيم ع م • يرجعون • فيحاجهم باستياتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شان المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى ولتوحيد عند تحققهم عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم • قالوا • اى حين رجعوا من عيدهم وراوا ما راوا • من فعل هذا بالهتنا • على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهولاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى • انه لمن الظالمين • استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبر لها والمعنى الذى فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرائته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة • قالوا • اى بعض منهم مجيبين للسائلين • سمعنا فتى يذكرهم • اى يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه ع م بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح • يقال له ابراهيم • صفة اخرى لفتى اى يطلق عليه هذا الاسم • قالوا • اى السائلون • فاتوا به على اعين الناس • اى بمراى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد • لعلهم يشهدون • اى يحضرون عقوبته وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير ح ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود • قالوا • استئناف مبني على سوال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا • ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم • اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه ع م للتنبيه على ان اتيانهم به وما الى ذلك امر محقق غني عن البيان • قال بل فعله كبيرهم هذا • مشيرا الى الذى لم يكسر سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على الطف وجه وحمله يحملهم على التامل في شان الهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته ع م حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعل كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه ع م قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به ع م تنبيههم على غضب

الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قيل من انه ع م لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السوال لابتنائه لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده ع م من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سوالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عنهم بل انما مراده ع م توجيههم نحو التامل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى • فاسألوهم ان كانوا ينطقون • اى ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل ع م ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السوال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السوال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله تعالى • فرجعوا الى انفسهم • اى راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا • فقالوا • اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم • انكم انتم الظالمون • اى بهذا السوال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمواخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها • ثم نكسوا على رؤسهم • اى انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اى نكسوا انفسهم • لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • على ارادة القول اى قائلين والله لقد علمت ان ليس من شانهم النطق فكيف تامرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع • قال • مبكتا لهم • افتعبدون • اى اتعلمون ذلك فتعبدون • من دون الله • اى متجاوزين عبادته تعالى • ما لا ينفعكم شيئا • من النفع • ولا يضركم • فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا • اف لكم ولما تعبدون من دون الله • تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتاف فعاله • افلا تعقلون • اى الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم • قالوا • اى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح

قوله فبمعزل من التحقيق مدفوع بما قيل من انه يكفي في تمثيل شيء بشيء تشابه في بعض الوجوه والاعتبارات وهذا القدر متحقق في التمثيل المذكور يرشدك اليه تامل في قوله على اسلوب تعريضي الخ على ان بين الجهر السنفاد من قوله بل انما مراده وبين قوله ليس مجرد تقرير لنفسه الخ دافعا لا يخفى على الصواب ان يقول بل مراده ع م ذلك وتوجيههم

لايبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا الهتكم بالانتقام لها
ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن
نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير فخسفت
به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط
وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب
مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي
في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى
ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال
له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسال ربك قال حسبي من سؤالي علمه
بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار
المسخرة لقدرته تعالى مامورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة
اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم
تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت
اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يونسه
فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فراه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن
ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال
فقم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رايته معك قال
ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته
فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك
ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة الاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك
ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم
يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت
النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى
على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من
كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل و
موجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين

اي من

اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين
شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب
الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال
وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هؤلاء
الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن
ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف
الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين
لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا
ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اتيناه اي واتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي
حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام
ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها
واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا
قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا
انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله
تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نباه
الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه
الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان
وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار
ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصرنا منه مما ذكر من دعائه عليه السلام فانه
ظاهر يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا
قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار
على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان
اما عطف على نوحا معمول لعامله واما لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله
تعالى اذ يحكمان ظرف لذلك المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار
صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلى عناقيده كما

قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اى تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع
فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اى لحكم الحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص
المنتظم لاختصاص القيام والوقوع وقرى لحكمها شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر
للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي
وقرى فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روى انه دخل على داود عم رجلان فقال احدهما
ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام
فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة
الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها
ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال
القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذى عندى ان حكمهما عليهما السلام بالاجتهاد وان
قول سليمان عم غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي
والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عم لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بداء وحرم
عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض
حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راى سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه
قوله ارفق بالفريقين وراى داود عم قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى
عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روى
انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عم فقد استحسن حيث جعل
الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم
واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذى اتاه من قبله كما قال اصحاب
الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته
الغاصب من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان
قوله ورجوع داود عم اليه مع ان الحكم المبنى على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد اخر وان كان اقوى
منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عم لم يكن بت الحكم
في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسالة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رح لا ضمان
ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا
اتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عم من عدم كون حكم داود عم حكما شرعيا
اى وكل واحد منهما اتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطاء المجتهد
لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان
ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه

كان

كان ع ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من
كراماته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اى يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له
او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استيناف
مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف
على الجبال او مفعول معه وقرى بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والطير مسخرات و
قيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اى
من شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة
لبوس اى عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها
واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة
لبوس لتحصنكم اى اللبوس بتاويل الدرع وقرى بالتذكير على ان الضمير لداود عم وللبوس
وقرى بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص
والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع
السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع
ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين
من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له
والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عم فلم يكن
بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عم والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من
الريح والعامل فيها الفعل المقدر اى وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها
كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء
في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عم وقرى الريح بالرفع
على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حال من ضمير المبتداء في الخبر والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار وقرى الرياح نصبا ورفعا تجرى بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى
او حال من ضميرها الى الارض التى باركنا فيها وهى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال
الكلبي كان سليمان عم وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى
منزله وكنا بكل شئ عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اى وسخرنا له
من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسها او قيل من رفع على
الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اى غير ما ذكر من بناء المدن
والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء
اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها

بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى من الشياطين روي ان المتخرلء م كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن
الشياطين وقوله تعالى • وكنا لهم حافظين • اى من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو
مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من
ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار • وايوب • الكلام فيه كما مر في
قوله تعالى وداود وسليمان اى واذكر خبر ايوب • اذ نادى ربه اني • اى بانى • مسنى الضر • وقرى
بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس
من مرض وهزل ونحوهما • وانت ارحم الراحمين • وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما
يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السوال وكان ايوب روميا من ولد عيص بن اسحق
استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله
والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع
ساعات روى ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت
له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة رخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله
تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروى ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال
انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت
عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت
زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة
فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط
وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم
حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فقيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء
فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى
فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه
وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر • فلما قام جعل يلتفت
فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى • وآتيناه اهله و
مثلهم معهم • وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني
افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك
الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة
ان تاتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد
ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه

اذا رأته

اذا رأته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته • رحمة من عندنا •
وذكرى للعابدين • اى اتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان
وعدم نسياننا لهم • واسمعيل وادريس وذا الكفل • اى واذكرهم وذو الكفل الياس
وقيل يوشع بن نون وقيل ذكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف
عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف • كل • اى كل واحد
من هؤلاء • من الصابرين • اى على مشاق التكاليف وشدائد النوائب والجملة استيناف
وقع جوابا عن سوال نشأ من الامر بذكرهم • وادخلناهم في رحمتنا • اى في النبوة او في نعمة الآخرة
انهم من الصالحين • اى الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد
وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد • وذا النون • اى واذكر صاحب الحوت
وهو يونس • اذ ذهب مغاضبا • اى مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم
وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم
يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء
المغالبة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عنده وقرى مغضبا • فظن ان لن
نقدر عليه • اى لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرى مشددا او لن
نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اى نعامله معاملة من يظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اى
نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة
وقرى بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول • فنادى • الفاء فصيحة اى فكان ما كان
من المساهمة والتقام الحوت فنادى • في الظلمات • اى في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في
ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمات الحوتين
وظلمتي البحر والليل • ان لا اله الا انت • اى بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير
الشان محذوف او اى لا اله الا انت على انها مفسرة • سبحانك • انزهك تنزيها لائقا بك
من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي • اني كنت من الظالمين •
لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة • فاستجبنا له • اى دعاءه الذي دعاه
في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له • ونجيناه من الغم • بان قذفه الحوت الى الساحل بعد
اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة
وكذلك • اى مثل ذلك الانجاء الكامل • ننجي المؤمنين • من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص

اسمعيل وادريس وذا الكفل

لما تجاور في منه وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد
الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها
اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول
اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور
والماضي لا يسكن آخره • وزكريا • اي اذكر خبره • اذ نادى ربه • وقال • رب لا تذرني فردا •
اي وحيدا بلا ولد يرثني • وانت خير الوارثين • فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا • فاستجبنا له •
اي دعاءه • ووهبنا له يحيى • وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم • واصلحنا له
زوجه • اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة و
قوله تعالى • انهم كانوا يسارعون في الخيرات • تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة
بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير
وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات
متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة • ويدعوننا رغبا ورهبا •
ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب
او المعصية او للرغب والرهب • وكانوا لنا خاشعين • اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل
والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة • والتي احصنت
فرجها • اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم
شانها وتنزيهها عما زعموا في حقها اثر ذي اثير • فنفخنا فيها • اي احيينا عيسى في جوفها
من روحنا • من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبرئيل عم
وجعلناها وابنها • اي قصتهما او حالهما • آية للعالمين • فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته
عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد
بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها
آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها • ان هذه • اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه
تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد • امتكم • التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا
حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة • امة واحدة • نصب على الحالية من امتكم اي
اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال
لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على
على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم
لا اله لكم غيري • فاعبدون • خاصة لا غير وقوله تعالى • وتقطعوا امرهم بينهم • التفات الى الغيبة

لينعى

لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم
الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة
الانبياء • كل • اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك
الفرق • الينا راجعون • بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل
للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى • فمن يعمل من الصالحات • الخ تفصيل للجزاء اي فمن يعمل
بعض الصالحات او بعضا من الصالحات • وهو مؤمن • بالله ورسله • فلا كفران لسعيه •
اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال
نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة
في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي
لاظهار الاعتداد به • وانا له • اي لسعيه • كاتبون • اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من
ذلك شيئا • وحرام على قرية • اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال
اهلكناها • قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى • انهم لا يرجعون • في حيز
الرفع على انه مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله
تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي
اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع
عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون
لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ
انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدا محذوف اي حرام عليها
ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل
بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا
على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى • حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج • الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون
على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني
غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون اليها حين
لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت
القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس
عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد • وهم • اي ياجوج وماجوج وقيل الناس • من كل حدب •
اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر • ينسلون • اي يسرعون واصله مقاربة

الخطو مع الاسراع وقرى بضم السين • واقترب الوعد الحق • عطف على فتحت والمراد به
ما بعد النفخة الثانية من البعث والحشر والجزاء لا النفخة الاولى • فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا • جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم
يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره
ما بعده • يا ويلنا • على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا يقال فهذا
اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط • قد كنا في غفلة تامة • من هذا • الذي دهمنا
من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق • بل كنا ظالمين • اضراب عما قبله من وصف
بالغفلة اي لم نكن غافلين منه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك
الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم • خطاب للكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما
مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم
لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية
وقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح
وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه
ما روي انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي
ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل
لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منها نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص
في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله
لهم بطريق دلالة النص لجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى ثم بعد ما بين مدلول
النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق
الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين
لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين
مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء
حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله
تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في
المعبودية من دون الله تعالى دون المذكورين ثم وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة
واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سياتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ
بيانا للتجوز والتخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم

والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرى بسكون الصاد وصفا له
بالمصدر للمبالغة • انتم لها واردون • استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا • لو كان •
هؤلاء • اي اصنامهم • آلهة • كما يزعمون • ما وردوها • وحيث تبين ورودهم اياها تعين
امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد
اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورود
النار على عدم آلهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بانجرار الكلام
اليه عند بيان ما سيق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر
المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون
عندهم اجيب ببيان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق
الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين • وكل • اي من العبدة والمعبودين
فيها خالدون • لا خلاص لهم عنها • لهم فيها زفير • اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه
من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس
وكذا في قوله تعالى • وهم فيها لا يسمعون • اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة
العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • شروع في
بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد
وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن
الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة
وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين
فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل في قوله تعالى
وحرام الخ • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون
بما ذكر من النعت الجميل • عنها • اي عن جهنم • مبعدون • لانهم في الجنة وشتان بينها وبين
النار وما روي ان عليا رضي الله تعالى عنه خطب يوما فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول • لا يسمعون
حسيسها • ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت
يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان

كان • و دما • ون • قال

كان صوته في غاية الشدة لانهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من
من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى • وهم فيما اشتهت
انفسهم خالدون • بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون
في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى • لا يحزنهم الفزع الاكبر • بيان
لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم
ما عداه بالضرورة عن الحسن رح انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل
حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن
في الارض وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله
لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون
الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل • وتتلقاهم الملائكة • اي تستقبلهم مهنئين لهم • هذا يومكم على
ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم • الذي كنتم توعدون • في الدنيا وتبشرون بما فيه
من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم
الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزيز
والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل • يوم نطوي السماء • بنون العظمة منصوب باذكر وقيل
ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة وقرئ يطوى بالياء والتاء
والبناء للمفعول • كطي السجل • وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ
الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى • للكتب • متعلقة بمحذوف
هو حال من السجل او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي
السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها
فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام
للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة واسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك
يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
• كما بدأنا اول خلق نعيده • اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد
العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبتدأ لشمول
الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول
مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده
اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف
• وعدا • مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة • علينا • اي علينا
انجازه • انا كنا فاعلين • لما ذكر لا محالة • ولقد كتبنا في الزبور • هو كتاب داود عم وقيل هو اسم

لجنس

لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام • من بعد الذكر • اي التورية وقيل اللوح المحفوظ اي
وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا
واثبتنا في اللوح المحفوظ • ان الارض يرثها عبادي الصالحون • اي عامة المؤمنين بعد اجلاء
الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رض ان المراد ارض الجنة
كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم • ان في هذا • اي فيما ذكر في
السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة
على التوحيد وصحة النبوة • لبلاغا • اي كفاية او سبب بلوغ الى البغية • لقوم عابدين • اي
لقوم همتهم العبادة دون العادة • وما ارسلناك • بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير
ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين • الا رحمة للعالمين • هو حيز النصب على انه استثناء
من اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة
للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب
لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما فرط
في نفسه وضيع حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف
والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم • قل انما يوحى
الي انما الهكم اله واحد • اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة
واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد
اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة
القيام • فهل انتم مسلمون • اي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء
للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون
طريقها السمع • فان تولوا • عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي • فقل • لهم • آذنتكم •
اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم • على سواء • كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم
او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء
اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير • وان ادري • اي ما ادري • اقريب ام بعيد ما توعدون •
من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر كونه آتيا لا محالة • انه يعلم الجهر من القول • اي
ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود • ويعلم
ما تكتمون • من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا • وان ادري لعله فتنة
لكم • اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف
تعملون • ومتاع الى حين • اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة

ليكون ذلك حجة عليكم • قال رب احكم بالحق • حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على
صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم
وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ابيد راى تعذيب وقرئ رب احكم
بضم الباء وربى احكم على صيغة التفضيل وربى احكم من الاحكام • وربنا الرحمن • مبتدأ وخبر
اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى • المستعان • اى المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ
واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به
عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف
العامة لهم • على ما تصفون • من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية
الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب
الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه
عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقرئ
يصفون بالياء التحتانية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله تعالى حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القران

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم • خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم بعد
من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب
المشافهة مختصا بالفرق الاول على الوجه الذى مر تقريره فى مطلع سورة النساء ولفظ الناس
ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فوارده على نهج التغليب لعدم تناولها
للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الاخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد
الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اى احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم
وقوله تعالى • ان زلزلة الساعة شئ عظيم • تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة
فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هى من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التى
لا ملجا منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة
والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها
ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمى كانها
هى التى تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير
فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض

زلزالها

زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضى الله عنه زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة
والشعبى انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفى التعبير
عنها بالشئ ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على
وجه الابهام وقوله تعالى • يوم ترونها • منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة
اى وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها • تذهل كل مرضعة • اى مباشرة للارضاع
عما ارضعت • اى تغفل وتذهب مع دهشة عما هى بصدد ارضاعه من طفلها الذى ألقمته
ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف
شيئيته لكن لا تدرى من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اى تذهل عن ارضاعها والاول
والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل مع نصب كل اى تذهلها الزلزلة • وتضع كل ذات حمل حملها • اى تلقى
جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة
والشعبى واما على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر
اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك تكون عند النفخة الثانية
فانهم يقومون على ما صعقوا فى النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها
ولا ريب فى ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر
وترى الناس • بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف
بالجمعية والافراد لما ان المرئى فى الاول هى الزلزلة التى يشاهدها الجميع وفى الثانى حال من عدا
المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه
بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة فى المرئى لا فى الرائى باختلال مشاعره لان مداره
رؤيته للزلزلة لا لغيرها كما قيل وتصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما فى التنزيل للايذان
بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اى يراهم كل واحد
سكارى • اى كانهم سكارى • وما هم بسكارى • حقيقة • ولكن عذاب الله شديد • فرهقهم هوله
وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذى جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء
مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رويتك قائما والناس منصوب اى تظنهم سكارى
وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم
التاء وكسر الراء اى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى
وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل • ومن الناس • كلام مبتدأ جئ به اثر بيان عظم شان الساعة
المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى
او بتقديرها يتعلق به كما مر مرارا اى وبعض الناس او وبعض كائن من الناس • من يجادل

في الله اى في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى • بغير علم • حال من ضمير يجادل
موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل اى ملابسا بغير علم روى انها نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى
عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين • ويتبع • اى فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتى
وما يذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك • كل شيطان مريد • عات متمرد متجرد
للفساد واصله العرى المنبئ عن التجرد له كالشجر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين
عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة
الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى • كتب عليه • اى
الشيطان صفة اخرى له وقوله • انه • فاعل كتب والضمير للشان اى رقم به لظهور ذلك
من حاله ان الشان • من تولاه • اى اتخذه وليا وتبعه • فانه يضله • بالفتح على انه خبر
مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية
وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اى من تولاه فشانه انه يضله
من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه
من التعسف ما لا يخفى وقيل وما لا يخلو عن التمحل التاويل وقرى فانه بالكسر على انه
خبر لمن او جواب لها وقرى بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت
ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راى من
يراه • ويهديه الى عذاب السعير • بحمله على مباشرة ما يؤدى اليه من السيئات • يا ايها الناس
اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على ما تحقق ما جا دلوا
فيه من البعث • ان كنتم في ريب من البعث • من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرى
من البعث بالتحريك كالجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع
انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا • فانا خلقناكم • اى فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اى خلقنا كل
فرد منكم • من تراب • في ضمن خلق ادم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ
من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل وكان خلقه
عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا • ثم من نطفة • اى ثم خلقناكم خلقا
تفصيليا من نطفة اى منى من النطف الذى هو الصب • ثم من علقة • اى قطعة من الدم
جامدة متكونة من المنى • ثم من مضغة • اى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهى في الاصل

مقدار ما يمضغ • مخلقة • بالجر صفة اى مستبينة الخلق مصورة • وغير مخلقة • اى لم يستبن خلقها
وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شئ من الاعضاء ثم ظهرت
بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبنى على التدرج من المبادى البعيدة الى
القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة
وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك فان جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا
لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
الاية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم • لنبين لكم • متعلق بخلقنا وترك
المفعول لتفخيمه كما وكيفا اى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة
من الحقائق التى من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجى تاملا حقيقيا
جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشاه
على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع
ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس
نظرا الى الفاعل والقابل وقرى ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى • ونقر في الارحام ما نشاء
استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك
الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادى التبيين ايضا لما ان دلالة الاول
على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التى من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اى
ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها • الى اجل مسمى • هو وقت الوضع
وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام
لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقط والتعرض للازلاق لا يناسب المقام
لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد نا
قصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرى
يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته • ثم نخرجكم • اى من بطون امها تكم
بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى • طفلا • اى حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل
واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرى يخرجكم بالياء وقوله تعالى
• ثم لتبلغوا اشدكم • علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم
لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا
الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرى ما قبله من الفعلين
بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور
لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا

ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية
الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في
الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة واسناد البلوغ
مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال
حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم عبد تبنية الاثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل
لها واحد كالاسدة والقتود وكانها حيث كانت شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع • ومنكم
من يتوفى • اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى • ومنكم
من يرد الى ارذل العمر • وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة
المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل • لكيلا يعلم من بعد علم • اي علم كثير
شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي
ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى
ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى • وترى الارض
هامدة • حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار
اذا صارت رمادا • فاذا انزلنا عليها الماء • اي المطر • اهتزت • تحركت بالنبات • وربت • انتفخت
وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت • وانبتت من كل زوج • اي صنف • بهيج • حسن
رائق يسر ناظره • ذلك بان الله هو الحق • كلام مستانف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة
البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من اثار الوهية تعالى واحكام شؤونه
الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث
من اسباب تلك الاثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والافاق ومبادي صدورها عنه
تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان
انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو
الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر
من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد
موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار
والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته
وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء • وانه يحيي الموتى • اي شانه وعادته احياؤها وحاصله
انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار
وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها الا باعتبار

نفسها

189

نفسها • وانه على كل شيء قدير • اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر
من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء
فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشاؤه الغفول
عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الاثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة المتبعة
مسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه
النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به • وان الساعة اتية • اي فيما سيأتي
وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا
محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من الغفول
وقوله • لا ريب فيها • اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها
في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في
اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين
داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل • وان الله يبعث من في القبور • لكن لا من
حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها
بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رافته بالعباد المبنية على الحكم البالغة
الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما
ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين
وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما
ترى من احكام حقيته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام
حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور
لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على
احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد
ان يفي بما وعد وانت خبير بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس
الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق
المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة اتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو
خبر والمبتدا محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة اتية وان الثانية معطوفة على الاولى
وقيل المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الابين • ومن الناس من يجادل في الله • هو ابو جهل
ابن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس
واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق
• بغير علم • متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري

كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى • ولا هدى • هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة
• ولا كتاب منير • وحي مظهر للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة
نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا و
ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده
من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه
باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي
• ثاني عطفه • حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان
ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا للتعطف • ليضل عن سبيل الله • متعلق
بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى
الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما
التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية
لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك
• له في الدنيا خزي • جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي يثبت
له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار • ونذيقه يوم
القيمة عذاب الحريق • اي النار المحرقة • ذلك • اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي
وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى • بما قدمت يداك • اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه
لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد
ومحل ان في قوله عز وعلا • وان الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي
والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان
تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما
بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما
ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال
• ومن الناس من يعبد الله على حرف • شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين
اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش
فان احس بظفر قر والا فر • فان اصابه خير • اي دنيوي من الصحة والسعة • اطمأن به • اي
ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف
ولا يثنيهم عاطف • وان اصابته فتنة • اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله
او ماله • انقلب على وجهه • روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح

بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته ولدا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي
سعيد رضي ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم • خسر الدنيا
والاخرة • فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال
والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ
محذوف • ذلك • اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون
• هو الخسران المبين • الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله • يدعو من دون الله • استئناف
مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى • ما لا يضره • اذا لم يعبده • وما لا
ينفعه • ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما • ذلك الدعاء
• هو الضلال البعيد • عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن
الطريق • يدعو لمن ضره اقرب من نفعه • استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير
كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه
عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن
مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة للمبتدأ الاول وقوله تعالى • لبئس المولى ولبئس العشير •
جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد
صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة وتقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول
ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه و
لا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب
هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول
لا تاكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته
بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه
يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من مع
صيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام
بعيد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به ايضا والجملة القسمية
مستانفة • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات • استئناف جيء به لبيان كمال
حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بالاغاية وراءه من اجل
المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين
وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته

وعشرته وبذمومنه مدة نامة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار
المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف
اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى
الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوايل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله
يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة
المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من امن به وصدق رسوله صلعم وعقاب من اشرك به
وكذب برسوله عم ولما كان هذا من اثار نصرته تعالى له عم عقب بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والاخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع
والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه
ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعة ببعض الامور ومباشرة ما يرده
من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره
ان يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء
فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو فيه
ما انتهت اليه قدرته في باب المضادة والمضارة من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الان انه ان
فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي
وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصرته ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان
ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان
لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحي فان فرض وقوعه
مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه عم
ويخشون الا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال
الا بمشيته فلا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اي
مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة انزلناه اي القران الكريم كله وقوله تعالى ايات
بينات اي واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك
وان الله يهدي به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها
ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك

او الرفع

او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي والامر ان الله يهدي من يريد هدايته ان الذين امنوا اي بما ذكر من
الايات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم
من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا
وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله
يفصل بينهم يوم القيامة في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملة بحرف التحقيق لزيادة
التقرير والتاكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل
وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى
ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله
ومن قضية الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء ما يليق به عليه
وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من
اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة
اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية
العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء
بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية
على تشبيهه باكمل افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه في اقصى مراتب التسخير والتذلل لا السجود
الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادة شمول
الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية فيهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم
شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر
يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضية انتفاء ذلك
عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب
والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي
من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير
معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير من الناس
حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليهم العذاب حقا
ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علم من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم
يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي من
جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه

بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي وتقريره لمحلا اي فريق من المومنين وفريق
الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس • خصمان • اى فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملا على
المعنى اى اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شوونه تعالى فان
اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة
للفرق الاخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمومنون فقالت اليهود
نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله منكم امنا بمحمد ونبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما
اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة • قطعت لهم • اى قدرت على مقادير جثثهم وقرى
بالتخفيف • ثياب من نار • اى نيران هايلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها • يصب من فوق روسهم
الحميم • اى الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رض لو قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها
والجملة مستانفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم • يصهر به • اى يذاب • ما في بطونهم • من
الامعاء والاحشاء وقرى يصهر بالتشديد • والجلود • عطف على ما وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار
بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن اقدم من تاثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة
حال من الحميم • ولهم • اى للكفرة اى لتعذيبهم واجلهم • مقامع من حديد • جمع مقمعة وهي الة القمع • كلما ارا
دوا • ان يخرجوا منها • اى اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى
اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا • من غم • اى غم شديد من غمومها وهو
بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه والمفعول له للخروج • اعيدوا فيها •
اى في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها • وذوقوا • على تقدير قول
معطوف على اعيدوا اى وقيل لهم ذوقوا • عذاب الحريق • اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك •
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار • بيان لحسن حال المومنين
اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف
التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المومنين ودلالة على تحقيق
مضمون الكلام • يحلون فيها • على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرى بالتخفيف من الاحلاء
بمعنى الالباس اى يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرى يحلون من حليت المراة اذا لبست حليها ومن
في قوله تعالى • من اساور • اما للتبعيض اى بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان
لما ان ذكر التحلية مما ينبي عن الحلي المبهم وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون
• من ذهب • بيان للاساور • ولولوا • عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف
او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اى يوتون وقرى بالجر عطفا على اساور وقرى
لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبها واوا وليلبا بقلبهما ياء • ولباسهم فيها حرير •

غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد
المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن
عراوهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللولو فانها ليست من
اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية
على بيان حال اللباس • وهدوا الى الطيب من القول • وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الجنة الاية • وهدوا الى صراط الحميد • اى المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة ووجه تاخير هذه الهداية
عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتاخر عن دخول الجنة المتاخر عن الهداية الى طريقها لرعاية
الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه
التاخير ان ذكر الحميد يستدعي ذكر المحمود • ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله • ليس المراد
حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين
امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اى وهم يصدون وخبران محذوف
لدلالة اخر الاية الكريمة عليه ان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من
جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى • والمسجد الحرام • عطف على سبيل
الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى • الذي جعلناه للناس • اى كائنا من كان من غير فرق
بين مكي وافاقي • سواء العاكف فيه والباد • اى المقيم والطاري وسواء اى مستويا مفعول ثان
لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة
تشنيع الصادين عنه وقرى سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدا والجملة مفعول ثان
للجعل وقرى العاكف بالجر على انه بدل من الناس • ومن يرد فيه • مما ترك مفعوله ليتناول
كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما • بالحاد • بعدول عن القصد • بظلم • بغير حق وهما حالان مترا
دفان • والثاني بدل من الاول باعادة الجار اى صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام
• نذقه من عذاب اليم • جواب لمن • واذ بوانا • يقال بواه منزلا اى انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني
مباءة للاول قيل • لابراهيم مكان البيت • وعليه مبني قول ابن عباس رض جعلناه اى اذكر وقت
جعلنا مكان البيت مباءة له عم اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زايدة ومكان ظرف
كما في اصل الاستعمال اى انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم
روي ان الكعبة الكريمة خمس مرات احداها بناء الملايكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان
والثانية بناء ابراهيم عم والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامس بناء الحجاج وهذا هو الذي هو الان من القواعد

في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة
لبوانا من حيث انها متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر
تحقيقه في اوايل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل
التعبير عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت
وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ اذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عم
صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلعم امر بذلك في حجة
الوداع وياباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قايم وقرئ
بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على
انه صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق
بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن
اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة
واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة المنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد
الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح
لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان
المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر
قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى
على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة لما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة
الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب
وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموه بقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب
وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به يتم التحلل فانه قرينة قضاء
التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج
ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين
الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب

مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية
على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم اية تحريمه استثناء متصل منها على ان عبارة عما
حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل و
الاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الالتفات الى بيان عدم كونها من
ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور
اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها
والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب
بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن
يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم اية تحريمه فانه
مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى
واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم
الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه في تحريم البحاير والسوايب ونحوهما والافتراء على
الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
تعالى ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك الماخوذ من الافك الذي هو
القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك
لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين
الحق مخلصين له تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا
اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب
من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج
الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح
الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والتاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه او تهوي به الريح
اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في
او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله
فقد اهلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك
ومن يعظم شعاير الله اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعايره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم
من شعاير الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها

حـ ثانيها غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من
ذهب وان عمر رض اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اى فان تعظيمها من تقوى القلوب
اى من افعال ذوى تقوى القلوب فحذف هذه المضافات والعايد الى من او فان تعظيمها
ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر
اثرها في ساير الاعضاء لكم فيها اى في الهدايا منافع هي ردها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل
مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اى وجوب نحرها او وقت نحرها
منتهية الى البيت العتيق اى الى ما يليه من الحرم ثم للتراخى الزمانى او الرتبى اى لكم فيها منافع
دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظمها في النفع محلها اى وجوب نحرها او وقت وجوب
نحرها الى البيت العتيق اى منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعاير مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم
فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعاير الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج
ثم محلها اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اى منته اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم
النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اى لكل اهل دين جعلنا منسكا
اى متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرى بكسر السين اى موضع نسك وتقديم الجار والمجرور
على الفعل للتخصيص اى لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله
خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلى من المناسك
تذكرة المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون
من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان جعل تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد
لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الالهية للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا
لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اى فاذا
كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر
المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله صلعم اى المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من
الوظايف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها
والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوايب والمقيمي الصلوة في اوقاتها
وقرى بنصب الصلاة على تقدير النون وقرى والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرى بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال
كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرى بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها
الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله صلعم
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا من الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم

وقرى بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله من شعاير الله اى من اعلام دينه التى شرعها الله تعالى
مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغوا متعلق به قوله تعالى لكم فيها خير اى منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة
مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك صواف اى قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرى صوافن من صفن الفرس اذا قام على
ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرى صوافنا
بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند التوقف وقرى صوافى اى خوالص لوجه الله عز وجل وصوافى
على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله لعلى ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهى كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اى الراضى بما عنده وبما يعطى
من غير مسئلة ويؤيده انه قرى القنع والقانع من اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر اى
المعترض للسؤال وقرى المعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع
المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تاخذونها
منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا
عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اى لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق
بها ولا دماؤها المراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه
تقوى قلوبكم التى يدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان
اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير
وتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما مصدرية او موصولة اى على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلق بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اى المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امورهم ان
الله يدفع عن الذين امنوا كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم
على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة
التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها
قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اى يبالغ في دفع غائلة المشركين
وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يبالغ فيه اى يدفعها عنهم مرة بعد اخرى
حسبما تجدد منهم القصد الى اضرار المسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرى يدفع
والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد
للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن البغض اى ان الله يبغض
كل خوان في امانة تعالى وهى اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التى هى معظمها كفور للنعمة وصيغة المبالغة

فيها بيان انهم كذلك لا التقييد بالبغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي
اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا • اذن • اي رخص وقرى على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى للذين
يقاتلون • اي يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين
اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرى على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين
فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر • بانهم ظلموا • اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه ام بين مضروب ومشجوج
ويتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية نزلت في
القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية • وان الله على نصرهم لقدير • وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر
من العدة الكريمة بالرفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم
عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد
تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى • الذين اخرجوا من ديارهم • في حيز الجر على
انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار
مبتدا والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة • بغير حق • متعلق باخرجوا بغير ما يوجب
اخراجهم وقوله تعالى • الا ان يقولوا ربنا الله • بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي
ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع • ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض • بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرى دفاع • لهدمت •
لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرى هدمت بالتخفيف • صوامع • للرهابنة • وبيع • للنصارى
وصلوات • اي وكنائس لليهود وسميت بها لانها تصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية فعربت
ومساجد • للمسلمين • يذكر فيها اسم الله كثيرا • اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد
خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله
عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شريعتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام • ولينصرن
الله من ينصره • اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه
وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم
ارضهم وديارهم • ان الله لقوي • على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم • عزيز • لا يمانعه
شيء ولا يدافعه • الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر • وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند
تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطف وعن عثمان
رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على

صحة

صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين
لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من
قوله من ينصره • ولله عاقبة الامور • فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار
اوليائه واعلاء كلمته • وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى الموعود بقوله تعالى
ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق
التكذيب لما ان المقصود تسليته عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن
على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست بأوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك
قوم نوح • وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين • اي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر
وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح • وكذب
موسى • غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بني اسرائيل لم يكذبوه وانما
كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان اخر على ان بني
اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ونحو ذلك من الايات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون اياته في
كمال الوضوح وقوله تعالى • فامليت للكافرين • اي امهلتهم حتى انصرمت حبال اجالهم والفاء
لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب
الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى حيث
لم يذكروا فيما قبل صريحا • ثم اخذتهم • اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه
وامهاله • فكيف كان نكير • اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول
والفظاعة وقوله تعالى • فكاين من قرية • منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • اهلكناها • اي فاهلكنا
كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء
واهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرى اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم
فكيف كان نكير • وهي ظالمة • جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى • فهي خاوية • عطف
على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك في حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب
كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم
اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها • على عروشها • اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت
سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش
اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من
اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها

خرّابعد جبر اى فهى خالية وهى على عروشها اى قايمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف
سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قايمة فهى مشرفة على السقوف طعة واسناد الاشراف
الى الكل مع لونه حال الحيطان لما مرّ انفا • وبئر معطلة • عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى
تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرى بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله • وقصر مشيد • مرفوع البنيان
او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد بالبئر بئر بفتح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من
بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما • افلم يسيروا فى الارض • حث لهم على ان يسافروا
ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار
جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اى اغفلوا فلم يسيروا
فيها فتكون لهم • بسبب ما شاهدوه من المواد الاعتبار ومظان الاستبصار • قلوب يعقلون بها •
ما يجب ان يعقل من التوحيد • او اذان يسمعون بها • ما يجب ان يسمع من الوحى او من الومن
اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم • فانها لا تعمى الابصار • الضمير
للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه • ولكن تعمى القلوب التى
فى الصدور • اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة وذكر
الصدور للتاكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص
بالبصر قيل لما انزل قوله تعالى من كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله
انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الاخرة اعمى فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب • كانوا منكرين لمجى العذاب
المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم
ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى • ولن يخلف الله وعده • اما جملة حالية جى بها لبيان بطلان
انكارهم لمجيئه فى ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجى العذاب الموعود والحال
انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبنية لما ذكر وقوله تعالى • وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون • جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان
كانت اعتراضية سبقت لبيان خطائهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى
ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع كون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق
به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره
ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من
المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة اى يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب
فى القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلعم ومن معه من المؤمنين
وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما فى قوله تعالى ويستعجلونك

بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبنية
لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخرة بيانا لبطلان بيتى ابتنائه
على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذى مر بيانه فلا يكون فى النظم الكريم تعرض لانكارهم
الذى دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى فى رد انكارهم ببيان
عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم
العذاب المستطال لشدته او عن ايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده
سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوى وان الزمان
الممتد هو الذى مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا ترى الى قوله تعالى
• وكاين من قرية الخ فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح فى ان المراد
هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اى وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل • امليت لها • كما امليت لهؤلاء
حتى انكروا مجى ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء • وهى ظالمة •
جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اى امليت لها والحال انها
ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء • ثم اخذتها • بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال
وقوله تعالى • والى المصير • اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ومصرح بما افادة ذلك بطريق التعريض من
ان مال امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اى الى حكمى مرجع الكل جميعا لا الى احد غيرى
لا استقلالا ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم • قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين •
انذركم انذارا بينا بما اوحى من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لى دخل فى اتيان ما توعدونه من
العذاب حتى تستعجلونى به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان
مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم • فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة • لما ندر منهم من الذنوب • ورزق كريم • هى الجنة والكريم من
نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته • والذين سعوا فى اياتنا معاجزين • اى مسابقين او مسابقين
فى زعمهم وتقديرهم طامعين ان يكيدوا الاسلام يتم لهم واصله من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا
سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرى معجزين اى مثبطين
الناس عن الايمان على انه حال مقدرة • اولئك • الموصوفون بما ذكر من السعى والمعاجزة • اصحاب
الجحيم • اى ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها • وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبى • الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعوا الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه
لتقرير شريعة سابقة كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
ولذلك شبه عم علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة

الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة او ثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام • الا اذا تمنى • اي هيأ في نفسه ما يهواه • القى الشيطان في امنيته • في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة • فينسخ الله ما يلقي الشيطان • فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه • ثم يحكم الله اياته • اي يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في شؤونه الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام اياته الباهرة • والله عليم • مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطأ • حكيم • في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد بالسجود في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الاية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل امنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلعم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق بالقران ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله وفي الاية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة • ليجعل ما يلقي الشيطان • علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلعم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لا لان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل • فتنة للذين في قلوبهم مرض • اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية • والقاسية قلوبهم • اي المشركين • وان الظالمين • اي الفريقين المذكورين فوضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة • لفي شقاق بعيد • اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعيد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله • وليعلم الذين اوتوا العلم انه • اي القران • الحق من ربك • اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجليلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عم فلا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عم لكن يأباه قوله تعالى • فيؤمنوا به • اي بالقران اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان • فتخبت له قلوبهم • بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه

من الاوام

من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لما اسما الايه الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له • وان الله لهادي الذين امنوا • اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر • الى صراط مستقيم • هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله • ولا يزال الذين كفروا في مرية • اي في شك وجدال • منه • اي من القران وقيل من الرسول صلعم والاول هو الظاهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله اياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس مما تهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شان القران ولا تجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم • حتى تاتيهم الساعة • اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى • بغتة • اي فجأة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت • او ياتيهم عذاب يوم عقيم • اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او ياتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة اشراطها لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سباق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخرويين يقضي بان المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه • الملك • اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق • يومئذ لله • وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة بحيث ان يكون مدارا لحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى • يحكم بينهم • جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والمجارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى • فالذين امنوا • الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين امنوا بالقران الكريم ولم يماروا فيه • وعملوا الصالحات • امتثالا لما امر فيه

تضاعيف • في جنات النعيم • اي يستقرون فيها • والذين كفروا وكذبوا باياتنا • اي اصروا على ذلك
واستمروا • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر
والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى • لهم عذاب • جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا
لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ
اولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم
السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب
الاعمال الصالحة اياها • وقوله تعالى • مهين • صفة لعذاب مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة وفيه
من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى • والذين هاجروا في سبيل الله • اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله
تعالى • ثم قتلوا او ماتوا • اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى • ليرزقنهم الله
جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ بعضهم قولا هو الخبر
والجملة محكية به قوله تعالى • رزقا حسنا • اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا
او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في
القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت
الارزاق الحسنة وروي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا
في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت
وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم • وان الله لهو
خير الرازقين • فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما
قبله وقوله تعالى • ليدخلنهم مدخلا يرضونه • بدل من قوله ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه و
مدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس
رضي الله عنه انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه
وان الله لعليم • باحوالهم واحوال معاديهم • حليم • لا يعاجلهم بالعقوبة • ذلك • خبر مبتدأ اي
الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف • ومن عاقب بمثل ما عوقب به •
اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له
• ثم بغي عليه • بالمعاودة الى العقوبة • لينصرنه الله • على من بغى عليه لا محالة • ان الله لعفو غفور • اي
مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر
المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من
عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر
فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده

ذلك

ذلك • اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله
تعالى • بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب
بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الاخر بان
يزيد فيه ما ينقص على الاخر او بتحصيل احدهما في مكان الاخر لكونه اظهر المواد واوضحها • وان الله سميع
بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب • بصير • بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله • ذلك • اي
الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر انفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
• بان الله هو الحق • الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية
فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا • وان ما يدعون من دونه • الها وقرئ على البناء للمفعول على ان
الواو لما انه عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين • هو الباطل • اي المعدوم في حد
ذاته او الباطل الوهيته • وان الله هو العلي • على جميع الاشياء • الكبير • من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه
شانا واكبر سلطانا • الم تر ان الله انزل من السماء ماء • استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله
تعالى • فتصبح الارض مخضرة • بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال
واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار • ان الله لطيف • يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق • خبير
بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا • له ما في السموات وما في الارض • خلقا وملكا وتصرفا • وان الله
لهو الغني • عن كل شيء • الحميد • المستوجب للحمد بصفاته وافعاله • الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض • اي جعل
ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد
ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر • والفلك • عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء
• تجري في البحر بامره • حال من الفلك على الاول وخبر على الاخيرين • ويمسك السماء ان تقع على الارض
اي من ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك • الا باذنه • اي بمشيئته وذلك يوم القيمة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لساير الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله
كقبول غيرها • ان الله بالناس لرؤف رحيم • حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع
واوضح لهم مناهج الاستدلال بالايات التكوينية والتنزيلية • وهو الذي احياكم • بعد ان كنتم جمادا عناصر
او نطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة • ثم يميتكم • عند مجيء اجالكم • ثم يحييكم • عند البعث
• ان الانسان لكفور • اي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده • لكل امة
كلام مستانف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته ببيان حال
ما تمسكوا به من الشرايع واظهار خطئهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية
• جعلنا • اي وضعنا وعينا • منسكا • اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة

لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا
وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل
امة باعتبار خصوصها اى تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التى كانت
من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التورية هم ناسكوه والعاملون بها لا غيرهم
التى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما الصلوة والسلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه
والعاملون به لا غيرهم والامة الموجودة عند بعث النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين
الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر فى تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا والفاء فى قوله تعالى • فلا ينازعنك فى الامر • لترتيب النهى على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل
امة من الامم التى من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا يتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب
لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه فى امر الدين زعما منهم ان شريعتهم
ما عين لاباءهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء
امة مستقلة منسكهم القران المجيد فحسب والنهى اما على حقيقته او كناية عن نهيهم عن الالتفات
الى نزاعهم المبنى على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ
فلا ينزعنك على تهييجه والمبالغة فى تثبيته واياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك
وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله
تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعى ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل
من جملة المناسك التى جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب فى بطلانه عاقل • وادع • اى ادعهم
او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا • الى ربك • الى توحيده وعبادته
حسبما بين لهم فى منسكهم وشريعتهم • انك لعلى هدى مستقيم • اى طريق موصل الى الحق سوى
والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها • وان جادلوك • بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم
الحجة عليهم • فقل لهم • على سبيل الوعيد • الله اعلم بما تعملون • من الاباطيل التى من جملتها المجادلة
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين • يوم القيمة • بالثواب والعقاب كما فصل
فى الدنيا بالحجج والايات • فيما كنتم فيه تختلفون • من امر الدين • الم تعلم • استيناف مقرر لمضمون ما قبله
والاستفهام للتقرير اى قد علمت • ان الله يعلم ما فى السماء والارض • فلا يخفى عليه شئ من الاشياء
التى من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه • ان ذلك • اى ما فى السماء والارض • فى كتاب • هو اللوح
قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له • ان ذلك • اى ما ذكر من
العلم والاحاطة به واثباته فى اللوح او الحكم بينكم • على الله يسير • فان علمه وقدرته مقتضى
ذاته فلا يخفى عليه شئ ولا يعسر عليه مقدور • ويعبدون من دون الله • حكاية لبعض اباطيل
المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم من بناء امر دينهم على غير

مبنى

غير مبنى من دليل سمعى او عقلى واعراضهم عما الىّ عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدة
اشد اعراض اى يعبدون متجاوزين عبادة الله • ما لم ينزل به • اى بجواز عبادته • سلطانا • اى حجة
• وما ليس لهم به • اى بجواز عبادته • علم • من ضرورة العقل او استدلاله • وما للظالمين • اى الذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذى يقضى ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول • من نصير • يا عليهم
بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذى يعتريهم بسبب ظلمهم • واذا تتلى عليهم
اياتنا • عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى
• بينات • اى حال كونها واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان
ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل • تعرف فى وجوه الذين كفروا
المنكر • اى الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذى يقصدونه
بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى • يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا • اى يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها
تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شئ ما اصلا بل يقضى ببطلانها
العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا
ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير • قل • ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار
بالمسلمين • افانبئكم • اى اخاطبكم فاخبركم • بشر من ذلكم • الذى فيكم من غيظكم على التالين و
سطوتكم بهم او مما بتعوضهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم • النار •
اى هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى • وعدها
الله الذين كفروا • وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية
استينافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد • وبئس المصير • اى النار • يا ايها الناس
ضرب مثل • اى بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رايقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير فى
الامصار والاعصار او جعل له مثل اى مثل فى استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكى عنهم من عبادة
الاصنام • فاستمعوا له • اى للمثل استماع تدبر وتفكر اى فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى
• ان الذين تدعون من دون الله • الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام
مثلا به سبحانه فى استحقاق العبادة على الثانى وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول على الاولين محذوف • لن يخلقوا ذبابا • اى لن يقدروا على خلقه ابدا
مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه
• ولو اجتمعوا له • اى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية
اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه
كما مر تحقيقه مرارا وهما فى موضع حال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال • وان يسلبهم الذباب شيئا

بيان لعجزهم عن الامتنان عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ان يأخذ الذباب منهم
شيئا • لا يستنقذوه منه • مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله القادر
على جميع المقدورات المنفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيلا هى اعجز الاشياء مبين ذلك
بانها لا يقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل
ويعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقوا
عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله • ضعف الطالب والمطلوب اى عابد الصنم ومعبوده
اى الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده
اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال • ما قدروا الله حق قدره • اى ما عرفوه حق معرفته حيث
اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة • ان الله لقوى • على خلق الممكنات
باسرها وافناء الموجودات عن اخرها • عزيز • غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال
الهتهم المقصودة لا ذلها العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى • الله
يصطفى من الملائكة رسلا • يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحى • ومن
الناس • وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا
العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق
بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايع
احكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شىء من الاشياء بين ان له
عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات
واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل
ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم من الاقوال والافعال • يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم • والى الله يرجع الامور • لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا • يا ايها

الذين

امنوا اركعوا واسجدوا • اى فى صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام
او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا الله تعالى وخروا له سجدا • واعبدوا
ربكم بساير ما يتعبدكم به • وافعلوا الخير • وتحروا ما هو واصلح فى كل ما تاتون وما تذرون كنوافل
الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون
بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعى رح لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود لقوله عم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها • وجاهدوا فى الله •
اى الله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم انه رجع
عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • حق جهاده • اى جهادا فيه حقا

خالصًا

خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد
الى الضمير اتساعا اولانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله • هو
اجتباكم • اى اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعوا اليه • وما جعل عليكم
فى الدين من حرج • اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم
فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشىء فاتوا منه
ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وسوغ لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد • ملة ابيكم ابراهيم •
نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة
ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان
اكثر العرب كانوا ذريته عم فغلبوا على غيرهم • هو سماكم المسلمين من قبل • فى الكتب المتقدمة
وفى هذا • اى فى القران • والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين
فى القران وان لم تكن منه عم كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وقيل فى هذا تقديره فى هذا بيان تسمية اياكم مسلمين • ليكون الرسول • يوم القيمة متعلق
بسماكم • شهيدا عليكم • بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع
وعصيان • وتكونوا شهداء على الناس • بتبليغ الرسل اليهم • فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة • اى
فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما • واعتصموا بالله • اى
ثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه • هو مولاكم • ناصركم ومتولى اموركم
فنعم المولى ونعم النصير • اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج
واعتمر فيما مضى وما بقى والله الموفق وحده وكرمه

قد افلح المؤمنون • الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير والافلاح الدخول
فى ذلك كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجىء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة
من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد هنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع
الاخبارية ضرورة ان التوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا
بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمال
الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم فلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول فى الفلاح

الذى لا يتحقق الا فى الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت
وان اريد كونهم بحال تستتبعهم البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على
اكلونى البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال ولو ان الاطبا كان حولى
والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد و
والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى • الذين هم فى صلوتهم خاشعون • وما عطف عليه صفات
مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهى صفات موضحة او مادحة
لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعنى مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر فى اوائل سورة البقرة
والخشوع الخوف والتذلل اى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روى
انه عم كان اذا صلى رفع راسه الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته
فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه • والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال
معرضون • اى فى عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه
حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض
عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم انهم لا يكونون فى اللغو نفسه ما يزجرهم
عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون عن وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلوة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه
رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه • والذين هم للزكوة
فاعلون • وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية
من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه
وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر
الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف • والذين هم لفروجهم حافظون
ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى • الا على ازواجهم • من نفى الارسال الذى ينبئ عنه الحفظ اى
لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم
حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من
واليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اى حافظوها من كل احد الا من ازواجهم
وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اى حافظون لها فى جميع الاحوال الا حال
كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون
على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وجعل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظين
فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد تكلف على تكلف

او ما ملكت

او ما ملكت ايمانهم • اى سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة
عن القصور وقوله تعالى • فانهم غير ملومين • تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم
منهن اى فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن • فمن ابتغى وراء ذلك الذى ذكر من الحد المتسع
وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء • فاولئك هم العادون • الكاملون فى العدوان
المتناهون فيه وليس فيه ما يدل صريحا على تحريم المتعة حسبما نقل عن القسم بن محمد فانه قال انها
ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان باجماع ولو كانت زوجة
له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له فى الجملة
واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونه وما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد
وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه • والذين هم
لاماناتهم وعهدهم • لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق • راعون • اى قائمون عليها
حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم • والذين هم على صلواتهم • المفروضة عليهم • يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة من التجدد والتكرر وهو
السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع فى الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا
منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى الذكر ربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة
واحدة • اولئك • اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار
للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد رتبتهم فى الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة
• هم الوارثون • اى الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر
وكرائمها • الذين يرثون الفردوس • بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها
تفخيما لشانها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم
للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل
انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار • هم فيها • اى فى الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها
وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روى انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك وغرس فيها من جيد الفاكهة
وجيد الريحان • خالدون • لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستانفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة
من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها • ولقد
خلقنا الانسان • شروع فى بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه فى اطوار خلقه وادوار الفطرة
بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على
ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان فى ضمن آدم ثم خلقا اجماليا

حيثما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالة جعلت نطفا بعد ادوار واطوار
فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون
مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها
مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي
ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان ادم عم فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقعت على
التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم عم او جعلنا نسله على حذف المضاف ان
ان اريد بالانسان ادم عم نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر
او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله
تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي
واحرز ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة
مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما
بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام
من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم
على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام
لاختلافها وقرئ على التوحيد فيها اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشأناه
خلقا اخر هي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج
ابو حنيفة رح تعالى به على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة فقط لا الفرخ لانه خلق اخر
فتبارك الله فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال
الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من الاحكام الالوهية والايذان بان حق كل من سمع
ما فصل من اثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين
بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو
احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون
فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل
نظيره قوله عم ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم اليه مقامه فانقلب مرفوعا
فاستتر روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عم
الى قوله خلقا اخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عم فقال عم اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله
فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية قال عمر رض فتبارك الله

احسن

احسن الخالقين فقال رسول الله صلعم هكذا انزل يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول
وافقت ربي في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا
منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف
وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك قدح في اعجازه لما ان الخارج عن
قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الاية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ
عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه
بذلك مما امتاز منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة
النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث التي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيامة
اي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم
بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم
كان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق
بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق اي عن ذلك الخلق الذي هو السموات عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها
او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى
ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما فيها منافعها كما ينبغي
قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر
الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة
من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس من فنون معايشهم
ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر
بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجتهم ومصالحهم فاسكناه
في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد او التغوير
بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه
ومبالغة في الايعاد به وكذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
فانشأنا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها
من الجنات تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان
يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير

والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه • وشجرة • بالنصب عطف على جنات وقرى بالرفع على انه
مبتدا خبره محذوف دل عليه ما قبله اى ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار
لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى اول شجرة تنبت بعد الطوفان وقوله تعالى • تخرج من طور سيناء
وهو جبل موسى عم بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور
اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة
من كسر السين للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من
السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث نيث
بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال فى كلامهم وقرى بالكسر والقصر
والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلى لها
وقوله تعالى • تنبت بالدهن • صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اى تنبت ملتبسة
ويجوز كونها صلة معدية اى تنبته بمعنى متضمنة وتحصل فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرى
تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما فى قول زهير رايت ذوى الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرى على البناء للمفعول وهو
كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان • وصبغ للآكلين • معطوف على الدهن جار على
اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج
منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس للائتدام وقرى وصباغ كدباغ فى دبغ • وان لكم فى الانعام
لعبرة • بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات
وقد بين انها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا به
ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا
بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما فى النبات وقوله تعالى • نسقيكم مما فى بطونها • تفصيل لما فيها من مواقع
العبرة وما فى بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذى
يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرى بفتح النون والتاء اى تسقيكم الانعام
• ولكم فيها منافع كثيرة • غير ذكر من اصوافها واشعارها • ومنها تاكلون • فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون
بما يحصل منها • وعليها • اى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على
البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها
سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن تن
• وعلى الفلك تحملون • اى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها للحمل
وهو الداعى الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة
بعينها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه • شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد

من النعم

من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا لهم
للمخاطبين وتقديم قصة نوح عم على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون
من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار
كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد ارسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم
قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود • فقال • متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق • يا قوم
اعبدوا الله • اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك
التقييد به للايذان بانها هى العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شئ راسا
وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • استئناف مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره
بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص
والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غيره تعالى وقرى بالجر باعتبار لفظه • افلا تتقون • اى افلا
تتقون انفسكم عذابه الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة
الله الذى هو ربكم الخ وليس بذلك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى تعرفون ذلك اى مضمون
قوله تعالى من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد
الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون
ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة فى الاول فى الكيفية • فقال الملأ • اى الاشراف
الذين كفروا من قومه • وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر و
شدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم • ما هذا الا بشر مثلكم • اى فى الجنس والوصف من غير فرق
بينكم وبينه وصفوه عم بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة • يريد
ان يتفضل عليكم • اى يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم و
صفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عم واغرائهم على معاداته وقوله تعالى • ولو شاء الله لانزل
ملائكة • بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق لبشريته عم اى ولو شاء
الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق
الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء
لهداكم ونظائره • ما سمعنا بهذا • اى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة
ما سواه وقيل بمثل نوح عم فى دعوى النبوة • فى آبائنا الاولين • اى الماضين قبل بعثته عم قالوه
اما لكونهم وآبائهم فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى
والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغى ان يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عم كما ينبئ عنه

الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به انه نبي فالمراد بابائهم الاولين الذين
مضوا قبلهم في زمن نوح عم وقولهم المذكور وهو الذي صدر عنهم في اواخر امره عم وهو المناسب
لما بعده من حكاية دعائه عم وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون او جن يخبلونه
ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله
يفيق مما فيه محمول على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عم به من البشرية
وارادة التفضل الى وصفه عم بما ترى وهم يعرفون انه عم ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول
على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عم بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على
الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حين يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عم رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك
ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلائتنا
كان معه عم منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة
ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها
على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب
كما قيل ومجيئه كمال اقترابه وابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور
عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل له عم اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان
تنور ادم عم فصار الى نوح عم فلما نبع منه الماء اخبرته امراته فركبوا واختلف في مكانه في مسجد الكوفة
اي في موضع عن يمين الداخل من باب كندة وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفسيره
في سورة هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه
ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين اي فردين من زوجين كما يعرب
عنه قوله تعالى اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول
اثنين اي من كل امتي زوجين وهي امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك على ان
المفعول وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور
قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر اخر تنجيزي ورد عند فوران التنور
الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان
الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه
وحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب
بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءة لادائه الى اختلاف المعنى اي

واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه ونساؤهم وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها
لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عم بل الى معاونة من اهله
واتباعه وامامهم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء
وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اي
القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهي
او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر
المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله
تعالى فاذا استويت انت ومن معك اي من اهلك واتباعك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا
وقرئ منزلا اي موضعا نزول وانت خير المنزلين امر عم بان يشفع دعاءه بما يطابقه من
ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عم بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله
عم والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عم و
بقومه لايات جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين
ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف اي وان الشأن
كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من
يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم
قرنا اخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود
في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا
موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد
ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم
بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما
السلام كانا منهم وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا
لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المأمور
بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي
والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عم وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية
القول الحق الذي نطق به حكاية ارسال بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عم
اجمالا حكاية ما جرى بينه وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على

السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية ساير الامم اى وقال الاشراف من قومه الذين كفروا
فى محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخيره من قوله تعالى
لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الاخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب
والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا
بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الصفات والاحوال
وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين امره عم وتوهينه ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
تقرير للمماثلة وما خبرية والعايد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه
ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما ذكر من الاحوال والصفات اى ان امتثلتم باوامره انكم اذا اى على
تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون فى ارائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع
الرسول الحق الذى يوصلهم الى السعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران
وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذن واقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة جواب
لقسم محذوف قيل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اى وبالله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عم بانكار وقوع ما يدعوهم الى
الايمان به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرى بضمها من مات يموت وكنتم
ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظايره ترابا
وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدم
مولكم ترابا صرفا ومتاخركم عظاما وقوله تعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى
هو قوله تعالى مخرجون اى من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى
اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا
متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول
وقرى ايعدكم انكم اذا متم الخ هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اى بعد الوقوع او الصحة لما توعدون
وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما ذا هذا
الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرى بالفتح
منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على
لفظ الوقف وابدال التاء ها ان هى الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم مقام الاولى لدلالة
الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب
تقول ما شاءت حيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية
للجنس وقوله تعالى نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هى الحيوة الدنيا اى يموت
بعض ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اى ما هو الا رجل

افترى

افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين فيما يقوله قال اى هود عم عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعا
الى الله عز وجل رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بما كذبون اى بسبب تكذيبهم اياى واصرارهم عليه
قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور
لتاكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اى عن شئ قليل ليصبحن
نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين
اصابتهم الريح العقيم اصيبوا فى تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم
سار اليها باهله فلما دنى بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت
وقيل هى العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق
متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذى لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم
غثاء اى كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التى
لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع
الضمير للتعليل ثم انشأنا من بعدهم اى بعد هلاكهم قرونا اخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اى ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم اى
ما تهلك امة قبل مجئ اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا
عطف على انشأنا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على
معنى ان ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشأنا من
بعدهم قرونا اخرين قد ارسلنا الى كل قرن منها رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة
المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه
اجمالى تترا اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما فى تولج
وتيقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرى بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل
وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجئ كل رسول لامته ولما صدر
عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجئ اما التبليغ واما حقيقة المجئ للايذان بانهم كذبوه فى اول
الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء
امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم
الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا فى مباشرة اسبابه التى هى الكفر والتكذيب وساير المعاصى وجعلناهم
احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما
يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهى ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث يتحدث بها
تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية

تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتمادي في الكفر والعدوان
وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي
هي الايات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي
اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الايات لما انها ام اياته عم واولاها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر
وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشا وغير
ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس
الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين
جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشرافه خصوا بالذكر لان
ارسال بني اسرائيل منوط بارائهم لا باراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين
متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما
عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر
لانه يطلق على الواحد كقوله تع بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تع فاما ترين من البشر احدا
ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين
للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين
طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون
بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني
والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب
الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما
يعنون بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعرض
بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية من منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة
بعابدون قدم عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم
الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ
الدنية من المال والجاه كداب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا انزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت
العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا
استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من
ملكتهم موسى الكتاب اي التورية وحيث كان ايتاؤه عم اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شان الكتب الالهية

جعلوا

جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل
اريد اتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تع على خوف من
فرعون وملائهم اي من ال فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان
التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل لا استشهاد على ذلك بقوله تع ولقد اتينا موسى الكتاب
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فلا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم
فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سياتي في سورة
القصص وجعلنا ابن مريم وامه اية اي اية دالة على عظم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالاية
امر واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه اية بانها
ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه
عم ابنها وكونها امه للايذان من اول الامر بحيثية كونهما اية فان نسبته عم اليها مع ان النسب الى الاباء
دالة على ان لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحده من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير
مشاركة الاب اية وتقديمه عم لاصالته فيما ذكر من كونه اية كما ان تقديم امه في قوله تع وجعلناها
وابنها اية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ واويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة
قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على
الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر
عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين اي ماء معين ظاهر
جار فقيل من معن الماء اذا جرى واصل الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع لانه نفاع
او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بما له من الحيوان و
والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلعم
على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عم وامه الى الربوة
ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عم بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه
جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر
المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه
الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عم وامه عند ايوائهما الى الربوة
ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم عن الحسن ومجاهد وقتادة
والسدي والكلبي انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على داب العرب في مخاطبة
الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ
من مباحات المأكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه واعملوا صالحا اي عملا

صالح فانه المقصود منكم والنافع عندربكم اى بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم
فاجازيكم عليه وان هذه استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على المذكور سوق لبيان
ان ملة الاسلام والتوحيد باهرة كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها
في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امتكم اى ملتكم وشريعتكم
ايها الرسل امة واحدة اى ملة وشريعة متحدة في اصول الشرايع التى لا تتبدل بتبدل الاعصار و
وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان
والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لى شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفى قوله
تعالى فاتقون اى في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل
والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب وفى حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب
الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى والاتحاد والامة فان كلا منهما موجب
للاتقاء حتما وقرى وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اى ولان هذه امتكم امة وانا ربكم فاتقون اى
اتقوا فاتقون كما مر في قوله تعالى واياى فارهبون وقيل على العطف على ما اى انى عليم بان امتكم واحدة الخ
وقيل على حذف فعل عامل فيه اى واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرى وان هذه على انها مخففة من ان
فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه
الامة من اربابها او لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اى
تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اى قطعا جمع زبور
بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول
ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف
اى مثل زبر وقرى بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين
الذى اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة
بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرى غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه
واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اى اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم
على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفى التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل
ايحسبون انما نمدهم به اى نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين
بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان وانما
الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اى ايحسبون ان الذى نمدهم به
من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه

وقوله

وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون
بشىء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار
الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرى يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع
ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرى يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون استيناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال
حسبانهم الكاذب اى من خوف عذابه حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة
يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر
عن الايمان بالايات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق
والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما اتوا اى يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرى
وقرى يأتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضى في الصلة الثانية
للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من
فاعل يؤتون او يأتون اى يؤتون ما اتوه او يفعلون ما فعلوه من العبادات والحال ان قلوبهم
خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اى من ان رجوعهم اليه عز وجل على مناط الوجل اى لا
يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا لمجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم
اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف
الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم
من خشية ربهم مشفقون وبايات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة
من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اى اولئك
المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اى في نيل الخيرات
التى من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت
لهم ما نفى عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل
اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة
الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما
في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وهم لها سابقون اى اياها سابقون واللام
لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد
بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت للتحريض

على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدية الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن
حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على ان المراد
استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك
الصالحين ببيان انه تع لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين
فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن
لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تع ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال
واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحايف الاعمال التى يقرؤنها عند
الحساب حسبما يعرب عنه قوله تع ينطق بالحق كقوله تع هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم
تعملون اى عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل واحد على ما هى عليه او اعمال السابقين والمقتصدين
جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق
بينطق اى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره
للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله
تع وهم لا يظلمون بيان لفضله تع وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال
اى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التى كلفوها ونطقت
بها صحايفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله فى التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون بتكليف
ما ليس فى وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التى من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها
عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منهما على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم
مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن
ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة
معينة من العذاب حتى يعد تركها ظلما التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع و
وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها
بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم فى غمرة من هذا
اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل اى بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها من هذا الذى
بين فى القرآن من ان لديه تع كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد
فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتى من قوله تع قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون
بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذى ذكر من كون قلوبهم فى غفلة
عظيمة مما ذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما سيأتى من طعنهم فى القرآن حسبما ينبئ
عنه قوله تع مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال
الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية فى وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطى للاعمال الحسنة للمؤمنين

وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها
معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اى متنعميهم وهم الذين
امدهم الله تع بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من
مضمون الشرطية اى لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل
والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذى اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروى اذ هو الذى يفاجئون عنده الجؤار فيجابون
بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تع ولقد
اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر
من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روى انه عم قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون
اى فاجؤا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تع فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص
مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس
حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متنعمين محميين بحماية غيرهم
من النعمة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى
واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم
الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تع وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم و
وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلى فى الجملة الشرطية
هو الجواب فيؤدى ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلى وقوله تع انكم منا لا
تنصرون تعليل للنهى عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اى لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم
وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تع
حتى يرد عليهم بعدم منقوديتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تع قد كانت آياتى تتلى عليكم
الخ صريح فى انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تع بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر
المنفى متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة او بعزة الله تع وقدرته وقوته اى قد كانت آياتى تتلى
عليكم فى الدنيا فكنتم على اعقابكم تنكصون اى تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن
تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به اى بالبيت الحرام او بالحرم والافتخار
قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابى الذى عبر عنه بآياتى على
تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه
ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تع سامرا اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه حيث كانوا يجتمعون

حول بالليل سمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا واتى مرادا لهجر في
الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا او ان سعلق بقوله تعالى
تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك او تهذون في شان القران او تتركونه او من
الهجر بالضم هو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من الاهجار منطقه ذا الفحش فيه وقرئ تهجرون
من الهجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم
يتدبروا القران ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من
ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت اباءهم
الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر
والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اى بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت اباءهم الاولين
حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال بمعنى ان مجيء الكتب من
جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وان مجيء القران على طريقته
فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت اباءهم الاولين كاسمعيل
(ع)م واعقابه من عدنان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن
مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال
من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه اخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اى بل الم يعرفوه (ع)م بالامانة
والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات
اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اى جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم
معرفتهم بشانه (ع)م ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له (ع)م فهو تاكيد
لما قبله ام يقولون به جنة انتقال الى توبيخ اخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اى بل ايقولون به جنة
اى جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعي
في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقران والباقيان به (ع)م الترقي من الادنى
الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من
الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول
صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به وذلك يتحقق بعدم المعرفة به بخير ولا شر ثم بما لو كان
فيه (ع)م ذلك لقدح في رسالته بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اى ليس الامر
كما زعموا في حق القران والرسول (ع)م بل جاءهم بالحق اى الصدق الثابت الذي لا محيد عنه
اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اى حق كان
لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف

المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم
بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا
الحق المبين فتامل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة
فطنته وعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق
الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان
ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اى لو كان ما كرهوه
من الحق الذي من جملته ما جاء به (ع)م موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض
ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه
من تنويه بشان … والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به (ع)م اهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه (ع)م
به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن
الالهية مما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم
العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر
القران الذي هو فخرهم وصيتهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى بل اتيناهم بفخرهم
وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم
اى فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به
وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم
عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع
لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الايتاء بالذكر
الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره (ع)م تنويه لشان النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه
بمثابة عظيمة منه عز وفي ايراد القران الكريم عند نسبته اليه (ع)م بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى
بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية ما جاء
به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شانه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا بساحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض
عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة
ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم او يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه اخر كانه قيل ام
يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا اى جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله
تعالى فخراج ربك خير اى رزقه في الدنيا وثوابه في الاخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد

من لانكار اى لا تسألهم ذلك فانما رزقك الله تعالى فى الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفى
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تعليل الحكم وتشريفه عم ما لا يخفى والخرج
بازاء الداخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخارج غالب فى الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت
والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففى النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا
فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه
ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم فى هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام
وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك
تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك فى الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة
الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهى من اقوى الدواعى الى طلب الحق وسلوك
سبيله عن الصراط اى عن جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن
الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن
كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
اى قحط وجدب للجوا لتمادوا فى طغيانهم افراطهم فى الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلعم
والمؤمنين يعمهون اى عامهين عن الهدى روى انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة
ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله
صلى فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت
الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا
اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط فى الكفر والاستكبار
ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب
استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب جواب قسم محذوف
اى وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اى لم يخضعوا ولم يتذللوا
على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون
قد اشبعت فتحته كمنتزاح فى منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله
تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اى متحيرون من كل
خير اى محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روى منهم لين مقادة وتوجه الى الله
قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه فى شئ انما هو نوع خنوع الى

ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب
الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما
جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب
الجوع الذى هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة فى
العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الآيات
التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونها وتعتبروا اعتبار الايقاع قليلا ما
تشكرون اى شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة فى الشكر صرف تلك القوى التى
هى فى انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هى له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذى ذرأكم فى الارض
اى خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اى تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم
لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذى يحيى ويميت من غير ان يشاركه فى ذلك شئ من الاشياء
وله خاصة اختلاف الليل والنهار اى هو المؤثر فى اختلافهما اى تعاقبهما ازديادا وانتقاصا
او لا مره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون
بالنظر والتأمل اى الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التى من جملتها البعث وقرئ يعقلون
على الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب
المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر تقتضيه المقام اى فلم يعقلوا بل قالوا مثل
ما قال الاولون اى آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا اى البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم
اى وعد آباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من آباؤنا اى كائنين من قبل ان هذا اى
ما هذا الا اساطير الاولين اى اكاذيبهم التى سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة و
قيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان
كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اى ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبرونى
به فان ذلك كاف فى الجواب وفيه من المبالغة فى وضوح الامر وفى تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم
تعلمون ذلك فاخبرونى وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان
يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها
قل اى عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اى اتعلمون ذلك او اتقولون
ذلك فلا تتذكرون اى من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء
ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس فى قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها بشأن العرش ورفعا

تشكرون

كنتم

تعالى من ان يكون بعالسموا وجودا وذكرا ولقد روعى في الامر بالسوال الترقي من الادنى الى الاعلى
سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرى
الله وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السوال قل اى قل لهم توبيخا افلا تتقون اى تعلمون
انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا
في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر وما لم يذكر اى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه
وهو يجير اى يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اى ولا يغيث احد عليه اى لا يمنع احد
بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اى شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله وقرى
الله ملك كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اى فمن اين تخدعون وتصرفون
عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك
بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما
قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة
بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة
الاوثان وغيرهم جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله
عليه اى لو كان معه الهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه
من ملك الاخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم
على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اى
يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة
وقيل صفة لها وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف واياما كان فهو دليل اخر على
انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى
فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك
قل رب اما تريني اى ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي
المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
اى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه
بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم
به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به هضما لنفسه وقيل لان شوم الكفرة قد يحيق بمن
وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى انه تعالى اخبره
ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط
والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون

ولكنا

ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل
اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون
ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستاصلا لا يظهر على يديه للحكمة الداعية
اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث
يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم
الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اى بما يصفونك به
او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وارشاد له الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين اى وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع
السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي
بهمز الرائض الدواب على الاسراع والوثب والجمع للمرة او لتنوع الوساوس او لتعدد
المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امره بان يعوذ به تعالى من حضورهم
بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير
النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمامور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اى اعوذ بك من
ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران كما روى
عن ابن عباس رض وحال حلول الاجل كما روى عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة
منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية و
هي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعانة
به تعالى من الشياطين ان يزلوه عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه
لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا
ومعنى اى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اى احد كان الموت الذي
لا مرد له وظهرت له احوال الاخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون
اى ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اى في الايمان الذي تركته لم ينتظم في سلك الرجاء كسائر الاعمال
الصالحة بان يقول لعلي اؤمن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه
قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اى لعلي اعمل في الايمان الذي اتي به البتة عملا صالحا وقيل
فيما تركته من المال او من الدنيا وعنه ع م اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا
فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعوني

كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اى امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية. فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراة بفتح الواو وبه كسر الصاد. فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ كما هو بينهم اليوم. ولا يتساءلون اى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه لا ينافيه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك. فمن ثقلت موازينه موزونات حسنات من العقايد والاعمال فمن كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى. فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مرهوب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ماله وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقدم تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في سورة الاعراف. فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين من الاسنان وقرى كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون ح قالوا ربنا غلبت علينا اى ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرى شقوتنا بالفتح و شقوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم

ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم ح على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما. قال اخسئوا فيها اى اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اى انزجر ولا تكلمون اى باستدعاء الاخراج من النار والرجوع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اى ان الشأن وقرى بالفتح اى لان الشأن كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا امنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اى استهزاؤهم ذكرى من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرى بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اى الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله تعالى اخسئوا فيها الخ وقرى قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار المدة لبثهم فيها فاسئل العادين اى المتمكنين من العد فانا دهشنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرى العادين بالتخفيف اى المتعدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرى العاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اى الله تعالى او الملك وقرى قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا فصدق يقال لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون

عمران

العظم اى عابثين او مفعول له اى انما خلقناكم للبعث « وانكم الينا لا ترجعون » عطف على انما اى خلقكم بغير بعث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرى ترجعون بفتح التاء من الرجوع « فتعالى الله » استعظام له تعالى ولشؤونه التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة « الملك الحق » الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة واحياء واماتة عقابا واثابة كل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته « لا اله الا هو » فان كل ما عداه عبيده « رب العرش الكريم » فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحى الذى من القران الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرى الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد « ومن يدع مع الله الها اخر » يعبده افرادا او اشراكا « لا برهان له به » صفة لازمة لاله كقوله تعالى يطير بجناحيه جى بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه « فانما حسابه عند ربه » فهو مجازيه على قدر ما يستحقه « انه لا يفلح الكافرون » اى ان الشان الخ وقرى بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل « وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين » ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف من عداه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وعنه عم انه قال لقد انزلت على عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها نجى وافلح

سورة خبر مبتدا محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى « انزلناها » مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات

واما كونها مبتدا محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فياباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان فى جملة ما اوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم سورة شانها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السورة الكريمة ليست على تلك الصفات وقرى بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل لها من الاعراب او على تقدير اقرا ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية « وفرضناها » اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرى فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف « وانزلنا فيها » اى فى تضاعيف السورة « ايات بينات » ان اريد بها الايات التى نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فلونها فى السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة سائر الايات فى ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الايات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الايات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى « ونجيناهم من عذاب غليظ » بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا « لعلكم تذكرون » بحذف احدى التاءين وقرى بادغام الثانية فى الذال اى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها « الزانية والزانى » شروع فى تفصيل ما ذكر من الايات البينات وبيان احكامها والزانية هى المراة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزانى لانها الاصل فى الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى « فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى كما فى قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وقيل خبر محذوف اى فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزانى اى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما فى حق المحصن وغيره وقد نسخ فى حق المحصن قطعا ويكفينا فى تعيين الناسخ القطع بانه عم قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفى الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن على رض جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة هى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه

ما روي عن علي رض «ولا تأخذكم بهما رأفة» وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة
ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها «ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»
من باب التهييج والالهاب فان الايمان بما يقتضي الجد في طاعته تع والاجتهاد في اجراء احكامه
وذكر اليوم الآخر لتذكر ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل «وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين» اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة
وعن ابن عباس رض الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير
والزجر «الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك» حكم مؤسس
على الغالب جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب
من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص
المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما
فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكه او تتسموا بسمته فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير
هي الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استاذنوا في نكاحهن او لتأكيد
العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة
للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا
في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة «وحرم ذلك» اي نكاح الزواني «على
المؤمنين» لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن
في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الادانى
والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي
بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله
تع وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عم سئل عن ذلك فقال
اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل ان المراد بالنكاح هو الوطي البطلان
«والذين يرمون المحصنات» بيان لحكم العفائف اذ نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني
ويعتبر في الاحصان هنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام
وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الالة وايلام المرمي وبعده
وعن الرائي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم
التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على

نزاهتهن

نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك
الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تاخر نزول الاية عن
قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شائبة
المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا «ثم لم يأتوا باربعة
شهداء» يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير الاتيان بالشهود كما ان
في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه
عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز
ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء «فاجلدوهم ثمانين جلدة»
لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تع فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك
هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن
بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن «ولا تقبلوا
لهم شهادة» عطف على اجلدوا وداخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مولم للقلب كما ان
الجلد مولم للبدن وقد اذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم
متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة
لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في
قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن اهليته
السابقة بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل
من ان المسلمين لا يعباون بسبب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار
ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى
حاله فالمعنى لا تقبلوا لهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي «ابدا» اي مدة
حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله «واولئك هم الفاسقون» كلام مستانف مقرر
لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة
والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم
من الفسقة وقوله تع «الا الذين تابوا» استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الاتي
ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تع «من بعد ذلك» لتهويل المتوب عنه اي
من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل «واصلحوا» اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط
منهم بالتلافي والتدارك ومن الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف «فان الله غفور رحيم» تعليل لما يفيده

الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فلا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا
ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رح الاستثناء بالنهي فحمل
المستثنى منه على الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونهم قاذفا فانتهى بالتوبة فتقبل شهادتهم
بعدها «والذين يرمون ازواجهم» بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن
لكن لا بان يكون هذا تخصيصا لتلك بالاجنبيات فيلزم بقاء الآية الاولى ظنية فلا يثبت
بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة
تراخي نزولها كما ستعرفه فتبقى الآية الاولى قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما تبين في موضعه ان
دليل النسخ غير معين «ولم يكن لهم شهداء» يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرى بتأنيث الفعل
«الا انفسهم» بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول
الامر بعدم الغاء قولهم في المرأة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة
الشهادة اليهم في قوله تعالى «فشهادة احدهم» اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى
«اربع شهادات» خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات «بالله» متعلق بشهادات لقربها وقيل
بشهادة لتقدمها وقرى اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل شهادة على انها خبر مبتدأ
محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة
«انه لمن الصادقين» فيما رماها به من الزنا واصله على انه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق
العامل عنها للتأكيد «والخامسة» اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها
اليهن وافرادها مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد
بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ وخبره «ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين» فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن
«ويدرؤا عنها العذاب» اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم
الذي هو اشد العذاب «ان تشهد اربع شهادات بالله انه» اي الزوج «لمن الكاذبين» اي فيما
رماني به من الزنا «والخامسة» بالنصب عطفا على اربع شهادات «ان غضب الله عليها ان كان»
اي الزوج «من الصادقين» اي فيما رماني به من الزنا وقرى والخامسة بالرفع على الابتداء
وقرى بان التخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرى ان غضب الله وتخصيص
الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما
يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن غضبه تعالى روي ان آية القذف لما نزلت قرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رض فقال جعلني الله
فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه
بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل

حاجته

حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على
امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك ابن سحماء والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا
فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة
باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل
نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي
رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا «ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم» التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب
لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره
كأنه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه
التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه
تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال
زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة
لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب
في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما
دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته
من العذاب بما هو اتم من دارئة عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل
والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء
الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شأنه واوسع
رحمته وادق حكمته «ان الذين جاؤا بالافك» اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل
هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه
والمراد به ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه
من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رض فاقرع بيننا في
غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية
الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل
فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي فلمست صدري
فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين
كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا
خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها

داع ولا مجيب فيممت منزلي فظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذا هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة اية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اهل العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو حسان ومسطح فانهما شايعا بالتصريح به فافراد الموصول باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الاخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تكرير الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على الوجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل الى تصريح بتوبيخ الخائضين ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم

فالتوبيخ

فالتوبيخ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الان والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من احاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الان هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه باربعة شهداء من تمام القول المحضض عليه مسوق تحت السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك وتوبيخهم على ترك اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم ياتوا بالشهداء وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب السامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من دون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والاخرة من ضروب الالاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التاءين ظرف لمسكم اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته اي تتثقفونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشا في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عنده عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او المشايعين لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من

تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه
المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما ترك القول نفسه رأساً فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على
فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا
بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء
منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة
ربما يستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله
واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها
اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجيه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل
كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان
يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر
حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه
ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت
عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي
ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا
من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع
عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة الواضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها
اي ينزلها كذلك مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما في
قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية
ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن البيان والله عليم باحوال
جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في
حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم
تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية
للعلم والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر
الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها
اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها
مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين
لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة
اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب
اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلعم

عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف
بصره والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من
جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال
والافعال المحسوسة فابنوا اموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال
الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر يعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل
العذاب العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف او متناولا له كما اطبق عليه الجمهور واما اذا بقي على
اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم
فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون
الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب الاليم لهم
وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم
الجريرة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار
باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد
بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام
والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا
محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في
كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون
الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن
يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يأمر بالفحشاء والمنكر
علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما فمن
اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه
للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان
الاصل يأمره وقيل هو عائد الى من اي فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان
هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بما من جملته تلك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها
ما زكى اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم
بيانية وفي قوله تعالى من احد زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل
النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من عباده
بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع
الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث

لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه
من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي • ولا يأتل • اى لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من
الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شأن الصديق رض حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان
ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتألّ • اولوا
الفضل منكم • في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه • والسعة • في المال • ان يؤتوا
اى على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات • اولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد جئ بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء
وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اى على ان لا يؤتوهم شيئا
وليعفوا • ما فرط منهم • وليصفحوا • بالاغضاء عنه وقرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى
الا تحبون ان يغفر الله لكم • اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم • والله غفور
رحيم • مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية
اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا
من موجباته روى انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابى بكر رض فقال بلى احب ان يغفر الله
لى فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا • ان الذين يرمون المحصنات • اى العفائف
مما رمين به من الفاحشة • الغافلات • عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شئ منها ولا من مقدماتها
اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور النقيات القلوب
عن كل سوء • المؤمنات • اى المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات
وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه
للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكرنا لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو
المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي
لساير امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة
دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات
المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار
والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على
احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين ساير المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن لكرامتهن
على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان تحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس
رضي الله عنهما جعله اغلظ من ساير افراد الكفر حين سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا
ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا للتهويل

امر الالكر

امر الافك والتنبيه على انه مر غليظ • لعنوا • بما قالوا في حقهن • في الدنيا والآخرة • حيث يلعنهم اللاعنون
من المؤمنين والملائكة ابدا • ولهم • مع ما ذكر من اللعن الابدى • عذاب عظيم • هائل لا يقادر قدره لغاية
عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى • يوم تشهد عليهم • الخ اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب
المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع ساير جناياتهم المستتبعة
لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار
لا للعذاب والاغضاء عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل
ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه
من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم • السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون •
يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة
وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته
فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول
المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احداهما خاصة ففيه من ضروب
التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة
وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان
كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى • يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق • اى يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي
يحق ان يثبت لهم وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان
ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه
وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اى اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل
• ويعلمون • عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم • ان الله هو الحق الثابت
الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون
التي يشاهدونها منطبقة عليها • المبين • المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه هو الحق وتفسيره بظاهر
الالوهية لله تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة
للمقام كما ان تفسير الحق بذي الحق البين اى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد
من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع
المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو
الشأن والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى • الخبيثات • الخ كلام
مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان الله ملكا يسوق

الا بل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم
على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من دواعى الانضمام والطيبات
منهن مختصة وللطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن
الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين
والاخرين تبين كون الصديقة رضى الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل
فى حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤن مما يقولون على ان الاشارة الى
اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة
وصفوان وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم فى الفضل
اى اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك فى حقهم من الاكاذيب الباطلة
وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اى مختصة ولائقة بهم لا ينبغى ان تقال
فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال فى حقهم خبائث القول والطيبات من
الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال فى شانهم طيبات
الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون فى حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات
القول مختصة بالخبيثين من فريقى الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون
بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اى مختصة بهم لا تصدر
عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك
الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اى لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين
سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفائف عنه
شرع فى تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن
فى اوقات الخلوات وتعليم الاداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف
البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل احد فى ملكه والا فالاجر والمعير ايضا
منهيان عن الدخول بغير اذن وقرى بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستانسوا اى
تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس الشئ
اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذى هو خلاف
الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس وتسلموا
على اهلها عند الاستيذان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم
ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اى الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان
تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم

صباحا حييتم مساء فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه
وسلم استاذن على امى قال نعم ليس لها خادم غيرى استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اى مرتم به وقيل لكم هذا كى تتذكروا
وتتعظوا وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اى ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء
والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت
الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف فى ملك الغير محظور مطلقا واما
حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان
يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعنى الاطلاع على العورات اولى فلا تدخلوها واصبروا
حتى يؤذن لكم اى من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتى من ياذن لكم
او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد ابرز القطعى فى معرض الاحتمال ولما كان جعل النهى مغيا بالاذن
مما يوهم الرخصة فى الانتظار على الابواب بل فى تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اى ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن
يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما فى الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على
الانتظار الى ان ياتى الاذن كما فى الثانى فان ذلك مما يجلب الكراهة فى قلوب الناس ويقدح فى المروة
اى قدح هو اى الرجوع ازكى لكم اى اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من
دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه
ليس عليكم جناح ان تدخلوا اى بغير استيذان بيوتا غير مسكونة اى غير موضوعة لسكنى طائفة
مخصوصة بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات
والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم
فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اى فيها حق تمتع لكم كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت
وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها
من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفى الحمامات ونحوهم وروى ان ابا بكر رضى
الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك اية فى الاستيذان وانا نختلف فى تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هى الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر
انها من جملة ما ينتظم البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد
لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع فى بيان
احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجا
اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما فى حيزه

من الاوامر والنواهي الى رأيه عم لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون
الامر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه
عليه اى قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقصروها على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل
المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اى ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اى اطهر لهم من
دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من
جملتها احالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا
على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن
الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لان
النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة
في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم
والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف
او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد
كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من
جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى
الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء
بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار
المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى
الموضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني
اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع
الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة
وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن
عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن اى من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي
منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي عم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب
اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم انه ليس
عليك بأس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اى اولي الحاجة
الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين

يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم
بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اى ما يخفينه من الرؤية من زينتهن اى لا يضربن بارجلهن
الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم
ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في
الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة
وانها من معظمات المهمات حقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الامر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من
المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به
الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام
لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون
تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون
لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم بعد ما زجر تعالى
عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه
مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من
الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت
افتى منكم اتأيم اى زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم
على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم
بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما
لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار
الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات
المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم
في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو الصلاح
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا
من النكاح من فقر احد الجانبين اى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في
فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه
سبحانه بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى

وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لايرزق
اغناء الخلايق اذ لانفاد لنعمته ولاغاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين من مباني النكاح
واسبابه الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي يتجتهد في
العفة وقمع الشهوة الذين لايجدون نكاحا اي اسباب نكاح اولا يتملكون ما ينكح به من المال
حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم
وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون
الكتاب بعد ما امر بالنكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم
والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان
او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك
قبلته اونحو ذلك فان اراده اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا
وفيت بالمال وكتبت على نفسك ان تفي بذلك اوكتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده
والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة
بالايجاب والقبول ولاريب في ان ذلك لايصدر حقيقة الامن المتعاقدين وليس وظيفة
كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص
به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك
الفعلين لما كان بحيث لايمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الاخر ضرورة ان التزام العتق
بمقابلة البدل من جهة الموالي لايتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد
كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لايمكن تحققه الا بتملكه من
جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الاخر وقت الانشاء فلما ان قول البائع بعت
انشاء لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا
متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء
لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله
فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى
الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن
الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رح لايجوز الا مؤجلا
منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله
من وجه حلال وصلاحا حالا يؤذون الناس بعد العتق واطلاق العتاق والتوهم من مال الله الذي
اتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل

ما يقول

ما يقول وعن علي رض حط الربع وعن ابن عباس الثلث وهو الندب عندنا وعند الشافعي للوجوب
ويرده قوله عم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا
لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة
فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى اتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا
ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به
كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه
هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم من
الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به
قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى
والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله عم ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا
يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة
لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا
دون ما عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى ان اردن تحصنا لتخصيص النهي بصورة
ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن
الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة
للاكراه في الجملة بل للنهي فقط على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف
عنه مع وفور شهوتهن الامارة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة
عن تعاطي القبائح فان عبد الله ابن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن
ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة
تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لايخفى فان من له ادنى مروة لايكاد يرضى
بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لاسيما عند ارادتهن
التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لايتأتى الامع ارادة التحصن
وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لايلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع
النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في
مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن في حيز التردد
والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن
في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ابا ظهرا وقوله تعالى
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد

فيما بينهم كما قبله حي تشيعا لهم فيما هو عليه من احمال الوزر الكبير لاجل النذر الحقير اي لا تفعلوا
ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء
الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفاؤه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق
المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن الخ جملة مستانفة سيقت لتقرير النهي
وتاكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه
الى المكرهين اشارة ومن يكرههن على ما ذكر من البغا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن
كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراة ابن عباس رض وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن
مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك
هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الاية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصها
بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منها بالكلية
كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط
التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن
الى المغفرة المنبئة عن سبق الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن
شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل
للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير
المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر
في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات كلام مستانف
جيء به في تضاعيف ما ورد من الايات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة
للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشانه
اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة ايات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود
وساير الاحكام والاداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي
او ايات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى
تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت
في هذه السورة في معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع
في الظرف باجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على ايات اي وانزلنا مثلا
كائنا من قبيل امثال الذين خلوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب
السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها
المحاكية لقصة يوسف عم وقصة مريم رضي الله عنها وساير الامثال الواردة في السورة الكريمة
انتظاما واضحا وتخصيص الايات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب

الكلام بما فيه من التمثيلات وموعظة تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات
والمكروهات وساير ما يخل بمحاسن الاداب فهي عبارة عما سبق من الايات والمثل لظهور
كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير
الذاتي وقد خصت الايات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما من قوله تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الايات الواردة في
شان الاداب وانما قيل للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى
انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون
لاثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالايات المبينات والمثل والموعظة جميع
ما في القران المجيد من الايات والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات والارض
الخ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على
الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة
الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرايع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها
في الدنيا والاخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها
حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس
النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره
كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة
على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل
في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام
العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان
لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وفيه من احواله ما يستحق
البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته
وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رض هادي اهل السموات
والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل النور على اخراجه
تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء
او على تزيين السموات بالنيرين وساير الكواكب وما يفيض عنهما من الانوار او بالملائكة
عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره
الامور بهما وامور ما فيهما فمما لا يلايم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اي نوره الفائض
منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القران المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف اياته بالانزال و
التبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس والحسن

وزيد بن اسلم وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان
شان الايات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور
هو الظهور والاظهار كما هو شان القران الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو
الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة كمشكاة اى كصفة كوة غير نافذة في الجدار في
الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح
الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة اى قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاء
وكسرها في الموضعين الزجاجة كانها كوكب درى متلالئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته
ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرئ درئ بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة دة
بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اى مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض
اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والياء على حاله وفي اعادة المصباح
والزجاجة معرفتين اثر سبقهما منكرتين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة
فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب درى من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام
والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي
دون الوصف المنبئ على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على
انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كانه قيل
فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب درى يوقد من شجرة اى يبتدأ ايقاد المصباح
من شجرة مباركة اى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة
لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها
ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ يوقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل
للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اى ابتدأ ثقوب المصباح
منها وقرئ توقد بحذف احدى التاءين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية
ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة
او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن
جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية
اى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين
فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود
ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي
الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
اى هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه

المواقع

المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة
ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق مفيد
الكلام الجازمى من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها
منها اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في
هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان
الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء اخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال
وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي
ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة
والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت
هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اى يعطي او لا يعطي كائنا
على جميع الاحوال وتقدير الاية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اى يضيء كائنا
على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة
لما افادة التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اى ذلك
النور الذي عبر به عن القران ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم
كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور اخر مثله ولا عن
مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد
مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح
اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه
الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك
الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل
النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل يهدي الله لنوره اى يهدي هداية خاصة
موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقرير
وتاكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافية الناشية من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده
بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك
من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر
الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما

يقتضي حالهم فان له وخلاعقلها في باب الارشاد ولانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير للاوابد
المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القران المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل
في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي
هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم
مفعولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها
من الناس دون غيرهم لمخالفة الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على
فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم
الجليل للتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من الاختلاف حال الحكم ذاتا وتعلقا في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان القران الكريم في بيان للشرايع والاحكام ومباديها
وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الاخرة واهوالها واشير الى كونه في
غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع
كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشية الله تعالى بهدايته دون من عداه
عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه
والمراد بالبيوت المساجد حسبما روي عن ابن عباس رض وقيل هي المساجد كلها التي بناها نبي من
انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان
عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم
والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كساير البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله
تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان
اللايق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن في
ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه يذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى
يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام
لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها
ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات
بقوله تعالى بالغدو والاصال اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل
او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو ما بين
الاوقات ما عدا صلوة الفجر والمؤداة بالغداة ويجوز ان يراد نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في
اثناء الصلوات او اوقاتها لزيادة شرفه وانافته على ساير افراده مما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي
النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة
للاعمال والاشتغال وقرى والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتاخيره عن

عن

عن الظروف لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن
الانتظام وقرى يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من
غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرى تسبح بتاء
الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو
والاصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة
على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما بل هذا اولى
من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة مفيدة
لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا
ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة
ولا بيع اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان
بانافته على ساير انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائها
ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه
اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيه ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح
والتمجيد واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله تعالى واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وايتاء
الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة
لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع
في المساجد وكذا قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس
خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب
والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها
وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من
اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون
ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا
اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل
عليهم بشيء لم يعدهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال
في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عم حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله
يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم

من الخيرات ما لا يفي به الحساب وما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في
سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووصفه موضع ضميرهم
للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية
لنوره تعالى لا لتظاهر الاسباب والايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله ان يهديهم لنوره حسبما ينبئ
عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من ذكره والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم
الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من سلك بهداه على احسن
وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كائنة
في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الكريم كيف لا وان ما بعد
قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى نور على نور على ما قيل
الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر
ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع
والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس
فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا
ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اي اعمالهم التي هي من اعمال البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج
وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل
الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه
ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية
وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل
قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان
بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا ما كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه
في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع الموئس حتى اذا جاءه اي اذا جاء العطشان ما حسبه
ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من
قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان
قصارى امرهم الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر
عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان
الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف
لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا
نافعة لهم في الآخرة اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا

يحسبونها

يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا فوجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم
وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب
للعقاب قطعا وافراد الضمير من الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل
على واحد منهم ولذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية
ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم
التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد ونادٍ بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب
مثلت اعمالهم القبيحة التي ليست فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء
منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه
بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي
الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج
متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة للموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق
ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب
ظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات
كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده
وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكر
لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء
منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افادة التمثيل من كون اعمال
الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره ايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم
وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة
للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر الخ استئناف
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين
له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في
القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله
عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص وخلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء
وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود
متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قدرته تعالى ودلالة
وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان
الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان

عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت
الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه
اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل
لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء
هم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء
ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اقبح احوالهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا
يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة
ما في الارض لعدم استقرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح
انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه
تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من
الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة
لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته
وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من
الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد
من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده
وتحقيقه اي كل احد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض
عليه منه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على استمرار
فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع
ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة
التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وقدمها على التسبيح في الذكر
لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين
في كل انواع الطير افرادها وبالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين
بها لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي
شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص
بالطير معطوفا على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال
كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله
عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم
واتقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات
علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه

ابعد

ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره ومن روي انه كان
بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره
بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله
على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى
والله عليم بما يفعلون اي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من
الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة
وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن التسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته والمناد
واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاول لتسبيح الكل هذا وقد قيل
ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه لكل اي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما
في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة
عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلان
فيهما دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه خالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات
وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما ابداء واعادة وقوله تعالى والى الله اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره
المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه
تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا
الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه
ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها
الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر
تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي
تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل
وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما
علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول
ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة
الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان
للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب
الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي
ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار
والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء

المظلة وفيها جبال من برد كما ان الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة
اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا
وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا
والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك
مستند الى ارادة الله ومشيته المبنية على الحكم والمصالح ويصرفه عمن يشاء ان يصرفه عنه فينجو
من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتاليف وغيرهما واضافة
البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد
بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق
كالغرفة وبضمها للاتباع بضم الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي
اطلاق الابصار مزيد تهويل للامر وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماء وهذا من
اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توكيد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب
على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما
بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان
في ذلك اشارة الى ما فصل انفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته و
بعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع
الاشياء ونفاذ مشيته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة
اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص
هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق
بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق
الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم
والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها
وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب
لتقديم ما هو اعرق في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من
الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل
شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة كما ذكر مع تاكيد استقلال الاستيناف التعليلي
لقد انزلنا ايات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي
من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال

بعض

بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون
الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب الاشرف اليهودي يدعوه الى النبي صلعم
وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رض في ارض وماء فابى ان يحاكم الى رسول الله صلعم واياما كان فصيغة
الجمع للايذان بان القائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنواهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد
ذلك اي من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل
وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين
لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن
القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد
وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين
اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم
الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي
فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة
فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والحاصل ليأتوا فان
يعدى الاتيان والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا
اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه
بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشائية بينها فمدار الاستفهام ليس
نفيها وليته الهمزة وام من الامور الثلثة ام ارتابوا في امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها ام لانهم
يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشأ شيء اخر من
شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان شيء
منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا
واما الثالث فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة
والثبات على الحق بل لانهم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة اليه
عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف منشائيتهما
للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد قيل الاتيان بما
منشاء مصحح لعروضهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان راوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي
في نفس الارتيابات ومنشئيته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر
الجليل انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس

والاول اقوى صناعة لان الاولى لاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه
للتنكير بخلاف قول المومنين فانه يحتمله كما اذا اضربت عنه الاضافة لكن قراة الرفع بحسب المعنى وادنى
لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر
دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا
في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما بعيده الاضافة من النسبة
المطلقة الاجمالية بحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة
مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر من المومنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم اى الرسول ءم بينهم اى وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا اى خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا اخر اصلا واما قراة النصب فمعناها انما كان
قول المومنين انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين
وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو
بخلافها في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره
مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا اى ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم
واولئك اشارة الى المومنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون
اى هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استيناف جئ
به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المومنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اى ومن
يطعهما كائنا ما كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرايض والسنن
والاول هو الانسب للمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيهه بكيف وبكسرها
الهاء اى ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة
والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض اخر من
اكاذيبهم موكد بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر موكد لفعله الذي
هو في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اى اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد
اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اى جاهدين
بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر موكد لاقسموا اى اقسموا
اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اى بالخروج
الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلعم اينما كنت نكن
معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب
لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث ما كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة

امرئ

امرءم برقها حيث قيل قل اى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهار العدم القبول لكونهم كاذبين
فيها لا تقسموا اى ما ينبغي عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل
للنهي اى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة
من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل واحد وقرئ بالنصب والمعنى
تطيعون طاعة معروفة هذا او حملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدا او خبر او فعل مثل الذي
يطلب منكم طاعة معروفة حقيقة لا نفاقية او طاعة معروفة مثل او ليكن طاعة معروفة او اطيعوا الطاعة مما
لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب
الموكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المومنين وغيرها
من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المومنين
اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول
نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع
واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها
ليست من الطاعة في شئ اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمامورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد الامر
بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني
وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع
كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب
بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته ءم وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي
عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول المامور
بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت تمحل للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه ءم للمامور اليهم وعدم
التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته ءم الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اى ان تتولوا عن
الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اى فاعلموا انما عليه ءم ما حمل اى امر به من التبليغ وقد شاهدتموه
عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اى ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه
بالتحميل للاشعار بثقله وكون مؤنته باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم
تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اى فيما امركم به من الطاعة تهتدوا
الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتاخيره من بيان حكم التولي لما في
تقديم الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول
الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام
اما للجنس المنتظم له ءم انتظاما اوليا او للعهد اى ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه ءم الا

التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه
وانما بقي ما حملتم وقوله تع وعد الله الذين امنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله تع وان تطيعوه تهتدوا من
الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي
هي من اثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين امنوا كل من اتصف بالا
يمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من امن من طائفة المنافقين فقط ولا من
امن بعد نزول الاية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين
خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على امنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم نفس الطاعة التي امر بها
ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان
وعراقته في استتباع الاثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما
في قوله تع وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين
معه عليه الصلوة والسلام ومن خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة
مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وللامة عموما على ان من تبعيضية اوله ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه
سياق النظم الكريم وسياقه بمراحل او بعد عما يليق بشانه بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب للقسم اما
بالاضمار او تنزيل وعده تع منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك
في ممالكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم
هم بنوا اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم
المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تع الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تع فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض
من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم
استخلافا كائنا كاستخلافه تع للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف الفعل
المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار مجرى المطاوع فان استخلافه تع اياهم مستلزم لكونهم
مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد
حققه في قوله تع كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تع فانبتها الله نباتا حسنا على احد الوجهين اي
فنبت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي فلم
يبق الا مسحت الخ وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه
اجل الرغايب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة
ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون
والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لاخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تع

انا

نا مكنا له في الارض ونظايره وكلمة الايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة
احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة
بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من
منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله تع
الذي ارتضى لهم وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين
الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اي من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبي صلعم قبل الهجرة
عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي
علينا يوم نامن فيه فقال عم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة
فانزل الله عز وجل هذه الاية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا
الى حال يخافهم كل من عاداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه
ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الموصول الاول مفيدة
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد
لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف
بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة
دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو
الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد العظيم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة
لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء من الحق التايهون في تيه الغواية
والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على ما قدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تع للمأمورين بالطاعة
على طريق الترهيب من التولي بقوله تع فان تولوا الخ وترغيبه تع اياهم في الطاعة بقوله تع وان تطيعوا
تهتدوا الخ ووعده تع اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغايب
الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا و
اعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا
الرسول امرهم الله سبحانه وتع بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول ثم من طاعته التي هي طاعته
تع في الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة
للاداب المرضية ايضا اي واطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين
المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرايع اي واطيعوه في سائر ما يأ
مركم به الخ وقوله تع لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني

بالاوامر الثلثة اى تعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا
لما بين حال من اطاعهم واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان
حال من عصاه منهم ومآل امره فى الدنيا والاخرة بعد بيان تناهيه فى الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب
والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلعم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من الممترين
ونظايره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه
فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما
وقوله تعالى فى الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفى فيها لا فى غيرها فان ذلك مما لا يحتاج
الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اى لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم و
اهلاكهم فى قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على
على ان الفاعل كل واحد والمعنى كما ذكر اى لا يحسبن احد الكافرين معجزين لله سبحانه فى الارض او هو
الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن نفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم
معجزين فى الارض وانما جعل معجزين مفعولا اول وفى الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى
المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثانى ولا فائدة فى بيان كون المعجزين فى الارض وقد
مر فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قوله تعالى ومأواهم النار معطوف على جملة النهى بتاويلها
بجملة خبرية لان المقصود بالنهى عن الحسبان تحقيق نفى الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم
الخ او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهى كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض فانهم
مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ولبئس المصير جواب لقسم
مقدر والمخصوص بالذم محذوف اى وبالله لبئس المصير هى اى النار والجملة اعتراض تذييلى مقرر
لما قبله وفى ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفى فوتهم بالهرب فى الارض كل مهرب من الجزالة
ما لا غاية وراءه فلله در شان التنزيل يا ايها الذين امنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة
بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهى الواردة فيها وفى الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب
والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات فى الاحكام بدلالة النص او للفريقين
جميعا بطريق التغليب روى ان غلاما لاسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول
الله صلعم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر رضه لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات
الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلعم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم
من العبيد والجوارى والذين لم يبلغوا الحلم اى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير
عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اى من الاحرار ثلاث مرات اى ثلثة اوقات فى اليوم والليلة
والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين

بالمخاطبين

بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى احدها من قبل الخ
وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة
وهى شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون
الاول والاخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنه ايراد الحين مضافا
الى فعل حادث منقض ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور
الاحوال وبروز الامر ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده
فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس
والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورين مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين
الصلاتين كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بينى
وبين اخوتى بل ما يعرض منهما لظرف فى ذلك الوقت الممتد المتصل بالصلوتين المذكورين اتصالا
عاديا وقوله تعالى ثلاث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة
لثلاث عورات اى كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اى هن ثلاثة اوقات
يختل فيها التستر عادة والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت
على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث
مرات ليس عليكم ولا عليهم اى على المماليك والصبيان جناح اى اثم فى الدخول بغير استيذان لعدم
ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث
وهى الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات
قبل كل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن
رفعه اذ الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف به والجملة على القراءتين مستانفة مسوقة
لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها فى محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات
واما على القراءة الثانية فهى مستانفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهى بدل من ثلث مرات لكان
التقدير ليستأذنكم هؤلاء فى ثلث عورات لا اثم فى ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم
يعلم السامع لا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه فى معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم
من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص فى ترك الايذان وهى
المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وبين غيرها
بكونها عورات بعضكم على بعض اى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان
ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اى مثل ذلك التبيين يبين لكم الايات الدالة

على الاحكام اى نزلها مبينة واضحة الدلالة عليها لا انه تعالى بينها بعد ان لم تكن كذلك والجملة وقد مر تفصيله
فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات
بما ذكر هنا والله عليم مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم فى جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه
صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال فى انه لا جناح فى
ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا
اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستأذنوا
اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين من قبلهم فى حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد
للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم
بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية
الاستيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب فى ان بلوغهم
قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اى فليستأ[ذلوا]
استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا فى جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة فى الامر بالاستيذان
واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون
نكاحا اى لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه
والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر
باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء
عليها والبرج سعة العين بحيث يرى ما فيها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال
وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ فى سمع جميع ما يسمع
فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا
من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه
عين الاكيل وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح فى مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو
عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى
بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل فى الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك يقولون
ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا
اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء فى بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة
ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل فى بيوت غيرهم فقيل

لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اى عليكم وعلى من يماثلكم فى الاحوال من المؤمنين
حرج ان تأكلوا اى تأكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده
فان الخطاب فيهما لاولئك الطوائف خاصة من بيوتكم اى البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها
بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل الرجل [من كسبه]
او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
من البيوت التى تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذى مر بيانه وقيل هى بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم اى او بيوت صديقكم وان لم تكن بينكم وبينهم قرابة
نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقارب يروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان الصديق اكبر من الوالدين
ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق
يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة
دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح
ان تأكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق
من المؤمنين كبنى ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل
ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين
يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من
يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وكان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى
طعامه فيقول انى اتحرج ان آكل معك وانا غنى وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون
الا اذا نزل بهم ضيف فامر ضيفهم فرخص لهم فى ان يأكلوا كيف شاءوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما
عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من
فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه داخل فى حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اى متفرق
او على انه فى الاصل مصدر وصف به مبالغة اى ليس عليكم ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم
شروع فى بيان الآداب التى يجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اى من
البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اى على اهلها الذين هم بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة
الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز
ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة التى هى من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى
التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن
انس رضى الله عنه قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم
يكثر خيرك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد الاحكام

المختصة به وتخبيها لعلكم تعقلون اى ما فى تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون
بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من جزالة
ما لا يخفى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله استيناف جى به فى اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها
تأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض اخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله فى حيز الصلة
للموصول الواقع خبر المبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل
قرينا للايمان بهما منتظما فى سلكه فقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الخ معطوف على امنوا داخل معه
فى حيز الصلة اى انما الكاملون فى الايمان الذين امنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما فى جميع
الاحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة فى الوقوع واحوالهم
الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عم على امر مهم يجب اجتماعهم فى شانه كالجمعة والاعياد
والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولى الاراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرى
امر جميع لم يذهبوا اى من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة
ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستأذنوه عم فى الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية
لعدم الذهاب بل الغاية هى الاذن المنوط برايه عم والاقتصار على ذكره لانه الذى يتم من قبلهم وهو
المعتبر فى كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما انه كالمصداق لصحته
والمميز للمخلص من المنافق فان ديدنه التسلل للفرار والتعظيم ما فى الذهاب بغير اذنه عم من الجناية وللتنبيه
على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فقضى
بان المستأذنين هم المومنون بالله ورسوله كما حكم فى الاول بان الكاملين فى الايمان هم الجامعون بين
الايمان بهما وبين الاستيذان وفى اولئك من تفخيم شان المستأذنين ما لا يخفى فاذا استأذنوك بيان
لما هو وظيفته عم فى هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المومنين وان الاذن عند الاستيذان ليس بامر
محتوم بل هو مفوض الى رأيه عم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى بعد ما تحقق ان الكاملين فى الايمان
هم المستأذنون فاذا استأذنوك لبعض شانهم اى لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن شئت
منهم لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر
قوى لا يخلو عن الشائبة تقديم الدنيا على امر الاخرة ان الله غفور مبالغ فى مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ
فى افاضة اثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة فى ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاهتمام بشانه اى لا تجعلوا دعوته عم
واياكم فى الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اى لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم
بعضا فى حال من الاحوال وامر من الامور التى من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عم بغير استيذان
فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عم كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عم مما يوجب امتثالهم باوامره

ثم

ثم ومتابعتهم له فى الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخط
ثم المؤدى الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عم عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عم كنداء بعضكم بعضا باسمه
ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض
الصوت فلا يناسب المقام قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الخ وعيد لمخالفى امره عم فيما ذكر من قبل فتوسيط
ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان ربما فى التكثير
حسبما بين فى مطلع سورة الحجر اى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اى ملاوذة
بان يستتر بعضهم حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بلا اذن اراه بانه من اتباعه وقرى بفتح اللام وانتصابه على
الحالية من ضمير يتسللون اى ملاوذين او على انه مصدر موكد بفعل مضمر هو الحال هو فى الحقيقة اى يلوذون
لواذا والفاء فى قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر والامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم
فانه موجب للحذر البتة اى يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمنه معنى الاعراض
او حمله على معنى يصدون عن امره دون المومنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما
ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الامر حقيقة او للرسول صلعم لانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة اى محنة فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اى فى الاخرة وكلمة او لمنع الخلو دون
الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فانه ترتيب
العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما الا ان لله ما فى السموات
والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون
من الاحوال والاوضاع التى من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه
عطف على ما انتم عليه اى يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق
علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع
الشئ مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه اكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور
بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات
وقرى يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التى من جملتها مخالفة الامر فيترتب عليه
ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة فى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية
والله بكل شئ عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا فى السماء عن النبى صلعم من قرا سورة النور اعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقى

تبارك الذى نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها

الى الله عز وجل على المعنى الاول هو اللايق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله التى من
جملتها تنزيل القران الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح
وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة
من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته
لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القران المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية
والصيغة يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا انا فانا بحسب حدوثها
او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب
للانشاء والانباء عن غاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه
تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اى فصل بينهما سمى به القران لغاية فرقه بين الحق والباطل
باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه ولكونه مفصولا بعضه من بعض فى نفسه او فى انزاله على عبده
محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عم بذلك العنوان التشريفية والايذان بكونه عم فى اقصى مراتب العبودية
والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل اى نزله عليه
ليكون هو عم او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اى منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله
انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل
وابراز تنزيل الفرقان فى معرض الصلة التى حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع
مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلايله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد
كقوله تعالى لا ريب فيه الذى له ملك السموات والارض اى له خاصة دون غيره الاستقلال او الاشتراكا
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا
واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مستانفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه
وما بينهما ليس باجنبى لانه من تمام صلته ومعلوميته مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ونظايره او مدح له تعالى بالرفع او بالنصب
ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون فى حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون
وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظم فى سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح
والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له شريك فى الملك اى ملك
السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به
تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد فى نحورهم وتوسيط
بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل شئ اى احدث كل
موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق

كلامنهما

كلامنهما من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الاثار والاحكام فقدره
اى هياه لما اراد به من الخصايص والافعال اللايقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة
الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى امور المعاش واستنباط الصنايع المتنوعة ومزاولة
الاعمال المختلفة وهكذا احوال ساير الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة
معنى التقدير وان لم يخل عنه فى نفس الامر فالمعنى اوجد كل شئ فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا واما
ما قيل من انه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان
ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه
مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة جارية مجرى
التعليل لما قبلها من الجملة المنتظمة مثلها فى سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط
البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضى انتظام كل ما سواه كائنا ما كان
تحت ملكوته القاهر بحيث لا يشذ عنها شئ من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه
او شريكا فى ملكه واتخذوا من دونه الهة بعد ما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله
تعالى للفرقان العظيم على رسول الله صلعم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه
الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب واظهار
بطلانها والاظهار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفى الشريك عليهم اى اتخذوا
لانفسهم متجاوزين الله الذى ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض
به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير الهة لا يخلقون
شيئا اى لا يقدرون على خلق شئ من الاشياء اصلا وهم يخلقون كساير المخلوقات و
قيل لا يقدرون على ان يختلقوا حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى لا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين
العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف
فى ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا فى نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم
وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم فى نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله
تعالى ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اى لا يقدرون على التصرف فى شئ منها باماتة الاحياء
واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع
للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع
ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفى عن الهتهم من
الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع فى حكاية
اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن كلهم فى الكفر والطغيان

وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروى عن الكلبي ومقاتل
ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار
اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلعم واعانه
عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر
عنها بعبارته وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وقيل هو عابس
وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤا ظلما منصوب بجاؤا فان جاؤا واتى يستعملان في معنى فعل
فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلما هائلا
عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا
مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن
على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة
للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر
وزورا اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عم ما هو بري منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثاني هو
عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من
الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب
اللازم على الملزوم تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا
مختلقا باعانة البشر بنوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة
وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها
وقرئ على البناء للمفعول لانه عم امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب فحذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه
فهي تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك
المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها
او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عم كاسناد الاكتتاب في ضمن الاكتتاب اليه عم بكرة واصيلا اي
دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الجراءة العظيمة
قاتلهم الله انى يؤفكون قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول
البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك
مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله

الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم
حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها
ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان
تصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي
انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع
كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا ما لهذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص
المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور
وفي هذا تصغير لشانه عم وتسميته عم رسولا بطريق الاستهزاء به عم كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم وقوله تعالى ياكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي
اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لابتغاء
الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية
كما في قوله تعالى فما لهم وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر
محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق
قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه
في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما
ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة
المنافية لهما على زعمهم بعنوان انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة
عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو
بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه
ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيرا تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل
والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر
ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء
يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة ياكل منها
تنزل من ذلك اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ ناكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة و
فرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم
وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عم الى المسحورية اي
قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر
وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا
لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك

تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال
الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اى عن طريق المحاجة حيث لم ياتوا بشئ يمكن صدوره عمن له
ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا الى القدح فى نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون
عليه وان كان باطلا فى نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من
اعتاد استعمال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدى الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذى اى تكاثر وتزايد
خير الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذى اقترحوه من ان يكون
لك جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك فى الاخرة وقوله تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار
بدل من خيرا وتحقيق الخيرية بما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذى هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان
ماضيا جاز فيه جزائه الجزم والرفع كما فى قول القائل وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غايب مالى
ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب
بالواو وتعليق ذلك بمشيته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيته المبنية على الحكم والمصالح وعدم
التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجه عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب
لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذى له وجه فى الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف
للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا فى الدنيا مع النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة
اضراب عن توبيخهم بحكاية جنايتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص
الى بيان ما لهم فى الاخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
الخ اى اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به
وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون فى زمرتهم دخولا
اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة فى التشنيع مدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن
مجرد تكذيبهم بالساعة بل ما جاءت به الشريعة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى
سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على ما قالوا مالهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث
كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم
خوفهم بما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما يليه من
الجواب المبنى على التحقيق المبنى عن الوعد بالجنات فى الاخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدى
نفعا ولا يجدى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نوى احجار والمعنى
انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى
الاخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا
بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى اذا راتهم الخ صفة للسعير اى اذا كانت

منهم بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى الناظر فى البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
اى لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية
اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفى قوله
تعالى من مكان بعيد اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حد الابصار فى العادة الظاهر تهويل لامرها قال الكلبى والسدى
من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اى صوت تغيظ على تشبيه صوت
غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية
امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف
واذا القوا منها مكانا نصب على ظرفية ومنها حال منه لانه فى الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة
شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر فى وصف الجنة بان عرضها السموات والارض
وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبى صلعم
عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم يستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط قال
الكلبى الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء
مقرنين حال من مفعول القوا اى اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى
اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل كل كافر مع شيطان وفى ارجلهم الاغلال
دعوا هنالك اى فى ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اى يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال
فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا
اى دعوا مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا
يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجى او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له
ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اى دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك
واما مستانف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور
فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى اختيار
الهلاك بالمرة ابدى لا خلاص لهم منه اى لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اى
بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته فى نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد فى حد ذاته لكنه كلما
تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء اخر منها وتحقيقه لا تدعوه
دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب
لتكرير الدعاء فى كل ان وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد
العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما
ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته و
فظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون

بلا كاينهى عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالة دوام ما يوجب استدعاء من العذاب الشديد وتقييد النهى والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كساير الايام المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهايلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة اى قل لهم اذلك ذكر من السعير التى اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت وشان اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون اى وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم فى علم الله تعالى او فى اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كاين لا محالة فحكى تحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن اى ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما فى قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوى مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا او قيل من فاعل يشاؤن كان اى ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسؤلا موعودا حقيقا بان يسال ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسؤلا يسأله الناس فى دعائهم بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تشريفه والاشعار بانه عم هو الفايز باثر ذى اثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك اى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق الذكر باليوم مع ان المقصود تذكر ما وقع فيه من الحوادث الهايلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى ببيانه المقال وقرى بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلا وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت شبحا من بعيد تقول ما هو اولانه اريد به الوصف الا الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية او باعتبار الغلبة عبدتها او اريد به الملايكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل فى شهادة الايدى والارجل فيقول اى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرى بالنون كما عطف عليه وقرى هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة أانتم اضللتم عبادى هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين

تخذونى

من دون الله ام هم ضلوا السبيل اى عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضمير على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لا نفسه قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملايكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شىء واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتاتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغى لنا اى ما صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك اى متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان نتخذنا وليا او ان نتخذ من دونك اولياء اى اتباعا فان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اى اتباعه وقرى على البناء للمفعول من المتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء على ان من للتبعيض اى ان نتخذ بعض اولياء وهى على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اى ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا فى الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر اى غفلوا عن ذكرك او عن التذكر فى الايك والتدبر فى اياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا فى قضائك المبنى على علمك الازلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا هالكين على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ فى جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة فى تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة بما تقولون اى فى قولكم انهم الهة وقيل فى قولكم هؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او هى صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرى بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك الاية فما تستطيعون اى ما تملكون صرفا اى دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف فى اموره اى يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اى فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرى يستطيعون على صيغة الغيبة اى فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه

ومن يظلم منكم اى المكلفون كدأب هولاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد
وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الاخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره ما هم عليه من الفساد وهو
عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل للمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم
اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق جواب عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف
قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى
وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم لياكلون وقرئ
يمشون على البناء للمفعول اى يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم
السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا
بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اى ابتلاء و
محنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض
الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض منهم من الاخرين ضرورة ان مجموع الرسل
من حيث هو مجموع غير مفتون لمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم مبهما لبعض
منهم من الاخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل
وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك
تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى
وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فياباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البين
ان ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس منوطا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره
من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير
فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء
المرسلين باممهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لتعلم صبركم
وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات
الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلعم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض اخر من اقاويلهم
الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول
الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما حكي عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد
المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه و
المراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه
وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم

سوء

سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اى قال
الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او ضربنا الموت الى سوء العذاب الذي يستوجب مقالتهم لولا انزل علينا
الملائكة اى هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب
لقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه
قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اى في شانها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا
اى تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من
غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم
الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد
اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم
محذوف والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم
وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوا
من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل
يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على
طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي
البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى
وفقدانها مشعر بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان
نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض و
المقت دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان
لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اى اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على
كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر في نفي البشرى على ذلك
الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم
بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الاكتفاء في اخراجهم عن الحكم
الكلي الى ان نفي البشرى لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت
اخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من
الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء
عدو موتر او هجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا
يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع
واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم ويقترحونه وهم اذا

ربهم

راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولون عند نزول خطب شنيع وحجرا
بانس قطع وحجورا صفة لحجرا واردة للتاكيد كما قالوا ذيل ذايل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة حراما
محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف
ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم
وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت
ايديهم فاتى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها
اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى
في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفة شبه به اعمالهم المحبطة في حقارة
وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في
قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون الخ يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا
خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان
الذي يؤوى اليه للاسترواح الى ازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة
غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه
بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل
المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة
الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الاية هذا
وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة
والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذف احد التائين كما في تلظى وقرئ بادغام
التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل
الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف
اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزل على صيغة التكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة على حذف
النون اي هو فاء الفعل من نزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام
الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفة
وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفايدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة
يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره
للرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل

الخبر

الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وايا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى
بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة استئناف سيق لبيان احواله واهواله و
ايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم
للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك
اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا اليم وتقديم الجار والمجرور
لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة
على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ
والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلعم
فدعاه عم يوما الى ضيافته فابى عم ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له
فقال ابي لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك
فقال عم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل
عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عم ابيا في احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل
فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد
التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم يتشعب بي طرق الضلالة او جعلت في صحبته عم
طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتا بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحارى ومدارى وقرئ على الاصل
يا ويلتي اي هلكتي تعالى واحضري فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية
عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وقيل
كناية عن نكرة من يعقل من المذكور وفلانة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل
بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله خذا حدثا عن فل فلانه وليس فل مرخما
من فلان خلافا للفراء واخطئوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن
ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا
التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير
وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان
خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القران او عن موعظة الرسول صلعم
او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان
حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام

كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذى هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه
اراد بالشيطان ابليس لانه الذى حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادى عم بوسوسته واغوائه في
وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده فى الدنيا ويمنيه بانه ينفعه فى الاخرة وهو او فق لحال ابليس
وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض سوق لاستعظام
ما قالوه وبيان ما يحيق بهم فى الاخرة من الاهوال والخطوب وايراده عم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد
على نحورهم حيث كان ما حكى عنهم قدحا فى رسالته عم اى قالوا ايت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد
منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومى يعنى الذين حكى عنهم ما حكى
من الشنائع اتخذوا هذا القران الذى من جملته هذه الايات الناطقة بما يحيق بهم فى الاخرة من فنون
العقاب كما ينبى عنه كلمة الاشارة مهجورا اى متروكا بالكلية ولم يومنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم
يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المومنين ان يكون كثير التعاهد للقران كيلا يندرج تحت ظاهر النظم
الكريم فانه روى عنه صلعم من تعلم القران وعلق مصحفا لم يتعاهده ولينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول
يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اى جعلوه مهجورا فيه اما على
زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد جوز
ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف
ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل
نبى عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلعم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام
اى كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل
نبى من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم فاصبر وا وقوله تعالى
وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عم بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اى كفاك مالك
امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء
احكامه فى اكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية
لاقتراحهم الخاص بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه عم والقايلون هم القايلون اولا وايرادهم
بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القران التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج
كما فى قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة
المنزل فى نفسه اى هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب المتقدمة لم يكن شاهدا صحيحا بل يكون دليلا كونه من
عند الله تعالى اعجازه واما القران الكريم فتبنى صحته وايته كونه عند الله تعالى نظمه المعجز الباقى على مر الدهور المتحقق
فى كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى ان ما يدور عليه فلك
الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوايد
جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من جهته تعالى

لزوم مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة فى التنزيل التدريجى ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر موكد لمضمر معلل
بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اى مثل ذلك التنزيل المعرف الذى قدحوا فيه واقترحوا
خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم
المعانى وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعى فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها
منوط باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء وتبديلا بالفسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد فى
القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها
تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم
فى الاخرة على انهم فى هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب
التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى
ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اى كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر
قدره ومعنى ترتيله تفريقه اية بعد اية قاله النخعى والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضى بيناه بيانا
فيه ترسل وتثبت وقال السدى فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه فى اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل
قرائته بقوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقيل قرأناه عليك جبريل شيئا فشيئا فى عشرين او فى ثلاث وعشرين
سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التى من جملتها ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة
عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اى لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل فى البطلان يريدون
به القدح فى حقك وحق القران الا جئناك فى مقابلته بالحق اى بالجواب الحق الثابت الذى ينحى عليه
بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة
لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اى جئناك باحسن تفسير اى بيانا وتفصيلا
على معنى انه فى غاية ما يكون من الحسن فى حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن فى الجملة وهذا احسن منه كما مر
فى الاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اى لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذى لا محيد عنه
وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عم ما لا يخفى وهذه العبارة ناطقة
ببطلان جميع الاسولة وبصحة جميع الاجوبة وباشارة منبئ عن بطلان السوال الاخير وصحة جوابه اذ لولا
ان تنزيل القران على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عم من تلك
الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التى كانوا يقترحون كونه عم عليها من
مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه جملة واحدة على
معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قايلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من
من الاحوال الممكنة ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة
على صحته وهو الذى انت عليه فى الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان
يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل وامثالها ولا ريب فى ان ما اتاه الله

تعالى من المقالات السيئة اللائقة بالرسالة قدامه من اول الامر بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل ردها
وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها
ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه صلعم يحشر الناس
يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا
واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى
لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع
على الابتداء وقوله تعالى اولئك بدل منه او بيان له وقوله تعالى شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم
الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي
للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلعم على منهاج قوله تعالى قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه صلعم وتضليل سبيله
ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة خير مستقرا واحسن
مقيلا ولقد اتينا موسى الكتاب جملة مستانفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية
والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام
وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد
اتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه بالاخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه
مفعول اول له وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى
وزيرا مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير اي جعلنا في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي
موسى صلعم ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تاخر تكذيب الآيات عن اظهارها
المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلعم بيانا لعلة
استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير فذهبا اليهم فأرياهم اياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا
فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على
حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه
تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع والتعرض في مطلع القصة
والتعريض لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الايات للايذان
من اول الامر ببلوغه صلعم غاية الكمال ونيله نهاية الامال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون
وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي
مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمراهم وفدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب
بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس

والتعرض نخ

من

١٩٠

من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قيل ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه قوله تعالى لما كذبوا
الرسل اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام
وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف
زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لان جواب لما وجواب لما لا يفسر ما قبله هو انه محل
بعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم
استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية اي اية عظيمة
يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو او متعلق بمحذوف وقع
حالا من اية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان
بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الاخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب
الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل
في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح
وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد
وثمودا الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تاويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى
واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا صلعم فكذبوه فبينما هم
حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج
اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا
فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي صلعم ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل
لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم
ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة صلعم فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه صلعم فاهلكوا
وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بئر وقرونا اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة
وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكور من الطوائف و
الامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول
فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل
الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة
الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف
الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فانما حكى عن قوم
نوح وقوم فرعون تكذيبهم للايات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد
من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة
الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك

ولم يرفعوا له راسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل
شيء كسرته وفتتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستانفة مسوقة لبيان
مشاهدتهم لاثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله
لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت
خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي
المرادة بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبتها الله نباتا
حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها
توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب
استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في جملة والفاء لعطف مدخولها
على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها
في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها من اثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي
الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اضراب عما قبله من
عدم رؤيتهم لاثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون
ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لاثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من
انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك رجاء النشور اي عدم توقعه كانه
قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا
مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة
مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من اثار الهلاك وانما
يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من
عدم توقع النشور واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به على معنى قصر معاملتهم
معك على اتخاذهم اياك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه
قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام
وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزءون
بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله
صلة للموصول الذي هو صفته مع كونهم في غاية النكير لبعثه بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا
ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشان
محذوف اي انه كاد ليضلنا عن الهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن
عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها
ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث

المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلعم قد بلغ من الاجتهاد في
الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية
عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لاخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من
نسبته صلعم الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذي
يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان
امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلعم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من
الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمال وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى
ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب ومن
توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو
المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا
عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى افانت تكون
عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه صلعم حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق
طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل ابعد ما شاهدت
غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلعم انهم ممن يسمع
او يعقل حسبما ينبئ عنه جده صلعم في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول
بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الايات حق السمع
او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشانهم وتطمع
في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظه وضمير الفعلين
للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى ان هم الا كالانعام الخ جملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده
وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع اذانهم من قوارع الايات وانتفاء التدبر فيما
يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا
لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها
وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم
ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع
الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا
لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها
وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد

الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة
بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هولاء فهم معطلون لقواهم العقلية
مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال
الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول
الله صلعم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم وللايذان
بان تعقيبه من اثار ربوبيته تع ورحمته تع اي الم تنظر الى بديع صنعه تع كيف مد الظل اي كيف
انشأ ظلا اي ظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا الا انه تع مده
بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه
ناشئا منه تع واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر
ولذلك وصف به الجنة في قوله تع وظل ممدود ونفر سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على
عظم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة
يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس
وما ذكروا ان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة
ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عم لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عم غير
مقصور على ما يطالعه من الاثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تع
ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من
المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشية والقدرة ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول
والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين
المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا ينسخه
الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سبق له النظم الكريم ونطق
به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور حادثة اليه تع بالذات واسقاط
الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات
لا بذكر قدرته تع على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله
في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في
بيان وقوله تع ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل
باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات
الى نون العظمة لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الظل والشمس من الدوران

المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تع
ثم قبضناه عطف على مده داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيانه يكون القبض والمد مرتبين دائرين على
قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي انزلناه بعد ما
انشأناه ممتدا او محوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تأثير
في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي
هو البسط طولا وقوله تع الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تع كما ان حدوثه عنه عز وجل قبضا يسيرا
اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله وعلى وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها
وقيل ان الله تع حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم
النير وذلك مده تع اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك
الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد و
يقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من
الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائه ووصفه باليسر على
طريقة قوله تع ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
بيان لبعض بدائع اثار قدرته تع وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين
الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما بعده من
منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك
ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا
اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي
هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تع وهو الذي يتوفاكم بالليل
وقوله تع الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث
من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على
طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عم يا بني كما تنام
فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس بشرا
تخفيف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات
للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تع بين يدي
رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تع وانزلنا من السماء
ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا
من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره
فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تع وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في

لقرينة اما صفة كما تقول ماء طهورا واسم كما في قوله عم التراب طهور المؤمن وجدها يعني الطهارة كما في
لك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عم لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام
النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهر
هم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة
ميتا باياتنا النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور
عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمنافع او الابار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي
الذين يعيشون بالحياء ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون
بقرب الانهار والمنافع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا
يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعم
والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم
عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا
واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف
بحذف ياء افاعيل كانعام في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء
السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القران وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين
الناس من المتقدمين والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته
في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون
غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة ووقتا رهمة والاول
هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها
او الا جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء
فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
نبيا نذيرا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعل بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به
قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين
اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي للرسول صلعم
معهم والتلطف في الدعوة لما انه عم كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتاليف قلوبهم
اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقران بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع الزواجر والمواعظ و
تذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره
كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان ترك الطاعة
يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون

المعنى

المعنى وجاهدهم ذكر من احكام القران الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فاتهم بالشدة والعنف لا بالملاينة
والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عم نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على
نذيرها مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلعم المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عم
وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب
كبر مجاهدته بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها
في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته
اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على
تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها
وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من الاخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة
تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح
البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى
طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الذي طينة
ادم عم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة ه
او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا
مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون
الله الذي شانه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام
او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت
اثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل
هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل ما اسألكم
عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم
اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة
الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عم وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شانهم الموت

فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال
طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اى مطلعا عليها
بحيث لا يخفى عليه شئ منها فيجزيهم جزاء وافيا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى
على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحى وصف بالصفة الفعلية بعد
وصفه بالابدية التى هى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب
التوكل عليه تع وتاكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين
وترتيب رصين فى اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا يقف على
تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اى هو
الرحمن وهو فى الحقيقة وصف اخر للحى كما انه فى الجر مفيد لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه
تع وان لم يتبعه فى الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما
صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف
الفعل والمبتدأ فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها
على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق فى تفسير قوله تع الذين يؤمنون بالغيب الاية
وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن فى استوى فاسال به اى
بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة
ولا فى تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما
بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان
التقدير ان شككت فيه فاسال به خبيرا على ان الخطاب عام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير
ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسال معتنيا به خبيرا عظيم الشان محيطا بظواهر العلوم و
بواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسال به من يجده فى الكتب المتقدمة
ليصدقك فيه فلا حاجة ح الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تع فاسال
عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ
وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن تجاهلوه لما انهم ما كانوا يطلقونه
على الله تع او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تع ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اى للذى تامرنا بسجوده
او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامرنا بياء
الغيبة على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذى
جعل فى السماء بروجا هى البروج الاثنا عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هى الشمس لقوله تعالى
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ

قمرا

قمرا اى ذا قمر او هى جمع قمراء ولعل الليالى بالقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم احذف واجرى حكمه على
المضاف اليه القائم مقامه كما فى قول حسان رضى الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل اى ماء بردى
ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى ذوى
خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تع واختلاف
الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اى
يتذكر الاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد
او اراد شكورا اى ان يشكر الله تع على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده
فى احدهما تداركه فى الاخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق
لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته
والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول مع ما عطف عليه وقيل
هو ما فى اخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة والاول هو الاولى لما فيه من اثبات
الاوصاف المذكورة لهم قصدا والاشعار بكون ما عدا الموصوفين بها خارجين عن رتبة
العبودية وفيه من المبالغة فى الحث على الاتصاف بها ما لا يخفى وقرئ عباد الرحمن اى عباده المقبولون
الذين يمشون على الارض هونا اى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه
حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اى يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة
او مشيا هينا وقوله تع واذا خاطبهم الجاهلون اى السفهاء كما فى قول من قال الا لا يجهلن
احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم
فى انفسهم اى اذا خاطبهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا
من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها
اية القتال كما نقل عن ابى العالية وقوله تع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم
فى معاملتهم مع ربهم اى يكونون ساجدين لربهم وقائمين ان يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة
وقيل من قرأ شيئا من القران فى صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد
المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اى فى
اعقاب صلواتهم او فى عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اى
شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم فى
عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تع فى صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تع
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل
لاستدعائهم المذكور بسوء حالها فى نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا
لما ولیس بذاك وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف

معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المضمر هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل
ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال
عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها ولذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق
في المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبضمها مخففة ومشددة مع
ضم الياء وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة
الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص
وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني
لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشيء عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله الها اخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات
وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم
لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان
عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في
في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا
يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين
بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث
كانوا مع اشراكهم سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا
لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو داب الكفرة المذكورين يلق في الاخرة
وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد لجزوما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل
هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم
ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحالية وكذا
ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك
العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذابين الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول
من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام
المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان
الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة فاولئك اشارة
الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون

بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها
لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى وياتي بالثانية
وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا و
بقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر
لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى ما
فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي
متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب
التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين
لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل
مشاركة فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا
كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش
والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم المنطوية على
المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين لما
بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم
للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها
يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة
حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ ذريتنا وتنكير الاعين
لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى غيرها
واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق
للعمل والتوحيد للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل
كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير
بان مدار الكل صدور هذا الدعاء واما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر
واحد وما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه
ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء
واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارة الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فانه وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع آم
بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة
مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة

الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله لشأن خطر حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل
شى من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذاتى
كما فى قوله تعالى الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما
فصل فى حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز
منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية لما لهم فى الاخرة من
السعادة الابدية اثر بيان ما لهم فى الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع
عال اى يثابون اعلى منازل الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع لقوله تعالى وهم فى الغرفات امنون وقيل هى
اسم من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون
فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة عن الافات
او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرى يلقون
من لقى خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذى مر فى مقابله
قل امر رسول الله صلعم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها
المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اى تخلل لهم كافة شأنا لهم
بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم اى اى عبار يعبؤ بكم واى اعتداد يعتد بكم
لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وساير البهائم
سواء وقال الزجاج معناه اى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى
الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان يكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم
بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اى فقد كذبتم بما اخبرتكم به
وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب
القتال اذا لم يبالغ فيه وقرى فقد كذب الكافرون لكم اى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين و
فائدة الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الاخر مع الاتحاد الجنسى المصحح للاشتراك فى الفوز
ليس الا اختلافهما فى الاعمال فسوف يكون لزاما اى يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى
يكبكم فى النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره
وتهويل امره وللتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم
بدر وانه لوزم بين القتلى وقرى لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلعم من
قرأ سورة الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة اتية وادخل الجنة
بغير نصب والله تعالى الموفق

طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها فى الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق
التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة
كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف وهو الاظهر من الرفع على الابتداء وقد مر
وجهه فى مطلع سورة يونس ام والنصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك فى
قوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد
او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار
اليه فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتداء خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان
او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان
او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هى ايات مخصوصة
منه مترجمة مستقلة باسم والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت
الفاضلة لعلك باخع نفسك اى قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق
على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اى لعدم
ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ الخ استئناف
مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان ايمانهم ليس مما
تعلقت به مشية الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشية محذوف
لكونه مضمون الجزاء اعنى قوله تعالى ننزل عليهم من السماء اية اى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه
وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت
اعناقهم لها خاضعين اى منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير
ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت
مجراهم فى الصيغة ايضا كما فى قوله تعالى رايتهم لى ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات
من قولهم جاءنا عنق من الناس اى فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على
ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الاية الملجئة
لصرف رسول الله صلعم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم و
الثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضل
وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان

الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى المحض
منفعتهم اشنع واقبح اى ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من
القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته
الواسعة محدث تنزيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب
والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال
من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اى ما يأتيهم من ذكر فى حال من الاحوال
الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اى كذبوا بالذكر الذى يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم
يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء فى قوله تعالى
فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسيأتيهم البتة من غير
تخلف انباء ما كانوا به يستهزءون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما
كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع فى قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وانباؤه ما سيحيق
بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها
يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل
له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اى فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزءون به قبل من
غير ان يتدبروا فى احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخى والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اى الى
عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم
استئناف مبين لما فى الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية
والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اى صنف تمييز والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اى كثيرا
من كل صنف مرضى كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على
القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه
تعالى ما انبت شيئا الا فيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا
وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان فى ذلك اشارة الى مصدر
انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان منزلته فى الفضل لآية اى
آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان
اكثرهم اى اكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل اى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم
الذى عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى
وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان

من

من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما يشير اليه من
التحقيق مما يخفى على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان فى ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك
لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهماكهم فى الغى والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن
وان ربك لهو العزيز الغالب على ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ فى
الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترءوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى
واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية
وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى
عليه السلام اى واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم
اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باخوانهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك
انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم
عليه بعد سماع الوحى الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان فى ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت بمعنى اى ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها
مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين اى بالكفر والمعاصى واستعباد بنى اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا
مطلع ما ورد فى حيز النداء وانما هو ما فصل فى سورة طه من قوله تعالى انى انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا
الكبرى وايراد ما جرى فى قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه فى اوائل
سورة الاعراف عند قوله تعالى قال انظرنى قوم فرعون بدل من الاول وعطف بيان له جيء به للايذان
بانهم علم فى الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة
ان نفسه اول داخل فى الحكم الا يتقون استئناف جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم للايذان تعجيبا له من غلوهم فى
الظلم وافراطهم فى العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المبنى على زيادة الغضب عليهم كأن
ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل
اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره
وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا
قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله
عز وجل رب انى اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى معطوفا على
اخاف فارسل اى جبريل عليه السلام الى هرون ليكون معى واعاضدى فى تبليغ الرسالة ورتب عليه السلام
استدعاءه ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من
حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مسلكه

الى معين يقوى قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل و
والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق
ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم على ذنب اي تبعة ذنب
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما
ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون
بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها
قوله تعالى قال كلا فاذهبا باياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الردع المفهوم من الروع عن الخوف
وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه
قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا رمز الى انها تدفع
ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ و
والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية
وقيل اجريا مجرى الجماعة وياباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري بينكما وبينه
فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على
اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف
والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه
الوصول الى المامور لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد
مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال
المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما الى الشام قال
اي فرعون لموسى عم بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما
سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه
فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عم فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي
طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم
خرج الى مدين واقام به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق
خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي
فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من
قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين
اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه عم او جهل
امره عم حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عم من مشاركتهم في الدين فالجملة حال من احدى

التائين

التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم
او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال عم
مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذن وانا من الضالين اي من الجاهلين
وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه
لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى ففررت منكم الى ربي لما خفتكم اي تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي
من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا
في نبوته ثم كر على ما عدده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان
في الحقيقة نقمة بقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل
انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف اي بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء
مبهمة ان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله
لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عم تلك المقالة المتينة
وشاهد تصلبه في امره وعدم تاثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عم فبدا
بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عم اي اي شيء رب العالمين الذي
ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت
لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عم قال موسى عم مجيبا له رب السموات والارض
وما بينهما بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين
وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم
موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند سماع
جوابه عم خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس
رض كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون مريا لهم ان ما سمعوه
من جوابه عم مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما
يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه
قال عم تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابيه السابقين ربكم ورب ابائكم الاولين وحطا لهم
من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال اي فرعون لما واجهه موسى عم بما ذكر غاظه ذلك
وخاف من تاثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عم مما لا يصدر عن العقلاء صرفا لهم عن قبوله قال مؤكدا
لمقالته الشنعاء بحرف التوكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول

الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال رب
المشرق والمغرب وما بينهما قاله عم تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى
مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما
لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيير احوالها واوضاعها ولون الارض تارة
مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب
منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع
الرصينة وكل ذلك امر حادث مفتقر الى محدث قادر عليم حكيم لا لذات السموات والارض التي لما توهم
جهلة المتوهمين باستمرارها واستغنائها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اى ان كنتم تعقلون شيئا
او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له
عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عم به من الجنون قال لما سمع
اللعين منه عم تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة وقوة عزمه على تمشية امره وانه
ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف
فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
لم يقنع منه عم بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عم ان يتخذه الها لغاية عتوه وعلوه
فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا تصريح في ان تعجبه من جواب الاول ونسبته عم الى الجنون وجواب
الثاني كان لنسبته عم الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه
كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في
المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى
يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اى اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء
مبين اى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل فالواو للحال ولو
جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اى جائيا لشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف
وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف
تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها
الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك

اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق
الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية
المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطي
حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال
وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى
انفعل في ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اى
فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين موضح لصدق دعواك اى في دعوى الرسالة وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اى ظاهر ثعبانيته لانه شيء تشبيه واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه
ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال فهل لك غيرها فاخرج
يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد
الافق قال للملأ حوله اى مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن
السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيرة حتى حطه عن ذروة
ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلا في الرأي
والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عم
قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة
يأتوك اى الحاشرون بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم هو ما عينه موسى عم بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم
مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين اى نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عم وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا
دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عم لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام
والجد في المبالغة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عم
قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي
واخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اى بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي
واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديمهم
فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى وقد
قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم
باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف
بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اى ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم

فيجيئون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر
ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد وغير تمالك لكن كان ملقيا الهاهم بعلمهم بان مثل ذلك خارج عن
حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عم لتصديقه وفيه دليل على ان فصارى ما ينتهي اليه
السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا امنا برب العالمين بدل اشتمال من القى او حال
باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة
فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك والاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما
من المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة امنتم له قبل ان اذن لكم اي بغير ان اذن لكم كما في
في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا
يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أأمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم
وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا اي
السحرة لا ضير لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في
ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم
او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت
والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين
اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة
او على طريقة قول بامره كقول العامل المستأجر اخرا جرته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم
الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين الآيات وقرئ ان اسر بكسر النون وفصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون
تعليل للامر بالاسرى اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول
الى البحر فيدخلوا مدافلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسيرهم في المداين
حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم
وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة
ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان
وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث
وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا
يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ

والحزم

واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني
على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء وقيل
مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا
السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر
تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كائن كذلك
او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث
للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها قبل ان يقبضوها ويتسلموا فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ
فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا
بحيث راى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤا بالجملة
الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال
من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم
لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع
عم قال ... البحر ... وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عم فقال اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر
فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب منها وازلفنا ثم قربنا ثم الآخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا
موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان
عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عم وظهر على
يديه من المعجزات القاهرة وما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب
والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتعظيمه كتنكير الآية في قوله تعالى
لآية اي آية آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويعلموا ان النبي
صلعم بشان موسى عم وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من
الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان
فيما فصل من القصة من حيث حكايته عم اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة
على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عم وما كان اكثرهم
اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عم مؤمنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى عليهما السلام
وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عم لقصتهم من غير ان يسمعها من احد

كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ماكان اكثرهم مؤمنين على ان زايدة كما هو راي سيبويه
فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد
ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقرير لما مر من قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه
معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز
ان يكون كان بمعنى صار كما قيل في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع
ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة
على كمال تحققه وتقرره كما في قوله تعالى اتى امر الله الاية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور
التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم
بعد مشاهدة هذه الاية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم
الكريم من مطلع السورة الكريمة الى اخر القصص السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما
ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث
لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عم وبنوا اسرائيل
بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من
التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عم انما هو
لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير كل
القصص بتكذيبهم المرسلين بعدما شاهدوا بايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان و
يزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة
الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم
وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها اخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات
اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر عاملا لاذ نادى الخ اي
واتل على المشركين نبأ ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك لتقفهم على ما ذكر من عدم ايمانهم
بما يأتيهم من الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية للنبأ اي نبأه وقت قوله لابيه
وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان
المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق
العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما
كما في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه
باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في انفسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك
والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام
معنى زايد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم

قال

قال استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم
تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل
يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع
مع اذ على حكاية الحال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم
لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب
نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة
بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او تأملتم
فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم واباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه
بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم
فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان
لكنه عم صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى
القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول
والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي
في الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول
الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ
وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك مع ما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا
بالنعم الخاصة به عم وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية
والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من
امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع
فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش
والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا
مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم
والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواضع الثلثة مع كفاية عطف ما وقع في
حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل
في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحياله ولا يجعل من روادف غيره واذا مرضت فهو يشفين عطف
على يطعمني ويسقين نظمهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا
ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عم فاردت ان اعيبها وقال
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصال رضاه تعالى بالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت

امور الاخرة جميعًا بها وبما بعدها من البعث نظمها فى سمط واحد فى قوله تعالى والذى يميتنى ثم يحيين على ان الموت لكونه
ذريعة الى نيلهم الحيوة الابدية بمعزل عن ان يكون غير مطموع عنده عم والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
ذكره عم هضمًا لنفسه وتعليمًا للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيًا لما عسى
يبدر منه عم من الصغاير وتنبيهًا لابيه وقومه على ان يتأملوا فى امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال فى درجة لا يقادر قدرها
فان حاله عم مع كونه فى طاعة الله تعالى وعبادته فى الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين
فى الكفر وفنون المعاصى والخطايا وحمل الخطيئة على كلمات الثلاث التى هى قوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى مما لا ينبغى ان يلتفت
اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عم بعد هذه المقاولة
الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عم الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا
مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان فى مبادى الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم
الدين مع انها انما تغفر فى الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان فى ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان
لم يغفر رب هب لى حكمًا بعدما ذكر عليه السلام فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدا خلقه الى يوم
بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التى هى الكمال فى العلم والعمل بحيث
يتمكن من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين ووفقنى من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحنى للانتظام
فى زمرة الكاملين الراسخين فى الصلاح المنزهين عن كباير الذنوب وصغايرها او اجمع بينى وبينهم فى الجنة
ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه فى الاخرة لمن الصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين اى جاهًا و
حسن صيت فى الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهى محبة له ومثنية
عليه او صادقًا من ذريتى يجدد اصل دينى ويدعوا الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد و
هو النبى صلعم ولذلك قال عم انا دعوة ابى ابراهيم عم واجعلنى فى الاخرة من ورثة جنة النعيم وقد مر
معنى الوراثة فى سورة مريم واغفر لابى بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله انه كان من الضالين
اى بطريق الحق وقد مر تحقيق المقام فى تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزنى بمعاتبتى
على ما فرطت او بنقص رتبتى عن بعض الوراث او بتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل
ذلك مبنى على هضم النفس منه عم او بتعذيب والدى او ببعثه فى عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان
وهو من الخزى بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اى الناس كافة والاضمار قبل الذكر
لما فى عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية بالضالين مما يحل بهول اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون
بدل من يوم يبعثون جئ به تاكيدًا للتهويل وتمهيدًا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اى
لا ينفع مال وان كان مصروفًا فى الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين
للشفاعة احدًا الا من اتى الله بقلب سليم اى عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل
منهما بالايمان وفيه تاكيد لكون استغفاره عم لابيه طلبًا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد
موته كافرًا مع علمه عم بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف

اى

اى الا مال من او بنو من اتى الله الآية وقيل المضاف محذوف فليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب
من الاعتبار كما فى قوله تحية بينهم ضرب وجيع اى الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب
كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى
وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء فى دينه بسلامة قلبه و
قيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة
الماضى فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه فى سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة
المضارع فى المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اى
قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن
فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذى هو الايمان
والتقوى اى جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها
ولا يجدون عنها مصرفًا وقيل لهم اينما كنتم فى الدنيا تعبدون من دون الله اى اين الهتكم الذين
كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شفعاؤكم فى هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه
عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اى القوا فى الجحيم على
وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا فى قعرها هم اى الهتهم والغاوون الذين كانوا يعبدونهم
وفى تاخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها فى الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غمًا الى
غمهم وجنود ابليس اى شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم
عليه من عبادة الاصنام وساير فنون الكفر والمعاصى ليجتمعوا فى العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه
وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه قوله تعالى
قالوا الخ استيناف وقع جوابًا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل
قال العبدة وهم فيها يختصمون اى قالوا معترفين بخطائهم فى انهماكهم فى الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم
والحال انهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبودهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام
صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق تالله ان كنا لفى ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة
قد حذف اسمها الذى هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اى ان الشان كنا فى ضلال واضح
لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع فى اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطائهم فى رأيهم مع
وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين
ظرف لكونهم فى ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اى ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه
ضعف صناعى من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية اى تالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام
فى استحقاق العبادة برب العالمين الذى انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقوله وما اضلنا الا المجرمون

بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدد ورهنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل
على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحقيقه او بكونه بسبب اضلالهم الغير
كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم من
رؤسائهم وكبرائهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون
الذين اقتدوا بهم واياما كان ففيه او فيما بعده من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون وعن ابن جريج وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين
كالمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدم ما يتعلق بهما كما ان عدم المحبة
في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع
الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لها
بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة للتمني كليت لما بين معنيهما تلاقيا
في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط
وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة من الخيرات كيت وكيت وياباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين
لتحتم كونه جوابا للتمني مفيد الترتيب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه
على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب
على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود وصح
ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم ع م المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل
ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من النجاة
وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لاسهم الجحيم
وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لاية اي اية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام
كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم ع م ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها
خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان في ذكر نبائه و
تلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما يتلو عليهم وحي صادق
نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم
النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم ع م
كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه ع م الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك
العظيمة التي فعلوا به ع م فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما امن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام
وقد مر بقية الكلام في اخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل

العقوبة

العقوبة للقوم ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين
القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على
التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال
فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب
على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين
ابتداء دعوته ع م الى انتهائها اخوهم اي نبيهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول
من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة
لله تعالى وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر اصلا ان اجري فيما اتولاه
الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه
ع م من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه على ان كلا منهما
مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم
كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكلب واكلب وكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد
واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل واصابة راي
وقد كان ذلك منهم في بادي الراي كما ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم
انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشراف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها
لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما
كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار
الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما حسابهم
اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون
اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون
وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا
اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين
وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء
او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الاخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح
عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين والمرميين بالحجارة قالوه فاتهم الله تعالى في اواخر الامر
ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعدما دعوتهم هذه الازمنة
المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي واحكم بيننا بما يستحقه
كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم

او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم
اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد وابعد
كذبت عاد المرسلين انثه على باعتبار القبيل وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
الكلام في ان المراد بتكذيبهم وما وقع فيه من الزمان ماذا كالذي في صدر قصة نوح ثم اي الا تتقون
الله تعالى فتفعلون ما تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء
الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام
مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون
عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها
اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام
او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي ماخذ
للماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملون عمل من
يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين
بلا رافة ولا قصد تاديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم
اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من الوان النعماء واصناف الالاء اجملها اولا ثم فصلها
بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام
ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا
والاخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما
نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من
اهل الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله
ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي
نحن عليه من الموت والحيوة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاق
الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب
وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسبب بريح صرصر
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم
اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين انكار نفي لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في

خلية

تخلية تعالى اياهم واسباب تنعمهم امنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله
المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف التمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف
في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على ساير اشجار الجنات او لان المراد بها
غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين
يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص
افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقولهم او من
ذوي السحر اي الرئة او من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت
من الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه كما مر تفصيله
في سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب
وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظيم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها
اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها انما عقر برايهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمبادئه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم
العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قيل نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا
انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون ببعدم ايمان اكثرهم كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بني ادم
من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتونهم من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة النساء مع
كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث
وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا
بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن
حد الشهوة حيث زادوا على ساير الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح
امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي
من المنفيين من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال
اني ... اي من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد بشدته وهو ابلغ من

ان يقال انى لعملكم قال لد لالته على انه عم من جملة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله عم اراد
اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة فى خلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى
الله تعالى فقال رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شوم عملهم وغايلته فنجيناه واهله اجمعين اى اهل بيته
ومن اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امراة لوط
استثنت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج فى الغابرين اى مقدرا
كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها حجر فى الطريق فاهلكها
كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط عم ثم دمرنا الاخرين
اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اى مطرا غير معهود قيل امطر الله على شذاذ القوم
حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعلا لساء والمخصوص
بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة و
كانوا ممن بعث اليهم شعيب عم وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل
اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرى بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام وقريت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا
للفظ اللافظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب
العالمين اوفوا الكيل اى اتموه ولا تكونوا من المخسرين اى حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اى
الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس
بتكرير العين والا ففعلال وقرى بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوا شيئا
من حقوقهم اى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا
فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين اى وذوى
الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرى بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا
من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة فى التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اى فيما تدعيه
من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اى قطعا وقرى بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة
وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب
لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك
الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربى اعلم بما تعملون من
الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله عليكم فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه
اى فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا ان ارادوا بالسماء السحاب

فظا

فظاهر وان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها
ايذان بان لهم يومئذ عذابا اخر غير عذاب الظلة وذلك انه سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها ثم اخذتهم
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا
ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى ان شعيبا عم بعث الى امتين اصحاب
مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم اى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان فى ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول
الله صلعم لصرفه عم عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ورفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما فى
مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان
كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى موجب رحمته الواسعة وما كان
اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة
منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا فى شان الايات الكريمة
الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بانه عم لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا
عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عم
وانه اى ما ذكر من الايات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القران الذى هى من جملته لتنزيل رب العالمين
اى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى
ورافته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى انزله الروح الامين اى جبريل عم
فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرى بتشديد الزاء ونصب الروح والامين اى جعل
الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اى روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعانى الروحانية
تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة
لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار
ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عم فى سلك اولئك المنذرين المشهورين فى حقيقة الرسالة وتقرر
وقوع العذاب المنذر بلسان عربى مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق
بنزل به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه عم من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد
انزاله عليه عم لا انزاله باللسان العربى وجعل متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان غاية الانزال
كونه عليه من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى ما فيه كيف لا والطامة
الكبرى فى باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واغلب الزواجر تاثيرا فى قلوب المشركين ما انذره
ابراهيم عم لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عم وانه لفى زبر الاولين اى وان ذكره او معناه لفى الكتب
المتقدمة فان احكامه التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات

الصحف مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلعم ولمبعثه اولم
يكن لهم اية الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم
اية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره
للاهتمام به او بمحذوف هو حال من اية قدمت عليها لكونها نكرة واية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى
ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي يعرفوه بنعوته المذكورة
في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع
النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم اية اي
جملة الخبر وان يعلمه بدلا من اية ويجوز مع نصب اية تانيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان
قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية
وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى كون ذلك الواحد
من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام
اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجميين بلغة
العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذلك فانه بمعزل من المناسبة
لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي
ادخلنا القران في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث
النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة
بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به جملة مستانفة سيقت لبيان انهم لا يتاثرون
بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى
الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فياتيهم بغتة اي فجاة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه
مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موضع
والملخص له اي في موضع الحال اي سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية
عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية
وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رض والحسن
ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فاتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف
من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايكون حالهم كما ذكر من الانتظار عند
نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع
تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل

بعذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء
واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم
هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة
لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور اي فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار
وطيب المعايش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع
الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم
يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل
على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شانه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتعهم ماذا افادهم
واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما
اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة
ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر
مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون اي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون
باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى
المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر
واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل والانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية
مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن
ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة ال عمران عند قوله تعالى وان
ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القران الكريم من انه من قبيل
ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي ما يصح و
وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء
المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور
العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة
الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يتلقوا من القران الكريم المنطوي على الحقائق
الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من
المعذبين خوطب به النبي صلعم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه منه تهييجا وحثا على ازدياد
الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره
عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال

لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلعم ويا صفية عمة محمد اشتروا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا • واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين • اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب • فان عصوك • ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون • اي مما تعملونه او من اعمالكم • وتوكل على العزيز الرحيم • الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط • الذي يراك حين تقوم • اي الى التهجد • وتقلبك في الساجدين • وترددك في تصفح احوال المتهجدين روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه • انه هو السميع • بما تقوله • العليم • بما تنويه وتعمله • هل انبئكم على من تنزل الشياطين • اي تتنزل بحذف احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلعم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل ام من فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل ومن • تنزل على كل افاك اثيم • قصر تنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيصهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلعم منزهة من ان يحوم حولها شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه • يلقون • اي الافاكون • السمع • الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله • واكثرهم كاذبون • اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما له واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور

لما ان يلقون كما عرفته ابه المحال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للالقاء او استئنافا مبينا للغرض من التنزل مبنيا على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتحققه قطعا وانما الذي يحتمل الاتصاف بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن السؤال عن كأنه قيل لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على الاستئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على الاول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر • والشعراء يتبعهم الغاوون • استئناف مسوق لابطال ما قالوه في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلعم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلعم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله صلعم والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى • الم تر انهم في كل واد يهيمون • استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبيل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء • وانهم يقولون ما لا يفعلون • من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيههم عن ان يكونوا الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عم منهم بكون اتباعه عم غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين

وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة
الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلعم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد • الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا • استيناف للشعراء المؤمنين الصالحين
الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة
والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاعتراض بزخارفها والافتتان بملاذها
الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى الذين كانوا ينافحون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنهم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لهم اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح
القدس معك • وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم
من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الايهام والتهويل وقد
قاله ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منقلب ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين
يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب
وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلعم

طس • بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظايره من الفواتح الشريفة وحمله على تقدير كونه اسما
للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره
قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبر ضعيف لما ذكر • تلك • اشارة
الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى اياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تابى القران كما سياتي وما في اسم
الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء
• ايات القران • والجملة مستانفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقران عبارة عن الكل او عن
الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة ايات القران المعروف بعلو الشان
اي بعض منه مترجم باسم خاص • وكتاب • اي كتاب عظيم الشان • مبين • مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام
واحوال الاخرة التي من جملتها الثواب والعقاب ولسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام
او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان وفي تفخيم شانه تجليل لما جمع فيه من وصف القرانية المنبئة عن كونه
بدعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة

على

عن اشتماله عن صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرانية
على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته
انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الايات اليه اذ لا عهد باشتماله على الايات ولا
وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم
المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وايات
كتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • في حيز النصب على الحالية من الايات على انهما مصدران اقيما مقام
الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما
بدلان من الايات او خبران اخران لتلك او لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم
هدى قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم
برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة
مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساير الاعمال
الصالحة وقوله تعالى وهم بالاخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات المؤمنون بالاخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء
الثواب او هي من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة لها على الصلة الاولى وتغيير نظمها للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحديون فيه • ان الذين لا يؤمنون بالاخرة • بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال
المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق
به القران • زينا لهم اعمالهم • القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله صلعم حفت
النار بالشهوات والاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مالا واضافتها
باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم • فهم يعمهون • يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال
بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب
على السبب وعلى الثاني لترتيب احد المتسببين على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم
ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور • اولئك • اشارة الى المذكورين وهو مبتدا خبره الموصول بعده اي
اولئك الموصوفون بالكفر والعمه • الذين لهم سوء العذاب • اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر
• وهم في الاخرة هم الاخسرون • اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب • وانك
لتلقى القران • كلام مستانف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القران الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص
وتصديره بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين • من لدن حكيم عليم •
اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القران وتنصيص على علو طبقته عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه
من الجلايل والدقايق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع
بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القران من العلوم

منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى
لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القران الذي تلقاه
من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة
الليل وقدح فاصلد زنده فبدى له من جانب الطور نارا اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال
الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن
معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان
الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس او بشعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة
وعلى تقديرين فالمراد تعيين المقصود هو القبس الجامع لمنفعة الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس
كالجمرة وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان
بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين
لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلا النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان
بورك معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف
عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين
او سوف لما انه دعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي
البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ
بارکت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها
مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد موسى
والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام
وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه واظهار المعجزات على يده وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى
عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم
الشؤون ومن احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة
والضمير اما للشأن وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز
الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام
من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عصاك
عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق قوله
وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء
في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها
كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا بعد قوله تعالى انا آتيك به كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها
متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كأنها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل

تهتز

تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب
لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله
تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى
اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله تعالى عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد
اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في خلد من
نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم
وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة وقد قصد به
التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب
اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي
الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد
العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب
في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا
انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا
وظهرت على يدي موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها
تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمى لا تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل
من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة كل من ينظر اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا
ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي حطوها حيث حطوها عن رتبتها العالية
وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذلك وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها
على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير
ما سبق من انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه السلام
من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما
طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق
الطير او علما سنيا عزيزا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا

من العلم على كثير من عباده المومنين على ان عبارة كل منهما فضلنى الا انه عبر عنهما عنده حكاية بصيغة
المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة
للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قد مر في قد افلح المومنون
وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتيب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي
كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشعار بان ما قالا بعض ما احدث فيهما ايتاء
العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد اتينا هما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه وقالا الحمد لله الاية فتامل والكثير المفضل عليه من لم يوت مثل علمهما وقيل من لم يوت علما وياباه
تبيين الكثير بالمومنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض
مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل
ولم يعتبرا دونه ما اتيا من الملك الذي لم يوته غيرهما وتحريض للعلماء على التحميد والله تعالى على ما اتاهم
من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما
قال امير المومنين عمر رض كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود النبوة والعلم او الملك بان قام
مقامه في ذلك دون ساير بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا للنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من
كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من
المعرو والموقف المفيد وعبر المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته
والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على
بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا
اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاح فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح
طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوا
فقال كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول
سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدا يقول
كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن همه الدنيا والديك يقول
اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب يقول في البعد
من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد بقوله علمنا واوتينا بالنون التي
يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم
من الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كان على عظمة الملك وبقوله من كل شيء ما اوتيه كما يقال
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثل قوله تعالى واوتيت من كل شيء
وقال ابن عباس رض الله عنهما يعني ما يهمه من امور الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير

الجن

الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان
من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذي اوتيه لهو الفضل المبين على انه
عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلعم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا
القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شيء
من الاشياء التي من جملتها الات الحرب واسباب الغزو ومما ينبئ عن ذلك قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده
جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا روسا مملكته وعظماء دولته من
الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه
وعزة سلطانه من اول الامر لان الجن طايفة عاطية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير فهم
يوزعون اي يحبس اولهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف
منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه
اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق
يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن
سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ و
كان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب يقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة يقعد
الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر
الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت
في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته
الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله تعالى خير مما اوتي ال داود حتى اذا اتوا على واد النمل هي هي التي ابتدا بها الكلام ووقع ذلك
هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلت احمل الاية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله
تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ وادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما
قاله مقاتل وبالطايف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعديه الفعل اليه بكلمة
على لما ان اتيانهم كان من فوق ولما ان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ
اخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهوا وقوله تعالى
قالت نملة جواب اذ كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من
النمل لمرادها فتبعها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قايلة وما عداها

من النمل بقول النملة حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما
عداها العقل والفهم وقرى نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في
السبع وقرى بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجا تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان
كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاغية وقرى مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمن وجنوده
نهي في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عم وبجنوده عن الحطم كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فغلب له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب
له فان النون لا تدخله في السعة وقرى لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرى لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله
لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مقيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم
حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا او وادت بذلك الايذان بانها عارفة بشؤون سليمن وساير الانبياء عليهم السلام
في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف اي فهم سليمان مقالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم
ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال
جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور
ابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في
الهوى فامر سليمان عم الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي والفه وارتبطه بحيث لا ينقلب عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرى بفتح يا
اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما موجب للشكر وان
اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي
هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب اخر ثم بدا له انه غايب فاضرب
عنه فاخذ يقول اهو غايب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل
بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او لياتيني بسلطان
مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرى لياتينني او لياتنني
مفتوحة مشددة قيل انه عم لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب
كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن
فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء تعجبه خضرتها
فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة
فيجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان
عم حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عم وما سخر له من كل شيء وذكر له
صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قايد تحت يد كل قايد مائة الف وذهب معه لينظر فما

رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقرى بضم الكاف وذكر انه وقعت
نفحة من الشمس على راس سليمان عم فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم
يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها
الله تعالى وقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف
ليعذبنك وقال وما استثنى قالت بلى قال او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عم ارخى ذنبه وجناحيه
يجرها على الارض تواضعا له فلما دنى منه اخذ عم براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى
فارتعد سليمان عم وعفى عنه ثم ساله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرى
احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقايق العلوم
ودقايق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظايف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين و
وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عم تعديا عن طوره وتجاوزا عن دايرة قدره
ونفيها عنه عم جناية على جنابه فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عم بذلك مع ما
اوتي عم من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عم في علمه وتنبيها على ان في
ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك
الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة
عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عم لم يشاهده ولم
يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر الترويج كلامه عم وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله
فان النفس للاعتذار المبني عن امر بديع اقبل الى تلقي ما لا تعلم اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبا بنبا
يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عم انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا
الذي هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه والا فما ذا صدر عنه عم مع ما حكي عنه من التحميد والشكر
واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عم على تركه وسبا منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر
وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرى بفتح الهمزة
غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة
يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمن عم على نبائهم قبل
انباء الهدهد ليس بامر بديع لا يدله من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما
ان المسافة بين محطه عم وبين مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عم هناك وبين مجي الهدهد
بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكمة بالغة بسائرها علام
الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امراة تملكهم استيناف لبيان ما جاء به من النبا وتفصيل له اثر الاجمال و
هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا
ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وقومها هي وقومها مجوس يعبدون الشمس

وايثار وجدت على رايت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عم بابراز نفسه في معرض
من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عم وضمير تملكهم لسبا على انه اسم للحي او لاهلها
المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها واوتيت من كل شيء اى من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك
ولها عرش عظيم قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر و
كانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها
ماكان يشاهده من ملك سليمان عم اما بالنسبة الى حالها والى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان
عم مثله واياما كان فوصفه بذلك بين يديه عم لما مر من ترغيبه عم في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته نحو تسخيرها
ولذلك عقب ذلك بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله اى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها
من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل اى سبيل الحق والصواب فان تزيين
اعمالهم لا يتصور بدون تقديم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج فهم بسبب
ذلك لا يهتدون اليه قوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه
اى فصدهم لان لا يسجدوا لله تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما
اعتراض اى زين لهم ان لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الى ولفظة لا مزيدة كما في
قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله تعالى وقرئ الا يسجدوا على التنبيه والنداء
والمنادى محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كما في قوله تعالى الا يا اسلمي يا دارمي على البلا ونظائره وعلى هذا يحتمل
ان يكون استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى
الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون
بمعنى الا تسجدون الذي يخرج الخبء في السموات والارض اى يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا
الوصف بالذكر بسبب بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك
لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه مشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء
تحت الارض واشير بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني
من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم به وذكر ما تعلنون لتوسيع
دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا
التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من افاقها بعد استتارها وراءها وانزال المطر وانبات
النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم
الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ
الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد

من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من
سليمان عم اورده بيانا لما هو عليه واظهارا للتصلب في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عم نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته
عم الى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان
عم عند ذلك فقيل قال سننظر اى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتاكيد اى لنتعرف بالتجربة
البتة اصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان
بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل
الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي
نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي هو وعده عم وقد قاله بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس
او بعده وتخصيصه عم اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف
لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اى تنح الى مكان
قريب تتوارى فيه فانظر اى تأمل وتعرف ماذا يرجعون اى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول
وجمع الضماير لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اى بعدما ذهب الهدهد
بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به
من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عم كتب كتابه وطبعه بالمسك و
ختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت
فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب
في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك
قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم
او لكونه مختوما او لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استئناف وقع جوابا عن
السؤال المقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اى مضمونه او المكتوب فيه بسم
الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت
كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم
الله على ان ان المفسرة الا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اى لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة
للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اى مضمونه الا
تعلوا او النصب باسقاط الخافض اى بان لا تعلوا علي وقرئ الا تغلوا بالغين المعجمة اى لا تتجاوزوا حدكم وأتوني
مسلمين اى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشأن النبي عم على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما روي
ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي

وانونی مسلمین ولیس الامر فیه بالاسلام قبل اقامة الحجة علی رسالته حتی یتوهم کونه استدعاء للتقلید
فان القاء الکتاب الیها علی تلک الحالة معجزة باهرة دالة علی رسالة مرسلها دلالة بینة قالت کررت حکایة
قولها للایذان بغایة اعتنائها بما فی حیزه من قولها یا ایها الملأ افتونی فی امری ای اجیبونی فی امری الذی حزبنی
وذکرت لکم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوی الذی هو الجواب فی الحوادث المشکلة غالبا تهویلا للامر ورفعا
لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون علی حل المشکلات الملمة وقولها ما کنت قاطعة امرا ای من الامور المتعلقة بالملک
حتی تشهدون ای الا بمحضرکم وبموجب ارائکم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا یخالفوها فی الرأی
والتدبیر قالوا استیناف مبنی علی سؤال نشأ من حکایة قولها کانه قیل فماذا قالوا فی جوابها فقیل قالوا
نحن اولوا قوة فی الاجساد والالات واولوا باس شدید ای نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء فی الحرب والامر
الیک ای هو موکول الیک فانظری ماذا تامرین ونحن مطیعون لک فمرینا بامرک نمتثل به ونتبع رأیک کانهم اشاروا
نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأی والمشورة والیک الرأی والتدبیر فانظری ماذا ترین نکن فی خدمتک فلما
احست منهم المیل الی الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت فی تزییف مقالتهم المبنیة علی الغفلة عن شان
سلیمان عم وذلک قوله تع قالت ان الملوک اذا دخلوا قریة من القری علی منهاج المقاتلة والحراب افسدوها
بتخریب عماراتها واتلاف ما فیها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغیر ذلک من
فنون الاهانة والاذلال وکذلک یفعلون تاکید لما وصفت من حالهم بطریق الاعتراض التذییلی وتقریر له
بان ذلک عادتهم المستمرة وقیل تصدیق لها من جهة الله تعالی علی طریقة قوله تعالی ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله
تع لنفد البحر قبل ان تنفد کلمات ربی وانی مرسلة الیهم بهدیة تقریر لرأیها بعد ما زیفت اراءهم واتت بالجملة
الاسمیة الدالة علی الثبات المصدرة بحرف التحقیق للایذان بانها مرفقة علی رأیها لا یلویها صارف والانتهاء
عاطف ای وانی مرسلة الیهم رسلا بهدیة عظیمة فناظرة بم یرجع المرسلون حتی اعمل بما یقتضیه الحال روی
انها بعثت خمسمائة غلام علیهم ثیاب الجواری وحلیهن الاساور والاطواق والقرط راکبی خیل مغشاة
بالدیباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جاریة علی رماک فی زی الغلمان والف لبنة
من ذهب وفضة وتاجا مکللا بالدر والیاقوت المرتفع والمسک والعنبر وحقة فیها درة عذراء وجزعة
معوجة الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها منذر بن عمرو واخر ذا رأی وعقل وقالت ان کان نبیا میز بین
الغلمان والجواری وثقب الدرة ثقبا مستویا وسلک فی الخرزة خیطا ثم قالت للمنذر ان نظر الیک نظر
غضبان فهو ملک فلا یهولنک وان رأیته بشا لطیفا فهو نبی فاقبل الهدهد فاخبر سلیمان عم بذلک فامر الجن
فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فی میدان بین یدیه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول المیدان حائطا
شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب فی البر والبحر فربطوها عن یمین المیدان ویساره علی اللبن وامر باولاد
الجن وهم خلق کثیر فاقیموا علی الیمین والیسار ثم قعد علی سریره والکراسی من جانبیه واصطفت الشیاطین صفوفا
فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطیر والهوام کذلک فلما دنی القوم ونظروا
بهتوا ورأوا الدواب تروث علی اللبن فتقاصرت علیهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بین یدیه نظر الیهم

بوجه

بوجه طلق وقال ما وراءکم وقال این الحق واخبره جبریل علیه السلام بما فیه فقال لهم ان فیه کذا وکذا ثم امر بالارضة
فاخذت شعرة ونفذت فی الدرة فجعل رزقها فی الشجرة واخذت دودة بیضاء الخیط بفیها ونفذت فی الجزعة
فجعل رزقها فی الفواکه ودعا بالماء فکانت الجاریة تاخذ الماء بیدها فتجعله فی الاخری ثم تضرب به وجهها والغلام کما
یاخذه یضرب به وجهه ثم رد الهدیة وذلک قوله فلما جاء سلیمان ای الرسول قال ای مخاطبا للرسول و
المرسل تغلیبا للحاضر علی الغائب وقیل للرسول ومن معه ویؤیده انه قرئ فلما جاؤا والاول اولی لما فیه من تشدید
الانکار والتوبیخ وتعمیمهما لبلقیس وقومها ویؤیده الافراد فی قوله تعالی ارجع الیهم اتمدوننی بمال وهو انکار
لامدادهم ایاه عم بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبیخ بذلک وتنکیر مال للتحقیر وقوله تعالی فما اتانی الله ای
مما رایتم اثاره من النبوة والملک الذی لا غایة وراءه خیر مما اتاکم ای من المال الذی من جملته ما جئتم به فلا حاجة
الی هدیتکم ولا وقع لها عندی تعلیل للانکار ولعله عم انما قال لهم هذه المقالة الی اخرها بعد ما جری بینه وبینهم
من قصة الحق وغیرها کما اشیر الیه لا انه عم خاطبهم بها اول ما جاؤه کما یفهم من ظاهر قوله تعالی فلما جاء
الخ وقرئ اتمدونی بالادغام وبنون واحدة وبنونین وحذف الیاء وقوله تعالی بل انتم بهدیتکم تفرحون
اضراب عما ذکر من انکار الامداد بالمال الی التوبیخ بفرحهم بهدیتهم التی اهدوها الیه عم فرح افتخار وامتنان
واعتداد بها کما ینبئ عنه ما ذکر من حدیث الحق والجزعة وتغییر زی الغلمان والجواری وغیر ذلک وفائدة الاضراب
التنبیه علی ان امدادهم ایاه عم بالمال منکر قبیح وعد ذلک مع انه لا قدر له عنده مما یتنافس فیه المتنافسون اقبح
والتوبیخ به ادخل وقیل المضاف الیه المهدی الیه والمعنی بل انتم بما یهدی الیکم تفرحون حبا لزیادة المال لما
انکم لا تعلمون الا ظاهرا من الحیوة الدنیا ارجع افراد الضمیر هنا بعد جمع الضمائر الخمسة فیما سبق لاختصاص
الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للکل ای ارجع ایها الرسول الیهم ای الی بلقیس وقومها فلنأتینهم
ای فوالله لنأتینهم بجنود لا قبل لهم بها ای لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم علی مقابلتها وقرئ بهم
ولنخرجنهم عطف علی جواب القسم منها من سبأ اذلة ای حال کونهم اذلة بعد ما کانوا فیه من العز و
التمکین وفی جمع القلة تاکید لذلتهم وقوله تعالی وهم صاغرون ای اساری مهانون حال اخری مفیدة
لکون اخراجهم بطریق الاسر لا بطریق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه کان معلقا بشرط قد حذف
عند الحکایة ثقة بدلالة الحال علیه کانه قیل ارجع الیهم فلیأتوا مسلمین والا فلنأتینهم الخ قال یا ایها الملأ
ایکم یاتینی بعرشها قال عم لما دنی مجیء بلقیس الیه یروی انه لما رجعت رسلها الیها بما حکی من خبر سلیمان
عم قالت قد علمت والله ما هذا بملک ولا لنا به من طاقة وبعثت الی سلیمان انی قادمة علیک بملوک قومی
حتی انظر ما امرک وما تدعوا الیه من دینک ثم اذنت بالرحیل الی سلیمان عم فشخصت الیه من اثنی عشر الف
قیل تحت کل قیل الوف ویروی انها امرت فجعل عرشها فی اخر سبعة ابیات بعضها فی بعض فی اخر قصر من قصور سبعة
لها وغلقت الابواب ووکلت به حرسا یحفظونه ولعله اوحی الی سلیمان عم باستیثاقها من عرشها فاراد
ان یریها بعض ما خصه الله عز وجل سلطانه به من اجراء العجائب علی یده مع اطلاعها علی عظیم قدرته تعالی وصحة
نبوته عم ویختبر عقلها بان ینکر عرشها فینظر اتعرفه ام لا وتقیید الاتیان به بقوله تعالی قبل ان یاتونی مسلمین

لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عم وليكون اختبارها
واطلاعها على بدايع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اى مارد
خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخر انا اتيك به
اى بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اى من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واتيك اما
صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية
اى انا ات به في تلك المدة البتة وانى عليه اى على الاتيان به لقوى لا يثقل على حمله امين لا اختلس منه
شيئا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفية
قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو اصف بن برخيا وزير
سليمان عم وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به اجاب وقيل خضر او جبريل او ملك ايده
الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة
او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود من ابتدائية انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شىء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد
على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التاكيد وطوى عند
حكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غنى عن الاخبار به وجئ بالفاء الفصيحة الداخلة على جملة معطوفة
على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظايره بل داخلة على
الشرطية حيث قيل فلما راه مستقرا عنده اى راى العرش حاضرا لديه كما قاله عز وجل فاراه الاية الكبرى للدلالة
على كمال ظهور ما ذكر من تحققه والاستغناء عن بيان ظهور ما ترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام
اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فراه فلما راه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال
سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عم اياه شىء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره
عنده تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه
من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اى سليمان تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن
ابناء جنسه من انبياء الله عليهم السلام وخلص عباده هذا اى حضور العرش بين يديه في هذه المدة
القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربى اى تفضله على من غير استحقاق
له من قبلى ليبلونى ااشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتى ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر
بان اجد لنفسى مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شان ساير النعم الفايضة على العباد
ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب
ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اى لم يشكر فان ربى غنى عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام
مع عدم الشكر ايضا قال اى سليمان عم كررت الحكاية مع كون المحكى سابقا ولاحقا من كلامه عم تنبيها
على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثانى امر لخدمه نكروا لها عرشها اى

غيروا

غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدى
الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها تقدم عرشها من مسافة
طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق
بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اى بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون
اى الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم
عند سليمان عم وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التى قصدها سليمان اى
اى فلما جاءت بلقيس سليمان وقد كان العرش بين يديه قيل اى من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة
اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز
العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عم سخافة عقلها قالت كانه هو
فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه من التنكير من نوع مغايرة
في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عم واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من
كلامها كانها ظنت انه عم اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة
نبوتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الايات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من
ذلك الوقت من الدلالة على كمال رزانة رايها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت
تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الان اى صدها
عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة
للصد اى انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بين ظهرانيهم الى ان
دخلت تحت ملك سليمان عم وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صدها او على التعليل بحذف اللام هذا واما
ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان وملائه كانهم لما سمعوا قولها
كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة
بما سمعت من المنذر من الايات المتقدمة وبما عاينت من هذه الاية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا
على ذلك قولهم واوتينا العلم الخ واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام
شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس
ونشوها بين ظهرانى الكفرة مما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلى الصرح القصر وقيل صحن الدار
اى سليمان امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر
السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها
استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها
كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك
هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح

لتعرف ساقيها ورجلها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا يبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا
انها شعراء اي قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها ع م وامر الجن فبنوا لها
سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه
على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤق و اسؤق
قال ع م حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس من قوارير
من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس
وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقي في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية
به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها
بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس
ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه ع م يلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه ع م واللام جواب قسم
محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية
حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق
وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال ع م للفريق الكافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو و
العناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا ع م يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم
تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا
من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا
تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله
تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا
تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته
او من عمل العبد اي تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا
قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من
الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب
السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي
هو مبدأ ما يحيق بهم الى ما ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اي اشخاص
وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم
ورباب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي

وقدار بن

وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون
في الارض اي في المدينة فسادا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي
لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد
اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح ع م وكان ذلك غب انذارهم بالعذاب وقوله تمتعوا في
داركم ثلاثة ايام تقاسموا بالله امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله
تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء
للغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا
مهلك اهله اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام
فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال اي نقول ما نقول والحال انا لصادقون في ذلك
لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة
رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون
او جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه
من المكر وكيف معلق لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم و
قوله تعالى انا دمرناهم الخ بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل اي على
اي وجه حدث تدميرنا اياهم او خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا
اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ
عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة
اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ
بالكسر على الاستئناف روي انه كان لصالح ع م مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى
ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فبعث الله
تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل
بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل
الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها
وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى
الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم
لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي ما من شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا
الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة
ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله
تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال

والاحوال وقيل انتصب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين امنوا اى وانجينا لوطا وهو بعيد
اتاتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون
مفيدة لتاكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون
من بصر القلب اى يعلمونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا
يعلنون بها ائنكم لتاتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق و
تحلية الجملة بحرفى التاكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده عن العقول والمراد المفعول
بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى عليها الاتيان من دون النساء
متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة
او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم
فى حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون تترهون
افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه استهزاء وقد مر فى سورة الاعراف
ان هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عم بالامر والنهى لا انه لم يصدر
عنهم كلام اخر غيره فانجيناه واهله الا امراته قدرناها اى قدرنا انها من الغابرين اى الباقين فى العذاب
وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب
غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امره تعالى على رسوله صلعم بعد قصص الانبياء
المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وما خصهم به من الايات
القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام
والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى فى مهاوى
الردى وشرح صدره عم بما فى تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار
الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القران
من لدن حكيم عليم امره صلعم بان يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التى لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من
دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء عليهم السلام الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التى من جملة
المعارف التى اوحيت اليه عم اداء لحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين وقيل هو امر للوط عم بان يحمده تعالى على
اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده الله
خير اما يشركون اى الله الذى شؤونه العظيمة خير اما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد
الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه ارائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس
فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون
بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة اللائق بما بعده من سياق النظم الكريم المبنى
على خطابهم وجعله من جملة القول المامور به باباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح فى ان التبليت من قبله عز وعلا

وحمله على انه حكاية منه عم لما امر به بعبارته كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من
غير داع اليه وام فى قوله تعالى ام من خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى
للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد والتشديد و
اما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الاتية والهمزة لتقريرهم اى حملهم على الاقرار بالحق على
وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات
وافناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ محذوف الخبر معادل للهمزة تقوبلا على ما سبق
فى الاستفهام الاول خلا ان تشركون ههنا بناء الخطاب على القراءتين معا وكذا فى المواضع الاربعة الاتية والمعنى
بل امن خلق قطرى العالم الجسمانى ومبدأى منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى
لتشديد التبكيت والالزام اى انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اى نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق
اى بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اى ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اى ما صح
وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير اما تشركون وقرئ امن بالتخفيف
على انه بدل من الله وتقديم صلتى الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم فى
قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف و
الاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من حسن البارع والبهاء الرائع مما لا يكاد يقدر عليه
الا هو وحده تعالى وجملة ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا او توحيدا وصفها الاول
ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال فى ضمير شجرها اله
مع الله اى اله اخر كائن مع الله الذى ذكر بعض افعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له
تعالى فى العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الالوهية عما يشركونه به تعالى فى ضمن النفى الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم
بنفى الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز فى الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد
يقدر على انكار الالوهية عنه راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الاربعة
الاتية وقيل المراد نفى ان يكون معه تعالى اله اخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس
ذلك النفى فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله بل اشراكهم به تعالى فى العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل اله اخر مع
الله فى خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى فى العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا فى العبادة مع
تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفى كما فى الوجهين السابقين والاول
هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق بحق المقام لافادته نفى وجود اله اخر معه تعالى راسا لا
نفى معيته فى الخلق وفروعه فقط وقرئ االه بتوسط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ االها بمعنى
اتدعون او تشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب
الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق الواضح الذى هو التوحيد

والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بمعزل عن الافادة ام من
جعل الارض قرارا قيل هو بدل من ام من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكم الكل واحد والاظهر
ان كل واحد منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه اخر ادخل في الالزام بجهة من الجهات
اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور
عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت
تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى
وجعل بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في
سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي وتاخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق
أإله مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا ولذا لا يفهمون
بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره ام من يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجه شدة من
شدة من الشدائد والجاته الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال
من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا
استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان
مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد
بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري
مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر منهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل
ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل
ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام ام من يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان
الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة
الباردة لانكسار حرها وتموجها للهوا فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كلها من خلق الله عز وجل
والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أإله مع الله نفي لان يكون معه اله اخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون
تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية
المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون
اي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى
او عن اشراكهم ام من يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل ام من يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن
يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع بمقتضى الحكمة التي عليها يبنى امر
التكوين خير ام ما يشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء اصلا أإله اخر موجود مع الله حتى

يجعل

يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا
او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا
ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما
لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا وانى لهم ذلك ان كنتم صادقين
اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية
ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو
اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على
اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل
ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع
عليها اطلاع الحاضر فيهما كان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما
يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم و
وايان مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك
بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل للكل واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم
بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم
بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم
حيث لا يعلمون احوال الاخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الاخرة تدارك وتتابع
علمهم في شان الاخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها
قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم
ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى
تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث
قيل بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الاخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن
الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها
عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني و
وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلمة الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او ادائهم اسباب
علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الايات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في
في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى
بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد واقطع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب
العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم في ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم بكمال
العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابات على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي

فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادّارك وقرئ بل ادرك واصله
افتعل وبل أأدرك بهمزتين وبل آادرك على الاستفهام وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة
قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على وجه التهكم الذى هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم
بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية
انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم أئذا كنا ترابا وآباؤنا
أئنا لمخرجون اى أنخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع
ما لو تفرد واحد منها كفى للمنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج ح فقط فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له
وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة للمبالغة
والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بانّ واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم
الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا
اى الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اى من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث
اخر قصد به المبعوث وهذه الجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير
الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام
فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذى تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه
كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم
على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ
بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون تخفيفا من ضيّق وقد قرئ كذلك اى لا تكن
في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اى العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه
والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة
للتاكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال
وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم
بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله
تعالى ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد
وان ربك لذو فضل على الناس اى لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة
هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق
النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اى ما تخفيه

وقرئ

وقرئ بفتح التاء من كننت الشئ اى سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من
استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر
سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء
والارض اى من خافية فيهما وهي من الصفات الغالبة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى
الاسمية الا في كتاب مبين اى او مبين لما فيه لمن يطالعه واللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق
الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شان
المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العلو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر
في اشياء حتى بلغ المنافرة اى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كل الامر لو كانوا في حيز
الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان
ربك يقضي بينهم اى بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز
فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب
الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة على كل احد ان يتوكل عليه وداعية الى الامر به اى فتوكل على الله
الذى هذا شانه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين
تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه
عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتاييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الخ تعليل آخر
للتوكل الذى هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل
اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام على احد الوجهين اعني
كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتاييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات
بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن
مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا
بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشئ من
المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه
بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان
لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد فيه ولا تسمع الصم الدعاء
اى الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي
فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء
مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء
منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنها معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد

والجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرى وما انت تهدى العمى اى تسمع اى ما تسمع سماعا يجدى
السامع نفعا الا من يؤمن باياتنا اى من من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون
الهداية مع قربها بان يقال ان تهدى الا من يؤمن الخ لان طريق الهداية هو اسماع الايات التنزيلية فهم
مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من
اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذى يستعجلون من بقية
ما يستعجلون ومبادئها والمراد بالقول ما نطق من الايات الكريمة بمجئ الساعة وما فيها من فنون الاهوال التى
التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتاثيرها واسناده
الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انه مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه
واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اى اذا دنى وقوع مدلول القول المذكور الذى لا يكادون يسمعونه
ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهى الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين
التفخيمى من الدلالة على غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان
طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان
وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون
نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عم وقال
ذهب ووجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير وروى عن على رض قال ليس بدابة لها ذنب ولكن
لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروى لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ
السحاب وعن ابى هريرة رض فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها
الا بعد ثلاثة ايام وعن على رض انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبى صلعم انه
سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى انها تخرج ثلاث
خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتمكن ثم تخرج بالبادية ثم تتمكن دهرا طويلا فبين الناس فى اعظم المساجد حرمة على
على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم
يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروى بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق عما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصى فتنكت نكتة بيضاء فتفشوا حتى يضئ لها
وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب
بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروى عن ابن عباس رض
انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى ابو هريرة عن النبى صلعم
انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال منه الدابة ثلاث
صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا

حان

يبلغ

لا يوقنون اى تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بايات الله تعالى الناطقة بمجئ الساعة ومباديها او بجميع اياته التى
من جملتها تلك الايات وقيل باياته التى من جملتها خروجها بين يدى الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرى
بان الناس بالباء واضافة الايات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها
حكاية لقول الله عز وجل وقيل للاختصاصها به تعالى وعزتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا
وانما هى خيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف اى بايات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين
بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرى ان الناس بالكسر
على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه فى الاضافة كالذى سبق وقيل هو استيناف سيق من جهته تعالى
تعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع بين صيغ الماضى والمستقبل فانه صريح فى كونه حكاية لعدم ايمانهم
السابق فى الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة كانوا يجحدون القران لا يوقنون وقرى
تكلمهم من الكلم الذى هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة
ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالى لحال المكذبين عند قيام
الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلعم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب
بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود بذكر ما وقع فيه
من الحوادث قد مر بيان سره مرارا واذكر لهم وقت حشرنا اى جمعنا من كل امة من امم الانبياء
عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق و
مكذب وقوله تعالى ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اى فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اى يحبس اولهم
على اخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا فى موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم
وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رض ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين
يدى اهل مكة وهكذا الحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا الى موقف السؤال
والجواب والمناقشة والحساب قال اى الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة
اكذبتم باياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة
التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اى اكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى
العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص فى ان المراد بالايات فيما سلف فى الموضعين هى الايات
القرانية لانها هى المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا
فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اى اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها اماذا
كنتم تعملون اى ام شئ كنتم تعملون بها او ام اى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك
كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون فى
النار وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم اى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله
بما ظلموا بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بايات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل

شامل من العذاب الاليم الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الروية قلبية لا بصرية لان نفس الليل
والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اى الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه
من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اى ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب
فى امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التى
جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة
تاثير ضوء النهار فى الابصار ان فى ذلك اى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار
ببعد درجته فى الفضل لايات اى عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الايات
الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تامل فى تعاقب الليل والنهار وشاهد فيهما على وجوه بديعة مبنية
على حكم رايقة يحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد فى الافاق تبدل ظلمة الليل المحاكية
للموت بضياء النهار المضاهى للحيوة وعاين فى نفسه تبدل النوم الذى هو اخو الموت بالانتباه الذى هو
مثل الحيوة قضى بان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى
قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الايات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا
عليه وسائر الايات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ فى الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه
او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلعم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه
شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده
ان عظم دائرة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها فى الحيوة احد الا من شاء
الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر
باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
والذى يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هى النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى
ففزع من فى السموات ومن فى الارض ما يعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة
للعادات فى الانفس والافاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضى مع كون
المعطوف عليه اعنى ينفخ مستقبلا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان الاحوال الواقعة
عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا
بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعى الترتيب الوقوعى لربما
توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر فى قصة البقرة الا من شاء الله اى ان لا يفزع قيل هم جبريل
قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وكل اى كل واحد
من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة
والمجازاة وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ اتوه اى حاضروه اى صاغرين

وقرى

وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل فى حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة
اى ثابتة فى اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او مفعوله وقوله تعالى وهى تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال
فى تحسبها اى فى جامدة اى تراها راى العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذى تسيره الرياح سيرا حثيثا و
وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا يكاد يتبين حركتها وعليه قول من قال بارعن مثل الطود
تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء
وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق
يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها
اهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة
الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عم وبروزهم لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا
فى تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضى فى المعطوف مع
كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك
هذا وقد قيل ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى
فصعق من فى السموات ومن فى الارض الى اخره فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات
قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب فى
ان ذلك مما ينبغى ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة
الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى اريدت بقوله تعالى ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من
فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة
الموثقة فى البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فان مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذى لا محيد
عنه ما قدمناه ومما هو نص فى الباب ما سياتى من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون صنع الله مصدر
مؤكد لمضمون ما قبله اى صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ فى الصور وما ترتب عليه جميعا
قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق الاخلال بنظام
العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هى من قبيل بدائع
صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التى لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى
الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذى اتقن كل شئ اى احكم خلقه وسواه
على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما يفعلون تعليل لما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر
افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هى عليه من الحسن والسوء وترتيب
اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا

مشاهدة ذلك ان وعد الله حق لاريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما
اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اى من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى
بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من
جهتها وهو الجنة عن ابن عباس رضى الله عنه الحسنة الشهادة وهم اى الذين جاؤا بالحسنة من فزع اى عظيم هائل
لايقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات و
هو الذى فى قوله تعالى لايحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضه حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين
يذبح الموت وينادى المنادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اى يوم
اذ ينفخ فى الصور امنون لايعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذى يعترى
كل من فى السموات ومن فى الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة
من معاينة فنون الدواهى والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان امنا من لحوق الضرر والامن
يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا
والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع
واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم فى النار
اى كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم
تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اى مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى
حرمها امروا بان يقولوا لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على انه
قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل و
الاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا واصلحوا او افسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور
انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عم بامر دعوتهم انه عم يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا
بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الايات الباهرة والبلدة هى مكة المعظمة وتخصيصها
بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم
مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما فى قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم
من جوع وامنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونها محرمة من ان
تنتهك حرمتها باختلا خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها
على تعاطى افجر افراد الفجور واشنع احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على
عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ اللاتى حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شئ اى خلقا وملكا وتصرفا
من غير ان يشاركه فى شئ من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف
مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اى اثبت على ما كنت عليه من كونى
من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اى الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن

احسن

احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلوا القران اى اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه الرائقة المخزونة
فى تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى
فى الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى ومعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه
فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياى فيما ذكر من العبادة
والاسلام وتلاوة القران فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل
بما فيه او بمخالفتى فيما ذكر فقل فى حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس على من
وبال ضلاله شئ وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اى على ما افاض على من نعمائه التى اجلها نعمة النبوة المستتبعة
لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقنى لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالايات البينة والبراهين
النيرة وقوله تعالى سيريكم اياته من جملة الكلام المامور به اى سيريكم البتة فى الدنيا اياته الباهرة التى نطق
بها القران كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى فتعرفونها اى فتعرفون
انها ايات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعرفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم فى الاخرة
وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد
والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبى صلعم وتخصيص الخطاب اولا به عم وتعميمه ثانيا للكفرة
تغليبا اى وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم
بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم
البتة ولا يحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله اعلم عن النبى صلعم من قرأ سورة
طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم
السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

طسم تلك ايات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى نظائره نتلوا عليك
اى نقرأ بواسطة جبريل عم ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبإ موسى وفرعون مفعول
نتلو اى بعض نبئهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلوا او من مفعوله او صفة لمصدر
اى نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو
وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا فى الارض استئناف
جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اى انه تجبر وطغى
فى ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة فى الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اى فرقا يشيعونه فى كل
ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يستعمل كل صنف
فى عمل وتسخيره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا

مختلفة فأغرى بينهم العداوة والبغضاء كيلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال
من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك
لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق
فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على
مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية
وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير
المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة لمن متعلق استقبالي على ان منة الله عليهم بالخلاص لما كانت في شرف
الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم
السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم
الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه
تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم لما عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة
ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض الخ اي نسلطهم على
مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من
ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى
بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه
فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك
عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار
الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من
المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية
لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش
كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت
لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته
في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت
بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان
اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله
والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء

قد

قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التا بوت
حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره
كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت
الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر
كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في
مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون
مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل عمته حكاه السهيلي
واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج
فتعلق بشجرة فقال فرعون فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا وعالجوا
كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو
بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم
وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برأت
فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا الذي نحذر منه رمي في البحر خوفا منك فاقتله فهم فرعون
بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة
ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما
لغتان كالسقم والسقم جعله عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان و
جنودهما كانوا خاطئين اي كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعين الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم
الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به و
قرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطأ وقالت امرأت فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه
اخرجاه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله
تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن
ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه خليق بذلك
وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته
له كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع والتبني لقوله
ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير
للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف
والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه

انه قرئ فرغا وقرئ موسى بالهمزة من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية
وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ موسى بالهمزة اجراء للضمة في
جارة الواو مجرى ضمها فهمزت كما في وجوه ان كادت لتبدي به اى انها كانت لتظهر بموسى اى بامره
وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من
المؤمنين اى المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو
علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخته دون
ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اى اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به
اى ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون
انها تقصه وتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع من المراضع
جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل اى من قبل
قصها اثره فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روى ان
هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها
فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس
والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي
الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي
تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اى جميع ما وعده من رده و
جعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون فلما بلغ اشده اى المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه و
ذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ روى انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين و
واستوى اى اعتدل قده او عقله اتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل قولا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة
في المراجعة وكذلك مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة
اى مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت
لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اى من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اى سأله ان يغيثه بالاعانة كما يتبين تعديته بعلى وقرئ استعانه
على الذي من عدوه فوكزه موسى اى ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه

فقتله

فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا
بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده
من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من
محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيط بين كلاميه لابانة ما بينهما
من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي اى بقتله فاغفر لي ذنبي
فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اى المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي
اما قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين
واما استعطاف اى بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين
اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاجناد
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك
لغوي مبين اى بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي
هو عدو لهما اى لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق
وقرئ يبطش بضم الطاء قال اى الاسرائيلي ظانا انه يبطش به حسبانه سمعه اياه غويا يا موسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك
الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى وقيل قاله القبطي ان تريد
ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب
وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول و
الفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اى كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى يسرع صفة لرجل
او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصيصه يلحقه بالمعارف وقيل هو مؤمن من
آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
اى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اى من المدينة
اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اى من المدينة
خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم
ولما توجه تلقاء مدين اى نحو مدين وهي قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن
تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب
عقبه فاخذوا في الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه
ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين اى وصل اليه وهو بئر كانوا

يسقون منها وجد عليه اى فوق شفيرها امة جماعة كثيرة من الناس يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم
فى مواضع اسفل منهم امراتين تذودان اى تمنعان اغنامهما من الاقدام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم
مع عدم الفائدة فى التقدم قال عليه السلام لهما ما خطبكما اى ما شانكما فيما انتما عليه من التأخر والذود
انتما عليه من التأخر والزود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء اى عادتنا
ان لا نسقى حتى نصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا
لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك
الافعال انفسها اذ هى التى دعت موسى عم الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عم انما رحمهما لكونهما على
الذياد والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا مثلا وقرئ
لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدر والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع قياسى
كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابداء منهما للعذر اليه عم فى توليهما للسقى بانفسهما كانهما قالتا
انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا
شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقى الى ان يقضى الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة
عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما قرر انفا روى ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عم زاحمهم
فى السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عم عن ذلك فان الظاهر انه عم غب مشاهدة حالهما سارع الى السقى
لهما وقد روى انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة
وروى انه عم سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى
بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذى كان هناك فقال رب
انى لما انزلت الى اى شئ انزلته الى من خير جل او قل وحمل الاكثرون على الطعام بمعونة المقام
فقير اى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جئ بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الى
من خير عظيم الدارين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عم اظهارا
للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هى كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها
صغيراء اى جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل
بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وقوله تعالى
تمشى حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى اى جاءته تمشى
كائنة على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتى المشى والمجئ معا لا عند المجئ فقط وتنكير استحياء
للتفخيم قيل جاءته متخفرة اى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استيناف مبنى على سؤال
نشأ من حكاية مجيئها اياه عم كانه قيل فماذا قالت له عم فقيل قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا اى جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على

كمال

كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى انه عم اجابها فانطلقا وهى امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه
القصص اى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمى به المفعول كالعلل قال
لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عم انما اجاب المستدعية من غير
تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عم ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الاية الى لما روى انه لما
لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول
حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف
مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله
حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما فى دار نبى من انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر
منه عم ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب انه عم رفع صوته بدعائه ليسمعها
ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عم انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احداهما
وهى التى استدعته الى ابيها وهى التى زوجها من موسى عليهما السلام يا ابت استاجره اى لرعى الغنم
والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوى الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار
وللمبالغة فى ذلك جعل خير اسما لان وذلك الفعل على صيغة الماضى للدلالة على انه امين مجرب روى ان شعيبا
عم قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عم من اقلاع الحجر ونزع الدلو وانه صوب
راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى
اى تكون اجيرا لى او تثيبنى من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى ثمانى حجج على الاول ظرف وعلى الثانى
مفعول به على تقدير مضاف اى رعية ثمانية حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت دارى ومملوكى غير ممدود وممدودا
ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثانى محذوفا والمعنى على ان تاجرنى نفسك وقوله تعالى ثمانى
حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا فى الخدمة والعمل فمن عندك اى فهو من عندك بطريق التفضل
لا من عندى بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد
لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء
الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته و
يوزع رايك فى مزاولته ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء
بالعهد ومراده عم بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال
ذلك بينى وبينك مبتدا وخبر اى ذلك الذى عاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا
لا انا عما شرطت على ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اى اكثرهما او اقصرهما قضيت
اى وفيتك باداء الخدمة فيه فلا عدوان على تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة لا عدوان على بطلب الزيادة على
ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع تحقق عدم العدوان

في اكثرهما راساً للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطلب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثمان او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ ايما
الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها وقرئ
ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول
من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس فيما حكى عنهما
عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام حتى انه عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه
واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك
الشريعة تفصيلا روى انهما لما اتم العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ
عصى من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها ادم عم من الجنة ولم
يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عم بعد موت ادم عم فكانت معه حتى لقي موسى ليلا
وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في
يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك
فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن رض ما كانت الا عصا
من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له
شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها
تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف
لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عم دامية فلما ابصرها
دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملاء البطون
غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال اني وهبت
من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم
سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى
الاجل فصيحة اي فعقد العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من
شعيب عليهما السلام وروي انه عم قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم
على العود الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله انس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي
الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة
عود غليظ سواء كانت في راسه نار اولا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار
ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى من النار
وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار التي انسها
نودي من شاطئ الواد الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عم في البقعة المباركة

بامره شاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى
انني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان القي عصاك
عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى فلما رءاها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا
على دلالة عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رءاها
تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع
يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون
اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك
المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما
في الجيب فيكون تكرير الغرض اخر هو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان
يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر
جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اي من اجل اي اذا عراك
الخوف فافعل ذلك تجلدا او ضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات فذانك
اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان
حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة
البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم
برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه
واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء
بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء
وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل
الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان
قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل
لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجة باياتنا
متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون
اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن
اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما يبينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى
باياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عم منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما
اللتان اظهرهما موسى عم اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر

مفترى اى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كساير اصناف السحر وما سمعنا بهذا اى السحر او ادعاء النبوة فى اباينا الاولين اى واقعا فى ايامهم وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرى قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحها من الفاسد ومن يكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية فى الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتايج اعمال العصاة وسايح الغواة وقرى يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة وكان من امرهم ما كان فاوقد لى يا هامان على الطين اى اصنع اجرا فاجعل لى منه صرحا اى قصرا رفيعا لعلى اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات والارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحققها معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فى الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرى بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم فى اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة يوم والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم فى عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار اى فى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى وقدوة يقتدى بهم اهل الضلال كما صرفوا اضلالهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فلا يسمح ان يكون الجعل بعضهم قبحا بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين المبعودين وقيل الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قال ابن عباس رضى الله عنه يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين

من

من الهالكين ويوم القيامة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد اتينا موسى الكتاب اى التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القران الكريم على رسول الله فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس اثارها واحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد اتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اى انوار القلوب بهم تبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر نور العين الذى به تبصر وهدى اى هداية الى الشرايع والاحكام التى هى سبيل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصاير والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصاير الخ وقيل على العلة اى اتيناه الكتاب للبصاير والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربى شروع فى بيان ان انزال القران الكريم ايضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اى ما كنت بجانب الجبل الغربى او المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربى على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحى وايتائه التورية وما كنت من الشاهدين اى من جملة الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى فى ميقاته وكتبة التورية له فى الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا اى ولكنا خلقنا فى ميقاته وكتبة التورية له فى الالواح فتطاول عليهم العمر فتمادى الامد فتغيرت الشرايع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى وما كنت ثاويا فى اهل مدين نفى لاحتمال كون معرفته صلى الله عليه وسلم للقصة بالسماع ممن شاهدها اى ما كنت مقيما فى اهل مدين من شعيب والمؤمنين وقوله تعالى تتلو عليهم اى تقرأ اما مستكنين فى ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الايات ونظايرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اى وقت ندائنا موسى انى انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا اياه الى فرعون ولكن رحمة من ربك اى ولكن ارسلناك

بالقران الناطق بما ذكر وبغيره رحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك
كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عم بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك
ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود
واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالانذار لا بتعليم
ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اى لم
يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون او بينك وبين اسمعيل بناء على ان
دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب
الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عم
للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوائه في اهل مدين ثم نفي حضوره عم عند النداء ثم نفي حضوره عند
قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا
ان تصيبهم مصيبة اى عقوبة بما قدمت ايديهم اى بما قدمت ايديهم والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم
داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في
حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اى هلا ارسلت رسولا مؤيدا من عندك
بالايات فنتبع اياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى
محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن
لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اى اهل مكة الحق من عندنا
وهو القران المنزل عليه الصلوة والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي يعنونه عم مثل ما اوتي موسى من
الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عم وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي
موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا من
قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق لتقرير كفرهم
المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر لمبتدأ محذوف اى هما يعنون ما اوتي
محمد وما اوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر وذلك انهم بعثوا الرهط
منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شانه عم فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع
الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اى بكل واحد من الكتابين كافرون
تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ
ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلعم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل
وقيل الآتي الى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اتيناه من التوراة والقران وسميتموهما
سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اى ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل
بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام

للتبكيت

للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اى في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم
فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر
عنه بالاستجابة ايذانا بانه عم على كمال امن من امره كان امره عم لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريدون وقوعه
والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب
الله دعاءه فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك
لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكاري للنفي اى لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع
الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة المحال
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الايات الهادية
الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اى انزلنا عليهم القران متواصلا بعضه اثر بعض حسبما
يقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون
بما فيه الذين اتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل ايتاء القران هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اى القران
عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اى الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم
وقوله تعالى انا كنا من قبله اى من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا
ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القران اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت
يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا اى بصبرهم وثباتهم على الايمان
او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة
السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير
واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا
لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد
مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله
في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فيه كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء
اى يهديه فيدخل في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي
طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن
اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك
غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف
اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من
ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلعم فقال نحن نعلم انك على الحق

ولكن نخاف ان نتبعك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم
نمكن لهم حرما امنا اى الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم
امنون فيه يجبى اليه وقرئ بالتاء اى يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شئ من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى
يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف
اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى
اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه مرزوق
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها اى وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا
فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا
اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وساير ذات ايديهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله
مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك
القرى المذكورة اى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمه الماضى
وقضائه القاضى ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث فى امها اى فى اصلها
وقصبتها التى هى اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم
اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكى القرى عطف على
ما كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد
ما بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيبهم رسولنا و
الكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق
الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل وما اوتيتم من شئ من امور الدنيا فمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها اى فهو شئ شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير
فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدى افلا
تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرئ
بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اى وعدا
بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اى مدركه لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جئ
بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطف بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى

هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل
الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت الظاهر بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه
داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه
يوم القيامة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل
ما لا يخفى وثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم
منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تقريعا لهم
اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة
الكلام قال استيناف مبنى على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول
وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان
اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو
قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله
للاتباع ايضا لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتو بيخهم
بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوا اعتذارا وهؤلاء
انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى
هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون
بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله
تمهيد له اى ما اكرهناهم على الغى وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا
باختيارهم غيا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم خبرا تبرأنا اليك منهم
ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا
ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله
تعالى تبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اما تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة
فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا
يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمنى اى تمنوا
لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن
جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اى صارت كالعمى لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن
الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او ما يعم
الانباء وهى داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم فى ذلك المقام الهائل الى

علام الغيوب مع نزاهتهم عن غايلة المسؤل فما ظنك باوليك الضلال من اممهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب
لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب عن الشرك وامن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح
فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المرهوب وعسى للتحقيق على عادة الكرام
او للترجي من قبل التايب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء اي يخلقه يخلقه ويختار ما يشاء اختياره
من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم
وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده
ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث
الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله اي
تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختياره وتعالى عما يشركون اي اشراكهم
او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلعم وحقده وما يعلنون
كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
لانه المولى للنعم كلها عاجلها واجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء
النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقرير لما ذكر ارايتم
اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دايما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلا
مص من الدلاص يقال درع دلاص ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغاير من اله غير الله صفة لاله ياتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام
كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله تعالى فمن ياتيكم بماء معين ونظايرهما فلا انه قصد
بنفي الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضياء بهمزتين افلا
تسمعون هذا الكلام سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله
عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة باسكانها في وسط السماء او بتحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا
بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمه تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته
من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار
قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشان النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا
نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم

هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
اي غاب عنهم غيبة الضايع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن
عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عم بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عم ابن اخيه
وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت
النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي وقيل لما جاوزهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان
لهارون وجد قارون لنفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى عم هذا صنع
الله تعالى قال لا اصدقك حتى تاتي باية فامر رؤسا بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها
والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها
ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان
يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق
موسى وهرون عليهما السلام واتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزاينه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة
صلة ما وهو ثاني مفعولي اتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل
ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل باتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد بذلك فقيل هو
اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه
لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها
من اللذة مفارقة لا محالة توجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة
عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما اتاك الله من الغنى الدار
الاخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها اخرتك وتاخذ منها ما يكفيك واحسن اي الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك
فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان
عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه انما اوتيته على علم عندي كانه يريد
به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخاير من غير سبب واستحقاق
من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة
وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفاين وعندي
صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورايي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من
من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك
قراءة للتوراة وتلقيا من موسى عم وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرا التوراة ولم يعلم ما فعله

ما الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر باغترابه او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اعلم
من المعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام
بل يعذبون بها بغتة كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين
ان ذلك لم يكن مما يختص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على
قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج
عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة عليها الارجوان عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه و
قيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل
في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين
جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه
ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له
وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والاخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الاخرة تنبيها على ان العلم
باحوال النشاتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما
ويلكم دعاء بالهلاك وشاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الاخرة خير مما تتمنونه لمن امن وعمل
صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه
بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات
وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني
اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد
قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق
فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت
رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض ما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى فرعون فمن
كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو
لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه
موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة
ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال
نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة

توجب

توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض ويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه
الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطا
والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما
تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرى لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرى لخسف بنا على البناء للمفعول
وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرى لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرى لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة
الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك
التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما ولا
عدوانا على العباد كذاب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن
علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة المحمودة للمتقين
اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الاقوال والافعال من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا ووصفا
وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم
بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون
مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد
معاد يمتد اليه اعناق الهمم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة
المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذيته وشدة من اهلها انه يهاجر منها ثم يعيده اليها بغير ظاهر وسلطان
قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم عليه السلام
فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه
من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجو
ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الرحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم
والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن ايات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين
عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو
وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في
الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق
بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظايره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا
احسب الناس ان يتركوا ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شي للشي وانتفا
شي عن شي بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان
والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان
يقولوا امنا وان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور
واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف
الطاعات وفنون المصايب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل
ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في
النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في
عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله
فجزع عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلعم سيد الشهدا مهجع وهو اول
من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله لا يفتنون
والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه والمعنى ان
الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هولاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الاية وعن النبي
صلعم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم امنا
وليعلمن الكاذبين في ذلك والفا لترتيب ما بعدها على ما ينفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم
والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله
ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه
مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين
وقري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه
وسوادها ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم
وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها معنى بل للاضراب والانتقال
عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا
بسياتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا
في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بيس الذي

يحكمونه

يحكمونه حكمهم ذلك او بيس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجوا لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا
او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجوا لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجوا ثوابه وقيل يخاف عقابه فان
اجل الله لات لقاوه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال
عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من
افعاله او بضده لما سخط فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على
كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لات لا محالة من غير
صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم واذا فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة و
اتيان وقته موجب لاتيان اللقا حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يودي الى حسن الثواب وليحذر
ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه
من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاه او ما يوجب القربة والزلفى وهو
السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقايد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل
فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها
تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما
يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط
ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط
حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور
به نفع عايد الى المامور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا
بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف
على بوالديه وقري حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالاهيته عبر عن نفيها بنفي
العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما
في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من
امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبيكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا
فخير وان شرا فشر والاية نزلت في سعيد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي
سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا
التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع
عمر بن الخطاب رض حتى نزل المدينة فخرج ابو جهل اخواه لامه اسما فنزلا لعياش وقالا ان من دين محمد
صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك مغنا وفتلا في الذروة
والغارب واستشار عمر رض فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما

وعصى عمر فقال عمر اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا
الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة
جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين اى في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المومنين وغاية مامول انبياء
المرسلين قال الله حكاية عن سليمان عم وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم عم وانه
في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في
الله اى في شانه تع بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اى ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في
الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تع اصلا ولئن جاء نصر من ربك
اى فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا
معكم اى مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مستهم
اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمون من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تع اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين اى باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد
والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة هذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تع وليعلمن
الله الذين امنوا اى بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كونهم باذية الكفرة او لا فيجزيهم بما لهم
من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين امنوا بيان لتحملهم للمومنين على الكفر بالاستمالة بعد
تحملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما
سبق لبيان جناية من تلوه واللام للتبليغ اى قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اى اسلكوا طريقتنا
التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش اخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك
فيه او اتبعونا في طريقنا ولنحمل خطاياكم اى ان كان ذلك خطيئة يواخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما
امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم
ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تع وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اى وما هم
بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق و
والجملة اعتراض او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا
فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تع انبئوني
باسماء هولاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الاخرة من المضرة لهم
بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب
قسم مضمر اى والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لما تسببوا له بالاضلال والحمل على
الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسالن يوم القيامة سوال تقريع وتبكيت
عما كانوا يفترون اى يختلقون في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا

نوحا

نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان
افتتان المومنين باذية الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر
فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هولاء اولى
واحرى قالوا كان عمر نوح عم الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة
سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر
الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله عم وتثبيته على ما كانوا عليه من مكابدة ما يناله
من الكفرة واظهار ركاكة راى الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة
فاخذهم الطوفان اى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من
السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتاثروا
بما سمعوا من نوح عم من الايات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اى نوحا عم واصحاب
السفينة اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه كانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية
نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة والقصة اية للعالمين يتعظون بها وابراهيم
نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه على الاول
ظرف للارسال اى ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث
تصدى للارشاد الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله اى وحده واتقوه
ان تشركوا به شيئا ذلكم اى ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اى مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خير
فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اى الخير والشر وتميزون احدهما من الاخر او ان كنتم تعلمون
شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما تعبدون
من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى دين الحق اى انما
تعبدون من دونه تع اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا
اى وتكذبون كذبا حيث تسمونها الهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد
للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ
افكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان
لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اى لا يقدرون على ان يرزقوكم
شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له
على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اى
بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اى تكذبوني فيما
اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اى فلا تضروني بتكذيبكم فان
من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا

وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا لو تكذبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اى التبليغ
الذى يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لامزيد عليه فلا يضر فى تكذيبهم
بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستانف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم
بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر
اى الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى ابتداء من مادة ومن غير
مادة اى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده
عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء
وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه كل سنة مثل ما انشاء فى السنة السابقة من
النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اى
ما ذكر من الاعادة على الله يسير اى لا يفتقر فعله الى شىء اصلا قل سيروا فى الارض امر لابراهيم عم اى
يقول لهم ذلك اى سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اى كيف ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة
واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض موذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين فى
اقطارها ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى
محل النزاع بالنشأة الاخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شان واحد من شؤون
الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية
والاخرية وقرئ بالنشاة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرافة ومحلها النصب على انها مصدر موكد لينشئ
بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اى ينشئ فتنشؤون النشأة الاخرة كما فى قوله تعالى و
والله انبتكم من الارض نباتا والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض داخلة معها فى حيز القول واظهار الاسم
الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدء الابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم
وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شىء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان علم قدرته تعالى على
جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد فى قدرته عليها ولا فى وقوعها بعد ما اخبر به يعذب
اى بعد النشأة الاخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون
بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب وما انتم بمعجزين له تعالى
عن اجراء حكمه وقضائه عليكم فى الارض ولا فى السماء اى بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها ولا بالتحصن
فى السماء التى هى افسح منها لو استطعتم الرقى فيها كما فى قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل فى السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اى ولا من فى السماء
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم
والذين كفروا بايات الله او بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل
فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والايات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى

لايناسب

لايناسب المقام ولقائه الذى ينطق به تلك الايات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بايات الله تعالى ولقائه
يئسوا من رحمتى اى ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضى للدلالة على تحققه او يئسوا منها فى الدنيا
لانكارهم البعث والجزاء اولئك لهم عذاب اليم وفى تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه
بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اى اولئك الموصوفون بالكفر بايات الله تعالى ولقائه وباليأس
من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره فى الشدة
والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع
على العكس وقد مر ما فيه فى نظائره وليس المراد انهم لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عم الا هذه المقالة
الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذى استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتى فى المرة
الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اى فالقوه فى
النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه بردا وسلاما حسبما بين فى مواضع اخر وقد مر فى سورة الانبياء
كيفية القائه عم فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار فى موضع اصلا ان فى ذلك اى فى انجائه
منها لايات بينة عجيبة هى حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها فى زمان يسير وانشاء روض فى مكانها لقوم يؤمنون
واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم اثارها محرومون وقال اى ابراهيم عم مخاطبا لهم
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا اى لتتوادوا بينكم وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وائتلافكم وثانى مفعولى اتخذتم محذوف اى اوثانا الهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف
اى ذات مودة او سبب مودة او بتاويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اى اتخذتم اوثانا بسبب المودة بينكم او مودودة او
المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئ بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف
اى هى مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية
او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئ مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع
بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس فى الحيوة وقد اجريتم
احكامه حيث فعلتم بى لاجل مودتكم لها ما فعلتم ما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا الهتكم ثم يوم القيمة ينقلب
الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهو الاوثان
ويلعن بعضكم بعضا اى يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الاخر ومأويكم النار
اى هى منزلكم الذى تاوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من
النار التى القيتمونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى مقابلة الجمع اى ما لاحد منكم من ناصر اصلا فامن له لوط اى
صدقه فى جميع مقالاته لا فى نبوته وما دعى اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه امن له
حين راى النار لم تحرقه ينبغى ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهى التى لا يرتقى
اليها الا الهم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته عليهما السلام وقال انى مهاجر اى من قومى الى ربى الى حيث امرنى
به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة

الامامية صلى الله عليه وسلم روى انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل
فلسطين ونزل لوط سذوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولد من عجوز عاقر وجعلنا في
ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اى جنس الكتاب متناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره
بمقابلة بهجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء
والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اى الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف
على نوح او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم انكم لتأتون الفاحشة
اى الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان
اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطبائع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتعرضون للسابلة اى بالفاحشة حيث روى انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها
بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل
واخذ المال وتأتون في ناديكم اى تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار و
وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة
في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اى فما كان
جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اى لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط
عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه
وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم
بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اى بالبشارة بالولد
والنافلة قالوا اى لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا
اهل هذه القرية اى قرية سذوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف
تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله اراد وا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم
يتعرض له ابراهيم من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير
الوعد بالتنجية بالقسم اى والله لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اى الباقين في العذاب او القرية
ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة
ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اى

ضاق

اى ضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به
قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم
وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا واللتي حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي
الى ركن شديد لا تخف اى من قومك علينا ولا تحزن اى على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك
مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء واياما كان
محل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم و
الرجز العذاب الذي يقلق المعذب اى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اى من القرية آية بينة هي قصتها العجيبة و
وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم
شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اى وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وحده وارجوا اليوم الآخر اى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم
من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا
تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين
ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا
في دارهم اى بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود
منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اى اهلكنا وقرئ ثمود اى الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اى وقد
ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم
الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم
لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوفة على ما قبل وتقديم قارون لشرف نسبه
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم
سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اى ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك
فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اى فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اى عاقبناه
بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اى ريحا
عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من
خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل
بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك

من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة
الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب
فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى بشيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا
يعلمون اي شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت
عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من
دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن
للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول تدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة
الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته
قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على
ما هي عليه من الحسن واستجلاب الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه
صلعم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض اي
محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية
والدنيوية على انها حال من مفعوله فانها مشتملة على جميع ما يتعلق به معاشهم وشواهد دالة على شؤونه تعالى
المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان في ذلك لاية للمؤمنين دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه
وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقها لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من
الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام
ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اي دم على اقامتها حيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات
المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره بها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها
مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي
الله عنهم في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم يامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد
بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه
وروى انس رضه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلعم ثم لا يدع شيئا من الفواحش
الا ركبه فوصف له عم حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي
وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من

ذكر

ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر
نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي
احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على
وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في
الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا امنا
بالذي انزل الينا من القران وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان
بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان
قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض
بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون كذلك تجريد الخطاب الى رسول الله صلعم
وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي
مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القران الذي من جملته هذه الايات
الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحق فالذين اتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام
واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول
صلعم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان
من بعدهم من معاصري رسول الله صلعم قد نزع عنهم بالنسخ فلم يؤتوه والفاء للترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي من العرب او اهل مكة على الاول او ممن في عصره على
الثاني من يؤمن به اي بالقران وما يجحد باياتنا عبر عن الكتاب بالايات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها
من عنده تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحدها الا الكافرون المتوغلون في
الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف
واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من
كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كان عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه
اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله
التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شانك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في
ارتيابهم على تقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عم عن ذلك بل هو
اي القران ايات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب
يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في
الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى
عليهم السلام وقرئ اية قل انما الايات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين

ليس من شأني الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على
اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم
آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية
وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل
كما تزول كل آية بعد كونها ويكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت
دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة
لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا
رسول الله صلعم بكتف فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به
غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي
من جملتها شاني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله
تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالايمان ما ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي
احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا
حجارة او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب
المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيامة لما روي انه تعالى وعد رسول الله صلعم ان
لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم
بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم
جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم
العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل بغتة اي فجأة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد
باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى سؤالهم فان ذلك اتيان برأيهم
وشعورهم لا انه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض
الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا
القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم
وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب
فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط بهم وانما جيء بالجملة الاسمية
دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا للحال السببية منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة
لدخولهم جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها لما ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة
وقد مر تفصيل في سورة الاعراف عند قوله والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر

موضع

موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي
ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع جهاتهم ويقول اي الله عز وجل
ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملائكته بامره ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار
من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين
لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم ان ارضي
واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث
يتيسر لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم
ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل
نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستأنفة جيء بها على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس
من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته
فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا
اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك
المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي في الغرف او في الجنة نعم اجر العاملين اي الاعمال
الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب
على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون
اي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها روي ان النبي صلعم لما امر
المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم
من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع
ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو
المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في
العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم اي اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله
اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي
فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق
لمن يشاء اي يبسطه له من عباده ويقدر له اي يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم
حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسطه على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له
ومن يليق بقدره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما

في وقته ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الأرض بعد موتها ليقولن الله معترفين بأنه الموجد للممكنات
بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم من القدرة على شيء ما أصلا قل الحمد لله
على أن جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وأنه أظهر حجتك عليهم وقيل على أن أمثال هذه الضلالات و
لا يخفى بعده بل أكثرهم لا يعقلون أي شيئا من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه
وتعالى أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا إشارة تحقيرا وردا
للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلعم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء إلا لهو
ولعب أي إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وإن الدار الآخرة لهي
الحيوان أي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حيي سمي به ذو الحيوة وأصل حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب
اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون أي لما آثروا عليها الدنيا
التي أصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث منها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فإذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل و
البغال والحمير لتركبوها واستعماله هنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته
قسرية غير إرادية كما مر في سورة هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من الإشراك فإذا ركبوا في البحر ولقوا شدة
دعوا الله مخلصين له الدين أي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى
لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون أي فاجؤوا المعاودة إلى الشرك ليكفروا
بما آتيناهم وليتمتعوا أي يتناجون الإشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم فسوف يعلمون أي عاقبة ذلك و
غائلته حين يرون العذاب أولم يروا أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا أنا جعلنا أي بلدهم حرما آمنا مصونا عن
النهب والتعدي سالما أهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم أي والحال أنهم يختلسون من حولهم
قتلا وسبيا إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب أفبالباطل يؤمنون أي أبعد ظهور الحق الذي
لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون
به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لإظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن زعم
له شريكا أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم دالا على نفي الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا أو كذب
بالحق لما جاءه أي بالرسول أو بالقرآن وفي   لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا إلى
التكذيب أول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم خير من ركب المطايا
أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو إنكار و
استبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين
حتى اجترؤوا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا أي في شأننا ولوجهنا خالصا أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي
الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير

وتوفيقا

وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وإن الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه عم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر
حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

الم الكلام فيه كالذي مر في أمثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في أدنى الأرض أي أقرب أرض العرب منهم إذ هي
الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أي في أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه قال مجاهد
هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس الأردن وفلسطين وقرئ في أداني الأرض وهم
أي الروم من بعد غلبهم أي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون
أي سيغلبون فارس في بضع سنين روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس
أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضه لا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال أبي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر
قلائص من كل منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلعم فقال البضع ما بين الثلاث إلى
التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلعم
وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ
أبو بكر رضي الله تعالى عنه الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله صلعم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وفيه
الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر عن الغيب
الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم غلبت على
ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزوله ففتحوا بعض بلادهم فإضافة
الغلب حينئذ إلى الفاعل لله الأمر من قبل ومن بعد أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم
غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم مغلوبين أولا وغالبين
آخرا ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف
إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا ويومئذ أي يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى
من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك
من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على
فارس وقيل نصره تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي
ذلك قوة وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم
بذلك ما لا يخفى والأول هو الأنسب لقوله تعالى ينصر من يشاء أي من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه

عليه فلذا استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز البالغ في العزة والغلبة
فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اى فريق
كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة
الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي
هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان ما قبل في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اى وعد كان مما يتعلق بالدنيا
والاخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استيناف
مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ما سبق من شؤونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهو ما يشاهدونه من
زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها
لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانها ليست مما علموه منها من افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير
والتخسيس دون الوحدة كما توهم اى يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية
القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا تخطر ببالهم ولا يدركون ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا
يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم
الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة
المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا
على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الآخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم
العلم سيان اولم يتفكروا انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة
عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع
ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الخ متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اى اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او اقصروا النظر عليه
ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء
من الاشياء الا ملتبسة بالحق اى يقولون هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو
الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد
المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته و
اختصاصه بالعبودية وصحة التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم
بعدما يتميز المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم
المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى

وهو

وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل
الجوارح ولذلك فسره بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود
وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اى وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو
وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي
اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من
غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان
احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها
من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود
بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الاجزاء عكس الامر فتدبر وقوله تعالى وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال
الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون
بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم
ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض
وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان لمبدأ
احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
اى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اى عمرها اولئك بفنون
العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اى عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من
عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا
مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب
في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس و
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اى فكذبوهم فاهلكهم فما كان
الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم
في شيء على تقرير من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره
عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤا على اقتراف
ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اى عملوا السيئات ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوأى اى العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار
فانها تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء
وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله

علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا بايات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته
الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلة وايراد الاستهزاء
بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدؤ الخلق
اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة
في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون
اي يسكتون متحيرين لايئسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من
ابلسه اذا اخجله واسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة
الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اي بالهتهم وشركتهم
لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس
بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى
يومئذ يتفرقون تهويل اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول
عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الاخر
بل تفرقهم الى فريق المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب
وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين
والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال
حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله
وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر
بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلعم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي
اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من
كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت
ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة
السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا
واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل ولقاء الاخرة صرح بذلك مع
اندراجه في تكذيب الايات للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة من الكفر والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك
المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك
الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقي المؤمنين
العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الاول ويفضي

الى

الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني
لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه وما ذكر
سبحانه اي تسبيحه اللائق في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل
السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان
حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله فسبح بحمد ربك وقوله صلعم من قال حين يصبح سبحان
الله وبحمده مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله صلعم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة
لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله صلعم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث
وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة
بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى عشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على
حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في الوقت كالمساء والصباح
والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم
بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء و
الصبح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد
بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة
المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وحين تظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن
الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على
انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي اخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة وعن النبي صلعم من سره ان
يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه صلعم من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته
في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من
النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات
بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء
وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن اياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح
مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة
احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اي في ضمن خلق ادم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عم منطويا على خلق
ذرياته انطواء اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم
وصفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجاتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا
مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية

ومن اياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اى لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حوا من ضلع ادم متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس اخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اى لتالفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اى بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اى جعل بينكم وبينهن كما مر فى قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اى بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قبل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا ان فى ذلك اى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لايات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون فى تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله ومن اياته بل هى مشتملة على ايات شتى ومن اياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتعلق به من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اى لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما او بتخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى حد الخليقة يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة وان كانا فى غاية التشابه وانما نظم هذا فى سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية المنتظمة بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان فى ذلك اى فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لايات عظيمة فى نفسها كثيرة فى عددها للعالمين اى المتصفين بالعلم كما فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الايات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن اياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول فى الاول والثانى فى الثانى او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الايات الواردة فى ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاوليين بالقرينين الاخيرين

لاتحادهما زمانا والزمان مع ما وقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون اى شانهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتاملون فى تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن اياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما فى قول من قال الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدى خير من ان تراه او هو على حاله صفة لمحذوف اى اية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح اى فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغى فيها او ومن اياته شئ او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او من الغرق وطمعا فى الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة للفعل المستلزم للمذكور فان اراءتهم البرق مستلزم لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء وقرئ بالتخفيف ماء فيحيى به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفى فى ادراكها مجرد العقل عند استعماله فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره اى بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغناء عن المبادى والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لان الاية قد بين حاله بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض ولا ابقاءهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر فى غير موضع من نحو قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذى نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الاية متاخرة عن سائر الايات المعدودة متصلة بالبعث فى الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به فى الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد اياته الدالة عليه غير منتظم فى سلكها كما قيل كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض على هيئتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اى بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم فى قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجاتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفى فى ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من فى السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اى منقادون لفعله لا يمتنعون عليه فى شان من شؤونه تعالى وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير وللتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اى بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة بان يعيد وقيل راجع الى الخلق وليس بذاك واما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذى لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة

هو

الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وفي اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته
بوجوده كونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار
وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي
ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات
والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل
وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن
واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم اي
منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية
وقوله تعالى هل لكم الخ تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال
وما يجري مجراها مما تتصرفون فيه ومن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من
الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركاءهم متساوين في التصرف فيما ذكر
من غير مزية لهم عليهم على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم الا انه عام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون
لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشارككم فيما رزقناكم وهو معاركم فانتم وهم فيه
سواء تتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر اخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء
اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار
المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم
مماليككم وهو امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من
خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل
الواضح نفصل الايات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة
المحسوس وابراز لاوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان لقوم يعقلون اي
يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الايات للكل لانهم المنتفعون بها بل
اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الايات واستعمال المقدمات
الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الايات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم
الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء
في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ببطلان ما اتوا مكبين عليه
لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه
الضلال بصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى
من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على
ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه

بترتيب

بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالنظر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي فقوم
وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة و
انتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لما
ان رسول الله صلعم امام الامة فامره عم مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع
الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب
الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام موجب
لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء
شياطين الانس والجن ومنه قوله عم حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم
وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه
وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله
بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشياطين وقيل لا يقدر احد على ان
يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق
والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة
متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات
الشيطان ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى
الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب المقدر
لفطرة الله او في اقم لعمومه الامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة
بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى واقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير على الانتماء الى حزب
من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا
شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ
والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم
وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المتقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى
بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة
خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك
وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم
على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي

كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ فليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان
تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق
المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون و
واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا او كبرا لا حمدا او شكرا وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم
يروا اي الم ينظروا او لم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في
السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة
فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب
للنبي صلعم او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون
بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم
النعيم المقيم وما اتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه
من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربوا عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله اي تبتغون وجهه تعالى خالصا
فاولئك هم المضعفون اي ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر الذي القوة
واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة
ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم
الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزيهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز
ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية
تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ
تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة
ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت
ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان
جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام
للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم
لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين
القيم اي البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي

يومئذ

او بيرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون
اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن
عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق
الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في
معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان اثابته بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى انه لا يحب
الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن اياته ان يرسل الرياح
اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلعم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع
لنزول المطر المتسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على معنى كانه
قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها الا لامر
اخر لا تعلق به بمنافعكم ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا
نعمة الله فيما ذكر من النعمات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاءوهم
بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا
من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف
والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين
حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا
على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح و
احكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة
النعم المعدودة المنوط بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح
استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء
سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا
وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله
في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجاؤوا الاستبشار
بمجيء الخصب وان كانوا اي مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا
من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه و
قيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون
الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من الياس الى الاستبشار بشهادة اذا الفجائية
لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي ايسين فانظر الى اثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار

وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيى اى الله تعالى الارض بعد موتها
فى حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل
واياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث
وقرئ تحيى بالتاء على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذى ذكر بعض شؤونه لمحيى الموتى
لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث
لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شىء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله
اى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء التى من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا
فراوه اى الاثر المدلول عليه بالاثار او النبات المعبر عنه بالاثار فان اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا
بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام فى ولئن موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى قراءة فصيحة واللام فى قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد
الجوابين اى وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم
ان يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا
الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا
بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون
لخصلتى السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما
فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته شيئا من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه
اصلا فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة وقرئ الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم سماهم عميا اما
لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى ان تسمع اى ما تسمع الا من يؤمن باياتنا
فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لا يخلهم فهم
مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذى خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اى ابتدأكم ضعفاء وجعل
الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اى خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من
بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا
اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قراتها على رسول الله صلعم
فاقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر يخلق ما يشاء من الاشياء
التى من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ فى العلم والقدرة فان الترديد
فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اى القيمة سميت بها لانها تقوم
فى اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا

اى فى القبور او فى الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك و
وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهى اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم
نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق فى
وقال الذين اوتوا العلم والايمان فى الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى علمه او قضائه او ما
كتبه او فى اللوح او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين
كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء
الخلق كافة ويقدرون كذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا
الى غاية بعيدة يسمعونها وينكرونها وبكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذى كنتم توعدون
فى الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما فى قول من
قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
اعذارهم وقرئ ينفع بالياء التحتانية على ظاهر اللفظ وان يتوسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى
ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته
اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل اى وبالله لقد بينا لهم كل حال هى
وو صفنا لهم كل صفة كانها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم
القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية من ايات القران
الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبى صلعم
والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اى مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل
المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة
ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة
ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الايات البينة
بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التى من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون
ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اى لا يفتننك
فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه
واستحقاقه لكنه فى الحقيقة نهى له عن التاثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما فى قوله
تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك
ما ضيع يومه وليلته

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب، سلف بيانه في نظائره، الحكيم، اى ذى الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل، هدى ورحمة، بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف، للمحسنين، اى العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى، الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون، بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ خبره لا وجه له، اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون، الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه، ومن الناس، محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى، من يشترى لهو الحديث، موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذى يشترى او فريق يشترى على ان مناط الافادة المقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهى عما يعنى من المهمات كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه، ليضل عن سبيل الله، اى دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليثبت ويستمر على ضلالته او ليزداد فيه، بغير علم، اى بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض، ويتخذها، بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القرآن اى ويتخذها، هزوا، مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى، اولئك، اشارة الى من والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال، لهم عذاب مهين، لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه، واذا تتلى عليه، اى على المشترى المذكور افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظها من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها، آياتنا، التى هى آيات الكتاب الحكيم وهدى

ورحمة للمحسنين، ولى، اعرض عنها غير معتد بها، مستكبرا، مبالغا في التكبر، كأن لم يسمعها، حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم تجزع على ابن طريف، كأن في اذنيه وقرا، حال من ضمير لم يسمعها اى مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال، فبشره بعذاب أليم، اى فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان الكافرين بها اى الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها، لهم، بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم، جنات النعيم، اى نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى، خالدين فيها، حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميرهما والعامل ما يتعلق به اللام، وعد الله حقا، مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثواب الدال على معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم، وهو العزيز، الذى لا يغلبه شئ ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده، الحكيم، الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة، خلق السموات بغير عمد ترونها، استيناف سيق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اى يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اى بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله، ترونها، استيناف جئ به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اى خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هى عمد القدرة، والقى في الارض رواسى، بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اى القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد، ان تميد بكم، كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجرامها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص، وبث فيها من كل دابة، من كل نوع من انواعها، وانزلنا من السماء ماء، هو المطر، فانبتنا فيها، بسبب ذلك الماء، من كل زوج كريم، من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما، هذا، اى ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة، خلق الله، اى مخلوقه، فارونى ماذا خلق الذين من دونه، مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية ماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى، بل الظالمون في ضلال مبين، اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعى للاعراض عن محاجتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او بيانا لنواحى الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشئ في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد، ولقد آتينا

لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب
عم او خالته وعاش حتى ادرك داود عم واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل وكان قاضيا في بني اسرائيل
والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عم شهورا وكان
يسرد الدروع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله
فقال له داود عم بحق ما سميت حكيما وان داود عم قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري
فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان و
والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء
اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى
القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب الامتثال بالامر اي ومن يشكر له
فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن
كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع
المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عم الحمد رأس
الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اشكم وقيل
ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء ويا بني بكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا
فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او للامر بالنهي
عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان
تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله
تعالى وهنا حال اي ذات وهن او مصدر مؤكد بفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن
صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا يزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا
على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين
وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمهما الله هي ثلاثون شهرا او قدرين في موضعه وقرئ وفصله
ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عم لمن
قال له من ابر امك ثم قال بعده ذلك اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى
غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به الى معروفا
ما يرتضيه الشرع ويقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم
اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر
عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي
عن الشرك وتأكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان

ان

ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى
الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي
والسفلي يأت بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد
الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل
العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستمثلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف
وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل
ما ذكره وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي
مما عزمه الله تعالى وقطعه على عبادة من الامور لمزيد بها مصدرا اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى
فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعده ليس بمثابته ولا تصعر
خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب
البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش
في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر
ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو
بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع
وعنه عم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق
دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص
منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم
بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الاصوات والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما
ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر
الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب
المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير بحيث ينتفع المسخر له
اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان
المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في
السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعل اللام للعلة على ان معنى لاجلكم فان
جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان
مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم
وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف
كما يقال في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سابغ صابغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته

بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عم ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا
قيل لهم اى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة
الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اى اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون
المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اى ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه
من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه
فى قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فى سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله
بان فوض اليه جميع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرى بالتشديد
وهو محسن اى فى اعماله اتيا بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر فى اخر سورة النمل فقد استمسك
بالعروة الوثقى اى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد
ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه
احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك فى الدنيا ولا فى الاخرة وقرى فلا يحزنك من احزن المنقول
من حزن بكسر الزاء وليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا فى الدنيا من الكفر
والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع فى الضماير الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الاول باعتبار لفظها ان الله عليم
بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان
بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم
الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر
بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا
بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
لله ما فى السموات وما فى الارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن العالمين الحميد
المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام
اى لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده اى من بعد نفاده
سبعة ابحر اى والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام
وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربى وقرى يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم
منها واطم لانها هى المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها ينصب الى البحر
المحيط ثانيا وايثار جمع القلة فى الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفى بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز
لا يعجزه شىء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
اى الا كخلقها وبعثها فى سهولة التأتى اذ لا يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته
الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

ان الله

ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث
الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلعم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اى الم تعلم
علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل اى يدخل كل واحد منهما فى الاخر
ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما
صيغة لما ان ايلاج احد الملوين فى الاخر متجدد فى كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد
والتجدد فى اثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجرى اى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على
المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم
القيمة كما روى عن الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان
الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عم يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريهما الى
يوم القيمة من جملة عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه
على كيفية ايلاج احد الملوين فى الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية
فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد القوس التى هى فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام
بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذى هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها
الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القوس التى فوق الارض تزداد
صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذى هو المدارات اليومية عن سمت
الراس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه
فى حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شان من يشاهد ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق
لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلى من الايات الكريمة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اى بسبب بيان
انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجل انها ناطقة بحقية التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اى ولاجل
بيان بطلان الهية ما يدعون من دونه لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرى بالتاء والتصريح بذلك
مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء
بامر التوحيد والايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا
وان الله هو العلى الكبير اى بسبب بيان انه تعالى هو المترفع عن كل شىء المتسلط عليه فان ما فى تضاعيف الايات
الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اى بسبب بيان هذا وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة
وعجائب الصنع واختصاص البارى تعالى به بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او لثابت الهيته
وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الكلام المعدود لكن بطلان الهية الاصنام
لا دخل لها فى المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه فى سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة
هى المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو

استشهدوا اخرى على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعلها اى ملتبسة بنعمته تعالى وقرى الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته اى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته تعالى قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور تعليل لما قبله اى ان فيما ذكر لايات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في تفكر في الانفس والافاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن واذا غشيهم اى علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرى كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اى لا يقضي عنه وقرى لا يجزى من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على الوالد وهو مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم الكريم للدلالة على ان المولود اولى بان يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافرين الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى ان حارث بن عمرو اتى رسول الله صلعم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرى ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما يعزم على شيء منهما فيفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان يحملني فيلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان عمل حيله وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرى باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلعم من قرا سورة لقمان كان لقمان له رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت

سرها واما ان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر الم اى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخير وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اى كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والراجح انه خبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اى في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره عم بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عم ثم ايد ذلك ببيان غاية حيث قيل لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عم اى ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عم اى لتنذرهم راجيا لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتسنى على ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين ولما ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم اخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف وما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اى الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اى يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اى في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج

والاوجه

اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في
مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطء عروجها الى السماء
بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض و
والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ
خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز
الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل
بالاحسان الذي احسن كل شيء خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه
الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن
كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اي يحسن
ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي حسن
خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول
ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله
الاول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام
والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه
فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات
على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد جنسه انطواء
اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ
عنه قوله تعالى ثم جعل نسله الخ اي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين
هو المني الممتهن ثم سواه اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه
اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى الحضرة الربوبية وان
اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى
بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعي
واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع
طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة
لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها
الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الآيات التكوينية
الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق
الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي
حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق

خلقه

طين

الخطاب

الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان
اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة ءاذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها
بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة
وهي الارض اي صرنا من جنس الصلة قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل
في اذا ما يدل عليه قوله تعالى ءانا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق
وتاكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم
الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقدمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون
اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما
يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما
تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يترك
فيكم شيئا ولا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل
بكم اي بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون
وهم القائلون ءاذا ضللنا في الارض الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسو رءوسهم عند ربهم
من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي
صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا
وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا
موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة
مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية
المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه
من الرجعة واني لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم
حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى
ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل
الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون
باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول
الرسل اي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك
الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي لو باعتبار ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب
لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان
كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة

الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عدم
الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته
راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان
كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر
• ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها • مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اى ونقول
لو شئنا اى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به
الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء • ولكن حق
القول مني • اى سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى • لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين • كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم
بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال
العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه
الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الاية فيكون مناط
عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من
التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا
متفرعة على تحقيق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناط علمه تعالى الازلي بصرف اختيارهم فيما سيأتي
الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت اى من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها وبنظم ذلك بما ذكر من
المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عنده
من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه
عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى • فذوقوا • لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على
الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى • بما نسيتم لقاء يومكم هذا • للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد
فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا
بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية • انا نسيناكم • اى تركناكم في
العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى • وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون • تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين
المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر
والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب
وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة
على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى • انما يؤمن باياتنا • استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم
لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون

باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما نطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانما يؤمن بها • الذين اذا ذكروا بها • اى وعظوا • خروا سجدا • اثر ذي اثير من غير تردد
ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اى سقطوا على وجوههم
• وسبحوا بحمد ربهم • اى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث
ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية
بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته
تعالى لهم • وهم لا يستكبرون • اى والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور
والتسبيح والتحميد • تتجافى جنوبهم • اى تنبو وتتنحى • عن المضاجع • اى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة
لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار
كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت
في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة
الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال عطاء هم
الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل اى
التهجد وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عم افضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي صلعم في تفسيرها قيام العبد من الليل
وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق كلهم
سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون و
هم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى • يدعون ربهم • حال من ضمير جنوبهم اى داعين له
على الاستمرار • خوفا • من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته • وطمعا • في رحمته • ومما رزقناهم • من المال
ينفقون • في وجوه البر والحسنات • فلا تعلم نفس • من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا
عمن عداهم • ما اخفي لهم • اى لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة • من قرة اعين • مما تقر به اعينهم و
عنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما
نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين
لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل • جزاء بما كانوا يعملون • اى جزوا
جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى
الله تعالى ثوابهم • افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا • اى ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم ان
المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله • لا يستوون • التصريح به مع

افاده الانكار نفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان
الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل
لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل
مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات واياما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن
مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب
وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن الطاعة فمأويهم اي ملجأهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم روي انه يضربهم
لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب
فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض
طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب
النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما
محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم
لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا
رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال
من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم
لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب
على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام
وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد اتينا موسى
الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عم فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي
هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل
لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من
لقائك موسى عم وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي موسى عم رجلا آدم طوالا جعدا كانه من
رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في
التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام
الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له
لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم

ائمة

ائمة وهي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة
الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي بصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف
الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن
منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم
وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين
اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في
ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل
عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من
قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل
على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون
في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من
ضمير لهم وقرئ يمشّون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او فيما
لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا
انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن
فنخرج به من تلك الارض زرعا تاكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق
وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ ياكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار
افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون
كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه
يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين
في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم
وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضي الله يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر
سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم و
استنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكاني
بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول
عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم
الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون
قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله
تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه

فان استثني لهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة
وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيي ليلة القدر وعنه عليه السلام
من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية ايها ثلث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأ
مور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي
المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي
ان ابا سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت
بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا الرسول الله صلى الله عليه
وسلم ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم و
المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل
مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء
من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة البالغة فالجملة
تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحي اليك من
ربك من الايات التي من جملتها هذه الاية الامرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض
لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى
الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم
يجوز ان يكون للكل على حزب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاو
لين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا
وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك
الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان
تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك
اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في
القاء الوحي الذي امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي
ابنا اي بمنزلة الام والابن في الاثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في
جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي
معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما

في

في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امرأة ولا دعوة ونبوة في شخص لكن
لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والنبوة كما في القلب ولا
بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة والنبوة على الاطلاق بل بمعنى
نفي الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام النبوة لابطال ما كانوا
عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام النبوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب
لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى
حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم
كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء بلا ياء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين
من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظاهرون من ظاهر
بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا وجمعه على افعلاء
لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتيل وقتلاء واسراء ذلكم اشارة
الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم
هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع
احكام النبوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير
فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لابائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط
عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل
تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لابائهم بالغ في العدل والصدق في
حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم
واولياؤكم فيه ان فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي
فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن
الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ
وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول
النسب وكان بحيث يولد مثله بمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من
انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها
روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن اباءنا وامهاتنا فنزلت و
قرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار
المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك

واحكام

بيان انجاز الامانة وازواجه امهات المؤمنين

ونحن كالاجنبيات ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء «واولوا الارحام» اي ذووا القرابات «بعضهم اولى ببعض» في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين «في كتاب الله» في اللوح او فيما انزله وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرضه الله تعالى «من المومنين والمهاجرين» بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة «الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا» استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع «كان ذلك في الكتاب مسطورا» اي كان ما ذكر من الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التورية «واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم» اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق «ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم» تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل «واخذنا منهم ميثاقا غليظا» اي عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وقوله تعالى «ليسأل الصادقين عن صدقهم» متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى «واعد للكافرين عذابا اليما» عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب المومنين واعد للكافرين الاية «يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم» ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم «اذ جاءتكم جنود» ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة

سلمان

سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة ... فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب فركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فاضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك النصر قوله تعالى «فارسلنا عليهم ريحا» عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي بقيتها في اخر القصة «وجنودا لم تروها» وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال «وكان الله بما تعملون» من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي «بصيرا» ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله «اذ جاءوكم» بدل من اذ جاءتكم «من فوقكم» من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير «ومن اسفل منكم» اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف «واذ زاغت الابصار» عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع «وبلغت القلوب الحناجر» لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى «وتظنون بالله الظنونا» لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة

حيث ظن المخلصون الثلث القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكي
عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرى الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها
لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان
الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرى بفتح الزاي واذ يقول المنافقون
عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين
في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اي وعد غرور
وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه رانتهم به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس ابن قيظي واتباعه
وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت
المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة
كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح
لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم هيهنا يريدون المعسكر وقرى
بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر لكنهم عبروا
عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين
محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه
او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتمكن لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله
ويستاذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم
بنو حارثة وبنو سلمة استاذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله يقولون بدل من
يستاذن او حال من فاعله او استئناف مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة
اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في
الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة ويجوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت و
قد قرى بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصديرهم مقالهم بحرف التحقيق
وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستئذان الا فرارا
من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها
وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع
جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من

اهل

اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة
اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين
بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرى لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها
بالفتنة اي ما البثوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل
باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول
هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من
تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من منافاة للوضع لما عرفت من ان ساق النظم الكريم لبيان انهم
اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه اثر ذي اثير من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكوره واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر
الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض
عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا
عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وكان عهد الله مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤلا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل سيف في وقت معين
سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك
التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم
رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم
اي المثبطين للناس عن رسول الله صلعم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة
هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل
الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا
القول خارجون من العسكر متوجهون نحو المدينة ولا ياتون الباس اي الحرب والقتال الا قليلا
اي اتيانا او زمانا او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم
انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا
وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم
اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل
ياتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم
كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال

فاعل او لمصدر يدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران
عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد
وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط
بقهر باليد او اللسان وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع
اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر
بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا للمنفعة الدنيوية اصلا
وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان
اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب
وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يتساءلون اي يتساءلون
ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال
وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه
ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم
يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو
في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر
من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه
او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله
اي الرجاء ذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة
وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلعم ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين
عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم
قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره
وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب
او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك
العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام

سيشتد

سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ
بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب
كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما رأوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره
ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله
عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلعم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة
بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما
بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا
على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكومائه لحرتني الاعداء ان لم تنحري وقالوا له نشفي بك وحيث وفوا به
فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم
لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ
منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله الآية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر
عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر
على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر
وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزام على ما سيأتي ومنهم اي وبعضهم او وبعض منهم
من ينتظر اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهم ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلعم والقتال
الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز
ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية
للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام
المدح واما ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة
واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها
واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم
وما عاهدوه عليه تبديلا اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين لحقوقه على احسن ما يكون اما
الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول
مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين
خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رض ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

او من قال للكوماء هذا طارق

يوم أُحُد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في
رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عايشة
رض من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين
حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما
هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسال الصادقين عن
صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا
ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان
تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كانه المنافقين قصدوا بالتبديل
عاقبة السوء كما المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله
تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم
الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الاية فتامل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اى لمن
تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة
وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على
المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة المذكورة وقع ما وقع من الحوادث
ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت العقول و
الافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي اهل الايمان و
اهل النفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية
احتياجهم اليها اى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى
الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اى ملتبسين به وكذا
قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اى غير ظافرين بخير اوالثانية بيان للاولى او استيناف
وكفى الله المومنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريد عزيزا
غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنوا
قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وشوك الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم و
اولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك
فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم
فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح
ان الله يامرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة
فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال

على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلعم فقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة
وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق
الكلام لتفصيل وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون قوله تعالى كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة
الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اى حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان
رسول الله صلعم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال عليه السلام انكم في منازلكم
فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما
صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها اى واورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل
ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث
الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
اى السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اى اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى
الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن
اى اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن
سالنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعايشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان
هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن وقتادة
واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا
فارقهن ثم كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب اخرون الى انه كان تفويضا للطلاق
اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا خير رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها
وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان
وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها تقع ثلث طلقات
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رض انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع
فقهاء الامصار وقد روي عن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه ولم يعده طلاقا
وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع بمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل
بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب
السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم
وان كنتن تردن الله ورسوله اى تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عند تعالى

مطلب بيان ازواج النبي عليه السلام

اختلاف في تفويض الطلاق

مطلب اقل مهرها

والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن
بمقابلة احسانكن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد
الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو المشير فيما ذكر
من تقدم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن
لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلام لانها التي يدور عليها
ما يرد عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين
وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية يضاعف
لها العذاب ضعفين اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة
قبح تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء
بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء
للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلعم
بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل
صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلعم بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها
في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل
احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى
لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضاء
رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس
اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي
فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن
عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا
بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن
امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك
ظلن او من قاد يقاد اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن
ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما
تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في
الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي
ولد فيه ابراهيم ثم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال

وقيل

وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى
الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية
كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرهن بهما لاناقتهما على غيرهما وكونهما
اصلي الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تأتين وما تذرون لا سيما فيما امرتن
به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح
اهل البيت مراد ابهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء
النبي صلعم من اهل بيته قاضية ببطلان راي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيهما
رضوان الله تعالى عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلعم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود
وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت
دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق
العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة
الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن
حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه
الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر و
التذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة النبي عليه السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن
تعلمها وتعليمها ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي
او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به
من الموقنين والقانتين والقانتات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن
المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات
بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة
مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم
من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج
النبي صلعم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا

لتعم تلاوة جبريل ص

مناطاعته فنزلت وقيل لما نزلت فيهن ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وروى انه لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قال نساء
للمؤمنين فما نزل فينا شيء فنزل وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما
عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات
مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى
رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره وللاشعار بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في
زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلعم لزيد بن حارثة فابت هي
واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي عليه السلام فزوجها من
من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم
اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا
لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول
عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برأيه
فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر
وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه
بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور
لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء
او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها
بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلعم و
قال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها
تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي
في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء
مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى
رايه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية
عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه او جعلها
زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلعم ان الله تعالى تولى نكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه
لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا قضوا

منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء
الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن مفعولا مكونا
لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق
فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله
نصبه موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين
خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت
لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمن عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى
وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين
مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا
او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما ياتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ
الرسالة حيث لا يحرفون منها حرفا ولا تاخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم
بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله
تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة
حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه
السلام ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له لا لهم ولكن رسول
الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم
الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء
حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان اخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان
خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ
لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح
فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله و
وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلعم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته
هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو اهله من
التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق
بكرة واصيلا اي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات
بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها
لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو الذي يصلي عليكم الى استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم

استحقاقهم لها واغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه
وهو تعالى وملائكته عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد
بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل
على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم
فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة الحسية التي هو الركوع والسجود
ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم
مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره نزوع الى الجمع بين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق
بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من الظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى
وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم
رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة
او كان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم
يلقونه سلام للاحكام الآجلة لرحمته تعالى اياهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي العناية بامرهم وهدايتهم الى
الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور
او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما
في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى
واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة
اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم كريم او ولهم اجر كريم
للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر
آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على
من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب
وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة
ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته
وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه
وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب
قدسه كيف لا وهو صرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا
يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين
عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين
منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم
بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال

لين

لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن
المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل
ودع اذاهم اي لا تبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله
في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في
كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي و
لما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر
بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة
الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حققه وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه
عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة
القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي
به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي
تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها
تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله واسناده الى
الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى
الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات
مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم
ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن اي ان
لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في
رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا
احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها
في العقد واياما كان فتقييد الاحلال له ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر
المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية
في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب
بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني
رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء
وامراة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق
الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها

للنبي اى ملكته بضعها بلا عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل
عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اى ان يتملك
بضعها كذلك اى بلا مهر فان ذلك جار منه عم مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها
بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في
اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام احد منهن با
لهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام
شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في المؤمنين بعنوان النبوة بطريق الالتفات
للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى
خالصة لك اى خلص لك احلالها خالصة اى خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيزة كالعافية
والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى
من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق
هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيهم احلال
البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ذلك خلوص
لك وخصوص او هي اى تلك المراة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر
المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين في ازواجهم
اى في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله عم وعدم تجاوزه للمؤمنين
ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عم تكرمة له وتوسعة عليه
اى قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اى حد واى صفة يحق
ان يفرض عليهم ففرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج
اى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا
باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته
لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج ترجي من
تشاء منهن اى تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن
وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن
ابتغيت اى طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة
جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما
ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان
يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب وارجى خمسا و
آوى اربعا وروي انه يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها رضي الله عنها

وقالت

وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اى ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اى اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن
فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله
فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون
يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها
وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها
فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من
بعد اى من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي
خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا
ان تبدل اى تتبدل بحذف احدى التائين بهن اى بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة
منها وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن و
رضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عم عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت
عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت
حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت
الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللنا
بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى
ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل
بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف
البشرية ولو اعجبك حسنهن اى حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله و
هو من ازواج لتوغله في التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة
خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب رض اى ممن
اعجبه عم حسنهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي
اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة
وعن عائشة رض ما مات رسول الله صلعم حتى احل له النساء وقال انس رض مات عليه السلام على التحريم
الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء
رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلعم اثر بيان ما يجب مراعاته
عليه عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا
تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اى لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت

ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المأول
لا يقال اتيك ان يصيح الديك انما يقال اتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن
بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر
قوله تعالى غير ناظرين اناه اى غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء
واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة فيكون جاريا على غير من
هو له بلا ابراز الضمير وهو غير سائغ عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اى ادرك
ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد
بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا الآية خطاب لقوم كانوا
يتحينون طعام النبى صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما
جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين
لحديث اى لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع عطف على ناظرين او مقدر
بفعل اى ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين الخ ان ذلكم اى الاستيناس الذى كنتم تفعلونه
من قبل كان يؤذى النبى لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن
الاشتغال بما يعنيه فيستحيى منكم اى من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيى من الحق فانه يستدعى
ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا بانفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغى ان لا يترك حياء
ولذلك لم يتركه وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحى بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبى المدلول عليهن وغيره فاسألوهن
اى المتاع من وراء حجاب اى ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى ذلك فنزلت ذلكم اى ما ذكر من عدم
الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر
لقلوبكم وقلوبهن اى اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اى ما صح وما استقام لكم
ان تؤذوا رسول الله اى ان تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اى من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح
ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الشر والفساد كان عند الله عظيما
اى امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلعم وايجاب حرمته
حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ فى الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا كالاخبار فيه كنكاحهن
على السنتكم او تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شىء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى
البادية والخافية لا محالة وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة

مطلب الصلوة الله تعالى والملائكة على النبى عليه السلام

مطلب فضل الصلوات على النبى عليه السلام

فى الوعيد لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف
لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن
ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى قوله تعالى
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط
عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لانهن عمات
لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما
ولا نسائهن اى نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد
مر فى سورة النور واتقين الله فى كل ما تأتين وما تذرن لا سيما ما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على
كل شىء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت فى علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا
على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على راى البصريين يصلون
على النبى قيل الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما
اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى
عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغى ان يراد بها فى يصلون معنى مجازى عام يكون كل
واحد من المعانى المذكورة فردا حقيقيا اى يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه و
تعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه
اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل
المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب
التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل على وقوله عم من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله ويروى انه عليه السلام قال ان الله
تعالى وكل بى ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا
لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلم يصل على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقال الله تعالى
وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما
قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب فى العمر
مرة وكذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه صلعم ان يصلى
عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه فى الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط فى جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعى رحمه الله ان
الصحابة رضه كانوا يكتفون عن ذلك بما فى التشهد وهو السلام عليك ايها النبى واما الشافعى رحمه الله
فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم السلام فيجوز تبعا ويكره استقلالا لانه فى العرف
شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله

اريد بالايذاء فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في ايذاء الله
هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله
والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام
هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في
نكاح صفية والحق هو العموم فيهما وايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل للتعظيم
والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم
من رحمته في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا في
يصيبهم في الاخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل
وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان
بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا
بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك
وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء الاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا
لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سياتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعدما
بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يامر بعض المتأذين منهم
بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي
منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية
من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي
احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن و
يميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض
لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك
الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم
مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه
من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية و
اصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير
ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم
لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول من اعظم
ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه
ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في

قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم
الماضية سنة وهي ان تقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
يسالك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسالونه عليه السلام عن ذلك
استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما علمها
عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل لرسول الله غير
داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك
بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة
في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت
وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد
استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة
واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا
ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل
لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في
القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين
وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب
وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع
للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون استيناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين
على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من
نفسها وهو العامل وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا
ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين
القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان
السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا
الاباطيل والالف للاطلاق كما في اطعنا الرسولا ربنا اتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب
الذي اتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء
بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى

قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ اي فاظهر
براءته عم مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى
مومسة على قذفه عم بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عم عن ذلك بان اقرت
المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص و
قيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير مقتول
وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم
الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة ﴿وكان عند الله وجيها﴾
ذا قرابة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها ﴿يا ايها الذين امنوا اتقوا الله﴾ اي في كل ما تاتون وما تذرون
لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام ﴿وقولوا﴾ في كل شان من الشؤون ﴿قولا سديدا﴾
قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما
خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد ﴿يصلح لكم اعمالكم﴾ يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها
بالقبول والاثابة عليها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾
في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات ﴿فقد فاز﴾ في الدارين ﴿فوزا عظيما﴾ لا يقادر قدره ولا
يبلغ غايته ﴿انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها﴾ لما بين عظم
شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم
عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان
بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها
حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد
وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة
الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في
قبولهن لها وعدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل
لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية
التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت
بها تلك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها
واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود
بالتمثيل وتوضيحه ﴿وحملها الانسان﴾ اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه
اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها
لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى ﴿انه كان ظلوما جهولا﴾ اعتراض و
توسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا

في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم
من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات﴾ اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها
بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة
الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان
لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني
اشير بقوله تعالى ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء
من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما
يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل
الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من
مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة
التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي
ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك
بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين باباه وصفه
بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد
الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره
من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا فالمراد بالمعنى
ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لا مانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين و
خانها الانسان حيث لم يات بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق
فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات
على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق ادم عم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما
لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن
اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة
والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة
الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف ﴿وكان
الله غفورا رحيما﴾ مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم
قال عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل الا قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الاية وهي اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض﴾ اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة

جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في اية الكرسي
ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع
افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من
الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه
من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره
الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الاخرة بيان
لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما
تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الاخرة عن
التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية
كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة
من فضله الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه
هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والاخرة بطريق التفضل ان الاول
على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس
وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها
وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدينية
والدنيوية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان
والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما
ننزل بالتشديد وبنون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم
للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها
بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان
وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا باتيان والحضور وقيل هو استبطاء
لاتيانها الموعود بطريق الهزؤ والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على
معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم
على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ امداد للتاكيد وتشديد له اثر تشديد
وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن
بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان
المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى
لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب

الذي

الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب
ما والفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته
عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب و
وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي مثقال ذرة مقدار اصغر نملة
في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما
على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر
ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في
حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا
عنه لبروزه للمطلعين عليه فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون
بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم
لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين
مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام
فيه كالذي مر انفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة رحمه الله الرجز سوء العذاب وقوله تعالى
اليم بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ
اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولو العلم من اصحاب رسول الله صلعم ومن شايعهم
من علماء الامة او من امن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما رضي الله تعالى عنهم الذي
انزل اليك من ربك اي القران هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول
والثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الخ
مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب عطفا على ليجزي اي
وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد
وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة
وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن
اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا الى صراط العزيز الحميد
الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل حال من الذي انزل على اضمار مبتدا اي وهو يهدي
كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلعم وانما قصدوا بالتنكير التطرية والسخرية فانهم الله تعالى ينبئكم
اي يحدثكم باعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانبياء اذا مزقتم كل ممزق اي اذا متم وفرقت اجسادكم

كل ممزق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اى مستقرون فيه عد الله
عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجيب
ولذلك تقديم الظرف فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول
من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اى جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون عن
الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب
والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه
وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه عليه
السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو جنونه
حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه
للمسارعة الى بيان ما يسوءهم ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه
ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز
الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترءوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالاخرة وما فيها من فنون العقاب
ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
استئناف مسوق لتهويل ما اجترءوا عليه من تكذيب ايات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من
العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه
تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة
فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب
جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا اى قطعا من السماء كما
اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما
يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد عليها والمعنى
اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق
المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك
اى فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر
لاية واضحة لكل عبد منيب شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح
وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا
اى اتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد

فانه

فانه معجزة خاصة به عم او على سائر فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم
وتنا للتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى واتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح
للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها يتمكن
عنده فضل تمكن يا جبال اوبي معه من التأويب اى رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان
يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب
اى ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عم يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام
وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو
بدل من اتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير
لان ايتاءها اياه عم تسخيرها له فلا حاجة الى الاضمار كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اى تسبيح الطير
كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على
لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو
الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان
وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه
تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اى جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه
في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي اتيناها اياه لينا كالشمع
بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي
حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو عم اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عم حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل
الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة ادمي فسأله على عادته فقال
نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل
ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة
الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع اى اقتصد
في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عم
لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل
مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا
تعميم الخطاب حسب عموم التكليف له عم ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال
ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها
شهر ورواحها شهر اى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال
من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رض كان يغدو اى من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح

فيكون رواحه بكابل قيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند وحكي ان بعضهم راى مكتوبا في
منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عم نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا
من اصطخر فقلناه ونحن راحلون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى ﴿واسلنا له عين القطر﴾ اي النحاس
المذاب اساله معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع وكذلك سمي
عينا وكان باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام وقوله ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ امام جملة
من مبتدا وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة ﴿باذن ربه﴾ بامره تعالى كما ينبئ عنه تعالى ﴿ومن
يزغ منهم عن امرنا﴾ اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يُزغ على البناء للمفعول
من ازاغه ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ اي عذاب النار في الاخرة روي عن السدي رضي الله عنه كان معه ملك بيده
سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني ﴿يعملون له ما يشاء﴾ تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله
تعالى ﴿من محاريب﴾ الخ بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها و
يحارب عليها وقيل هي المساجد ﴿وتماثيل﴾ وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت
تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي
انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا
قعد اظله النسران باجنحتهما ﴿وجفان﴾ جمع جفنة وهي الصحفة ﴿كالجواب﴾ كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية
لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف
رجل ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها ﴿اعملوا ال داود شكرا﴾ حكاية لما قيل وشكرا
نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال
اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه و
لسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى
نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على
اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من ال داود قائم يصلي ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ اي
على سليمان عم ﴿ما دلهم﴾ اي الجن او اله ﴿على موته الا دابة الارض﴾ اي الارضة اضيفت الى فعلها و
قرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل
اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا ﴿تاكل منساته﴾ اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها
يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف
ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضاءة ومن ساته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه
لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته ﴿فلما خر تبينت الجن﴾ من تبينت الشيء اذا علمته
بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم ﴿ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين﴾ اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا

بعده

بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزه بدل اشتمال
من الجن اي ظهر لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تُبُيِّنت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة
هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس بنيان
بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه
الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سال ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل
دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه اينما صلى عم فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا هو
قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على
العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عم ثلثا و
خمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا بناء بيت المقدس لاربع
مضين من ملكه ﴿لقد كان لسبا﴾ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي
لاولاد سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة
الفا ولعله اخراج لها بين بين ﴿في مسكنهم﴾ وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم
وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال ﴿اية﴾ دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة
على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام ﴿جنتان﴾ بدل من اية او خبر لمبتدا محذوف اي هي
جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين ﴿عن يمين وشمال﴾
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة
واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ حكاية لما قيل
لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان
يقال لهم ذلك ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ استيناف مبين لما يوجب الشكر المامور به اي بلدتكم بلدة
طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ
الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المراة تخرج وعلى راسها المكتل
فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام
شيء ﴿فاعرضوا﴾ عن الشكر بعد ابانة الايات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى
الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم ﴿فارسلنا عليهم سيل العرم﴾ اي سيل الامر العرم اي
الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي

الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو المسناة
الرصين الذي بنتها الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت
فيها خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى
الذي يقال له الخلد سلط الله تعالى عليه فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم
بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلعم ﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ اي اذهبنا
جنتيهم واتينا بدلهما ﴿جنتين ذواتي اكل خمط﴾ اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن
اكله وقيل هو الحمض والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش
لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل ﴿واثل وشيء من سدر قليل﴾ معطوفان على اكل لا على
خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين فقيل
وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان
السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا
ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا هو الثاني وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله
تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ﴿ذلك﴾ اشارة الى مصدر قوله تعالى
﴿جزيناهم﴾ او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول
النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع
جزيناهم لا جزاء اخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره ﴿بما كفروا﴾ بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها
منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل ﴿وهل نجازي الا الكفور﴾ اي وما نجازي هذا الجزاء
الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء
للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان ما اوتوا من النعم الحاضرة
في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾
حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب
ذلك تكملة لقصتهم وبيان لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه و
تذكير وهو عطف على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم او باجزيتها اي وجعلنا مع ما
آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم وبين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين
﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق
ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم ﴿وقدرنا فيها السير﴾ اي جعلناها في نسبة
بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح
منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر

والسفر ﴿سيروا فيها﴾ على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ﴿ليالي واياما﴾ اي متى شئتم من
الليالي والايام ﴿آمنين﴾ من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان
تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن
لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم
بذلك ﴿فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا﴾ وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا
الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جني جناتنا ابعد
لكان اجدر ان نشتهيه وسالوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل
ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها
بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد
الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين
سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة
سلوكها لفرط تنعمهم وغاية بطرهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه
﴿وظلموا انفسهم﴾ حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها ﴿فجعلناهم احاديث﴾ اي
جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾
اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق
الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثير والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا
لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب
وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا
وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب
وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمروا راى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل
انه كان هنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها
جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن
عمرو بن عامر يسالهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا
يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام
ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا
فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل
الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت
خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد
اسمعيل عليه السلام فسالوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله

منهم ان فروة بن مسيك القطيفي سال النبي صلعم عن سبا فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة
منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا
الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر
فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول
من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنوا قينقاع وبنوا قريظة وبنو النضير فخالفوا الاوس والخزرج
واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم
وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية
وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة
فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم
لايات عظيمة وعلى شاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها و
لقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه
او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن
التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما و
التخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني ادم حين شاهد
ادم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله
تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل
سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان
اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالاخرة
متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من
قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء
حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم
عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم حذف الاول تخفيفا لطول
الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا
لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع
ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة
فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور
وذكرهما للتعميم عرفا او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الالهة

القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لالهتهم فيهما من شرك
اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي الله تعالى منهم من الهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما
ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد راسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن
اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة
من النبيين والملائكة ونحوهم من المستاهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة
اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من
جهة من يعبده من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفعاء المتأهلين
لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم
من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم
بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام
بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة
عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من
المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع
ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار
بوقوع الاذن لمن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف
يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا
ازيل الفزع عن قلوبهم بعد التاني والتلبث وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون
الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون
للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق و
هو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام
الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي هو المنفرد بالعلو
والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع
على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفى الوجل عنها وافنى من فرغ
الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاده فاسند اليه
على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف
الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرب حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها
قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم لا يملكون

الشفعاء لمن اذن

مثقال ذرة فيها وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن
يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام
قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من
الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من
التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن
الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان
بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس
في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ابلغ في الانصاف
وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق
العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا
بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح
الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به اي الحقتموهم
به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على
بطلان رايهم اي اروني لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه
مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز
الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من
هذه الرتبة والضمير اما لله عز وعلا او للشان كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة
عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف
والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية
غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا
ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلعم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم
او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون
عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد
ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان
يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على
البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلعم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم

فغضبوا

فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم
اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا
بدل من يرجع الخ اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي
لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلعم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم
راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار
اي بل صدنا مكركم بنا في الليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على
الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين
عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا
دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف
باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائما وقوله
تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم
اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين
المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب
وغير ذلك واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل
منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون او الا بما كانوا يعملون على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير
الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلعم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله
وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا
اهل مكة في حقه وكادوه نحو ما كادوه وقاسوا امور الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور
الدنيا الموهومة وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين كانوا
عليه تعالى لما حرمهم اياها وعلى ذلك الراي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الاخرة على تقدير
وقوعه قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع
الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع

عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما يقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة و
عدمها وقرئ ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف
والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق
الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف من جهته عز
وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة
اموالكم ولا اولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التانيث او بالخصلة
التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما
الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير و
رباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون
بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده و
الجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك
وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم
ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسنتهم الواحدة
عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا
الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات
اي غرفات الجنة امنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة
الجنس والذين يسعون في اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا نفقوا
في سبيل الله وتعرضوا للنفحات تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير
الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اي
المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متاخر سيأتي تقديره
او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم
على نهج قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم
وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور
قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزيههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ

الفعلان

الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا يقول
الملائكة ح فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الجملة للدلالة
على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم
في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا
عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل و
الثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ
عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا
على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا
بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود
الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملائكة لعبدتهم في
الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم
النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد
الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين
ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مرتبا على جوابهم المحكي و
هذا حكاية لرسول الله صلعم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم
نقول للملائكة كذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات بيان لبعض اخر من كفرانهم
اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلعم اياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون
رسول الله صلعم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان
يكون هناك دين الهي واضافة الاباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في
تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القران الكريم الا افك اي كلام
مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق
اي لامر النبوة او الاسلام او القران على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه
وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تامل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل
والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى
البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل
على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام اتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس

وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان
لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرايهم ثم
هددهم بقوله تع وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار
ما اتيناهم اى ما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب
الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تع كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ فكيف كان نكير
اى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة اى ما ارشدكم وانصح
لكم الا بخصلة واحدة هى ما دل عليه قوله تع ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا
محذوف اى هى ان تقوموا من مجلس رسول الله صلعم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا
عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش
الافهام ويخلط الافكار وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمينان ثم تتفكروا
في امره صلعم وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تع ما بصاحبكم من جنة استيناف مسوق من جهته تعالى
للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لادعائه
الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة و
واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم
علما واحسنهم عملا واجمعهم لكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف و
انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم
من جنة وقد جوز ان يكون كلاما مستانفا على معنى ثم تتفكروا اى شىء به من اثار الجنون ان هو الا نذير
لكم بين يدى عذاب شديد هو عذاب الاخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم
من اجر اى اى شىء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال راسا كقول من قال لمن لم
يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تع ما اسألكم عليه من اجر الا من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تع لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى
منفعتهم الكبرى وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد مطلع يعلم صدقى
وخلوص نيتى وقرئ ان اجرى بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اى يلقيه وينزله على من يجتبيه
من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به في اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء
كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان
لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح
كصبور مبالغة غائب قل جاء الحق اى الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اى زهق
الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا
في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس

او الصنم

او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده ولا يبدى خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها
قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات
والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تع وان اهتديت فبما يوحى الى ربي فان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ
في اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين
الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اى لرايت امرا هائلا فلا
فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت
على معنى فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ
وقالوا امنا به اى بمحمد صلعم وقد مر ذكره في قوله تع ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول
السهل اى ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهم منه
بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول
الشىء من علوه تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمزة على قلب الواو لضمتها وهو من ناشت الشىء
اذا طلبته وعن ابى عمرو التناوش بالهمزة التناول من بعد من قولهم ناشت اذا ابطات وتاخرت
ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اى
بمحمد صلعم او بالعذاب الشديد الذى انذرهم اياه من قبل اى من قبل ذلك في اوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول صلعم من المطاعن
او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله صلعم حيث
ينسبونه عليه السلام الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شىء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شىء
من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه من
مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك و
هو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل
ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام
الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اى باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اى
موقع في الريبة او ذى ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب
الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن رسول الله صلعم من قرا سورة سبا لم يبق
رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس واربعون

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر و

هو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم
الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا
او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند
الكسائي والمعتذ البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا
باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لان باضافته الى الاول تعذرت
اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع
على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه و
الصالحين من عبادة يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه
ايضا حتى يوصلون اليهم اثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا اما على تقدير كونه ابداعا
فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولوا اسم جمع لذو كما ان
اولا اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله مثنى وثلث ورباع صفات
لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها
ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم
ثلثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها
يلفون اجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم
حياء من الله تعالى وعن رسول الله صلعم انه راى جبرائيل عليهما السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح
وروي انه سأله عليهما السلام ان يترائى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان
تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه عليه السلام
ثم افاق وجبرئيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق
وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود
مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال
الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان
حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيته ومقتضى حكمته من الامور
التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلعم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن
والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها
وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى
لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة
عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها

للاشاعة

للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير
ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له
اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها
وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد امساكه وهو العزيز الغالب
على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين
وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد
في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمته فقال يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها
واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب
فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى
النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي
هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله
نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من
السماء والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي و
الانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف
بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجوده متصفا بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر
للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لان
معناه نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله
لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا او جار مجرى الجواب عما يوهمه النفوذ
صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى
فانى تؤفكون لترتيب الكلام عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده
تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلعم بعد خطاب الناس مسارعة
الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان
يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والزمتهم الحجة فتأس باولئك الرسل
في المصابرة على اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب و
تنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد
كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك

وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد
والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم
وتكرير النداء لتاكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بترجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء
حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمنافعها ويلهيكم التلهي بزخارفها
عن تدارك ما ينفعكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله
تعالى لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي فلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك
وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل
النهي للمبالغة فيه ولاختلاف المغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار
كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه
عدوا اي في الفتكم في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع
الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في
الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون
الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر
قدره ولا يبلغ مداه والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح
الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
الخ تقرير لما سبق من التباين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك
العاقبتين والفاء للانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من
جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهما
كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان
الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرفه
اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه
الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك بل
لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة وفيه تمهيد لعدم ما كان عليه من الحرص الشديد على
اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد
ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب
نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ عليه انه ممن شاء الله تعالى

ان يضل فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تُذهب نفسك وقوله تعالى حسرات المفعول
له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم
الموجبة للتاسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه
ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان
الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس
رض انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله
فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان
المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت
وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في
الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على
التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع والتكميل المماثلة بين احيا
وبين البعث الذي نبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز
الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة
التاتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من
تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون
بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من
الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم
العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره
عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بدليله ايذانا بان اختصاص العزة به
تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به
العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما
وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات
اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه
ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل
او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء
والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة
القران وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى
السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن

نها بتمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد
الكلم الطيب الخ • والذين يمكرون السيئات • بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال
الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اى يمكرون المكرات السيئات
وهى مكرات قريش بالنبى صلعم فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى الثلث التى هى الاثبات و
القتل والاخراج • لهم • بسبب مكراتهم • عذاب شديد • لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده بما يمكرون • ومكر اولئك
وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامى امرهم فى الطغيان وبعد منزلتهم فى العدوان
اى مكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام • هو يبور • اى هو يهلك ويفسد خاصة لا مكر
لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر
فجمع عليهم مكراتهم الثلث التى اتفقوا فى حقه ثم بواحدة منهن • والله خلقكم من تراب • دليل اخر على صحة
البعث والنشور اى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا • ثم جعلكم ازواجا • اى اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة
جعل بعضكم زوجا لبعض • وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه • الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته • وما يعمر من
معمر • اى من احد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره اى وما يمد فى عمر احد • ولا ينقص من عمره • اى من عمر
احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على
معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح
مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة
تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا
وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على اخره وقرئ ولا ينقص على البناء
للفاعل ومن عمره بسكون الميم • الا فى كتاب • عن ابن عباس رضه انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة
كل انسان • ان ذلك • اى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام • على الله يسير
لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث • وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج • مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والاجاج
الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى • ومن كل • اى من كل واحد
منهما • تاكلون لحما طريا وتستخرجون • اى من الملح خاصة • حلية تلبسونها • اما استطراد فى صفة البحرين وما
فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط
احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن وان شاركه فى بعض الصفات كالشجاعة
والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته الكمال اللائق
دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب فى منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع

بالكلية

بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان • وترى
الفلك فيه • اى فى كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه
الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط • مواخر • شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة • لتبتغوا من فضله
من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما دل عليه الافعال المذكورة اى فعل ذلك
• ولعلكم تشكرون • اى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجى للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى • يولج الليل
فى النهار ويولج النهار فى الليل • بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الاخر • وسخر الشمس
والقمر • عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين فى الاخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر
لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى • كل يجرى • اى بحسب حركته
الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا
• لاجل مسمى • قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة
عن حركتيهما الخاصتين بهما فى فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة
وللقمر شهر وقد مر تفصيله فى سورة لقمان • ذلكم • اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد
للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اى ذلكم العظيم الشان الذى ابدع هذه
الصنائع البديعة • الله ربكم له الملك • وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له
ما لا يخفى ويجوز ان يكون الخبر كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى • والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • للدلالة
على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل فى القلة والحقارة
• ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم • استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد
ليس من شانه السماع • ولو سمعوا • على الفرض والتقدير • ما استجابوا لكم • لعجزهم عن الافعال بالمرة لا كما قيل من انهم
متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم فى الدنيا • ويوم القيامة يكفرون بشرككم • اى يجحدون
باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون • ولا ينبئك مثل خبير • اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك
به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفى ما يدعون
لهم من الالهية • يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله • فى انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء
للمبالغة فى فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة
الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا • والله الغنى الحميد • اى المستغنى على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد • ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • ليسوا على صفتكم مستمرون
على الطاعة او بعالم اخر غير ما تعرفونه • وما ذلك • اى ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين • على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر • ولا تزر وازرة • اى لا تحمل نفس اثمة • وزر اخرى • اثم نفس اخرى انما تحمل كل منهما وزرها
واما فى قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقال غيرهم فهو حمل اثقالهم مع اثقال

ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزارهم غيرهم شيء • وان تدع مثقلة • اى نفس اى نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها • لا يحمل منه شيء • لم يجب بحمل شيء منه • ولو كان • اى المدعو المفهوم من الدعوة • ذا قربى • ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى على ان كان تامة والاول نفي له اختيارا وهذا نفي للحمل اجبارا • انما تنذر • استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اى انما تنذر بهذه الانذارات • الذين يخشون ربهم بالغيب • اى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم • واقاموا الصلوة • اى راعوها كما ينبغي و جعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اى انما ينفع انذارك وتحذيرك هولاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد • ومن تزكى • اى تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتاثر من هذه الانذارات • فانما يتزكى لنفسه • لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من معظم مبادئ التزكي • والى الله المصير • لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء • وما يستوى الاعمى والبصير • اى الكافر والمؤمن • ولا الظلمات ولا النور • اى ولا الباطل والحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق • ولا الظل ولا الحرور • اى ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا • وما يستوى الاحياء ولا الاموات • تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين من الاول ولذلك كرر الفعل واوثرت صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلاء • ان الله يسمع من يشاء • ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته • وما انت بمسمع من في القبور • ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه من ايمانهم • ان انت الا نذير • ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم • انا ارسلناك بالحق • اى محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله تعالى • بشيرا ونذيرا • اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق • وان من امة • اى ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية • الا خلا • اى مضى • فيها نذير • من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام • وان يكذبوك • اى تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم • فقد كذب الذين من قبلهم • من الامم العاتية • جاءتهم رسلهم بالبينات • اى بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم • وبالزبر • كصحف ابراهيم • وبالكتاب المنير • كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين • ثم اخذت الذين كفروا • وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ • فكيف كان نكير • اى انكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها • الم تر • استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية • الم تعلم • ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به • بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة • ثمرات مختلفا الوانها • اى اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة

او هيئاتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى • ومن الجبال جدد • اى ذو جدد اى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح • بيض وحمر مختلف الوانها • بالشدة والضعف • وغرابيب سود • عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغرابيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار • ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه • اى ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المبني على حمل المخاطب عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى • كذلك • مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ ودواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى • انما يخشى الله من عباده العلماء • تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا • ان الله عزيز غفور • تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه • ان الذين يتلون كتاب الله • اى يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها في الاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يوجب الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الناسخ مما ليس

كائنة

الحكم لكن لا من حيث انه حكم بل من حيث انه حكم القران وانه تلاوته فيعمل بمقتضى المشروعية واستماع الاجرا
بالمرة فتدبروا واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف ما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر
في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله لن تبور اى
لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جى بها للدلالة على انها ليست كساير التجارات الدايرة بين
الربح والخسران لانه اشترا باقى بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله
ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه تنتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم
ويزيدهم من فضله على ذلك من خزاين رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عدد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك
ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اى غفور
لفرطاتهم شكور لطاعتهم اى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا والذى اوحينا
اليك من الكتاب وهو القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق
مصدقا لما بين يديه اى احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته
اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في
احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان
العمدة هى الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اى قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضى لتقرره
وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اى اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة
من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل عليهم الصلوة وليس من ضرورة وراثة الكتاب
مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به و
هو المرجو لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيئ ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما
وفي قوله باذن الله اى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت
حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر
ثم يتلقاهم الله برحمته وقرى ان عمر رض قال وهو على المنبر قال رسول الله صلعم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج و
ظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن ياتى ذلك
من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير
لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل

على

على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على النعى في ادراك شاو السابقين و
جنات عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرى يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرى
يحلون من حليت المراة فهى حالية من اساور وهى جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية
بيانية اى يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل من ساير افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور
وقرى بالجر عطفا على ذهب اى من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير
الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اى يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق الحمد لله الذى اذهب عنا
الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس حزن والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن
وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه لجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا
وقيل الحزن وعن رسول الله صلعم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكانى
باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور اى للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة اى دار الاقامة التى لا انتقال
عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شىء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها
لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفى
الثانى مع استلزام نفى الاول له وتكرير الفعل المنفى للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرى فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك اى مثل ذلك الجزاء
القطيع نجزى كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا نجزاء اخف وادنى وقرى يجزى على البناء للمفعول وبناء
لكل وقرى نجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة
لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف
المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه
صالحا والان تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم الهمزة
للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اى الم نمهلكم اولم نؤخركم ولم نعمركم عمرا
يتذكر فيه من تذكر اى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة
وروى ذلك عن على رضى الله تعالى عنهم وهو العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن ادم قال عم اعذر الله الى امرئ اخر اجله
حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ انه في معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلعم او ما معه
من القران وقيل العقل او الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذى يقتضيه المقام والفاء
في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجىء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير
للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرى بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اى لا يخفى

عليه خافية فيها فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف
والاول يجمع خلائف والثاني خلفا والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاءه في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم
على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفا ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد
والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم
اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير
والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل ارايتم
ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله تعالى من غير ان يكون
له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك
في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام
اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة
جعلية ويجوز ان يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات
وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا
غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف والاضلال الرؤساء
للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف
مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا
ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين
ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها
جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ
قريشا قبل مبعث رسول الله صلعم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي
يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم
السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا
او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة في
الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل
ينظرون اي ما ينظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة

الله

الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم
والفاء للتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما
بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قيل من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم
الى الشام واليمن والعراق من اثار ديار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر
يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم
قوة واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى
وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله
من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع
اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لما لو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل
باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ومن غيرهم
ايضا من شوم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضد الاول قوله تعالى و
لكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند
ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلعم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل
من اي باب شئت

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه و
عليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول الفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين
بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرا ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم
به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور
باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة
مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتاتى
فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هي حركة بناء كما في حيث واين حشما
ويشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر بجر وقيل الفتح والكسر تحريك للجزم في الدرج من التقاء الساكنين وعن
ابن عباس رض ان معناه يا انسان في لغة طي وقالوا المراد به رسول الله صلعم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على
شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقران الحكيم بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس
على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها
على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا
بعد الجر استكن في الصفة المشتبهة كما في صدر سورة لقمن انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه

لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي
تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته من
حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على
تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم
خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا لمعنى التوحيد وفائدته
بيان ان شريعته من اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه من جملة
المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه
بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من
عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصف الحكمة وفي تخصيص الاسمين
الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ
عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله
المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير ففيه
فضل تاكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامل المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر
كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
اي لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى
الانذار او الذي انذره او شيئا انذره اباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا
لتنذر او انذار اباؤهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل
انذار اباؤهم فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي انذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر اباؤهم
فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد
لتعليل انذاره عم او ارساله بغفلتهم المحوجة اليه على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر
اباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد
ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على
الكفر والانكار وعدم تاثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان
بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالقول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم
الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت
القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين
ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في
الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم

ارعوائهم

ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم
يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون الى
بحق ولا يعطفون اعناقهم ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا
عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا
واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا
كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة
والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ
فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى رسول الله صلعم يصلي ليرضخن
راسه فاتاه وهو عم يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه منها
بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره و
سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك
اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من
اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر
منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القرآن بالتامل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع
خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول
او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة
او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشان عظيم ينطوي عليه الانذار والتبشير
انطواء اجماليا بعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق
المبشر به ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه
او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر
ومن السيئات كتاسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادئ الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك
من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل
المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان
احصيناه (اي حفظناه) في امام مبين اصل عظيم الشان مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل
شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها
كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس
من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي

في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهولاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم
بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني
اذكر وبين قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية
اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عم الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى
في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين مبني على انه بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما
فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قويناهما يقال عزز المطر الارض اذا لبدها
وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به بثالث
هو شمعون فقالوا اي جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث
لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى
غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص
وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشى الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى
الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك
فانس به فقال له يوما انه بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعي بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين
فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال ليس عندك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم
فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام
وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه
يشفع لهولاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه
نصحه فامن وامن ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عم فهلكوا انتهى قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم
حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن
سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من خواصه امنوا لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك
او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان اهم فيه ذكر ما يوجد من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق
الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا
مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر
لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون
في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم

مع

مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا الا
من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالايات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته
فلا مواخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور و
قد فعلنا فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم
تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال و
يتشاءمون بكل ما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكره
هو من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس
عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا عنه اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا
يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم
ائن ذكرتم اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم
بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم بان ذكرتم وان ذكرتم وان ذكرتم بغير
استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما
يقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم
الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب
اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن
امن برسول الله صلعم وبينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي
غيره احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال يا قوم
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم
اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم و
استمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد وللتوسل به الى
وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه من الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لي لا اعبد
الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم
ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى الالهة على الاطلاق وقوله
تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك
الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة للالهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان
هناك الهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر اني اذا
اي اذا اتخذت من دونه الهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق
المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني امنت بربكم
خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال

ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهار
للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اى اسمعوا
ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة
بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس
جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه
الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة
وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه
والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية
فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثلها بالتوبة من الكفر والدخول في الايمان والطاعة
جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه
كان على الحق وان عداوتهم له لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة
يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اى باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شان المهاجرة
عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام
منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول
صلعم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لانا قدرنا لكل شيء سببا حيث
اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال
الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى
ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اى ما كانت الاخذة او العقوبة
الا صيحة واحدة صاح بها جبرئيل عم وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا
الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب
والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على
العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا
ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا
عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى
يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة
الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن

يعلمون

العمل

العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه
نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اى
الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين القرون كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ
الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم
الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف
له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة من الكفرة
وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ واية
لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد فقوله اية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها
لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفتها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استئناف مبين
لكيفيتها كونها اية وقيل اية مبتدأ ولهم خبره والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة لاية
وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر لاية وقيل اخبرا بما هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس
لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض اية لهم لا كون الاية هي الارض واخرجنا
منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا
فيها جنات من نخيل واعناب اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس
مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص
شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون
اى بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على راي الاخفش
لياكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اى وجعلنا فيها جنات من نخيل
ورتبنا مبادي اثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله
تعالى الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون و
وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق
الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن
من حذفه من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى يرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها استئناف مسوق
لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الائه المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع اثار قدرته
واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان
علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيها وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح
سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا او عملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح

ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم
المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به
التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا
يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى
الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد
بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها
ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون اي والازواج مما لم يطلعهم
الله على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما
اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته و
سعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة
لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب
في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون
اي داخلون في الظلام مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد
معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن
ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من
المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب ثم لا تعود
اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس
ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك
الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل
مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء
اي قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين
الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل
القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو
المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله
وهو الذي يكون قبيل الاجتماع رق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج و
هو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا
لا الشمس ينبغي اي يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر اي سرعة السير فان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش
الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس
للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد

بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك
لانه الملائم لسرعة سيره وكل اي وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس
والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد ما في الذات او الى
الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين
يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط
وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع في الفلك المشحون اي المملوء وقيل هو
فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم
لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من
مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما
يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم
كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشأ نغرقهم مع ما في
من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين
وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم
يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل كلام جيء به في
خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه او مع ما يركبون من السفن
والزوارق فلا صريخ لهم اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم
من قولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون اي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء
مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء
الا لرحمة عظيمة منا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليها ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقابل
التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اي الى زمان قدر فيه
آجالهم كما قيل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الآيات
التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق
الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم
من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقائع النازلة على الامم الخالية والعذاب المعد لكم
في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب و
ما تأخر لعلكم ترحمون اما حال من واو اتقوا او غاية له اي راجين ان ترحموا اي كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم
ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالآيات الكريمة فبعبارة النص واما ان كان بغيرها

بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم
الرب للتفخيم الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها
والمراد ما نزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله تعالى وسوابغ
الائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من
الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الايات الثلاث المعدودة انفا فالمراد
باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة
بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى و
ايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على
استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل
والجملة في حيز النصب على انه حال من مفعول تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي ما تاتيهم من اية من ايات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تاتيهم اية منها في
حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من
انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها
على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض
ما اعطاكم الله من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل
وهم زنادقة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشية الله تعالى انطعم فيما
تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على
المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم
التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشا اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق
بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم
لذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث تامروننا بما يخالف مشية الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى
او حكاية لجواب المؤمنين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة
مخاطبين لرسول الله صلعم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بها ومعنى القرب
في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تعالى اي ما ينظرون
الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم مفاجاة وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا تغتروا بعدم ظهور علاماتها
ولا تزعموا انها لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع

بين

بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون ان كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة
فيموتون حيث ما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على
الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين
قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من
اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا بحذف الجار واوصل الفعل الى
الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون
فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة ان الله تعالى يرفع
عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا
دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم
فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا على الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم
مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدا وخبر وما موصولة
محذوف العايد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة والمؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم
وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا
بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمون حتى تسئلوا
عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به
انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت انفا الا صيحة واحدة
حصلت من نفخ اسرافيل في الصور فاذا هم جميع اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه
تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس
برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا
على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط
بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم
تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ
زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة
وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذي
يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة

والغم والمراد بهها هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه
من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار والسماع وضرب الاوتار والتزاور
او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم
ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس
مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك
الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم مستقرون
في شغل واي شغل في شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فايزون بملك كبير والتعبير عن حالهم بهذه الجملة
الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة
المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ
فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف
وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها
بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم
عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران بما تعلقا به من
الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف والاول والثاني مستانف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر
لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بالنصب على الحال من
المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك
متعلق به وكذا في ظلال او بمحذوف هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة
كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال
ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من الماكل
والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل
القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه
وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه
الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية
على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وايا ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة السابقة وعدم
الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كونها عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به
لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا
ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى
واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت
بمعنى تمنه علي قال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى

الحمل

حمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده قراءة الفراء بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من
ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له
كانه قيل ولهم سلام او وما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهته رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة
الملك او بدونه مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني
فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره ولزيد لبيان من له
ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة او عدة من رب رحيم والاوجه
ان ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الافات
فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى
هو مبتدأ وقيل خبره الفعل المقدر ناصب لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحال اي لهم مرادهم
سلاما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة
لبيان احوال الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف
قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين الاية
وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه
قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم
ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى
ولا يرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا وانعزل من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية
حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع
لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع
بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار
بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا
تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى
اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد بهها ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل
عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
الاية وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الايات الكريمة الواردة في هذا المعنى
وقيل هو الميثاق الماخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني ادم واشهدهم على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما
يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته
عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة تميم
انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان

الامر بالامتياز بينهم

اعبدونی عطف علی ان لا تعبدوا علی ان فیهما للعهد الذی فیه معنی القول بالنهی والامر او مصدریة حذف
عنهما الجار ای الم اعهد الیکم فی ترک عبادة الشیطان وفی عبادتی وتقدیم النهی علی الامر لما ان حق التخلیة التقدم
علی التحلیة کما فی کلمة التوحید ولیتصل به قوله تعالی هذا صراط مستقیم فانه اشارة الی عبادته تعالی التی هی عبارة عن
التوحید والاسلام وهو المشار الیه بقوله تعالی هذا صراط علی مستقیم والمقصود بقوله تعالی لاقعدن لهم صراطک
المستقیم والتنکیر للتفخیم واللام فی قوله تعالی ولقد اضل منکم جبلا کثیرا جواب قسم محذوف والجملة استیناف
مسوق لتشدید التوبیخ وتاکید التقریع ببیان ان جنایاتهم لیست بنقض العهد فقط بل به وبعدم
الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة علی الامم الخالیة بسبب طاعتهم للشیطان فالخطاب لمتاخریهم
الذین من جملتهم کفار مکة خصوا بزیادة التوبیخ والتقریع لتضاعف جنایاتهم والجبل بکسر الجیم والباء وتشدید
اللام الخلق وقری بضمتین وتشدید وبضمتین وتخفیف وبضمة وسکون وبکسرتین وتخفیف وبکسرة
وسکون والکل لغات وقری جبلا جمع جبلة کفطر وخلق فی جمع فطرة وخلقة وقری جیلا بالیاء وهو الصنف
من الناس ای وبالله لقد اضل منکم خلقا کثیرا او صنفا کثیرا عن ذلک الصراط المستقیم الذی امرتکم بالثبات علیه
فاصابهم لاجل ذلک ما اصابهم من العقوبات الهائلة التی ملاء الآفاق اخبارها وبقی مدی الدهر آثارها والفاء فی
قوله تعالی افلم تکونوا تعقلون للعطف علی مقدر یقتضیه المقام ای اکنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تکونوا
تعقلون انها لضلالهم او فلم تکونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تکونوا تعقلون شیئا اصلا حتی ترتدعوا عما
کانوا علیه کیلا یحیق بکم العقاب وقوله تعالی هذه جهنم التی کنتم توعدون استیناف یخاطبون به بعد تمام
التوبیخ والتقریع والالزام والتبکیت عند اشرافهم علی شفیر جهنم ای کنتم توعدونها علی السنة الرسل علیهم
السلام بمقابلة عبادة الشیطان مثل قوله تعالی لاملان جهنم منک وممن تبعک منهم اجمعین وقوله تعالی قال
اذهب فمن تبعک منهم فان جهنم جزاؤکم جزاء موفورا وقوله تعالی اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعک منهم
لاملان جهنم منکم اجمعین وغیر ذلک مما لا یحصی وقوله تعالی اصلوها الیوم بما کنتم تکفرون امر تنکیل واهانة
کقوله تعالی ذق انک انت الخ ای ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها الیوم بکفرکم المستمر فی الدنیا
وقوله تعالی الیوم نختم علی افواههم ای نمنعها عن الکلام التفات الی الغیبة للایذان بان ذکر احوالهم
القبیحة استدعی ان یعرض عنهم ویحکی احوالهم الفظیعة لغیرهم مع ما فیه من الایماء الی ان ذلک من مقتضیات
الختم لان الخطاب لتلقی الجواب وقد انقطع بالکلیة وقری یختم وتکلمنا ایدیهم وتشهد ارجلهم بما کانوا یکسبون
یروی انهم یجحدون ویخاصمون فیشهد علیهم جیرانهم واهالیهم وعشائرهم فیحلفون ما کانوا مشرکین
فحینئذ یختم علی افواههم وتکلم ایدیهم وارجلهم وفی حدیث یقول العبد یوم القیامة انی لا اجیز علی
شاهدا الا من نفسی فیختم علی فیه ویقال لارکانه انطقی فتنطق باعماله ثم یخلی بینه وبین الکلام فیقول بعدا
لکن وسحقا فعنکن کنت اناضل وقیل تکلیم الارکان وشهادتها دلالتها علی افعالها وظهور آثار المعاصی علیها وقری
وتتکلم ایدیهم وقری ولتکلمنا ایدیهم وتشهد بلام کی والنصب علی معنی ولذلک نختم علی افواههم وقری
ولتکلمنا ایدیهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا علی اعینهم الطمس تعفیة شق العین حتی تعود

ممسوحة

ممسوحة ومفعول المشیئة محذوف علی القاعدة المستمرة التی هی وقوعها شرطا وکون مفعولها مضمون الجزاء
ای لو نشاء ان نطمس علی اعینهم لفعلناه وایثار صیغة الاستقبال وان کان المعنی علی المضی لافادة ان عدم الطمس
علی اعینهم لاستمرار عدم المشیئة فان المضارع المنفی الواقع موقع الماضی لیس بنص فی افادة انتفاء استمرار الفعل
بل قد یفید استمرار انتفائه بحسب المقام کما مر فی قوله تعالی ولو یعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخیر فاستبقوا
الصراط ای فارادوا ان یستبقوا الی الطریق الذی اعتادوا سلوکه علی ان انتصابه بنزع الجار او بتضمین
الاستباق معنی الابتدار او بالظرفیة فانی یبصرون الطریق وجهة السلوک ولو نشاء لمسخناهم بتغییر صورهم
وابطال قواهم علی مکانتهم ای مکانهم الا ان المکانة اخص کالمقامة والمقام وقری علی مکاناتهم ای لمسخناهم
مسخا یجمدهم مکانهم لا یقدرون ان یبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلک قوله تعالی فما استطاعوا مضیا و
لا یرجعون ای ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضه قردة وخنازیر وقیل
حجارة وعن قتادة لاقعدناهم علی ارجلهم وازمناهم وقری مضیا بکسر المیم وفتحها ولیس مساق الشرطیتین لمجرد
بیان قدرته علی ما ذکر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبیان انهم بما هم علیه من الکفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ
بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان یفعل بهم فی الدنیا تلک العقوبة کما فعل بهم فی الآخرة عقوبة الختم
وان المانع من ذلک لیس الا عدم تعلق المشیئة الالهیة به کانه قیل لو نشاء عقوبتهم بما ذکر من الطمس والمسخ
جریا علی موجب جنایاتهم المستدعیة لها لفعلناها ولکنا لم نشأها جریا علی سنن الرحمة والحکمة الداعیتین الی امهالهم
ومن نعمره ای نطل عمره ننکسه فی الخلق ای نقلبه فیه ونخلقه علی عکس ما خلقناه اولا فلا یزال یتزاید ضعفه
ویتناقص قوته وینتقص بنیته ویتغیر شکله وصورته حتی یعود الی حالة شبیهة بحال الصبی فی ضعف جسده
وقلة عقله وخلوه عن الفهم والادراک وقری ننکسه من الثلاثی وننکسه من الانکاس افلا یعقلون ای ایرون
ذلک فلا یعقلون ان من قدر علی ذلک یقدر علی ما ذکر من الطمس والمسخ وان عدم ایقاعهما لعدم تعلق مشیئته
تعالی بهما وقری تعقلون بالتاء لجری الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما کانوا یقولون فی حقه علیه السلام من انه
شاعر وما یقوله شعر ای ما علمناه الشعر بتعلیم القرآن علی معنی ان القرآن لیس بشعر فان الشعر کلام متکلف
موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج علی منوال الوزن والقافیة مبنی علی خیالات واوهام واهیة فاین ذلک من
التنزیل الجلیل الخطر المنزه عن مماثلة کلام البشر المشحون بفنون الحکم والاحکام الباهرة الموصلة الی سعادة
الدنیا والآخرة ومن این اشتبه علیهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انی یؤفکون وما ینبغی له
وما یصح له الشعر ولا یتاتی له لو طلبه ای جعلناه بحیث لو اراد قرض الشعر لم یتأت له کما جعلناه امیا لا یهتدی
للخط لتکون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله علیه السلام انا النبی لا کذب انا ابن عبد المطلب وقوله علیه السلام هل انت
الا اصبع دمیت وفی سبیل الله ما لقیت فمن قبیل الاتفاقات الواردة من غیر قصد الیها وعزم علی ترتیبها وقیل
الضمیر للقرآن ای وما ینبغی للقرآن ان یکون شعرا ان هو ای ما القرآن الا ذکر ای عظة من الله عز وجل
وارشاد للثقلین کما قال تعالی ان هو الا ذکر للعالمین وقرآن مبین ای کتاب سماوی بین کونه کذلک
او فارق بین الحق والباطل یقرأ فی المحاریب ویتلی فی المعابد وینال بتلاوته والعمل بما فیه فوز الدارین فکم بینه وبین

ما قالوا لتنذر اى القران او الرسول ع م ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اى علمه ولينذر مبنيا
للمفعول من الانذار من كان حيا اى عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان
الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اى يجب كلمة العذاب على الكافرين
المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن اثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات
في الحقيقة اولم يروا الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اى الم
يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخيا للمعاينة انا خلقنا لهم اى لاجلهم ولانتفاعهم مما عملت ايدينا
اى مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده
عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول
المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه وغيره
فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الايات اى متملكون اياها
وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية
لعمله اى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك
غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم
تاسيسا للنعم على حيالها لا تتمة لما قبلها اى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون
بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اى
فبعض منها ركوبهم اى مركوبهم اى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ
ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم ومنها ياكلون اى
وبعض منها ياكلون لحمه ولهم فيها اى في الانعام بكلي نوعيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف
والاوبار وغيرها كالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون
اى ايشاهدون هذه النعم اى ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اى متجاوزين الله
الذي شاهدوا انفراده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة الهة من الاصنام اشركوها
به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او ليشفعوا لهم في الاخرة وقوله تعالى
لا يستطيعون نصرهم الخ استئناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اى لا تقدر
الهتهم على نصرهم وهم اى المشركون لهم اى لالهتهم جند محضرون يتبعونهم عند سوقهم الى النار
وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده سياق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى
فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم لما علقوا به اطماعهم

الفارغة

والفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة
واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في
الحقيقة متوجه الى رسول الله صلعم ونهي له عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن
اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب
ويراد النهي عن السبب كما في قولك لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ
عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام الهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء الهتنا وانهم شركاء لله سبحانه في
المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم
وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان
العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء
منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه
تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته
ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين
الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو
او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا
في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا
فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين
ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة
للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اى الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الخ
او هي عين الجملة السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا للانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب
لا ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم و
ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال
بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم به
في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة
الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو
راى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اى شديد الخصومة والجدال بالباطل
عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ
خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره

في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات
ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى ان
يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل قوله تعالى فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف
على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من تتمات شواهد صحة البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا
معطوف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية
والفجاءة تصورا منا وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن
العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد
الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم
وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب
داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد وبدونه وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له
بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار حياته تعالى للعظام
فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان
الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب
في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق
من كونه مثل الانشاء واهون منه واما على الثالث فلا فرق بين كون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث
الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة
من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد
باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من
فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما
هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد
انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض
من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت
قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه
على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل
من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق
لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما

عنه

عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء
نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون اي فمن
قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة
الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استئناف
مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر به بان يجيبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار و
النفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة
اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من
تقرر ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف
على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو البالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي شانه اذا اراد شيئا
من الاشياء ان يقول له كن اي ان يعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شيء اخر اصلا و
هذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الآمر المطاع للمامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف
على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما
وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شانه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه
تعالى موجبة لتنزهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم
اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملك كل شيء واليه ترجعون
لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس كنت لا اعلم
ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لكل شيء قلبا وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران
اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة
املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته و
يصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال
صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل

من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اى الناظمات اما في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما
ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله وانا لنحن الصافون وقيل الصافات وقيل
اقدامها في الصلوات وقيل اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا اى الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره
من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين
عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اى صفا
بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات اى التاليات ذكرا عظيم الشان من
آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا
مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان جريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على
ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان جريت كل واحدة منهن على طوائف
معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل و
الزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات
انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى
الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص
او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله
وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتيب الصفات في الفضل او ترتيب
موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة و
القراءة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن
المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء و
الذال ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من
التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته
كما عرف في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اى مالك السموات
والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب
فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها
وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما
مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اى القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب
بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اى ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها
من بعض زينة واى زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها

ويجوز

ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروي عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب
واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واما
بزينة الكواكب على تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصل بزينة الكواكب والمراد
هو التزيين في رأي العين فان الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلألئة في سطح
سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر
في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اى خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله و
اما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد
بيان حفظ السماء منهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله
صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل
لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم يحذف ان ويهدر
عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل واحد من تينك الحذفين غير منكر بانفراده
فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون
والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اى لا يتطلبون السماع
والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء
اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اى للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر
مؤكد لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اى قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون
مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اى ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب
عذاب شديد دائم غير منقطع لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو
يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف
الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب
اى تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه
يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعود من يعلم منصبا
طمعا في السلامة وقيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة اهم اشد خلقا اى اقوى خلقة
وامتن بنية واصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه وتجيء بعد ذلك لا سيما
قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين
من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من

تبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اى من قدرة الله تعالى على هذه الخلايق العظيمة وانكارهم للبعث ويسخرون
من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى حيث عجبت منها وهولاء
لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله ويسخروا ممن يجوزه والعجب
من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام
الشيء وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اى ودأبهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من
المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور
فكرهم واذا رأوا آية اى معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اى ما يرونه من الآية الباهرة الا سحر مبين
ظاهر سحريته أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب
من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى أإنا لمبعوثون اى نبعث لا نفسه لان دونه
خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له
غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أإنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد
الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقدم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى
وبطرح الثانية فقط أوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اى وآباؤنا الاولون
ايضا مبعوثون وقيل على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجاري مجرى حرف
النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على
زعمهم وقرئ أو آباؤنا قل نعم تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب
والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اى كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة
فيه فانما هي زجرة واحدة هي ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اى
اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها
وهي النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون ويبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل
بهم وقالوا اى المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اى يا هلاكنا احضر فهذا
اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اى اليوم الذي نجازى
فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما
شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم
بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى
والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة
من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اى اشباههم ونظراءهم من العصاة

عابد

عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين
وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم
قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة
عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اى عرفوهم طريقها
ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم اى احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم
الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم و
ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل
الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اى لا ينصر بعضكم
بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة
الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون و
لا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم
او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء
او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اى الاتباع للرؤساء او الكفرة للقرناء انكم
كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين اى عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع
السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك
سمي يمينا بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا
يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اى قال الرؤساء او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين اى لم نمنعكم
من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان
من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اى لزمنا و
ثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اى العذاب
الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي
على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا
في الغواية فانهم اى الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية
انا كذلك اى مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام
وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله
يستكبرون عن القبول ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم
وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام
فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار

لذائقوا العذاب الأليم والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله
ولا ذاكر الله إلا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الأصل وما تجزون إلا ما كنتم تعملون أي إلا جزاء ما كنتم
تعملونه من السيئات أو إلا بما كنتم تعملونه منها إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما
بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم
أصلا وجعل استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين
فإنهم يجزون أضعافا مضاعفة مما لا وجه له أصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع
المكلفين فإنه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى أنكم لذائقوا العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا
كذلك وقوله تعالى أولئك إشارة إليهم للإيذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الإخلاص في عبادة الله تعالى
عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار إليه للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم إما خبره وقوله تعالى رزق
مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لأولئك والجملة الكبرى استئناف
مبين لما أفاده الاستثناء إجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدأ وقوله
تعالى معلوم أي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال
وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه إما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمر
أي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون
الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج إلى البدل وقيل لأن الفواكه
من أتباع سائر الأطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات
وأليقها بأولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل إليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرئ
مكرمون بالتشديد في جنات النعيم أي في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن
في مكرمون أو خبر ثان لأولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل الحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن
فيه أو في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم إما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تقابل مجالسهم
أنسهم أو حال من الضمير في متقابلين أو في أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكأس بإناء فيه خمر
أو بخمر فإن الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قوله وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها من معين
متعلق بمحذوف هو صفة لكأس أي كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض
الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء إذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لأنها تجري في الجنة في أنهار كما تجري
الماء قال تعالى وأنهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان أيضا لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغة كأنها
نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدا من
خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول أي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول
ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج

ومعه

دمه كله وإفراده بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى
لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ
ينزفون بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف
ينزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى
غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كأنهن بيض مكنون شبهن ببيض النعام المصون من
الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان فأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف أي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من
اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم
وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف
محاوراتهم إني كان لي في الدنيا قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق
بالبعث أئنك لمن المصدقين أي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والأول هو الأوفق
لقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون أي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون
يقال دانه أي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج
فاستجدى بعض إخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال
أئنك من المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون التعرض
لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما في التأكيد الإنكار بالجزاء المبني على إنكار البعث قال أي ذلك القائل بعد ما حكى
لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل أنتم مطلعون أي إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه
فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك
القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار فاطلع أي عليهم فرآه
أي القرين في سواء الجحيم أي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع
بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم
مطلعون إلى القرين فاطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل
الإطلاع متعديا فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب
على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال أي القائل مخاطبا لقرينه
تالله إن كدت لتردين أي لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وإن هي المخففة من الثقيلة
وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة أي إن الشأن كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية
والعصمة لكنت من المحضرين أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك وقوله تعالى
أفما نحن بميتين رجوع إلى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا من إنعام الله عز وجل

لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام
اي نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت
في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قالوه تبجحا كقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح
نودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله
واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها
تقرير لقولهم وتصديق له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العا ملون
اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام
وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع
فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام
شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية
والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين
محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق
الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار
وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة
في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في الشكل او الطلوع من
الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه
بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل
ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها
اي من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او القسر على
اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما
شبعوا منها وغلبهم العطش واستسقوا بهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد
الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ
بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم
الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة
الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملؤا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم
انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان

يكون

ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية
الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع
الاسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل
قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى
ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم
عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثني عنهم المخلصون
بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين من الذين اخلصهم الله بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ
المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض
المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعض الذين
اخلصهم الله ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على
سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله
لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا
ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل
العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم
الباقين وحدهم حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي
انه مات كل من كان معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال
قتادة رضي الله عنه الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب
وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج
وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت
سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي
فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات
هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لما فعل به من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم
العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة
الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها

ای مثل ذلک الجزاء الکامل نجزی الکاملین فی الاحسان لا جزاء ادنی منه وقوله تعالی انه من عبادنا المؤمنین
تعلیل لکونه من المحسنین بخلوص عبودیته وکمال ایمانه وفیه من الدلالة علی جلالة قدرهما ما لا یخفی ثم اغرقنا
الآخرین ای المغایرین لنوح واهله وهم کفار قومه اجمعین وان من شیعته ای ممن شایعه فی اصول
الدین لابراهیم وان اختلف فروع شرایعهما ویجوز ان یکون بین شریعتیهما اتفاق کلی او اکثری وعن
ابن عباس رضی الله عنهما من اهل دینه وعلی سنته او ممن شایعه علی التصلب فی دین الله ومصابرة
المکذبین وما کان بینهما الا نبیان هود وصالح علیهم السلام وکان بین نوح وابراهیم الفان وستمائة واربعون
سنة اذ جاء ربه منصوب باذکر او متعلق بما فی الشیعة من معنی المشایعة بقلب سلیم ای من آفات
القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الی الله عز وجل ومعنی المجیء به ربه اخلاصه له کانه جاء به متحفا ایاه
بطریق التمثیل اذ قال لابیه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولی او ظرف لجاء او لسلیم ای شیء تعبدون
أئفکا آلهة دون الله تریدون ای اتریدون من دون الله افکا ای للافک فقدم المفعول علی الفعل
للعنایة ثم المفعول له علی المفعول به لان الاهم مکافحتهم بانهم علی افک وباطل فی شرکهم ویجوز ان یکون افکا
مفعولا به یعنی اتریدون افکا ثم یفسر الافک بقوله آلهة من دون الله دلالة علی انها افک فی نفسها للمبالغة
او یراد بها عبادتها بحذف المضاف ویجوز ان یکون حالا بمعنی آفکین فما ظنکم برب العالمین ای بمن هو حقیق
بالعبادة لکونه ربا للعالمین حتی ترکتم عبادته خاصة واشرکتم به اخس مخلوقاته او فما ظنکم به ای شیء هو من
الاشیاء حتی جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنکم به ماذا یفعل بکم وکیف یعاقبکم بعدما فعلتم ما فعلتم من
الاشراک به فنظر نظرة فی النجوم قیل کانت له علیه السلام حمی لها نوبة معینة فی بعض ساعات اللیل
فنظر لیعرف هل هی تلک الساعة فاذا هی قد حضرت فقال انی سقیم وکان صادقا فی ذلک فجعله عذرا
فی تخلفه عن عیدهم وقیل اراد انی سقیم القلب لکفرکم وقیل نظر فی علمها او فی کتبها او احکامها ولا منع من ذلک
حیث کان قصده علیه السلام ایهامهم حین ارادوا ان یخرجوا به الی معیدهم لیترکوه فان القوم کانوا نجامین
فاوهمهم انه قد استدل بامارة فی علم النجوم علی انه سقیم ای مشارف للسقم وهو الطاعون وکان اغلب
الاسقام علیهم وکانوا یخافون العدوی لیتفرقوا عنه فهربوا منه الی معیدهم وترکوه فی بیت الاصنام وذلک
قوله تعالی فتولوا عنه مدبرین ای هاربین مخافة العدوی فراغ الی آلهتهم ای ذهب الیها فی خفیة واصل الروغ المیل
بحیلة فقال للاصنام استهزاء الا تأکلون ای من الطعام الذی کانوا یضعونه عندها لتبرک علیه ما لکم
لا تنطقون ای بجوابی فراغ علیهم فمال مستعلیا علیهم وقوله تعالی ضربا بالیمین مصدر مؤکد لراغ علیهم
فانه بمعنی ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله ای فراغ علیهم یضربهم ضربا او هو حال منه علی انه مصدر بمعنی
الفاعل ای فراغ علیهم ضاربا بالیمین ای ضربا شدیدا قویا وذلک لان الیمین اقوی الجارحتین واشدهما وقوة
الآلة تقتضی قوة الفعل وشدته وقیل بالقوة والمتانة کما فی قوله اذا ما رایة رفعت لمجد تلقاها عرابة بالیمین
ای بالقوة وعلی ذلک مدار تسمیة الحلف بالیمین لانه یقوی الکلام ویؤکده وقوله بسبب الحلف وهو قوله
تالله لاکیدن اصنامکم فاقبلوا الیه ای المأمورون باحضاره علیه السلام بعدما رجعوا من عیدهم الی

بیت

بیت الاصنام فوجدوها مکسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه هو فعله فقیل فأتوا به یزفون حال من واو فاقبلوا ای
یسرعون من زفیف النعام وقرئ یزفون من ازف اذا دخل فی الزفیف او من ازفه ای حمله علی الزفیف ای یزف
بعضهم بعضا ویزفون علی البناء للمفعول ای یحملون علی الزفیف ویزفون من وزف یزف اذا اسرع و
یزفون من زفاه اذا حداه کان بعضهم یزفوا بعضا لتسارعهم الیه علیه السلام قال ای بعدما اتوا به
علیه السلام وجری بینه علیه السلام وبینهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالی قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا یا ابراهیم
الی قوله تعالی لقد علمت ما هؤلاء ینطقون أتعبدون ما تنحتون ای ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالی والله
خلقکم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤکدة للانکار والتوبیخ ای والحال انه تعالی خلقکم وخلق ما تعملونه
فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالی وشکلها وان کان بفعلهم لکنه باقداره تعالی ایاهم علیه وخلقه ما یتوقف
علیه فعلهم من الدواعی والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمیر ما تنحتون
للایذان بان مخلوقیتها لله عز وجل لیس من حیث نحتهم لها فقط بل من حیث سایر اعمالهم ایضا من
التصویر والتحلیة والتزیین ونحوها واما علی عمومه فینتظم الاصنام انتظاما اولیا مع ما فیه من تحقیق الحق
ببیان ان جمیع ما یعملونه کائنا ما کان مخلوق له سبحانه وقیل ما مصدریة ای عملکم علی انه بمعنی المفعول
وقیل معناه فان فعلهم اذا کان بخلق الله تعالی کان مفعولهم المتوقف علی فعلهم اولی بذلک قالوا ابنوا له
بنیانا فالقوه فی الجحیم ای فی النار الشدیدة الاتقاد من الجحمة وهی شدة التأجج واللام عوض من المضاف
الیه ای جحیم ذلک البنیان وقد ذکر کیفیة بنائهم له فی سورة الانبیاء فارادوا به کیدا فانه علیه السلام
لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا یظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلین الاذلین بابطال
کیدهم وجعله برهانا نیرا علی علو شانه علیه السلام بجعل النار علیه بردا وسلاما وقال انی ذاهب الی ربی
ای مهاجر الی حیث امرنی ربی کما قال انی مهاجر الی ربی وهو الشام او الی حیث اتجرد فیه لعبادته تعالی سیهدین
ای الی ما فیه صلاح دینی او الی مقصدی وبت القول بذلک لسبق الوعد او لفرط توکله او للبناء علی عادته
تعالی معه ولم یکن کذلک حال موسی علیه السلام حیث قال عسی ربی ان یهدینی سواء السبیل ولذلک اتی
بصیغة التوقع رب هب لی من الصالحین ای بعض الصالحین یعیننی علی الدعوة والطاعة ویؤنسنی
فی الغربة یعنی الولد لان لفظ الهبة علی الاطلاق خاص به وان کان قد ورد مقیدا بالاخوة فی قوله تعالی و
وهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبیا ولقوله تعالی فبشرناه بغلام حلیم فانه صریح فی ان المبشر به عین
ما استوهبه علیه السلام ولقد جمع فیه بشارات ثلاث بشارة انه غلام وانه یبلغ اوان الحلم وانه یکون حلیما
وای حلم یعادل حلمه علیه السلام حین عرض علیه ابوه الذبح فقال یا ابت افعل ما تؤمر ستجدنی ان شاء الله
من الصابرین وقیل ما نعت الله الانبیاء علیهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غیر ابراهیم
وابنه فانه تعالی نعتهما به وحالهما المحکیة بعد اعدل بینة بذلک والفاء فی قوله تعالی فلما بلغ معه السعی فصیحة
معربة عن مقدر قد حذف تعویلا علی شهادة الحال وایذانا بعدم الحاجة الی التصریح به لاستحالة التخلف
والتأخر بعد البشارة کما مر فی قوله تعالی فلما رآه مستقرا عنده ای فوهبناه له

ذنا فلما بلغ معه السعي اى فلما بلغ ربته ان يسعى معه فى اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف بنبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح فلا يستعجله قبل اوانه اولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة
قال اى ابراهيم عليه السلام يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك اى ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمه سمى يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام لانه الذى وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه السلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرى انى بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأى وانما شاوره فيه وهو امر حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم ليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اى ما تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد اى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرى ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقرى سلما واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة ولذلك معنى الاستسلام استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة فى اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل

في النحر

فى المنحر الذى ينحر اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما فى دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين اى الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شئ اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اى عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس انه الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقى سنة فى الرمى وروى انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطى له والامر به على التجوز فى الفداء او الاسناد وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابراهيم قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح عليه السلام كذلك نجزى المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين فى الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اى مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه السلام وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم فى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرى وبركنا ومن ذريتهما محسن فى عمله او نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تاثير له فى الهداية والضلال وان الظلم فى اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون اى انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها

من الغم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنوا اسرائيل من الكرب العظيم هو ملكة الفرعون وتسلطهم
عليهم بالوان الظلم والعذاب كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم
يكن عليهم كربا وشفقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم
غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء
العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب
المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من
غير تغليبه عليهم ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة
على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة وهديناهما
بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما
في الآخرين سلام على موسى وهرون اي القينا بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء
الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم للجزاء فاحرا عنده انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس
لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس
لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اي عذاب
الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدون وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف
اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه واخدموه اربعة
مائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي
وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين
بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم
لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك
لمحضرون اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد
الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين هو لغة في الياس
كسيناء وسينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
كالمثنى وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت
تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا
الآخرين فان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على
منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين
في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد

لها مساء

لها مساء افلا تعقلون اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان
يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصل الابق الهرب من السيد لكن لما كان هربه
من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من
المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد ابق فاقترعوا
فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في
الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من
المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون
حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء
فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع
السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم
يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل
اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد
الوقت الذي التقم فيه روي ان حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم
اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة
عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو
يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل
عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل
الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق
اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه
السلام الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب
الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم للايمان بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان
ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي
قيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اي في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة
الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا
خالصا فمتعناهم اي بالحيوة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط
بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل

لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله
عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة
الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده
المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه
الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة
بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن
العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض
اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون
اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان
مذهبهم الفاسد ثم بتبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي
على نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظم في سلك التبكيت لمشاركتهم
النصارى في ذلك اي فاستخبرهم ألربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما
فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من
التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق و
ابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون
استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله اشهدوا خلقهم وقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه
فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال
انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي اهل هم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان انه ما ليس
الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون في قولهم ذلك
كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا والولد
فعل بمعنى المفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم
وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه للامر البين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء
اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا
من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون
بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى التاءين من تتذكرون
وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز
في عقل كل زكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم

ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة
ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فأتوا بكتابكم
الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع
لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم و
تعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة
للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم
للآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث منه من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن
طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما
بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما
اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي
عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم
في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون
انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجل ذلك حكما مؤكدا وقيل ان قوما من
الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد
بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب
المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما
مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم
لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له
تعالى او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله تعالى سبحان الله عما يصفون
حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على
علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين شهادة منهم براءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئتهم
عنه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه وآكده على انه استثناء منقطع من الواو في يصفون
كأنه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه لكن عباد الله
الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل
وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال
الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وقيل [illegible]
عن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعليه متعلقة
بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه

عليه تعالى بافساد عباده وضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اى داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره
ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء آمنون ان
يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صالُ بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من
قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم
في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه
واظهار لقصور شأنهم وقمائتهم اى وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل
مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي
فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح
وروي انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع
الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون
في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه
وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة
التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتأمل والله الموفق وان كانوا ليقولون اى
المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اى ان الشأن كانت قريش تقول لو ان
عندنا ذكرا من الاولين اى كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اى لاخلصنا
العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله
تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فجاءهم ذكر واى ذكر سيد الاذكار
وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اى عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اى وبالله
لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين
لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك تحقق انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة
امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن
ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع
انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة
الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال واقطع نكال حل بهم من القتل والاسر
والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور
سوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا
فنزل فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم
بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ

نزل

نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اى نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس
والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا
وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي
قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع
الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما
يبصرونه من انواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه
وجبروته مما ذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما
يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام
على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن
كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة
الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها
افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من
صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد
تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم
وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه
وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة
للحمد عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ
من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم
في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة ومنع
امتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب
او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من

الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق
باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي والرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن
السلف او اسما للسورة ضر المبتدا محذوف او نصبا على اضمار اذكر او قرا او امرا من المصاداة قالوا وفي
قوله تعالى والقران ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقران الكل فالمغايرة
بينهما حقيقية وان اريد به السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة و
اياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك
ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص
الانبيا عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس
محذوف وهو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المامور به واجبا وكون
المقسم به حقيقا بالتعظيم اي اقسم بالقران او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما
على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان القسمية تنويه بشان
المتقدم وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقران ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشان والقران الخ على
طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفا الريب عن مضمونه بالكلية
انباء بينا كان قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس
عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ورسوله
ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه بل الذين الخ وقري
في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم
على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز وقرنا
كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك
وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص
اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث لكتاكيد
كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية
للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم وقيل الفعل
مضمر اي ولا ارى حين مناص وقري بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا
لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر اي ولا حين مناص كاين لهم وقري بالكسر كما في قوله تعالى طلبوا صلحنا ولات
اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج
او لان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف
اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته
الى غير متمكن وقري لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وما قيل ان التاء

مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون
منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد
الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم و
ايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب
فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانذار اجعل الالهة الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان
هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما القوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على
عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما خالف
ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لانهم لا يدعون
ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الاثار بلا موثر وقري عجاب
بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من
صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين
ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السوال فلا تمل كل الميل على
قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله
عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا
فقالوا قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس
ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه على الاسلام في الدين
وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور
ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اي واثبتوا على عبادتها
متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول
وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفول
اي اجتمعوا واكثروا وقري امشوا بغير ان على اضمار القول وقري يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد
تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من امر التوحيد
ونفي الهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف
يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله
من رايه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا
ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقاولة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد
الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل
ان دينكم لشيء يراد ان يطلب ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة

والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتامل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل
ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا
عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة
المترقبة ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا
اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم
لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام
الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة
المؤدية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى
السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذابي اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة
الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل
لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل
اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا
ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل
يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له
ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره
عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق
اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي
يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم
ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل
هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما
يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث
وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من
جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من
ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود
بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد

بعض

بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت
له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب
عليه السلام وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم
على احد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ان كل الا كذب
الرسل استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب
او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب
الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام في حيز المبتدأ اي ما كل احد منهم
محكوما عليه بحكم الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل وفي
اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب على حياله تحزب على
رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب
وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه
جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف
العائد اي ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه
على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم
منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبروا ما قيل من انه خبر والمبتدأ قوله وعاد الخ او قوله وقوم لوط
فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم
من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع
وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب
باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار
سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله نتائجها بعد وقد بين عقاب الاحزاب
واستئصالهم بالمرة ولم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم امر منتظر وانما الذين في مرصد الانتظار كفرة مكة حيث
ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولم يلقوا بعد
شيئا من غوائلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب
الا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بل بمعنى ان ما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها
جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم
الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية
المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى
فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا

عقبها ولا العذاب المطلق موخر الى اجل بل يحل بهم من حين موتهم ما لها من فواق اى توقف مقدار فواق وهو ما بين
الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند
سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اى قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به و
الآخرة الى يوم الحساب اى مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشئ من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة
الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور
للامعان فى الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات
الباطلة واذكر لهم عبدنا داود اى قصته تهويلا لامر المعصية فى اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه
من المعاصى فانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما الم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته
الملائكة بالتمثيل والتعريض تفطن واستغفر ربه واناب وجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب
ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاولين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصى او تذكر
قصته عليه السلام وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة
ذا الايد اى ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد بمعنى وايادكل شئ ما يتقوى به انه اواب رجاع الى
مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة فى الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما
ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته فى الدين واوابيته
الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه فى سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام
لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق
التبعية له عليه السلام والاقتداء به فى عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما فى سورة
الانبياء يسبحن اى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل
يسرن معه من السباحة وهو حال وهو حال من الجبال ووضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا
بعد حال او استئناف مبين لكيفية التسخير بالعشى والاشراق اى ووقت الاشراق وهو حين تشرق
الشمس اى تضئ ويصفوا شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانى رضى الله عنها انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضى
الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا
اى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير
فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له اواب استئناف مقرر لمضمون
ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اى كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع
الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما
لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل

الضمير

الضمير لتسبيحه وعلى اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه
بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل
على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه فى المنام ان اقتل المدعى عليه فتأخر فاعيد الوحى فى اليقظة فاعلم الرجل
فقال ان الله تعالى لم ياخذنى بهذا الذنب ولكن بانى قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره
الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم
الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص
الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب
الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم
استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما فى حيزه للايذان بانه من الانباء البديعة التى حقها ان تشيع فيما بين
كل حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان اذ تسوروا
المحراب اى تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته
او متعلقة بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وان
اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روى انه
تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه
جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفى غير يوم الحكومة والقضاء قال
ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه
ويوما للوعظ والتذكير قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت
الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف خصمان اى نحن فوجان متخاصمان
على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
اى لا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط اى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور وارشاده
الى منهاج العدل ان هذا اخى استئناف لبيان ما فيه الخصومة اى اخى فى الدين او فى الصحبة والتعرض لذلك
تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن
المرأة والكناية والتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولى نعجة بسكون
الياء فقال اكفلنيها اى ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب
اى غلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها

وهو في خطبني خطابا اى غالبني في الخطبة وغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اى غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا
للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف
قصد به عليه السلام المبالغة في الانكار فعل ونهيض طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد
اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول
اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى
وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة
والشركة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحاشون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اى وهم قليل
وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما
من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم
صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه
القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى
متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على
تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار
النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال
المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره
في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد
القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام انما فعلنا
به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامراة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ
في التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى
الى التنبه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاظهار بتمامه يستحي من التصريح به وتصوير
بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه
اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه اوله او خر للسجود راكعا اى مصليا
كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اى رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام راى امراة رجل
يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسال ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليهما السلام وكان
ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته
فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه
عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه
احاد امته ويسال رجلا ليس له الا امراة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان
يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام

فانه

فانه عليه السلام اهله فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام
دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة
من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقفت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة
قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب ابن صوريا وهو صاحب
بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله
على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان
يحزن على الشهداء وتزوج امراته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما ماردة تمجه الاسماع وتنفر عنه
الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود
عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى عليهم هذا وقد قيل
ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا
التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم وهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به
واناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه وروى انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه
الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد
نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كان يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا
ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة
بعد المغفرة وحسن ماب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الحكاية ما خوطب
به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول القول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اى
وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان
قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط
فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكل معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اى هوى النفس
في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي و
قيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اى فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك
عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما
قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه
لهم عذاب شديد جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان والظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية به او
من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا
لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال
عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هو فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم عذاب
شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعول سبيل

الله فيكون التعليل المصرح به في عين التعليل المشعر بالذات بعزه بالعنوان ومن لم ينتبه بهذا السر قال
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اى ما خلقناهما وما بينهما من
المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اى خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة
بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين
الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع
مضارها ونصبنا للحق دلائل افاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار
من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها
بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر
باطلا ظن الذين كفروا اى مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك تكوين العالم
قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر
والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في
حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله
تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظايره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدى
اليها من ظنهم وكفرهم اى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء
بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين
ونفيها على ابلغ وجه واكده اى بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه
عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من
المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الاخرين الى اسفل
سافلين وقوله ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية
بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين
واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين
الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين اخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال
كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن
القران او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند
من يجوز تاخير الوصف الصريح من غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير
المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا اياته متعلق بانزلناه اى انزلناه ليتفكروا في اياته التى من جملتها هذه الايات
المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ

وليتدبروا

وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اى انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين وليتذكر اولوا
الالباب اى وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من
معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل
للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اى سليمان كما ينبئ عنه تاخيره من داود مع
كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اى رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له
تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب
باذكر اى اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشى وهو من الظهر الى اخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب
وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الطرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن
من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتحقق الا في العراب الخلص
وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما واما الذى يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذى
يسرع في جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين
المحمودين واقفة وجارية اى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في
جريها وقيل هو جمع جيد روى انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها
ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها
فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم
لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقى له منها ما في ايدى الناس من الجياد ومن نسلها وقيل لما عقرها
ابدله الله تعالى خيرا منها وهى الريح تجرى بامره فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى قاله عليه السلام عند غروب
الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها
والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم
القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انبت
عدى تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربى ووضعته موضعه والخير المال الكثير
والمراد به الخيل التى شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصى الخيل
الى يوم القيامة وقرئ انى حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة
ودوامها حسب استمرار العرض اى انبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك حتى توارت اى غربت
الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتوارى المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها وقيل الضمير للصافنات
اى حتى توارت بحجاب الليل اى بظلامه ردوها على من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما
قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر اخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام
فقيل قال ردوها فتأمل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال
عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اى فردوها عليه فاخذ بمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اى

اى بسوقها واعناقها بقطعها من قولهم مسح علاوته اى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها
وانجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤق على همز الواو لضمتها كما فى ادؤر وقرى بالسؤوق تنزيلا الضمة التين
منزلة فتحة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل فى فتنته عليه السلام ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين
امرأة تاتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا
امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون
وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحاب فما شعر به الا ان
القى على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزى صيدون من الجزائر فقتل
ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن
فى ملكه فاخبره اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له رماد
فجلس عليه تائبا الى الله تعالى متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة
يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على
كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة بطلب الخاتم
فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك
اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر اصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين
وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا
وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر
وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام
عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا والسجود للصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب
وتفسير له رب اغفر لى اى مصدر عنى من الزلة وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لا يتسهل له
ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى فانه عليه السلام لما نشأ فى بيت الملك والنبوة وورثهما معا
استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغى لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من
بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى
احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم
الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون
ذلك ادخل فى الاجابة وقرى بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة
فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اى فذللنا لها الطاعة اجابة

لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجرى بامره بيان لتسخيرها اليه رخاء
اى لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد حيث اصاب اى حيث
قصد واراد حكى الاصمعى عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء
وغواص بدل من الشياطين واخرين مقرنين فى الاصفاد عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل كانه عليه
السلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة
قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل لكفهم عن الشرور والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن
تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران فى الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور
بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده
واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الى اخره حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة
لعظم شان ما اوتى من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا والمقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا
او حال من فاعله كما مر فى خاتمة قصة داود عليه السلام اى وقلنا له او قائلين له هذا الذى اعطيناك من
الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط
من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف
فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اى هذا اعطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض
على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا
لزلفى فى الاخرة مع ما له من الملك العظيم فى الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد
ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وقال الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينورى
فى تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق
فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك
ثم الى بلاد فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر
ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم منها وكان من حديثه مع صاحبة سبا ما ذكره الله تعالى
وغزى بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود
وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب عليه السلام
هو ابن عيص بن اسحق عليهما السلام اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له انى
مسنى الشيطان بفتح ياء مسنى وقرى باسكانها واسقاطها بنصب اى تعب وقرى بفتح النون
وبفتحتين وبضمتين للتثقيل وعذاب اى الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد
وهو المراد بالضر فى قوله انى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ
والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله واستغاثه مظلوم فلم
يغثه او كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب

اومراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد بالنصب و
العذاب ماكان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة
والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا
ايمام دعائه عليه السلام من جملة قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما
ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك الخ اما حكاية لما قيل له او مقول
لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا
مغتسل بارد وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف
على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل الخ فاغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك
وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم قوله تعالى ووهبنا له اهله
معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المؤخر انفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك
ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم
كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه
من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤوا الى الله عز وجل
فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا
بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس
الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن
يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث
الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث
ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه
ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة
على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال
بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان
يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق
منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته التي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم
يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تعالى عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف
بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبادنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع
موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة

والعلوم

والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض
بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء
بالكسر وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة
في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى
ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها
لما ان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه و
لا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة
من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى
ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها
وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق
الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير
والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل
فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن
اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما
في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف
التعريف وقيل هو علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن
ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح
كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من
الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن
وباب منه مشتمل على انباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى
وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر
من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم
بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب
عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين
من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين
اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على
الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من ضمير لهم والعامل
فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر

او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي
فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اى على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم
اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فانه يمسهم في وقت واحد ليوم الحساب اى لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ
بالياء ليوافق ما قبله والالتفات الى مقام الامتنان والتكريم ان هذا اى ما ذكر من الوان النعم والكرامات
لرزقنا اى اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى
وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اى يدخلونها
حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف
وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياى فارهبون
او العذاب هذا فليذوقوه القوله تعالى فاياى فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره حميم
وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اى هو حميم والغساق بالتخفيف من
صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل
لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق و
وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين واخر من شكله اى ومذوق اخر من مثل
هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اى ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد
ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق ازواج اى اجناس
وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا
فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها فوج كانوا يتبعونهم
في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله
تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اى مقولا
مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اى لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من
جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم
عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام
الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اى الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم
للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الخ على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم
مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة
مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اى بل انتم
احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اى انتم قدمتم العذاب
او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقايد الزايغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا

اعزانا

واغراينا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار اى فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية
الرؤساء عليهم قالوا اى الاتباع ايضا وتوسيط بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا
اى قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقوله
ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا اى ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله و
يكون ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي وقالوا
اى الطاغوت ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة الاستفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل
لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم
على ان ام متصلة والمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت
تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم
سخريا بل ازاغت عنهم الابصار كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو وعلى معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب
والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى رجالا فقوله تعالى ام
زاغت متصل بقوله ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا
وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اى الذي حكي
من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي
الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ
بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام
يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما
انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة
اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له
شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء وفي هذه النعوت
من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر و
العزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر
جليل له شان خطير لا بد من الاعتناء به امرا وائتمارا هو اى ما انبأتكم به من اني منذر من جهته تعالى وانه تعالى
واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والظاهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا
كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله
تعالى انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به مبين انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث
يعرضون عنه مع عظمه وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله
تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من

ابنائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة
على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر ابنائه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم
عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي
علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت
اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من
الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي
فلا بد من اعتبار اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض
وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه
فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة
تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل
مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق
علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره
فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير
مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه وموجباته حتما واما ان القائم مقام
الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا الانذار او ما يوحى
الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار التكليف في توجيه قصر الوحي على كونه
للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض
حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر
على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم
من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من
اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة
ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف عليه السلام
والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه
وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه
داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة
من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة
بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة
كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية
اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء

بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها
وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده
وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد
الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح
فسجد له الملائكة كلهم حيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد
منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم
هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر
فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية
ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه سورة البقرة وما في سورة الاعراف وبني اسرائيل وما في سورة
الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف
الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه
ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر
على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل و
التروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين
اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه
عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت
الآن ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى
قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل
للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى خلقتني من نار
وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة
والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه
قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام
حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها
الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة
او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد
هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته
فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم

ن لا الهبوط

تعليل للامر بالخروج اى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب
وان عليك لعنتى اى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تعالى وان عليك
اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى و
ابعاده من الرحمة الى يوم الدين اى يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست
جزاء جنايته بل هى انموذج مما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر
التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير
كالزائل الاترى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله ويلعن بعضهم بعضا
قال رب فانظرنى اى امهلنى واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اى اذا جعلتنى رجيما
فامهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم
ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود
الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم فى ذلك
دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان
استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم
من اضافة اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه حكمة التكوين
الى يوم الوقت المعلوم الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت
البعث الذى هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكورة
كما فى قوله قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة
للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت
فى سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر هاهنا فى سورة
الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من الوجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره
وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار ان اقتضى
احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز
واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معراج الاعجاز فقد
سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب
مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتنى وقوله تعالى رب بما اغويتنى فان اغواءه تعالى
اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل
اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين
اى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم
من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اى الله

قال

تعالى فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثانى على
انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى فالحق قسمى
لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به اى فانا الحق او فقولى الحق و
قوله تعالى لاملأن جهنم الخ جواب لقسم محذوف اى والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير
اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة
اعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما
اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد
وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية منك اى من جنسك وممن تبعك
ومن تبعك فى الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تأكيد للكاف وما عطف عليه اى
لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول
هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم
اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة الشيطان
بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ
ما يوحى الى من اجر دنيوى وما انا من المتكلفين اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة
والتقول القرآن ان هو اى ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه
اى ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم
القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علم بعد الموت
وفيه التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير او كبير

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها
على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر فى قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين
وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب
الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفى بمقتضى المقام
الذى هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله للبيان انتزال الكتاب منه تعالى لا من غيره
كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفى
العزة والحكمة للايذان بظهور اثرهما فى الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع
ولا ممانع وباتنان جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع فى

في بيان شان المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شان المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو
القران واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشانه والبا اما متعلقة بالانزال
اى بسبب الحق وابانته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من
الكتاب اى انزلناه اليك محقين فى ذلك او انزلناه متلبسا بالحق والصواب اى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل
به حتما والفاء فى قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام
بالحق اى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والريا حسبما بين فى تضاعيف ما انزل اليك وقرى
برفع الدين على انه مبتدا خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استيناف وقع
تعليلا للامر باخلاص العبادة قوله تعالى الا لله الدين الخالص استيناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له
تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اى الا هو الذى يجب ان يخص باخلاص
الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من
دونه اولياء الخ تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو
عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سياتى من المصدرة
بان والاولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير
القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر
مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له فى المعنى اى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما
نعبدهم لشىء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا ان الله يحكم بينهم اى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون
للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اى بين احد منهم
وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاءنا سالما ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين
جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله و
حكمه تعالى ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم
الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر
تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم
يلعنونهم فبعيد لاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة و
اللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقى الموحدين والمشركين فى الدنيا
من الاختلاف فى الدين الباقى الى يوم القيمة وقرى قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس
فى الاخبار بذلك مزيد مزية وقرى ما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدهم اتباعا للباء
ان الله لا يهدى اى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب
كفار اى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين

للاهتداء

للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن فى الضلال والتمادى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله
ان يتخذ ولدا الخ استيناف مسوق لتحقيق الحق ابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا
اوليا اى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اى لاتخذ مما يخلق اى من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه
ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد
جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل
خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد والى هذا اشير حيث وضع
الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل
فرض ارادة وقوع انتفائه اى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد فى
شىء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب فى ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاؤه فهو ممتنع قطعا فكانه
قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق
عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة
اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اى تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان
السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لا يقادر على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد
او اسبحوه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب
الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية
لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضى
بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير
عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان
يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله
تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اى خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق و
الصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية
تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار فى الارض منوط بتحريك السموات اى يغشى كل
واحد منهما الاخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس
والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجرى لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اى كل منهما يجرى
لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله الا هو العزيز الغالب القادر على كل شىء من الاشياء
التى من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع
البديعة من اثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة

بيان لبعض اخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم
السفلي والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان
الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس ادم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف
هو وصفه لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا ايتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى
لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير
عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها اية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة
على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة
وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث ايات مترتبة خلق ادم عليه السلام وخلق
حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلائق الخارجة عن الحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض اخر من افعاله الدالة
على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح
المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا
وانثى هي الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من
الامور المهمة المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان
كيفية خلقهم واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج و
التجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا
مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة
من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشان الذي
عددت افعاله الله وقوله ربكم خبر اخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص
العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والاخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر اخر
وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى
اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع
اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة
للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متاثر من انتفائهما ولا
يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان
تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى

به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى
بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم
بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا
مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعو في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل
من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا
خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من الخول وهو التعهد اي جعله خايل مال من قولهم فلان
خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من خال يخول وهو الافتخار اي جعله يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان
يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه من قبل اي من قبل التخويل او نسي ربه
الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم
عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه من هو كما مر في
قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو
التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور
واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة
لان الجاعل هاهنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال وان لم يعرف بجهله انه اضلال وضلال واما آل
فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله
وماله تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين
فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول
ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت اناء الليل الخ من
تمام الكلام المامور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا
للتهديد وتهكما به انت احسن حالا ومالا ام من هو قائم بموجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات
في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقائما اي
جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع
على انه خبر بعد خبر يحذر الاخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استئناف وقع جوابا عما نشأ من
حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الاخرة ويرجو رحمة
ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب
للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل
بل امن هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها

على شرف العلم والعمل هل يستوى الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت
المذكور والذين لا يعلمون اى ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه
على ان كون الاولين فى اعلى معارج الخير وكون الاخرين فى اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على
احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى
القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل فى الكلام المأمور به وارد
من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال
عقولهم كما فى قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار اى انما يتعظ
بهذه البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ
انما يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه السلام بتذكير
المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكير باولى الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح
به اى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان
نقل عين امر الله تعالى ادخل فى ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب
الامتثال به وايراد الاحسان فى حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان
وكذا الصبر كما مر فى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفى قوله تعالى انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة
فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان
بقوله عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة لا يكتنه
كنهها وهى الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها فى الظرف والمراد بها الصحة
والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث
يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له فى التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى
الصابرون الخ ترغيب فى التقوى المأمور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون
لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة
حث على المصابرة والمجاهدة فى تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم و
حافظوا على حدوده ولم يفرطوا فى مراعاة حقوقه لما اعتراهم فى ذلك من فنون الالام والبلايا التى من
جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اى بحيث لا يحصى و
لا يحصر عن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وفى الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة
لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى
يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين اى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص فى عبادة الله الذى هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة
فى حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين
اى امرت بذلك لاجل ان يكون مقدمهم فى الدنيا والاخرة لان احراز قصب السبق فى الدين بالاخلاص
فيه والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها
تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت
ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زمانى او من قومى او ان اكون اول من دعا
غيره الى ما دعا اليه نفسه قل انى اخاف ان عصيت ربى بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك
عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظم لعظمة ما فيه من الدواهى والاهوال قل الله اعبد لا غيره
لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له دينى من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مأمورا بالعبادة
لله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على
ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه فى الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا
ما شئتم من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم
ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كى يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اى الكاملين فى الخسران الذى هو
عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اى
اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدى واوقعوهما
فى هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم
وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور [illegible] الثواب لا تنفع به
الخاسر وذلك غير متصور فى الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل فى الجنة
وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو امنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين فى
الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم لا على ان يجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا
وما فى قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك
الى بعد منزلة المشار اليه فى الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على
كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع بيان
لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من
ظلل والاظهر انه حال من الضمير فى الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة
متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ظلل اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض
ظلل للاخرين بل لهم ايضا عند ترديهم فى دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذى يخوف الله به
عباده ويحذرهم اياه بايات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب
سخطى وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادى والذين اجتنبوا

الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان
غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الامر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه
اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون
وبعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب و
الانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالو صفين
الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد
منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن
الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اي هم اصحاب العقول السليمة عن
معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله
تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين
على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواته كما يلوح به التعبير
عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه
على انها شرطية دخل عليها الهمزة للانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة
ليتعلق الانكار والنفي بمضمونهما معا اي انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه
ثم كررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد
تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده
عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت
الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار
بتنزيل من يستحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من
النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ من في النار
وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ للخبر وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها وهم
الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق
بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة
من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض
في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل

وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد اي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه
الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر
من الاحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار ببهجتها كما في قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الاية
او للاستشهاد على تحقيق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب
عليه من اثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر قيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة
ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد
وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع
ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة
ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويتهيأ لان
ينفرد من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرة كان
لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الاثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى
لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال
يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون
ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر
على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا وما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه
كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر
من الاثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسنادها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين
ان يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى او شؤون اثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى افمن
شرح الله صدره للاسلام الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب
وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق
بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روي انه عليه
السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق
عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره
اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة
فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الايات
التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسى قلبه وحرج صدره بسبب تبديل
فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الايات بالكلية حتى

لا تتذكرها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى من اجل ذكره الذى حقه ان تنشرح له
الصدور وتطمئن به القلوب اى اذا ذكر الله تعالى عندهم او اياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم
قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اى عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر
من قساوة القلوب في ضلال بعيد من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الاية في حمزة
وعلى رضى الله عنهما وابى لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضى الله عنه وابى جهل وذريته الله نزل احسن
الحديث هو القران الكريم روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه السلام
حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة
عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه تفخيم احسن الحديث ورفع محله
والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه
وحى معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فانه
سائغ مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقا ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه
بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه تتشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على
الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب
نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني
من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل انه يثنى في التلاوة و
قيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد
كرة ووقوعه صفة للكتاب باعتبار تفاصيله كما يقال القران سور وايات ويجوز ان ينتصب على التمييز من
متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائل اى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصيصه بالصفة والاظهر انه استئناف مسوق لبيان
اثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار
اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا
ودالا على معنى زايد يقال اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه
بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها
لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وقوارع اياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية
تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا
بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اى الكتاب الذى شرح احواله هدى الله يهدى به
من يشاء ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقيقة و
دلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل اى يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه

عما

عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من
ورطة الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من
عباده ومن يضلل اى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه
بشيء قط افمن يتقي بوجهه الى اخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدى والضال
والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذى مر في نظيره والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه ان يتقي
نفسه بوجهه الذى هو اشرف اعضائه سوء العذاب اى العذاب السيء الشديد يوم القيمة لكون
يده التى بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة على عنقه كمن هو امن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه
من الوجوه وقيل نزلت في ابى جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة
الماضي للدلالة على التحقيق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل
عليهم بالظلم والاشعار بعلية الامر وقوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا
على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من
من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروى اى كذب الذين من قبلهم من
الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التى لا يحتسبون
ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزى اى الذل والصغار في الحيوة الدنيا كالمسخ
والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر
لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اى لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل كان من شانهم اى يعلموا يحتاج اليه الناظر في امور
دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا حال موكدة من هذا على ان مدار التاكيد
هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذى عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه
فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة
على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد لمثل من الامثال القرانية بعد بيان الحكمة
في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى
مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني
للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التى هى العمدة في التمثيل وفيه صلة لشركاء كما قيل انه
خبر له وبيان انه في الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا والوصف
هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثل المشرك
حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه
في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اى وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اى خالصا لرجل
فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر سلم

له كذا اى خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل
لانه افطن لما يجرى عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على ابلغ وجه
واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم فى الحكم
بتباينهما ضرورة ان احدهما فى اعلى عليين والاخر فى اسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول
وانتصاب مثلا على التمييز اى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد لبيان الجنس
وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان فى الوصفين
على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من
نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة
موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين
مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب
وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون
ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول
الله صلى الله عليه وسلم موته اى انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالك اموركم
تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التى من جملتها ما فى تضاعيف
هذه الايات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة والعناد وقيل
المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم
ممن كذب على الله فانه اى سوق لبيان حال كل من طرفى الاختصام الجارى فى شان الكفر والايمان
لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب
بالصدق اى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه اى فى اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل اليس فى جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين
افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
فى الضماير السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا والذى جاء
بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد
فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن جنس الرسل المتناول
للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به
وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجئ بالصدق
والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى التى هى اجل الرغايب وقرئ وصدق
به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به

اى

اى بسببه لان ما جاء به من القران معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صدق به على البناء للمفعول لهم
ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم فى الاخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم فى الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه
من جلب المنافع ودفع المضار فى الاخرة لا فى الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات و
الامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذى ذكر من حصول كل ما يشاؤنه
جزاء المحسنين اى الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم
اسوء الذى عملوا الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لهم فى الاخرة باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير
المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم فى الاخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل
باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتى كان فى معنى
الوعد به كما مر فى قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه فى
معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول
المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوء الذى عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذى
كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام
واضافة الاسوء والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من
اضافة الشئ الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما مطلق
الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما فى قولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان خلا
ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هى فى الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام
سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثانى بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من
استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن فى الاول بناء
على ان تخصيص الاسوء بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوء لتكفير
الشئ لكن لما لم يمكن ذلك فى الاحسن كان المحسن نظمهما فى سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتى الماضى
والمستقبل فى صلة الموصول الثانى دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة
اليس الله بكاف عبده انكار ونفى لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق و
الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم فى الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول
صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر
بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكاف عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة
فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا
نخاف ان تخبلك الهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفى رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك
منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك
بالذين من دونه اى الاوثان التى اتخذوها الهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله

حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما
ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض
لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من
اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي
هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اي او ان
ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما
ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه
معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير
ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم
بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم
فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني
عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله
عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش
والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه
ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل
لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند
الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على
البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت
المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا
كمية وما روي عن ابن عباس ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل
والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب
مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الاخرى لآيات عجيبة
دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة
بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها ولا يعتريها ما من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها

فقط

فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء اجلها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله
من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع
والاستقباح والتوبيخ عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن
ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء
وذلك اظهر المحالات فالمقدر ح غيره ما قدرا ولا دخل اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة
المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور
عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها
لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله
تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتاكيد اي له الملك وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من
اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل
يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت
ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه
فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان
حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه
والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل
في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة
والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستانف مسوق لبيان اثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى
الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به
من سوء العذاب يوم القيامة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد ولات حين
مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي
ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين
تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا
اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم
القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا

اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اى على علم مني بوجوه
كسبه او باني ساعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة اى محنة وابتلاء له اتشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير
السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين للكرامة
وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله تعالى انما اوتيته على علم لانها كلمة
او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون
به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء ما كسبوا وسماه سيئة لانها في مقابلة سيئاتهم جزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء
المشركين ومن للبيان او للتبعيض اى افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب
اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اى اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم
بمعجزين اى فائتين اولم يعلموا اى قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن
يشاء ان يبسط له ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس
عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من
الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
اى افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القران الكريم
لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن
يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل
بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي
عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف
بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي
من اسباب النزول الدالة على ورود الاية فيمن لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على
المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك
الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس
المدعى ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي
الوعيد واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اى القران او المامور به دون المنهي عنه والعزائم دون
الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم

العذاب

العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركوا وتتأهبوا له ان تقول نفس كراهة ان تقول والتنكير
للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر
تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ
يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اى احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اى
بما فرطت وقصرت في جنب الله اى جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب
وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اى المستهزئين بدين
الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اى فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق
لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون
من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته
وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه
قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب
الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل
العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة
او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية او مفعول ثان
لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبل
من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اى من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم
مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اى ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة
تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب اى ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي
هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة
لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اى نجا منه والباء
للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اى ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم
اى بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اى ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم
كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام
المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة
الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات والارض
لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال
والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته

اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات
والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق
لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين
كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها ما ينبئك الايات القاطعة
بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض
فتدبر قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الايات غير الله اعبد وتامروني
اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم
ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله
تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تامرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف
الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان
بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان
يكون من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله
تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف
المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن
من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق
قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق بشؤونه
الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية
عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة
على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة
ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار
المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت
بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ
مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون

مابعد

ما بعده وما اعلا من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى
فصعق من في السموات ومن في الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية
واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان
الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل
بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما يسمى الظلم ظلمة وفي حديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض
او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب للحساب
والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس
عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة و
المؤمنين والمستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم
وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف و
الاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع
زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من
جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت
دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ
الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل
المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره انفا اي فبئس
مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق
كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل
سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو
الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من
فنون الكرامة ما لا يحدق به نطاق العبارة كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام
عليكم من جميع المكاره والالام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعم فادخلوها خالدين

كان مكان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم
من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اى يتبوأ كل واحد منا فى اى
مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة
وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اى حوله ومن مزيدة او للابتداء يحقوق
يسبحون بحمد ربهم اى ينزهونه تعالى عما لا يليق به متلبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى
والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى
لذائذهم هو الاستغراق فى شؤونه عز وجل بالحق اى اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اى على ما قضى
بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلة التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم والملائكة وطى
ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم
يوم القيامة اعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرى بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم للالتقاء الساكنين
او نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام
فيه وقوله تعالى تنزيل الكتاب كالذى سلف فى الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما فى مطلع سورة
الزمر فى الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتى العزة والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذى الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة
فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده والشديد عقابه بحذف
اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعل الزجاج مشوش للنظم وتوسيط
الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد
او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من
الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق
وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلى
على طاعته فى اوامره ونواهيه اليه المصير فيجازى كلا من المطيع
والعاصى ما يجادل فى ايات الله اى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين امنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة
منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية و

وتوضيح

وتوضيح مناهج الحق فى مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم
الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا فى القران كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء فى قوله تعالى
فلا يغررك تقلبهم فى البلاد لترتيب النهى او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شئ
امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والاخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر باقبالهم فى حظوظ
الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم
قوم نوح والاحزاب من بعدهم اى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود و
واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرى برسولها لياخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا
به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذى لا اصل ولا حقيقة له
ليدحضوا به الحق الذى لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر
فكيف كان عقاب الذى عاقبتهم به فان اثار دمارهم عبرة للناظرين ولاخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم
فى الطريقة واشتراكهم فى الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اى كما وجب وثبت حكمه
تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به
وجب ايضا على الذين كفروا اى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم
الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التى من
جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن
الامم المهلكة فى قوله تعالى انهم اصحاب النار فى حيز النصب بحذف لام التعليل اى لانهم مستحقو اشد العقوبات
وافظعها التى هى عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام
كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل فى محل
الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب
النار اى كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الاخرة
ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم
اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له
وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان
اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم فى
الدارين اى ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل متلبسين بحمده على نعمائه التى لا تتناهى ويؤمنون به
ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله و
الاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فان المشاركة فى
الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك

وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم واشعار بوقوعه عند الله
تعالى موقع القبول روى ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم
خشوع لا يرفعون طرفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة
فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق
راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملائكة
ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء بين
القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قيل حول العرش سبعون الف صف قيام قد
وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان
على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر ربنا على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه بيان
لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق
في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هنا والفاء في
قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب
الدعاء على ما قبله من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد
ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم
اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة
وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي ادخلها معهم هولاء ليتم سرورهم ويتضاعف
ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى ح للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص
بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا اعلاء درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنة
فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال
ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة و
استغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى
لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب
الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم اي الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز
الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات
على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او تخصيص بالاتباع او المعاصي في الدنيا فمعنى قوله تعالى ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تق المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم طلبوا لهم السبب بعد ما
سالوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر
مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع
في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من مكان

بعيد

بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت
بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض
وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان
فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين
واستحبابا لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول
وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر اخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل
مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الاخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب
من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الان اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون
وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين
على انهما مصدران لهما بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن
الموت والحياة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول
من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ
قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء اجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم
الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك
بعد الحياة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا
وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم
الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا لما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها
وانقطاع اثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم
فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة
من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه بقولهم
فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له ياس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب
في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول
فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى
مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو
الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي
من سبيل ما كيف كان وقوله تعالى ذلكم الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة
اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشأن اذا دعي الله

في الدنيا اي عبد وحده اي منفرد كفرتم اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا
فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال
سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما يقتضيه الحكمة العلي الكبير
الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم
بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم اياته الدالة
على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه
بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر
وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من اثار رحمته وجلائل
نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم
الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الايات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب
الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة
لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين
اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب
انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات خبر ثالث
على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون
من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم
الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران اخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم
سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع
معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة
قدرته مما يقتضي بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز
المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر اخر لما
ذكر مبني عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي
ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به
الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشيا ومبتدأ من امره او صفة له على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في
قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته
وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول
عليه السلام او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم
التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السماء والارض او هو المفعول الثاني

اتباعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول
ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم
شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم
لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا
من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم
واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع
من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستانفة او مستانف يقع جوابا عن
سؤال نشا من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد
لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق
يوم القيامة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي
مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات
المجازية واختصاص جميع الافعال بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب
لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى
يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر
لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله
تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه انه تعالى
اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان
كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون
تعليلا للانذار وانذرهم يوم الازفة اي القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا
بضيق الوقت وقيل الخطة الازفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في
قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم
الازفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين
على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار
ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال
مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع
يطاع اي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره و
الضماير ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل
الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين

على أنها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والأسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على
أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو
حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لأن الجماد لا يقال في حقه يقضي
ولا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا أو على إضمار قل إن الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة
الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه أولم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أي مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة للرسل
كعاد وثمود وأضرابهم كانوا هم أشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وإنما جيء بضمير الفصل مع
أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ
أشد منكم متقلدا سيفا ورمحا فأخذهم الله بذنوبهم أخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق أي من
واق يقيهم عذاب الله ذلك أي ما ذكر من الأخذ بأنهم بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
أي بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة فكفروا فأخذهم الله إنه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين أي حجة قاهرة
وهي إما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين وإما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها
تحت الآيات لتفخيمها كإفراد جبريل وميكائيل بالذكر مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام إلى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب أي فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم
بالحق وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا كان فرعون
قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا
وزعما منه أن يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكهم على يده وما كيد الكافرين إلا في ضلال أي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا
محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام إما للعهد والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالكفر والإشعار
بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم
من الأباطيل للمسارعة إلى بيان بطلان ما أظهروه من الإبراق والإرعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون
ذروني أقتل موسى كان ملؤه إذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه فإنه أقل
من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة وبقولهم إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة و
واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت إلى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين
ونكارته أنه قد كان استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف إن
هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وإيهاما أنهم الكافون له عن قتله ولولاهم
لقتله وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى وليدع ربه تجلد منه وإظهار لعدم

المبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه إني أخاف إن لم أقتله أن يبدل دينكم أي يغير ما أنتم عليه من
الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم إليه أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد دنياكم
من التحارب والتهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع
الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون وقال موسى أي لقومه
حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
صدر عليه السلام كلامه بأن تأكيدا له وإظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم
الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنهما الذي يستدعيه وإضافته إليه وإليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به
تعالى والتوكل عليه فإن في تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف
يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عدت بالإدغام
وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان إسرائيليا
أو غريبا موحدا يكتم إيمانه أي من فرعون وملئه أتقتلون رجلا أتقصدون قتله أن يقول لأن
يقول أو كراهة أن يقول ربي الله أي وحده من غير روية وتأمل في أمره وقد جاءكم بالبينات والحال
أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم إضافة إليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك
كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
أي إن لم يصبكم كله فلا أقل من إصابة بعضه لا سيما إن تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف
وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو
بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك
أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لما أن مراده بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى إلى البينات ولما
أيده بتلك المعجزات وثانيهما إن كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الثاني
وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني إسرائيل في الأرض أي أرض مصر
لا يقاومكم أحد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من أخذه وعذابه إن جاءنا أي فلا تفسدوا
أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض
إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وإيذانا بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل
ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما أريكم أي ما أشير عليكم
إلا ما أرى واستصوبه من قتله وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد أي الصواب أو ما أعلمكم إلا ما أعلم
ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار

احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور
عن السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذى امن فى طلب لقومه يا قوم
انى اخاف عليكم فى تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعنى وقايعهم
وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود اى مثل جزاء ما كانوا عليه من
الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا
يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لان المنفى
فيه ارادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الاولوية ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروى
بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او
يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكى فى سورة الاعراف
وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك
اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون
بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا يا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اى
منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل انفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من
عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف
هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد
وقيل سبط يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
الواضحة فما زلتم فى شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك
فى رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث كذلك مثل ذلك الاضلال
الفظيع يضل الله من هو مسرف فى عصيانه مرتاب فى دينه شاك فيما يشهد به البينات لغلبة
الوهم والانهماك فى التقليد الذين يجادلون فى ايات الله بدل من الموصول الاول او بيان له
او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق
بيجادلون اى بغير حجة صالحة للتمسك بها فى الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند
الذين امنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ
وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اى مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين
قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا اى بناء مكشوفا عاليا
من صرح الشىء اذا ظهر لعلى ابلغ الاسباب اى الطرق اسباب السموات بيان لها وفى ابهامها ثم
ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجى

وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التى هى
اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى عليه
السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى
السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه وانى لاظنه كاذبا
فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك
فيه انهماكا لا يرعوى عنه بحال وصد عن السبيل اى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى
ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب اى خسار وهلاك وصد على
انه من صد صدودا اى اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه
عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اى هو وقومه وقال الذى امن اى مؤمن ال فرعون وقيل
موسى عليه السلام يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اى سبيلا يصل سالكه الى المقصود
وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغى والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اى
تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس
كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال وان الاخرة هى دار
القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل فى الدنيا سيئة فلا يجزى فى الاخرة الا مثلها عدلا من الله
سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا
مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه
وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجوة وتدعوننى الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح به الكلام هو
دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبرونى كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعوننى
الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لى اراك حزينا اى ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعوننى لاكفر بالله
بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به بشركته له تعالى فى المعبودية
وقيل بربوبيته علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف
عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه
اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى
حق ووجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها
وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من

ذلك لا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد
اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم
لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اي بالموت
عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك
وسفك الدما هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا
توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون
اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك
وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر لمبتدأ محذوف كان قائلا
قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال
منها او من الآل ولا يشترط في تحقق ان يكون تحقق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان ال فرعون
لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما
يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان
عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم
كما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت
الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه
اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا
من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك
وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا
كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي
دافعون عنا نصيبا الخ او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الخ او نصب على
المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غنى فكذا ذلك
نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن
انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعلها حالا

من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك
ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه
وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة
جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم
فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة وطغاتهم او لكون الملائكة الموكلين
بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم
او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر
من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه
في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امنيتهم قالوا اي
الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على
الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيل
اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قوله قال فقد جئنا
خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا
وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء
ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم
في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي
ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى
لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان شأننا المستمر
انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل
والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة
انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار
بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والاخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة
بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ
لا ينفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد اتينا موسى الهدى
ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين
بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله و

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الحق
بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون
واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك
واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودام على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى
قيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا
لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة
اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل
مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم
الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا
ارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال
ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال
مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون هم
اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال
يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله تعالى فيرجع
الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ
اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع
البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق و
تبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم
لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت
وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته
للمحسن فيما له من الفضل او الكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه الاعمى والبصير لتغاير
الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات
اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او للكفار ان الساعة لاتية
لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي

اعبدوني

اعبدوني استجب لكم اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار
عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي
الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره
مرارا والنهار مبصرا يبصر فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران
بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار
مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله
الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن
عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب
الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد باياته تعالى اي اية كانت لا افكا اخر له وجه ومصحح في الجملة
الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله
المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في
فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب
القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران
لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه
في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه انا لانعدم بالكلية هو الحي
المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه
فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي
الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على
اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي من الحجج والايات او من الايات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الايات التنزيلية
مفسرات للايات التكوينية الافاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي بان انقاد له
واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق ادم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا
والافراد لارادة الجنس او الارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة
على علة اخرى له مناسبة لما كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة و

والفعل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله
طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا
متعلق بفعل مقدر بعده اى ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك
ولعلكم تعقلون ولكى تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذى يحيى الاموات ويميت
الاحياء او الذى يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اى اراد امرا من الامور فانما يقول له
كن فيكون من غير توقف على شئ من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى في المقدورات
عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور
والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى
الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وارائهم الركيكة و
وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القران وسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد
عليه كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بيان لابتناء جدالهم على
شئ فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اى انظر الى هؤلاء
المكابرين المجادلين في ايات الله تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف
يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب اى بكل القران او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل
الجر على انه بدل من الموصول الاول او في محل النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى
بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضى للدلالة
على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به
رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحى والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال
والتكذيب عندما شاهدوا عقوبته اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال
ولفظ الماضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار في نية التاخير وقيل مبتدأ حذف خبره
لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اى يسحبون بها وهو على الاولين
حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه
قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون
بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى
لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به
ثم في النار يسجرون اى يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق
كانه سجر بالحب اى ملئ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع العذاب وينقلون من باب الى باب
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اى يقال لهم ويقولون وصيغة

الماضى

الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم
نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم
لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اى مثل ذلك
الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شئ ينفعهم في الاخرة او كما ضل عنهم الهتهم
يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اى تبطرون
وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر
والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اى ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون
دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق
كائن لا محالة فاما نرينك اى فان نريك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون
الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك
فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة
اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة
واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بنى اسرائيل
واربعة الاف من سائر الناس وما كان لرسول اى وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتى
باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته
مشيته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان
المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب وتعذيبه في الدنيا والاخرة قضى بالحق بانجاء المحق واثابته
واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اى وقت مجئ امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون
اى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذى
جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اى خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها
تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها
اى تعلقهما بها وقيل للتبعيض اى لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل
مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل
منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع
اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من
بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر

فضل عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر
وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن للعلم ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل
منها وللعلم ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان بعضها يتعلق
به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها تعم
البقر ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي ايات الله اي فاي اية من تلك الايات
الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب
اي واضافة الايات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكيره اي هو الشائع المستفيض
والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب
وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استيناف مسوق لبيان
مبادي احوالهم وعواقبها واثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي
اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم
او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالايات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم
اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة وشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم
بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذين اظهره رسلهم على ان
معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل
الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي
الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا
شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون
الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله ولذلك
قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون
بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة
وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما
ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام
والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان
مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى اخره هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما
راوا باسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان
الاختياري سنت الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من

المصادر

المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد
استعير للزمان كما سلف انفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح
نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا تنزيل وهو على الاول
خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق
به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر اخر او تنزيل مبتدأ
لتخصيصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل
الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت اياته ميزت بحسب النظم والمعنى
او جعلت تفاصيل في اساليب مختلفة متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد
ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الايات
والمقاطع من قولك فصل من البلد فصولا قرانا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصيصه
بالصفة او من اياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم
المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرانا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان
من الرحمن الرحيم ليست بصفة له وبفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرانا اي بشيرا لاهل
الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من اياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب
او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر
وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته
اياهم الى الايمان والعمل بما في القران قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ
يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما
من المسافة المتوسطة ولم يبق ثم فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق و
قبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام
فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك
والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب
عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال و
الاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث اخبرنا

جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه
السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه
العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل و
شواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي
الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد
والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين
ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة
لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة
حيث قيل وهم بالاخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية
والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون
الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من
الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون
في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير
ممنون اي لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت
في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار
وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد
واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم
بالموصول حيث قيل بالذي خلق في يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي
بالعظيم الشان الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على
ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية
السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في
حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد
اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين
وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق
جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخص مخلوقاته
ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابداعي ومرتبته

الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة
الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه
فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقيق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف
اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل الى اخره وقيل هو كلام مستانف
واياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة
لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد
الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها
الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي
لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها
في اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اي قدر حصولها في يومين وانما قيل في اربعة
ايام اي تتمة اربعة ايام تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة للايام اي استوت سواء كما
ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء للسائلين
متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها
اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء
شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض و
اهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر و
الطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان اي امر ظلماني عبر به عن
مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء كما سيأتي وانما خص
الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال
لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود
ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق
ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومامور
كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما
من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اي طائعين او كارهين
وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اي منقادين تمثيل لكمال تاثرهما بالذات عن القدرة الربانية
وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع
منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب
كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه
لا انه فعل مرتب على تكوينها اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والفخر

اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر
بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة
ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل واوحى في كل سماء امرها عطف على قضاهن اي خلق
في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي قالوا في
عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها او
امره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور واياما كان فعلى
ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما
الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على
معانيها الظاهرة فيها وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدللن على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء
وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض
على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء
فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق
منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم
عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض
مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها موخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
ولما روى عن الحسن رضي الله عنه من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس امثال الفهر عليها
دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك
الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل
معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا
ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه
كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الاتيان
ليس مجرد جرم الارض حتى يتاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها
قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقين على
الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب
حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا
يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يحمل الارض في قوله تعالى والارض

بعد

بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء
السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة
على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح
الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روى عن الحسن رحمه الله نصا في تاخر دحو الارض
عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو ولا دلالة في
ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء مقدم على
ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بايتائهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق
والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق
السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح
اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك يتمشى الكلام
في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير
كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها
كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله
تعالى وحفظا مصدر موكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا
وقيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك الذي ذكر بتفاصيله تقدير العزيز العليم البالغ
في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر
من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم اي انذركم وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صاعقة اي عذابا شديد الوقع كانه
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق
او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم
الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله
صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن
خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى
فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل
المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء
انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من
قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى الا تعبدوا الا الله
اي بان لا تعبدوا ان ان مصدرية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء ربنا اي ارسال
الرسل لانزل الملائكة كما قيل فاء عار عن افادة ما اراده من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف

ومن خلفهم

لانزل ملائكة اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل انا بما ارسلتم به اى على زعمكم وفيه
ضرب تهكم بهم كافرون لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى ان اباجهل قال فى ملأ من قريش قد
التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره
فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على
فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم
آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة
زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم قوله
تع مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج
الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك
عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشىء والله ما هو بشعر ولا كهانة و
لا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال
شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا فى الارض شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة
من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اى فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا
فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اى بغير استحقاق للتعظيم والولاية وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم
من اشد منا قوة حيث كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة
من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اى اغفلوا اولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان
ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اى قدرة فانه تع قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى
على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى على كل قوى وقادر وايراد الموصول فى خبر الصلة خلقهم دون
خلق السموات والارض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على
الرسل يجحدون اى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تع وقالوا وما
بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى باردة تهلك وتحرق بشدة
بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض او عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير فى ايام
نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه
نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا
يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى
الايام واضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تع
ولعذاب الآخرة اخزى وهو فى الحقيقة وصف للمعذب قد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية

وارسال

وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تع هدى
للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى
اى اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا
الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة اثر
بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله تع لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب
وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتى من قوله تع فى امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار
اى الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار و
التعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون
على شفيرها ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما مر
فى قوله تع يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تع فهم يوزعون اى يحبس اولهم على
آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تع حتى اذا ما
جاؤها اى جميعا غاية ليحشروا او ليوزعون اى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة
بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من فنون الكفر و
المعاصى بان ينطقها الله تع او يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله تع عنهما ان
المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تع وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به
السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اى سألوها سؤال
توبيخ لما روى انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة
جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تع قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء لوقوعها فى موقع
السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اى انطقنا الله الذى انطق كل ناطق واقدرنا على بيان
الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا
الله الذى انطق كل شىء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب
فالمعنى ح ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم
ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة
بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع
على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تع وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية

ما سيقال لهم يومئذ من جهته تع بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اى كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم
الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم
جاحدين بالبعث والجزاء راسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة
ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تع لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند
صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان
وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تع وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي ح يكون خاصا بمن كان على ذلك
الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه
كما في قوله تع يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر
من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تع ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبر فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء
الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار
مثوى لهم اى محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء
حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غاية دركات
النار وان يستعتبوا اى يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين
المجابين اليها ونظيره قوله تع سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اى قدرنا وقرنا
للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اى اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض
وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا
واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اى ثبت
وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تع لابليس فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تع اذهب فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين
كما مر مرارا في امم حال من الضمير المجرور اى كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان
المراد باعداء الله تع فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت
صفة لامم اى مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خا سرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين
لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اى لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ
بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اى تغلبونه على

قراءة

قراءة فلنذيقن الذين كفروا اى هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون
فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اى جزاء سيئات اعمالهم
التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها
محبطة بالكفر وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تع
جزاء اعداء الله خبره اى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تع وقوله تع النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر
مبتدأ محذوف اى الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تع
لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اى هي بعينها دار اقامتهم على ان في التجريد و
هو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على
معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدو ن
منصوب بفعل مقدر اى يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تع فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اى بسبب
ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون
فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين
لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير
حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا
اى ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اى ذلا ومهانة ومكانا
ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء
حال الكفرة فيهما اى قالوه اعترافا بربوبيته تع واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اى ثبتوا على الاقرار
ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة من جهته تع يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع
عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل
تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي
القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم
يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا اى ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل
المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تع كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا و
ان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اى يقولون
لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا اى سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا
على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تع نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا

الح من بشاراتهم في الدنيا اى عوانكم في امورکم نلهمكم الحق ونرشدکم الى ما فيه خيرکم وصلاحكم ولعل ذلك
عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان يكون ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم بواسطة
الملائكة وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام
ولكم فيها اى في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء
بمعنى الطلب اى تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر
وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي الاشباع في البشارة والايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الامور كالنزل للضيف ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله اى الى التوحيد تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق
ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اى مذهبه
لانه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة جملة مستانفة سيقت لبيان
الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين
ومقابلة اساءتهم بالاحسان اى لا تستوى خصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة
الحسنة اى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان
الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك
وضع موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور
اى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اى ما يلقى هذه الخصلة والسجية
التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اى شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال
النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو
شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ و
وصف للشيطان بالمصدر اى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل
ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة
الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق ومن مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة
ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر
للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها

وهو

وهو السر في نظم الكل في سلك آياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من
تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رح عندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا
عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما وهم لا يسأمون لا يفترون
ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من
الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت لان
النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات
وقرئ ربأت اى ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء
التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون
في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى
في النار خير امن يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء
في النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو خبر السابق وقيل مستأنف و
خبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده خبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اى كثير المنافع
عديم النظير او منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى
تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين
السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفة
على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال في شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك
الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك و
باعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا
لولا فصلت آياته اى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى أأعجمي وعربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي
يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري والمعنى أكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه
عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين المخاطب به
لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اى أكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على الاخبار
بان القرآن اعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام
العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والافهام واياما كان فالمقصود بيان ان آيات الله تعالى على اى وجه جاءتهم و
وجدوا فيها متعنتا قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين

لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر اي على التقدير هو اي القرآن في آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا
من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ
والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على
عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم اولئك
اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما ثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون
بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان
بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد
آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للامم
غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف
فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت
من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم
القيامة نحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستئصال المكذبين
كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب اي من القرآن وجعل الضمير
الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه
يعمله اي فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد
علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله تعالى وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي
من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف
الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة
معطوفة على الساعة من مبنية بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء
الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم
وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما
مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة
اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو
قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب
بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا واعتقادنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه

من نفوسهم فكأنهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي
يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص
مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤوس قنوط فيه من مبالغة من جهة
البناء ومن جهة التكرير ومن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء
من فضل الله ورحمته وهذا وصف غالب افراده لما ان اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وقد صرح به ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي
لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سيأتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها
ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان
نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر
تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وقوله تعالى انما بغيكم على انفسكم في سورة يونس
ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر
ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في
جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا
مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطول
اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض
البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شأن الكل في بعض الاوقات قل ارأيتم اي اخبروني ان كان
اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا اي مع اضلهم
موضع الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما اخبرهم النبي عليه السلام من الحوادث الآتية
وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد
المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي
في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق اي في اقطار السموات
والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار
وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة
كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك
انه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم اي القرآن
او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج

الى ارادة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم يغن
ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا يجاد يزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شىء شهيد بدل منه اى الم
يغنهم عن ارادة الآيات الموعودة المبينة لحقية القران ولم يكفهم فى ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر
بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى انفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد اى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته
فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق منزل من عنده ولو لم يكن لذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل
واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شىء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلاله منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود تردد
قوله تعالى الا انهم فى مرية من لقاء ربهم اى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح فى ان عدم الكفاية
معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهى لغة فيه الا انه بكل شىء محيط عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها
وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل لتناسب سائر الحواميم
وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدا وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى
كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة
موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى
الحق وان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف فى حيز النصب على
انه مفعول ليوحى على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى
الثانى الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل اى مثل ما فى هذه
السورة من المعانى اوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه
من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحى اليك
عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغاير له كما فى قوله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية
للايذان باستمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى
وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على
البناء للمفعول على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله
مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله العزيز الحكيم صفتان له او مبتدا كما فى قراءة نوحى والعزيز

وما بعده

وما بعده خبران له وعلى الوجوه الثلاثة فقوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وذلك
مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية
وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى للدلالة على التفطر
من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الارض حين اثرت فى جهة الفوق فلان تؤثر فى
جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به
ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا فى ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن
والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما
فى قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق
الا وهو حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه
وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه
يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد
الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه
امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ذلك اشارة الى المصدر اوحينا و
محل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم
اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى
هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اى
اوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين لتنذر ام القرى اى اهلها وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر
يوم الجمع اى يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فيه الارواح والاشباح وقيل
الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الاول
واول مفعولى الثانى للتهويل والايهام للتعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه
اعتراض مقرر لما قبله فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم
يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم
اى وتنذر يوم جمعهم اى متشارفين للتفرق او متفرقين فى دار الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم
اى فى الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس فى قوله على دين واحد فمعنى
قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء فى رحمته انه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء
ان يدخله فيه ولا ريب فى ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لمدخله ومن
ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم

مستغفرا

متفرقين

ونفي ولعل قيل والظالمين ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب
سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله تعالى
على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء
الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين
في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل
مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ
تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد
في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين
هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان
لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن
يدخل من يشاء في رحمته اي شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم
الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون
فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم
من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي ولا نصير وام
منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه
وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك
فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها هيهات
وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا
اولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شأنه ذلك وهو على كل شيء قدير
فهو الحقيق بان يتخذوه وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله
وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري
خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان
التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية
صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية اشتبهت عليكم فارجعوا في
بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف
فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا
على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر

لمبتدأ

لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله
وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح قد مر سره ومن الانعام ازواجا اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا
يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه اي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد هو المنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من
جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا
نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته
صفة وهو السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اي خزائنهما يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما يقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم
مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى والايذان بان
ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا
قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه الصلاة والسلام اي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده
من ارباب الشرائع واولي العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا مؤكدا على ان
تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد
اليهود في شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مأمور
بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول
الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه اليه
عليه الصلاة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا الآية او ما يعمهما وغيرهما مما وقع في
سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام
بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في
الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة
لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام
للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو
توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته
تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ والمواظبة عليه او التشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل
من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك

فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايجاب الى النهي
على الصلوة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم الصلوة
والسلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الظاهر انه متوجه الى امته صلى الله عليه وسلم وانهم المتفرقون
كما سيحيط به خبرا اى لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب
اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين
شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اى عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من
التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب
وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة
اى الله يجلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه
قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا
شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس
هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا
في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول
الله صلى الله عليه وسلم من القران من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلوة والسلام
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من
الاحوال الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا
كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيامة لقضي بينهم لاوقع
القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب
الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا اى وان
المشركين الذين اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القران مريب
موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل
الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا الامم الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد
نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام
فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة
واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم و
ذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان
مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم
لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهم لا
دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلوة والسلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن

التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق الامم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك فلذلك اى فلاجل ما
ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القويم بان يتنافس فيه المتنافسون
فادع اى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب و
شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من
التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع
واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما
امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب كان من الكتب المنزلة لا
كالذين امنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتاليف لقلوب
اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في
تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم ولا اكرم بما
لا اعلم ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف
اى امرت بذلك لاعدل او زائدة اى امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اى خالق الكل
ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم اثارها لنستفيد بحسناتكم
ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة
ولا فيها فائدة ولا محل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم
وهذا كما ترى محاجة في مواقف المجادلة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال
والذين يحاجون في الله اى في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير
عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه السلام بنصره او من بعد ما
استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنعوته عليه الصلوة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلوة والسلام
وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى
بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم
على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله
الذي انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد و
الاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل
الامر به او الة الوزن وما يدريك اى اى شيء يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق
قريب اى شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى
انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي توزن فيه
الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هي
ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين امنوا مشفقون منها

خايفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج
ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم
يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم
من فنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون يرزق من يشاء اى يرزقه كيفما يشاء فيختص
كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر القدرة الغالب
على كل شي العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث في الاصل القاء البذر في الارض
يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال
الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له في حرثه
نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها
وطيباتها نؤته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب
اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل ألهم شركاء من
الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار
البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد
الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة
الفصل اى القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اى بين الكافرين
والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى
ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب
الآخرة ترى الظالمين يوم القيامة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص
برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله لاحق
بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه
من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك
اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته اى المشار اليه هو الفضل الكبير
الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله عباده اى يبشرهم به فحذف
الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره
الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روى انه اجتمع
المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم
على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اى الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا

اهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اى الا المودة
ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول
الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت
الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا
اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة اى يكتسب اى حسنة كانت
فيتناول مودة ذوي القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المرادة قيل نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم
نزد له فيها اى في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور
لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى محمد
على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه
الصلوة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله تعالى الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشأ
الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك
قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء على الله تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم
بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره
عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه و
حيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك
من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله
عليه الصلوة والسلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على
قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى قول من قيل
لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل و
سقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اى ومن عادته تعالى
انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء
كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت
والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور
فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هي الرجوع
عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين

واما التوبة فقال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم و
اذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل
كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من
خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم
والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله
او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم
تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون
لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه جبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز
الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء اي ينزله ما يقتضيه مشيئته
انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم
فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما يقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم
لهلكوا وقيل ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا
انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرئ ينزل من
الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ
بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد
المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن اياته خلق السموات والارض على ما هي عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها
تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق الاسم المسبب
على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا
بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى و
يخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه
كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق
ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما
قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا القدرة واذا عند كونه بمعنى الوقت كما تدخل
الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم
التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية

ويعفو عن كثير

ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر
منها تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها
كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية
في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي بها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن
الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير
متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيئته
تعالى لايات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على كثير من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس
نفسه عن التوجه لما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في ايات الله تعالى والتفكر في الائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه
صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها
فيغرقن بعضها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى و
يعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج اخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله اية
للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على
يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاعها
تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول و
للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لا لغيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا معنى الشرط من حيث
ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر
رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس و
الفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين امنوا او مدح بالنصب او الرفع
وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم و
عن ابن عباس كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى بينهم لا ينفردون
برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما
رزقناهم ينفقون في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعل الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف
لهم بالشجاعة بعد وصفهم بساير امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع
ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب والهوان اللئام مذموم فانه
اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى

مفر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من
الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة
لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من تنزلت
به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب
الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعدما ظلم وقد قرئ به فاولئك
اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة انما
السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق
اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب
ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلم ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر
من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان
بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه
من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق
يقولون هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على
النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتاتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين
متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم
واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيامة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين
يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم
او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا
يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم
الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة
مرد او من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي
انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم
حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلوة والسلام
اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ و
وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس
لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ
الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد

هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد
الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير
الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام
في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله
ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيفما شاء ومن جملته ان يقسم النعم
والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلمه ومما لا تعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور
منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا فالواو
معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال
العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين
ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به
مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاد والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب
ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين
ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء
عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين
انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي وما صح لفرد من افراد
البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى
ام موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في
صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى
او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء حجاب يسمع صوته ولا
يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل
رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى
وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلوة والسلام
في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من
وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ
او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه
ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لم ينظر موسى عليه
السلام الى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت
اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى
وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما

وانا خطأ وكذلك اى ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذى هو للقلوب
بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله
اليه بالوحى ما كنت تدرى قبل الوحى ما الكتاب اى اى شئ هو ولا الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب
من الامور التى لا تهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب
فيه قطعا ولكن جعلناه اى الروح الذى اوحيناه اليك نورا نهدى به من نشاء هدايته من عبادنا وهو
الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدى تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول
لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور اى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو
الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من
الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذى له ما فى السموات وما فى الارض لتفخيم شأنه و
تقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما
يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اى امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى
الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق
كان ممن يصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا
السورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على
تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى
تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين اى البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين
لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه من ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب
للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون
فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اى جعلنا
ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد
الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه فى ام الكتاب
اى فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اى عندنا لعلى رفيع
القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه
قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم
عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان
بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى بيان شأنه حيث اعجازه ورمز
الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شئ آخر اولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذى انبأ عنه

الاقسام

الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعدما بين علو شان القرآن العظيم و
حقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل
افنضرب عنكم الذكر اى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء
الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اى انهملكم
فننحى الذكر عنكم صفحا اى اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية
منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اى افننحيه
عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان
اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب خالدين لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل
ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة
شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك للتجهيل لهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا
من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه
تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا
اشد منهم بطشا اى من هؤلاء القوم على الاولين ووصفهم بالشدة البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق
الاولوية ومضى مثل الاولين اى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها ان تسير مسير المثل ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه
فى الحقيقة وفى نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه
تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة
قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهدا
استئناف من جهته تعالى اى بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها فى اسفاركم
لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصود
الاصلى والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اى احيينا
بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة
فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم
خطره كذلك اى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون اى تبعثون
من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج
تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس
والذى خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس الازواج الضروب والانواع
كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وكل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت
واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا للانعام على

الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية
كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى تستعلوا على ظهور ما تركبونه
من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها بقلوبكم معترفين
بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله
على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من
اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى
واحد وهذا من تمام ذكر نعمه تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم
وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه
المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله
في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل
بقوله تعالى ولئن سالتهم الخ اى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا
وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور
مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات
ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم
ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما
عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور والالتفات
الى الخطاب لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على
معنى هب انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم
شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى اثركم على
نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين الترتيب لما اعتبر فيهما
من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استيناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا
اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم
ويحكي لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد ان يجانس الوالد
ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة
حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشؤ في الحلية
تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اى ومن شأنه ان يربى في الزينة وهو عاجز
عن ان يتولى لامر بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ
فالهمزة لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده

والعطف

والعطف لتغاير العنوان اى او جعلوا من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اى
الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان عادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله
وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال
والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم
المذكور لكفر اخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا
وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق
الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ
اشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وااشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة
ويسألون عنها يوم القيمة وقرئ سيكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وان
له بنات وانها الملائكة ويسألون من المسألة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن اخر
من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه
حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياه
منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما ان
عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث
جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضى او السخط في
شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه
بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الايات الكريمة من علم يستند الى
سند ما ان هم الا يخرصون اى لا يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه
لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند
من جهة النقل فقيل ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه
فهم به اى بذلك الكتاب مستمسكون وعليه يعولون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مهتدون اى لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد ابائهم الجهلة مثلهم والامة
الدين والطريقة التي تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الام اى
القاصد وقوله تعالى على اثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر كما ذكر من عجزهم
عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم
ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة
هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد
اباءهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم او لو جئتكم اى تقتدون باباءكم ولو جئتكم

معولون خ

باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه اباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وانما عبر عنها
بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحى الى كل نذير لا على انه خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اى قال
كل امة لنذيرها انا بما ارسلتم به كافرون الى اخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه عليه السلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام
والتوجيه لكفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد باجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين
محل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم
المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اى واذكر لهم وقت قوله عليه السلام لابيه
وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله اننى براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان
ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال وليقلدوه وان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف ابائهم وبراء
مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء
بظم الراء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اى اننى برئ من عبادتكم او معبودكم
الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون
الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين اى
سيثبتنى على الهداية او سيهدين الى ما وراء الذى هدانى اليه الى الان والاوجه ان السين للتاكيد دون
التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى ما تكلم
عبارة عنها كلمة باقية فى عقبه اى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه
ويعقوب الاية فلا فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون
علة للجعل اى جعلها باقية فى عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب
عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه ان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها
من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من اهل
مكة واباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد
حتى جاءهم اى هؤلاء الحق اى القران ورسول اى رسول مبين اى ظاهر الرسالة واضحها
بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالايات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه
تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم
ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى
مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا
وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا
القران سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله عليه السلام وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين اى

من

من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اى بالجاه والمال كالوليد
بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمرو الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة
وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من
ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرانيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرانا لنزل الى احد هؤلاء
بناء على ان ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا
انها مرتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمسكون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق
تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد
بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم فى الحيوة الدنيا قسمة تقتضيه
مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم
فوق بعض فى الرزق وسائر مبادى المعايش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما
يقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويستخدموهم ويسخروهم فى اشغالهم حتى يتعايشوا
ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم
لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو فى طرف
التمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم فى تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث
عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين
خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استئناف
مبين لحقارة المتاع الدنيوى ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب
الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا راوا اهله فى سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق
وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اى متخذة بدل
اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها جمع السقف
جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ بسكون القاف تخفيفا
وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة فى سقف وسقوفا ومعارج اى جعلنا لهم معارج
من فضة اى مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اى يعلون السطوح والعلالى
ولبيوتهم اى وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اى على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم
لزيادة التقرير وزخرفا اى زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا اى وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شئ يتمتع به فى الحيوة
الدنيا وفى معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان ان هى المخففة واللام

اى الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائده اى للذى هو متاع الحيوة كما فى
قوله تعالى تماما على الذى احسن والآخرة بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان خير عند ربك للمتقين
اى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا ومن يعش اى يتعام عن ذكر الرحمن
وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى
يعشى اذا كان فى بصره آفة وعشى يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير
متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية و
الشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على
اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع نقيض وانهم اى الشياطين الذين قيض لكل
واحد منهم لكل واحد ممن يعشوا ليصدونهم اى قرناءهم فمدار جمع الضمير باعتبار معنى من كما ان مدار
افراد الضمائر السابقة باعتبار لفظها عن السبيل المتين الذى يدعوا اليه القرآن ويحسبون اى
العاشون انهم اى الشياطين مهتدون اى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون انهم
مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة
حالية من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اى وانهم ليصدونهم
عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة للدلالة على
الاستمرار التجددى لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية
لكنها تقتضى حتما ان يكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير فى جاء وما بعده لان المراد حكاية مقالة
كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى ليستمر العاشون على ما ذكر
من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة
قال مخاطبا له يا ليت بينى وبينك فى الدنيا بعد المشرقين اى بعد المشرق والمغرب اى تباعد
كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اى انت وقوله تعالى
ولن ينفعكم الى حكاية لما سيقال لهم ح من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اى لن ينفعكم اليوم اى
يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اى لاجل ظلمكم انفسكم فى الدنيا لاتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل
اذ ظلمتم بدل من اليوم اى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا وعليه قول من
قال اذا انتسبنا لم تلد لئيمة اى تبين انى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون
تعليل لنفى النفع اى لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا
ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدائد
الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان
الانتفاع بذلك الوجه ليس مما ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين
مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم

عذابا

عذابا ونظائرهما لتتشفوا بذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعائهم ولا يزيدون
الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن نزل افانت تسمع
الصم او تهدى العمى وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا
فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان فى ضلال مبين عطف على العمى باعتبار تغاير
الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم عنه لا توهم القصور من
قبل الهادى ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اى
اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون
لا محالة فى الدنيا والآخرة وما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك
الذى وعدناهم اى او اردنا ان نريك العذاب الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص
لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذى اوحى اليك من الآيات
والشرائع سواء عجلنا لك الموعد او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف
تسئلون يوم القيمة عنه وعن القيام بحقوقه واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا اى واسئل اممهم وعلماء دينهم كما فى
قوله تعالى فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسئول عنه عين ما
نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب
الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم السلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اى هل
حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه
على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا بها الى فرعون و
ملائه فقال انى رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون اى فاجؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من
آية من الآيات الا هى اكبر من اختها اى الا وهى بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها
انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شئ منها اى الا
وهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان
والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك فى مثل تلك
الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحرا لاستعظامهم علم السحر وقرئ
ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك من النبوة او من
استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى اى بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة
اننا لمهتدون اى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك

بك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجئوا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة انهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي من جناتي وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر وتجري حال منها او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام لما به من الرتة فيعتريه لثغة ... كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عدوا اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حالي من هذا الخ واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي عليه مقاليد الملك ان كان صادقا لانهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار الذين يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله عليه السلام في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اي من ذلك المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق حتى

اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يرداون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المجاحة وقالوا االهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوا متمهدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بقرينة التسفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا حيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فان ذلك مع اباء منصب النبوة ساحة عليه السلام عنه سابقة الآخر من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بالاصنام حين سأل الفاجرة عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودين من دون الله ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما ينطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية بل كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون لداء شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقولهم آلهتنا خير ام هو تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه لك الخ ما قالوا هذا القول الا للجدال وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الاية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التفضل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن اشرف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف سوق لتنزيهه عليه السلام ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريح قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وفيه تنبيه على بطلان رأي رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل

بباطل او بابطل على زعمهم وما عيسى الا عبد ليس الا العبد فصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصنا ببعض
الخواص البديعة بان خلقنا بوجه بديع وقد خلقنا ادم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم
صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يتعذروا بان حالهم اشنع واخف من حالهم واما
على الوجه الثالث فهو لرد حجتهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان انه عليه السلام في حقه
وفيما اوحى الى الرسول عليه السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته ام كيف يتوهم
الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى ولو نشاء الى التحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببديع قدرة الله تعالى
وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اى قدرتنا
بحيث لو نشاء لجعلنا اى لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة ملائكة كما
خلقناه بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما خلقناها جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون
اى يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم
التسبيح والتقديس في السماء فمن شانهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم
استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اى انه
بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او لحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث
الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اى علامة وقرئ للعلم او قرئ
لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا لتسميته ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية
بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس
والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان
ان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون اى واتبعوا هداي او شرعي او رسولي
وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا اى الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له صراط مستقيم
موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من
الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال
لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اى الانجيل والشرائع ولابين لكم عطف على مقدر يعني عنه المجيء كانه قيل قد جئتكم
بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا
فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في ابلغه
مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو
اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اى التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه
وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب
اى الفرق المتحزبة من بينهم اى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا اى من المختلفين

من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اى ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اى الا اتيان
الساعة بغتة اى فجاءة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها
وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم تاتيهم
الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب
الا المتقين فان خلتهم في الدين لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم اثار خلتهم من الثواب
ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين امنوا باياتنا صفة
للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اى مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطا عتنا
وهو حال من واو امنوا عن مقاتل اذا بعث الله تعالى الناس فزع كل واحد فينادي مناد يا عبادي فيرفع
الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين امنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم
بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي
كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة
له وفيها اى في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اى
تستلذ ويعز مشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له
زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتداء وخبر التي اورثتموها
وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العمل
عليه وقيل تلك الجنة مبتدا وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر
بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف
لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اى بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى
فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل
في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اى الراسخين في الاجرام وهم الكفار كما ينبئ عنه
ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالايات في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلقه به
لا يفتر عنهم اى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه اى في العذاب وقرئ فيها اى في النار مبلسون ايسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن
كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على
الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اى
ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم

لانه جار وغير للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اى فى العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره
عن ابن عباس رضى الله عنه انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق
فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين
لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اى حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون
منه واما الحق المعهود الذى هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام
مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من
توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع
واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهى لانكار الواقع واستقباحه اى ابرم مشركو مكة امرا من
كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم
حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون
فى انديتهم ويتشاورون فى اموره عليه السلام ام يحسبون اى بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما
حدثوا به انفسهم او غيرهم فى مكان خال ونجواهم اى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى بلى نسمعهما
ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اى
يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة
اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اى نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه قل اى للكفرة تحقيقا للحق
وتنبيها لهم على ان مخافتهم اياهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك
وعداوتك اياهم او لمعبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم
بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه
تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
لذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون الرسول عليه السلام على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد
ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع
مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا
اول الانفين اى المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اى
ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون اى يصفونه به من ان يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه
على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شئ منها جزءا منه
سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا
البرهان الجلى يخوضوا فى اباطيلهم ويلعبوا فى دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليس
الا من باب اللهو واللعب والجزم فى الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا اى يلقوا يومهم الذى

يوعدون

يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذى فى السماء اله وفى الارض
اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على
اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كانه قيل وهو الذى يستحق لان يعبد فيهما وقد مر
تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف
لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة
عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر المبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان
كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الالهة السماوية والارضية وتخصيص
لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذى له ملك السموات
والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او فى بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اى العلم بالساعة
التى تقوم فيها القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ [illegible]
ولا يملك الذين يدعون اى يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون
الا من شهد بالحق الذى هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص
وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول
عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم اى سالت
العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة
اى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر
او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفى الاقسام به مع رفع شانه
عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة
او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم وقل سلام اى امرى تسلم منكم ومتاركة فسوف
يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ تعلمون على انه داخل فى حيز قل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال
له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة
انا انزلناه اى الكتاب المبين الذى هو القران فى ليلة مباركة هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ
فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه الصلوة والسلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى
الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القران
مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة

وفصل الاقضية وتفضيل العباد واعطا تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب القسم وقوله تعالى انا انزلناه اعتراض وقيل جواب ثان بغير عطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قيل فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم جميع امورهم في هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك معظم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم الصلوة والسلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي نعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيانه لفخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصيصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي امرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها اي يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر اخر او استئناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات والارض الخ وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنف كما قبله وكذا قوله تعالى ربكم ورب ابائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين

في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه عليه السلام ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلى الاية فقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا قوله تعالى انى لهم الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار ايات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو رينما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغى واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء

الدخان تعزز المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
فيكشفه الله تعالى بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يمهلون يوم نبطش البطشة اى يوم
القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك
اى يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تاتى الخ وقرئ نبطش اى نحمل الملائكة على ان يبطشوا
بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش
بضم الطاء وهى لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم
فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول
كريم على الله تعالى او على المؤمنين او فى نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان
ادوا الى عباد الله اى بان ادوا الى بنى اسرائيل وارسلوهم معى او بان ادوا الى يا عباد الله حقه من الايمان و
قبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجئ الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل ان مخففة من الثقيلة اى جاءهم
بان الشان ادوا الى الخ وقوله تعالى انى لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المامور به اى رسول غير
ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اى لا تتكبروا على الله
تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتى سلفت وقوله تعالى انى اتيكم اى من جهته تعالى بسلطان مبين
تعليل للنهى اى اتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها واتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفى ايراد الاداء
مع الامين والسلطان مع العلى من الجزالة ما لا يخفى وانى عذت بربى وربكم اى التجأت اليه وتوكلت عليه
ان ترجمون من ان ترجمونى او تؤذونى ضربا او شتما او ان يقتلونى قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه
بالقتل وقرئ بادغام الذال فى التاء وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤ منوا لى
فخلونى كفافا لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى
فاقطعوا اسباب الوصلة فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تعوا على تكذيبه
عليه السلام ان هؤلاء اى بان هؤلاء قوم مجرمون هو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به
ولذلك سمى دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل
هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادى ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال ربه
اسر بعبادى واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى بنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى
ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم
واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق و
لا تغيره عن حالته ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح اى لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا
بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اى تنعم كانوا فيها
فاكهين متنعمين كذلك الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اى مثل ذلك
ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما اخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع

على

على الخبرية اى الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من تعظم
فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روى ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد
عمله ومهابط رزقه واثاره فى الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين
ممهلين الى وقت اخر او الى الاخرة بل عجل لهم فى الدنيا ولقد نجينا بنى اسرائيل بان فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا
من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من
فرعون بدل من العذاب اما على جعل نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اى عذاب فرعون
او حال من المهين اى كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه و
فى ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره فى الشر و
الفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى
عاليا اى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف ولقد اخترناهم اى بنى اسرائيل
على علم اى عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون فى بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على
العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغيرها من عظائم الايات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم ما فيه بلؤا مبين نعمة جليلة او اختبار
ظاهر لننظر كيف تعملون ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة
للدلالة على تمانعهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا
الاولى اى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى
كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك
قالوا ما هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة
الا هذه الموتة دون الموتة التى تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا
باباءنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل عليهم السلام والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما
تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى
فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد
لهم اى اهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميرى الذى
سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله
تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه باسم الله الذى ملك برا وبحرا اى بحارا كثيرة وعن النبى صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى وعن ابن
عباس انه كان نبيا وقيل الملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين
من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولى باس شديد اهلكناهم

لتوبوا ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم
كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة
فلان يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقها غرض صحيح وغاية
حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما
ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان
والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم
الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق عن المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم
وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ميعاد حسابهم
وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل
لا النفس مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير
لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع
على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن
اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام
الاثيم اي الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو يهل في النار حتى يذوب
وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا
كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء و
جره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب
الحميم كان الاصل يصب فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم
اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت
العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعم روي ان ابا جهل قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع
باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع قيام والمراد
المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين
يأمن صاحبه الآفة والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان
المكان المخيف يخوف صاحبه لما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله
على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف
والسندس ما دق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين في المجالس بعضهم ببعض كذلك

اي الامر كذلك او لذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن و
الحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها
يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان و
زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحيوة والاستثناء منقطع
او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا
امكن ذوق الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك
اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي
لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم
يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا والكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا
ويعملوا بموجبه وان لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة
فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها وقد وقفت
على سره او على تقدير فلاحظه له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر
على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس
ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الى اخره وقد مر مرارا ان الذي يجعل
عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها
الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف والقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب مع عرائه
عن افادة فائدة يعتد بها فمحل على محل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر
على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض
لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية
والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه
البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من
نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون
المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم و
الجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار
المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر
هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون اي من شأنهم ان يوقنوا
بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله

وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق
اى من مطر وهو سبب للرزق وعبر عنه بذلك تنبيها على كونه اية من جهتى القدرة والرحمة فاحيى به
الارض بعد موتها اخرج منها اصناف الزرع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن اثار الحيوة
وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال و
قرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه اية مستقلة
حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر اية واحدة
واما لان كون التصريف اية ليس لمجرد كونه مبدا لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من
جملتها سوق السفن فى البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور
والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والجار والمجرور المتقدم خبرها
بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف
والنصب فى ايات وتنكير ايات فى المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب
الايات فى الدقة والجلاء تلك ايات الله مبتدا وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة
وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا او من مفعوله اى نتلوها محقين
او ملتبسة بالحق فباى حديث من الاحاديث بعد الله واياته اى بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل
لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله الذى هو القران حسبما نطق به قوله تعالى
الله نزل احسن الحديث وهو المراد باياته ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون بصيغة
الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله صفة اخرى لافاك و
قيل حال من الضمير فى اثيم تتلى عليه حال من ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه
ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا ثم يصر اى يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار
على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من الايات والاذعان لما نطق به من الحق لها معجبا بما
عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل
بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم
فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التى حقها ان
تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى
كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من يصر اى يصر شبيها بغير السامع فبشره
بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من اياتنا شيئا اى اذا بلغه من اياتنا شئ وعلم انه من
اياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له
محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اى الايات كلها هزوا اى مهزوا بها لا ما سمعه فقط
وقيل للشئ والتانيث لانه فى معنى الاية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من

القبايح

من القبايح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضماير
باعتبار كل واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم
واستهزائهم بايات الله سبحانه وتعالى ومن ورائهم جهنم اى قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم
لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف وقدام ولا
يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر
واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه
تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اى القران هدى فى غاية الكمال
من الهداية كانها نفسها والذين كفروا اى بالقران وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بايات ربهم لزيادة
تشنيع حالهم لهم عذاب من رجز اى من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة
رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذى سخر لكم البحر
بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجرى الفلك فيه بامره
وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون لكى تشكروا
النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم
جميعا اما حال من ما فى السموات والارض او تاكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من
ما اى جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشيا كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه تعالى
وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر مبتدا محذوف اى ذلك منه
ان فى ذلك اى فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون فى
بدايع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلايل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين
امنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط
اى قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقايعه
تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعها وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت وقيل نزلت فى عمر رضى الله
عنه حين شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابى ما قال وذلك انهم نزلوا فى غزوة
بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابى غلامه يستقى فابطا عليه فلما اتاه قال ما حبسك
قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملا قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر
فقال ابن ابى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل
سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى ليجزى قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد
بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اى امروا بذلك ليجزى يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين

بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال
المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم
التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه
على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى
بالذات وفي ذلك من تكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى
قوم وليجزى سوء اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا
ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب اي التورية والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل
الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر
واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات
قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنه هو العلم بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة
الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا
ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم
القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة
الشأن من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك اخلال شيء منها ولا تتبع اهواء
الذين لا يعلمون اي اراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون
له عليه السلام ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض لا يوالونهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين قد وهم
فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر
للناس فان ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلال
ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استيناف
مسوق لبيان تباين حال المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة
وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة للانكار لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله
تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار
الواقع والاستقباح والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على
ما هم عليه من مساوي الاحوال كالذين امنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم
في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف
والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية

والمح

ام حسبوا اي نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان
والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة
الله والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة
لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب
على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة
وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتداء
والجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع
انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان
التساوي والتوبيخ عليه انكار لجزمهم بالفضل والتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم
هذا او ليس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق
الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار
المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق
فيه معنى التعليل او معناه خلقها مقرونة بالحكم والصواب دون العبث والباطل في اصل خلقها لا جازء كل نفس
الخ او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل
نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف
من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزهه سبحانه لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده
اي انظرت فرأيته فان ذلك مما يقضي منه العجب وقرئ الهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده
فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ هواه الهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله
لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الايات
والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وغشوة
فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون
الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من
غاية غيهم وضلالهم ما هي اي الحيوة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت
والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا
ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ
نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر
وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه
للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا تسبوا الدهر

فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اى بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما فيها واستناد الحيوة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شئ يصح ان يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم الفاسد فى انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذى من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين فى انا نبعث بعد الموت اى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسمية حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه اى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها حتما والاتيان بابائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المامور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لجثوها واشتداد استيفازها من تحفزو عن ابن عباس رضى جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال فى وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا مبتدا وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اى يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر اخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خاطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد ذلك الذى ذكر من الادخال فى رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم اى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تكن ياتيكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اى قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اى ما وعده من الامور الاتية او وعده بذلك حق اى واقع لا محالة او مطابق

للواقع والساعة التى هى اشهر ما وعده لا ريب فيها اى فى وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندرى ما الساعة اى اى شئ هى استغرابا لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اى ظهر لهم فى سيئات ما عملوا على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم فى العذاب ترك المنسى كما نسيتم فى الدنيا لقاء يومكم هذا اى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله هزوا اى مهزوا بها ولم ترفعوا لها راسا وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ولا هم يستعتبون اى لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء فى السموات والارض لظهور اثاره واحكامها فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذى لا يغلب الحكيم فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى يقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناها فى حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف او بتقدير اجل مسمى ينتهى اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو اخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا اخر اعمارهم وقد جوز لون ما مصدرية والجملة حالية اى ما خلقنا الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجاوزون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون

عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارايتم اخبروني وقرئ ارايتكم ما تدعون ما تعبدون
من دون الله من الاصنام اروني تاكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك
اي شركة مع الله تعالى في السموات اي في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق
للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان
من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد
تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القران الناطق
بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان
نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة
اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلث مع
سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم
ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي
لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي
المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة
مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيامة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم
الضمير الاول للمفعول يدعوا والثاني للفاعل والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
غافلون لانهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة
مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الاية واذا حشر الناس عند قيام
القيامة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي
الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس
وغيرهم ويبتنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم
وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الايات
المتلوة ووضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو
عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل هذا سحر مبين
اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو
اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل ايقولون افترى القران قل ان
افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ
على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم
اي

تندفعون

تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني
وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى
وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع اعظم
جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح
الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر مضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه
مصدر كانوا يقترحون عليه عليه السلام ايات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام
بان يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى اتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم
بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلوة والسلام ما كانوا ياتون
الا بما اتاهم الله تعالى من الايات ولا يخبرونهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شيء
يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رح ما ادري ما يصير
اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنه ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة وقال هي منسوخة
بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة
والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث
والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الاخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي
الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له
عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك
بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه وجوز ان تكون
ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبري عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده
وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي
كما هو المسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن
اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه الصلوة والسلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان
يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى
الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القران من عند الله
لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين اجزاء الشرط
مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حال المعطوف عليه
عندهم فان كفرهم به متحقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في
قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة عندهم وانما ترددهم
في ان شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار منه او لا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من

من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شئون الله تعالى واسرار
الوحي بما اوتوا من التورية على مثله اي مثل القران من المعاني المنطوية في التورية المطابقة لما في القران من
التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى وانه لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات اخرى على مثل ما ذكر من كونه من عند
الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فامن للدلالة على انه سارع في الايمان بالقران
لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه المدينة
اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه
الصلوة والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة
كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المراة نزعته فقال
اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم
عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلوة والسلام اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن
خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك
فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا
وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رض ما سمعت رسول
الله عليه الصلوة والسلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد
شاهد الاية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال الشعبي
وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام قال ال حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة
واجاب الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط
محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فامن به من غير تلعثم
واستكبرتم عن الايمان بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم
الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم
وقال الذين كفروا حكاية لبعض اخر من اقاويلهم الباطلة في حق القران العظيم والمؤمنين به اي
قال كفار مكة للذين امنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه الصلوة والسلام من القران والدين
خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال
ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف
الدنيا الدنية والاقبال على الاخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له من خلاق

وقيل

وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين
اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا يبعد من الاثناء الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة
واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي اذ لم يهتدوا بالقران قالوا
ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف
ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القران وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة
حالية او مستانفة وايا ما كان فهو لترد قولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر
لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرايعه كما يقتدى
بالامام ورحمة من الله تعالى لمن امن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان
مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك
لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول
مصدق وقيل مفعول لمصدق اي مصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير
الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيده الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب
عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو وقيل على انه عطف على مصدق ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور
الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام
نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من
الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل
مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون
من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرئ اي بان يفعل بهما حسنا
اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه بضم السين ايضا وبفتحها اي بان يفعل بهما فعلا
حسنا او ووصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة
وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله
وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام
المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا تمضي عليها بمعاناة
المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال
حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل
واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتمل
واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ

الله تعالى رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي
اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي وراسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس اجاب
الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله تعالى عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا
من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا امنوا
جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه
عبد الرحمن ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي عليه السلام ولم يكن ذلك لاحد من
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من
المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف
المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت
الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم
وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام
الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا
يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر
عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلث مع التنوين والموصول عبارة عن جنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سيأتي
قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر
لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رض قبل اسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى اولئك
الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي
الله عنها من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون
من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله تعالى يسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك
اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
امن ان وعد الله حق اي البعث اضافاه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطابه في اسناد الوعد اليهما و
قرئ ان وعد الله اي امن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم
التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين
حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله
تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم جميعا
كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل

للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من
اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم
اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين
والجملة حالية مؤكدة للتوفية او استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم
ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الجزاء على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب
دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اي
قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب
للظرف وقرئ اأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم
من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون
عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير
استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم و
فسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد اي هودا عليه السلام
اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع
فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر
بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير
بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله
مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله الا تعبدوا الا الله مسارعة
الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود
قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك
فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير العلام لا يتسنى في نسبة الخلو الى من
بعده من الرسل من تنزيل الاتي منزلة الماضي قالوا اجئتنا لتأفكنا اي تصرفنا عن الهتنا عن عبادتها
فاتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم
اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله
ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت
به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف
على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس
من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة

والضمير مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا وراجع الى ما استعجلوه بقولهم فائتنا بما تعدنا
اى فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم اى متوجها اوديتهم والاضافة فيه
لفظية كما فى قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اى قال هود
وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح
بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شئ
من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف
او هو الهاء فى ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بامر باريه وكون
الهاء لكل شئ بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما
لا يخفى والفاء فى قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث
لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية تنبيها
على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزى القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة فى سورة الاعراف وقد روى ان الريح كانت تحمل
الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم
قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان فى الصحرا من رحالهم
ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا البيوت وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب و
صرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشف الريح عنهم فاحتملتهم
فطرحتهم فى البحر روى ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن
عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود و
تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اى قررنا
عادا او اقدرناهم وما فى قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اى فى الذى او فى
شئ ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وساير مبادى التصرف كما فى قوله تعالى ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى الى قلب الفها
هاء فى مهما وجعلها شرطية او زايدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت
له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شئون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره
فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا
بها الايات التكوينية المنصوبة فى صحايف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها فى معرفة الله تعالى
من شئ اى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بايات الله متعلق بما اغنى
وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمنى
فى قوة قولك اكرمته لاكرامه لك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا

الحال

الحال فيه وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء و
يقولون فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود و
قرى قوم لوط وصرفنا الايات كررناها لعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول
المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة
حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان
كان هو المقصود لكنه لا بد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى ان قولنا اتخذوهم من
دون الله قربانا اى متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يقع انهم اتخذوهم
قربانا متجاوزين الله فى ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اى غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كان
عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم اى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغايب
عن المنصور وذلك اى ضياع آلهتهم وامتناع نصرهم افكهم اى اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها
آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضى فذلك
اشارة ح الى الاتخاذ اى ذلك الاتخاذ الذى هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ اسم الفاعل مضافا
الى ضميرهم اى قولهم الافك اى ذو الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم
اى واثر افترائهم على الله او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اى بعض
ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا
بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر فى جمع الضمير فى قوله تعالى يستمعون القران وما بعده وهو حال
مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كاينا من
الجن مقدرا استماعهم القران فلما حضروه اى القران عند تلاوته او الرسول عند تلاوته له على الالتفات
والاول هو الاظهر قالوا اى قال بعضهم لبعض انصتوا اى اسكتوا لنسمعه فلما قضى اتم وفرغ عن
تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه
عليه الصلوة والسلام ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روى ان الجن كانت
تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة
نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة
فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم فى جوف الليل يصلى او فى صلوة الفجر فاستمعوا
لقراءته وذلك عند منصرفه من الطايف وعن سعيد بن جبير ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن و
لا رآهم وانما كان يتلو فى صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله تعالى باستماعهم
وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليهم نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلوة والسلام

انی امرت ان اقرأ علی الجن اللیلة فمن یتبعنی قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله ابن مسعود رض قال
حتی اذا کنا باعلی مکة فی شعب الحجون خط لی خطا فقال لا تخرج منه حتی اعود الیک ثم افتتح القران وسمعت
لغطا شدیدا حتی خفت علی رسول الله صلی الله علیه وسلم وغشیته اسودة کثیرة حالت بینی وبینه
حتی ما اسمع صوته علیه السلام ثم انقطعوا کقطع السحاب فقال لی رسول الله علیه السلام هل رأیت شیئا
قلت نعم رجالا سودا مستثفری ثیاب بیض فقال اولئک جن نصیبین وکانوا اثنی عشر الفا والسورة
التی قرأها علیهم اقرأ باسم ربک قالوا ای عند رجوعهم الی قومهم یا قومنا انا سمعنا کتابا انزل من بعد موسی
انما قالوه لانهم کانوا علی الیهودیة وعن ابن عباس رض ان الجن لم تکن سمعت بامر عیسی علیه السلام
مصدقا لما بین یدیه ارادوا به التوریة یهدی الی الحق من العقائد الصحیحة والی طریق مستقیم موصل
الیه وهو الشرائع والاعمال الصالحة یا قومنا اجیبوا داعی الله وامنوا به ارادوا به ما سمعوه من الکتاب
ووصفوه بالدعوة الی الله تعالی بعدما وصفوه بالهدایة الی الحق والصراط المستقیم لتلازمهما دعوهم الی ذلک
بعد بیان حقیته واستقامته ترغیبا لهم فی الاجابة ثم اکدوه بقولهم یغفر لکم من ذنوبکم ای بعض
ذنوبکم وهو ما کان فی خالص حق الله تعالی فان حقوق العباد لا تغفر بالایمان ویجرکم من عذاب الیم معد
للکفرة واختلف فی ان لهم اجرا غیر هذا اولا والاظهر انهم فی حکم بنی ادم ثوابا وعقابا وقوله تعالی ومن لم
یجب داعی الله فلیس بمعجز فی الارض ایجاب للاجابة بطریق الترهیب اثر ایجابها بطریق الترغیب
وتحقیق لکونهم منذرین واظهار داعی الله من غیر اکتفاء باحد الضمیرین للمبالغة فی الایجاب بزیادة التقریر
وتربیة المهابة وادخال الروعة وتقیید الاعجاز بکونه فی الارض لتوسیع الدائرة ای فلیس بمعجز له
تعالی بالهرب وان هرب کل مهرب من اقطارها او دخل فی اعماقها وقوله تعالی ولیس له من دونه اولیاء
بیان لاستحالة نجاته بواسطة الغیر اثر بیان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولیاء باعتبار معنی من فیکون
من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الی الاحاد کما ان الجمع فی قوله تعالی اولئک بذلک الاعتبار
ای اولئک الموصوفون بعدم اجابة داعی الله فی ضلال مبین ای ظاهر کونه ضلالا بحیث لا یخفی علی
احد حیث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم یروا الهمزة للانکار والواو للعطف علی مقدر یستدعیه
المقام والرؤیة قلبیة ای الم یتفکروا ولم یعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعیان ان الله الذی
خلق السموات والارض ابتداء من غیر مثال یحتذیه ولا قانون ینتحیه ولم یعی بخلقهن ای لم یتعب ولم
ینصب بذلک اصلا او لم یعجز عنه یقال عییت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالی بقادر فی حیز الرفع
لانه خبر ان کما ینبئ عنه القراءة بغیر باء ووجه دخولها فی القراءة الاولی اشتمال النفی الوارد فی صدر الایة
علی ان وما فی حیزها کانه قیل اولیس الله بقادر علی ان یحیی الموتی ولذلک اجیب عنه بقوله تعالی بلی انه علی
کل شیء قدیر تقریر للقدرة علی وجه عام یکون کالبرهان علی المقصود ویوم یعرض الذین کفروا علی النار ظرف
عامله قول مضمر مقول الیس هذا بالحق علی ان الاشارة الی ما یشاهدونه حینئذ من حیث هو من غیر ان یخطر
بالبال لفظ یدل علیه فضلا عن تذکیره وتانیثه اذ هو اللائق بتهویله وتفخیمه وقد مر فی سورة الاعراف وقیل

بلی

هی الی العذاب وفیه تهکم بهم وتوبیخ لهم علی استهزائهم بوعد الله ووعیده وقولهم وما نحن بمعذبین قالوا
بلی وربنا اکدوا جوابهم بالقسم کانهم یطمعون فی الخلاص بالاعتراف بحقیته کما فی الدنیا وانی لهم ذلک قال
فذوقوا العذاب بما کنتم تکفرون بها فی الدنیا ومعنی الامر الاهانة بهم والتوبیخ لهم والفاء فی قوله تعالی فاصبر کما صبر
اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف ای اذا کان عاقبة امر الکفرة ما ذکر فاصبر علی ما یصیبک من جهتهم
کما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانک من جملتهم ومن للتبیین وقیل للتبعیض والمراد باولی العزم
اصحاب الشرائع الذین اجتهدوا فی تاسیسها وتقریرها وصبروا علی تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنین فیها ومشاهیرهم
نوح وابراهیم وموسی وعیسی وقیل هم الصابرون علی بلاء الله کنوح صبر علی اذیة قومه کانوا یضربونه حتی یغشی
علیه وابراهیم صبر علی النار وعلی ذبح ولده والذبیح علی الذبح ویعقوب علی فقد الولد والبصر ویوسف علی الجب
والسجن وایوب علی الضر وموسی قال له قومه انا لمدرکون قال کلا ان معی ربی سیهدین وداود بکی علی خطیئته
اربعین سنة وعیسی لم یضع لبنة علی لبنة صلوات الله تعالی علیهم اجمعین ولا تستعجل لهم ای لکفار مکة بالعذاب
فانه علی شرف النزول بهم کانهم یوم یرون ما یوعدون من العذاب لم یلبثوا فی الدنیا الا ساعة
یسیرة من نهار لما یشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالی بلاغ خبر مبتدأ محذوف ای
هذا الذی وعظتم به کفایة فی الموعظة او تبلیغ من الرسول ویؤیده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا ای بلغوا بلاغا
فهل یهلک الا القوم الفاسقون ای الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الیاء وکسر اللام
وبفتحها من هلک وبنون العظمة من الاهلاک ونصب القوم وعن النبی صلی الله علیه وسلم
من قرأ سورة الاحقاف کتب له عشر حسنات بعدد کل رملة فی الدنیا

الذین کفروا وصدوا عن سبیل الله ای اعرضوا عن الاسلام وسلوک طریقه من صد صدودا او منعوا الناس
عن ذلک من صده صدا کالمطعمین یوم بدر وقیل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرک کانوا یصدون الناس
عن الاسلام وقیل هو عام فی کل من کفر وصد اضل اعمالهم ای ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها
اصلا لکن لا بمعنی انه ابطلها واحبطها بعد ان تکون کذلک بل بمعنی انه حکم ببطلانها وضیاعها فان ما کانوا
یعملونه من اعمال کصلة الارحام وقری الاضیاف وفک الاساری وغیرها من المکارم لیس لها من اصلها
لعدم مقارنتها للایمان او ابطل ما عملوه من الکید لرسول الله صلی الله علیه وسلم والصد عن سبیله بنصر رسوله
واظهار دینه علی الدین کله وهو الاوفق لما سیاتی من قوله تعالی فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالی والذین امنوا وعملوا
الصالحات قیل هم ناس من قریش وقیل من الانصار وقیل هم مؤمنوا اهل الکتاب وقیل عام للکل وامنوا بما نزل
علی محمد خص بالذکر الایمان بذلک مع اندراجه فیما قبله تنویها بشانه وتنبیها علی سمو مکانه من بین ما یجب
الایمان به وانه الاصل فی الکل ولذلک اکد بقوله تعالی وهو الحق من ربهم بطریق حصر الحقیة فیه وقیل حقیته
بکونه ناسخا غیر منسوخ فالحق علی هذا مقابل الزائل وعلی الاول مقابل الباطل وایا ما کان فقوله تعالی من ربهم حال
من ضمیر الحق وقرئ نزل علی البناء للفاعل وانزل علی البناء وقرئ نزل بالتخفیف کفر عنهم سیئاتهم ای سترها بالایمان

والعمل الصالح وأصلح بالهم أحوالهم في الدنيا والدين بالتأييد والتوفيق ذلك إشارة إلى ما مر من إضلال
الأعمال وتكفير السيئات وإصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم أي ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا
من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للإضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له أصلا ضرورة استتباعه لهما
قطعا وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الإيمان به و
بكتابه ومن الأعمال الصالحة فبيان سببيته لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الإشعار والتصريح في
شيء من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا أصل له أصلا فالتصريح
بسببية اتباعه لإضلال أعمالهم وإبطالها لبيان أن إبطالها لبطلان مبناها وزواله وأما حمله على ما لا ينتفع به
فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أفحش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من إضلال أعمالهم بطريق القصر
بعد الإشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق الإيمان والأعمال الصالحة
فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الإضلال ومن التكفير والإصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين
كذلك أي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله أي يبين للناس أمثالهم أي أحوال الفريقين وأوصافهما
الجارية في الغرابة مجرى الأمثال وهي اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم
وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فإذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الأمر على ما قبلها فإن ضلال أعمال
الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يترتب على كل من الجانبين ما يليق به
من الأحكام أي فإذا كان الأمر كما ذكر فإذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا
فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن
القتل تصوير له بأشنع صوره وتهويل لأمره وإرشاد للغزاة إلى أيسر ما يكون منه حتى إذا أثخنتموهم
أي أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين والغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض
فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق ما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقرئ بذلك فإما منا بعد
وإما فداء أي فإما تمنون بعد ذلك منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق
والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رح وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم إما
القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما الإسلام أو ضرب العنق وقرئ فدى
كعصا حتى تضع الحرب أوزارها أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع أسند
وضعها إليها وهو لأهلها إسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رح لأحد الأمور الأربعة أو للمجموع والمعنى أنهم
لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عم وأما عند
أبي حنيفة رح فإن حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب
بدر أوزارها وإن حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع
جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها حتى يترك المشركون شركهم

ومعاصيهم

ومعاصيهم بأن يسلموا ذلك أي الأمر ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة
والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم
فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كي
يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله أي استشهدوا وقرئ قاتلوا أي جاهدوا وقتلوا
فلن يضل أعمالهم أي فلن يضيعها وقرئ يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة
أنها نزلت في يوم أحد سيهديهم في الدنيا إلى أرشد الأمور وفي الآخرة إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله
ويهتدي إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله يرشده في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شيء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها وأفرزها من عرف الدار فجنة كل
منهم محددة مفرزة والجملة إما مستأنفة أو حال بإضمار قد أو بدونه يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله
أي دينه ورسوله ينصركم على أعدائكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الإسلام
والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس
وانتصابه بفعل واجب حذفه سماعا أي فقال تعسا لهم وقوله تعالى وأضل أعمالهم عطف عليه داخل معه في
حيز الخبرية للموصول ذلك أي ما ذكر من التعس وإضلال الأعمال بأنهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله
من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه أو اشتهته أنفسهم الأمارة بالسوء فأحبط
لأجل ذلك أعمالهم التي كانوا عملوها مع الإيمان لا يثابوا عليها أفلم يسيروا في الأرض أي أقعدوا في أماكنهم
فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم المكذبة فإن آثار ديارهم تنبئ عن
أخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم
فقيل استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه
ما يختص به وللكافرين أي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم أمثالها أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن
لا على أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلة العواقب المتعددة حسب تعدد
الأمم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا
يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون
بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها ذلك إشارة إلى
ثبوت أمثال عقوبة الأمم السابقة لهؤلاء بأن الله مولى الذين آمنوا أي ناصرهم على أعدائهم وقرئ ولي الذين
آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم
ردوا إلى الله مولاهم الحق فإن المولى هناك بمعنى المالك إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الأنهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية والذين كفروا يتمتعون أي ينتفعون في الدنيا
بمتاعها ويأكلون كما تأكل الأنعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم أي منزل ثواء وإقامة والجملة إما حال

مقدرة من واو بالكون استيناف وكاي كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع
بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما
المضاف واجرى احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة
من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية
الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها
به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا واسير جرما منك ضرج بالدم وقوله
تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم
منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من
ربه تقرير لتباين حال فريقي المومنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والاخرين في اسفل سافلين
وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ
بدونها ومن عبارة عن المومنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
المومنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم مما يابا منصبه الجليل و
التقدير أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القران
الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح
القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون
لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان
افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استيناف سوق لشرح محاسن الجنة
الموعودة انفا للمومنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا
بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات
عن اخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدا محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
وقوله تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر
النظم الكريم وقيل المثل زايد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدا
خبره فيها انهار الخ من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا خازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة
طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت
به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى
لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب
منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر
من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر

قدرها

قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن
هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم
وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار معرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي
بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من
الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة
قيل اذا دني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع
اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال
الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه
مستعار من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير
في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا
واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم
اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام واتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها وبين
لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيامة وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة وهي المفاجاة بدل
اشتمال من الساعة اي تباغتهم بغتة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر اهوال الامم الخالية ولا بالاخبار
باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة وقرئ بغتة
بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور
الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها
رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط
بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم
اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان امتناع نفع التذكر حينئذ
كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي كيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم
وذكراهم مبتدا واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة
لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان ياتهم على
انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهرت اماراتها فكيف لهم
تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد

والطاعة واستناط الشقاوة بهو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل
بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظر
الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلوة والسلام الى التواضع
وهضم النفس واستقصار العمل وللمومنين والمومنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم مما يستدعي
غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم
في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانه موطن اقامتكم فلا يامركم الا بما
هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى
عليه شيء منها ويقول الذين امنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة نؤمر
فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال
فيها لوجه اخر سوى وجوب القتال اي قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا
نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض
اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الظاهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كداب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل
لهم افعل من الولي وهو القرب وقيل من ال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل
هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف
كلام مستانف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي
يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر و
هو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا
وقيل ناقضوا او قيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام
فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على
موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت
سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطات قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم
مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع
اي هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص
على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون
شانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم امراء ما ذكر من الافساد
وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض

بالتغاور

بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووا والبنات وفيه ان الواقع في
حين الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورية باعتبار ما يستتبعه من الفساد لا باعتبار ذاته
ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد وتخصيص ان يجعل عمدة في التوبيخ بمعاد ونه شيء
من الفساد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم
معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التائين
فانتصاب ارحامكم على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل
الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق
الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو
مبتدا خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم
واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الايات المنصوبة في الانفس والافاق افلا يتدبرون
القران اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه
من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير
والتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف
حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال
اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها و
اقفلها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون
الذين وصفوا بما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين
جميعا كفروا به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان
سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء
وقيل من السول المخفف عن السؤال لاستمرار القلب بمعنى سول له امرا حتى اوقعه في امنيته فان السول
الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني و
الامال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان
يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او للاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان
شانهما ليس مستاما من القول الاتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب انهم قالوا يعني
للمنافقين المذكورين لا لليهود الكافرين به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام في التورية كما قيل فان
كفرهم به عليه السلام ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين

او المشركين على رأى القايل من ضر بعثه عليه السلام للذين كرهوا ما نزل الله اى اليهود الكارهين لنزول
القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله حسدا او طمعا فى نزوله عليهم او المشركين
كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم فى بعض الامر عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا
ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم امرهم بالفعل قبل قتالهم
واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار
الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم
اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرى اسرارهم اى جميع اسرارهم التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض
مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الاخرة والفاء فى قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كانه قيل يفعلون فى حياتهم
ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى فكيف
حالهم او حيلتهم اذا توفتهم وقرى توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون
وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه
وافظعها وعن ابن عباس رض لا يتوفى احد على معصية الا بضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفى الهائل
بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصى وكرهوا رضوانه اى ما يرضاه من الايمان و
الطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل
ذلك اعمالهم التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التى لو عملوها حال الايمان لانتفعوا
بها ام حسب الذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم
السابق لكونه مدارا لما نعى عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان
وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف ولن بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب
الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء ارادتهم
لاريناكهم لعرفناكهم بدلايل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية
بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها وعن انس رض ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية شىء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب
كررت فى المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما فى قوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول
فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله
بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم

بخلاف

بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرى ويبلو
بالياء وقرى ونبلو بسكون الواو على نحو ونبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول
وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام فى التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه
من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا
من الضرر او لن يضروا رسول الله تعالى بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
اى مكائدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل
ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما
ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات
بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم من مات على
الكفر وان صح نزوله فى اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اى ولا تدعوا الكفار
الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهى وقرى
ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل
قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين
والفاء لترتيب النهى على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهى
مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى
موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ولن يتركم اعمالكم اى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته
منه والوتر المذكور هو الفرد عبر عن ترك الاثابة فى مقابلة الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شىء معتد به من
الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف
بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقص
فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا
اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات
التى يتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر
يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسألكموها اى اموالكم فيحفكم اى يجهدكم بطلب الكل
فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اى استأصله تبخلوا فلا تعطوا
ويخرج اضغانكم اى احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب
الاضغان وقرى ويخرج من خروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اى انتم ايها المخاطبون
هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا فى سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة هؤلاء

على انه بمعنى الذين الذين اى ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق فى سبيل
الله تعالى تعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون وهو فى ضر الدليل على الشرطية السابقة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عايد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى
الامساك والتعدى والله الغنى دون من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع
فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان
والتقوى فيستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى عن الايمان والتقوى
بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روى انه عليه السلام سئل عن القوم وكان
سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان
حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ من
فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة
وهو المروى عن انس رضه بشر به رسول الله صلى عند انصرافه الى الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن
ساير الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك
وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام فى تلك
السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين
الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سالهم المشركين الصلح كان فتحا بلا ريب
وروى عن ابن عباس رضه رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سالوا الصلح و
قد روى انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو
اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسالوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد راوا
منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم
يصبه فى غزوة حيث ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدى محله واطعموا
نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية اية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى
لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان
معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح وقيل
هو ما فتح الله له عليه السلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس
الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى
القضاء منه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضه

واياما كان

واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل وللايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه
سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحى بسببا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله
تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة
مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان
كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية على حدة من صفاته
تعالى ما تقدم من ذنبك وما تاخر اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه
الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرها مما افاضه عليه من النعم الدينية
والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان
كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل
وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تاكيده
بقوله تعالى نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا
للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذى انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات
والطمانينة اى انزلها فى قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن
بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به
عليه السلام من الشرايع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الاخر عن ابن عباس
رضه ان اول ما اتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم وسلام التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا
ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله
جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى حسبما
يقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا فى العلم بجميع الامور حكيما فى تقديره
وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل
عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم
الادخال فى الذكر على التكفير مع ان الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى
وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد
اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة فى الاصل فلما قدم عليه صار
حالا اى كائنا عند الله اى فى علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على
انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين
عليهم دايرة السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حايق بهم ودايرة عليهم وقرئ دايرة السوء

بالضم وهي لغتان كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء
واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه
في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في
الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فايدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب
وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله
تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب
للنبي عليه السلام وللامة وتعزروه وتعززوه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه
او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضي الله عنه صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة
العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ تعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ
بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعزروه بزاءين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال
قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لانه
المقصود وتوفيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له
على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون الله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث
على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله
بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده
فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من
الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام
الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق
معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره
بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام بانهم سيتخلفون ويقولون شغلتنا اموالنا
واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد
للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل
ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من
مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما
حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي من يقدر

على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظها
وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من
القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه
بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال
التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام
اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم
ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل
وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين
ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى
الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ
والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام
فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين
لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور
من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن
بالله ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفية اي ومن
لم يؤمن بهما كداب هؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا
للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن
يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء اي يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم
الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا
يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا
سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما
بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من
غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا
في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة
بقيتها واوايل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره
الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة
لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل لن تتبعونا فانه نفي في معنى النهي
للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا

النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر
السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا
رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد وادهى من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل
للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي باس شديد
هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين
لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه
قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضـ
اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيحتمل دوام
نفي الاتباع كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى
وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة
فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم و
توسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا
اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شان مبايعتهم وبهذه الاية
سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع
لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل
الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان
بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا
ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة
فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت
دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا
وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك
لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من
الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل
عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو
فتح خيبر عقيب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها اي مغانم خيبر

والالتفات

والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما
مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة
تاخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحد منها فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي
اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل
ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون اية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند
رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف
مؤخر اي ولتكون اية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد
الفعلين اي فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ قالوا وعلى الاول اعتراضية وعلى
الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الاية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتون
وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي
مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من صعوبة قبل ذلك لزيادة
ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى
بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم
ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى
ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله
مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته
تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر
لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل
اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي
كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك
عن عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم فتح واستشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت
عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا للتعظيم ببيت الحرام و
قرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب
عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر الهدي وبالرفع
على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من
الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة
رح على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه
في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون

ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤهم
اى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اى من
جهتهم معرة اى مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء
قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا اعراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم
اى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين
الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل
عليه بجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته
الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن
مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا
قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية
وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان
فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل
حتما اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل
مقاتلهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على
المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم
لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اى الانفة والتكبر
متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية
الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وهو قوله تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين
بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب
فانزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف
على ان يعرضوا على النبي عليه السلام ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة
ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف
ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله
عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا
وحلموا والزمهم كلمة التقوى اى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى
هو الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها

متصفين

متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اى المستأهل لها
وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي
وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اى صدقه
عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر
مؤكد محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان
المتزلزل فيه او حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون
قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جواب وهو على
الاولين جواب قسم محذوف اى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم
العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه امنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا
قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا اخرون وقيل محلقين حال من ضمير امنين فيكون
متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او امنين او محلقين او مقصرين او استئناف
اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم المتعلق الذي هو التعلق
بامر حادث بعد المعطوف عليه اى فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية
الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فجعل لاجله من دون ذلك اى من دون تحقق مصداق ما اراه من
دخول المسجد الحرام امنين الخ فتحا قريبا وهو فتح خيبر وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على
صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون اية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى
العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله
بالهدى اى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين
بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان
باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد
من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون
اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله
وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار
رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم
في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على

حال من المستكن في معه لو قيد صلة فالخبر قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين
لمواظبتهم على الصلوة وهو على الاول خبر اخر او استيناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا
اما خبر اخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على
على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياهم
بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيمياء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله
تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قوله عليه السلام لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك
السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان
الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذو الثفنات لما احدث كثرة سجودهما في مواقعه
منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من
خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من
كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى
ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التورية
حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في
التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريره وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الخ تمثيل مستانف اي
هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم
عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطاه بفتحات وقرئ شطه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان رقيقا فاستوى
على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره
وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه السلام قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث
اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده
من قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوا بما اعد للمؤمنين
في الاخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى من قرأ سورة الفتح فكانما كان
ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه
وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به

لا تقدموا

لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور
على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول
للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم
لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة المتقدمة
ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي
الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان
يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيما له عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع
بن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع
لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع
في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة
النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء به
اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول
اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عليه السلام
وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه
بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلمه عليه السلام كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم
ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على
طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان
ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله
تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع
منهما من الرفع والجهر في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس نزلت في ثابت
ثابت بن القيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته
وعن انس انه لما نزلت الاية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله
لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين
كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص

وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه قوله تعالى
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اى
يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدا خبره الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل
التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه
وعن عمر رضى الله عنه اذهب عنها الشهوات لهم في الاخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة
خبر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اى من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة
نشات من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبتدا والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك
وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال
لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بالحجرات حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم
من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام
فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التى
كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن الفزارى والاقرع
بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا
يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو تحقق صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقيق والثبوت
للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه عليه
السلام فانها مختصة بما هو غاية للشئ في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم
لكان اى الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى انهم وفدوا شافعين في اسارى بنى العنبر فاطلق النصف
وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا و
اصلحوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا اى فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام بعث الوليد
بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب
انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت

وقيل

وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب
الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اى توقفوا الى ان
يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور
براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف
الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد
به من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله
كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الخ وهى انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رايكم في كثير من الحوادث
ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الايقاع ببنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رايهم وصيغة المضارع فيه قيل انها
للدلالة على امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما
يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه
نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم
في ذلك فان المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون و
التحقيق ان الاستمرار الذى يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية
المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار
واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره
فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة
التى يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان امتناع مدار العنت وهو امتناع ذلك الاستمرار
سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع
وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من
كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها
بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت فليس امتناع استمرار الطاعة
المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور
الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت
مما علم ان الحق بالاعتبار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضى لاعتبار الامتناع واردا على
الاستمرار حسبما يدل عليه كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على ان اعتبار الاستمرار واردا على
النفى على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد
مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس في نفى استمرار الحزن مزيد فائدة واما
اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب

عليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين و
احمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق
به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما لا يليق بها مما لا خير فيه من
آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل
هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم
بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون
اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما
اعتراض وقيل نصب بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال
المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اي تعدت احداهما
على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت
اليه واقلعت عن القتال حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا
بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة
وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم
احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة
على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فاء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح
اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم
للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في
تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق
الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم
واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان
ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا
خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم
مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر
نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار
الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري
بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن

خيرا منهن

خيرا منهن اي الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور
والاشكال والاوضاع والاطوار التي يدور عليها امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب
فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله
والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى
فهل عسيتم وعلى الاول هي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين
كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان
وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به
عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم
والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت
حيي اتت رسول الله عليه السلام فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام
هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليه السلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام
الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن
فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات
وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض
الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي
يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا
عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب
وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته
ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات
المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم
بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان
كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث
تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري
واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا للآكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امرين غني عن الخفاء

ونوى ميتا بالتشديد وانتصابه على الحال من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما
قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله
بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبيل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة
الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يختص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت
ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان
اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام
انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب
وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة
من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد والبطن يجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل
الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب في الانتساب
قرئ فلا يعتزي احد الى غير آبائه لا للتفاخر بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا
على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالنسب المستفاد
من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده هو الاتقى فان تفاخرتم فتفاخروا وقرئ بان المفتوحة
على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس
وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق
الله قال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن
عباس رضي الله عنه كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب
آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون
عليه السلام ما فعلوا قل لم تؤمنوا اذ الايمان وهو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب
لم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد
ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن
قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان وللتحاشي من اخراج قولهم مخرج
التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا لا تحققا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا
اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا
الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت
ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقص ان الله غفور لما فرط

من المطيعين

من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب
مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم
الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة
عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين
صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انهم لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون لكذبهم
فنزل قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية التشنيع عليهم
والله يعلم ما في السموات والارض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم
تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه
مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب
موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن
قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم
صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم
من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفي كونه ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك
بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم
ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف
يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد
من اطاع الله وعصاه

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم
المحذوف كانه قيل انا انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد
ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه
الى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا
اي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه
وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون
هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى

كونه عليه السلام منذرا بالقران وضمايرهم او للاشعار بتعينهم بما ليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم
بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعث مدا لفارة لما بعدهم يفتره ما بعده من الجملة
الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث
لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه وتعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس
العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا اذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد
للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي حين نموت ونصير ترابا
نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة ح وقرى اذا متنا على لفظ الخبر او على
حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اي الاوهام او العادة او الامكان وقيل
الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصبه الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص
الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض
من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما قال النبي صلى الله عليه و
سلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات
الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده
بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم
للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرى لما جاء بالكسر على ان اللام للتوقيت
اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القران او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج
الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا اي اغفلوا
او اعموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد
وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل
عيب خلل ولعل تاخيره لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها
من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا
بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع
الى ربه متفكر في بدايع صنايعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية
انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا
به بذلك الماء جنات كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد
من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل معطوف على جنات
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على ساير الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد

استقلالها

استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا او حوامل من ابسقت
الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرى باصقات لجل القاف لها طلع نضيد اي منضود
بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف
او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد
اي لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكر تنبيه على ان
الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث
الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة
لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت مرتفعة بعد ما كانت جامدة
هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة
الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم
بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج
تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس
وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان
اتفاق كافة الرسل عليهم السلام وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام
وقيل وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اي هو وقومه ليلايم ما قبله وما بعده
واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل
مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرايع التي من
جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم الرسل
بمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد
والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير
عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى
ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اي وجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استيناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال
المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار و
الفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم
عجزنا عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا
على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار
بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما
توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت

موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد
مثل في فرط القرب وحبل الوريد العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان
بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب باقرب
من الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين
يتلقى ويتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لان احاطة علمه بما يخفى عليهما
وانما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته
تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد
ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما
وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا
موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس
بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت منه ووالدي
بريئا ومن اجل الطوى رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك
ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب
ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ولعل تغيير
العنوان لما عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لما
فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اى معد مهيأ لما ان كلا منهما رقيب لما فوض له من الكتابة
ما امر به من الخير والشر ومن لم ينتبه له توهم ان معناه رقيبان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم
في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان
ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير او امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا
عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة
الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين
ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه
من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت
غمرته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر
الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي
لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن
اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة او الغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي

كتبت

كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل
سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد
اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة
الثانية ذلك اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اى يوم انجاز الوعيد الواقع في
الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم
من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل
ولذلك بدئ بحال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان
اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوقها الى
المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها و
وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد
جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس
او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار
قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا
يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الاخرة
وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة
بتاويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها
فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اى
الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اى هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها
باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا المكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض
وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف
القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل
تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
او ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة
عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل
مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى
فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت
استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه مبني على

سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى
فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن
كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله تعالى وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله
تعالى فقيل قال تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على
الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة
والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة
او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ
ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول والفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد
مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية
اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد
لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من
غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب
للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل
السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه
من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل
هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انه مبالغة كم يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد
اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها و
فيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد
او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى
الى تقدير مضاف او بمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع
في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو
عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون
المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد
بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر
الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة
والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام

اللفظ

اللفظ العربي كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما
وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ
يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت
اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة
الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ
لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد
بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدأ
خبره ادخلوها بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه
او هو غائب من الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون
رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى
بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام
من جهة الله تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود
الذي لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاءون من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاءون وقيل بمحذوف
هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت
مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب
تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابهم فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا
وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير
عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة
في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله
تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء
التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص
وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى
يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان
ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من
قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك به كنه
ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم الكفر فيرتدع عنه بمجرد

مشاهدة الاثار من يعتبر تذكيرا او القى السمع اى الى ما تيلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من نظره يقف
على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون
بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب وتجريد
القلب عما ذكر من الصفتين للايذان بان من عرى قلبه عنهما كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما من اصناف المخلوقات فى ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفى به القوى والقدر من لغوب
من اعياء ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون
اى ما يقوله المشركون فى شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل
بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او لما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اى
نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره لوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه
حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما وقت الفجر والعصر
وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات
جمع دبر وقرى بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل
المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاء
ان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اى لما يوحى اليك من احوال
القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم يناد المنادى اى اسرافيل او جبرئيل عليهما السلام فيقول ايتها
العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل
ينفخ وجبرئيل ينادى بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس
وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البداء
يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم يناد الخ وهى النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف
ما دل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من
القبور انا نحن نحيى ونميت فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك احد والينا المصير للجزاء فى الاخرة لا الى
غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من تتشقق وقرى بتشديد الشين
وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق
علينا يسير اى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفى البعث وتكذيب
الايات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد
وانما انت مذكر فذكر بالقران من يخاف وعيد وانا من عداهم فخل نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم
من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت
وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اى الرياح التى تذرو التراب وغيره وقرى بادغام التاء فى الذال فالحاملات وقرا اى السحب
الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرى وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اى السفن الجارية فى البحر او الرياح
الجارية فى مهابها او السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر
محذوف اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اى الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب
التى يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف
الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فى
الاقطار فان جعلت الامور المقسم بها ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى
الدلالة على كمال القدرة والا فهى لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا
فتجرى به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
جواب للقسم وفى تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم
عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة من قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما
موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله
والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رض وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات
الزينة وقال مجاهد المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة
التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى يسلكها النظار والنجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها
حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى اما جمع حباك او حبيكة كالمثال ومثل وطريقة وطرق وقرى الحبك
بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفى قول
مختلف اى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر وفى شان القران الكريم
تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفى هذا الجواب تاكيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك
ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى
اغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اى يصرف عن
القران او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى
وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرى من افك
اى من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له
وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرى قتل الخراصين اى قتل الله الذين هم فى غمرة من الجهل
والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام
حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرى ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اى يقع يوم هم

على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ المحذوف اى هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن
ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ
وخبر داخلة تحت القول المضمر اى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اى
العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم
اى قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك
في الدنيا محسنين اى لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان
بالعمل ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون اى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون
هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا
على الفاعلية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم
ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية
على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم
يستغفرون اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم
باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم
واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اى نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس
للسائل والمحروم للمستجدي وللمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين
اى دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين
في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة
وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب
منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اى وفي انفسكم آيات
اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية
والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة
افلا تبصرون اى الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اى اسباب رزقكم او تقديره وقيل
المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير
لما وعلى الاول فالضمير لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون
اى كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحال من المستكن في لحق او على
انه وصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو
ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع

هل

هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق
الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا و
قيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة
الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اى المكرمين عند الله تعالى
او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او لما
في اكرام ابراهيم فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال ابراهيم سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع
بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئ مرفوعا وقرئ سلم وقرئ
منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم
من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك
لانه خاطبهم بجهر او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام
لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى
ويبادره حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فذبح
عجلا فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تأكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل
فاوجس منهم خيفة اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب قالوا لا تخف
قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه اى بعد ذلك بشروه
بغلام هو اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى
بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل
اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اى لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم
الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا
كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو العليم
الحكيم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا
جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر
هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بذكرها هنا وفي سورة هود قال اى ابراهيم لما علم انهم ملائكة
ارسلوا لامر فما خطبكم اى شأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اى بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة
حجارة من طين اى طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من سومت الماشية اى ارسلتها او معلمة من السومة
وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية
من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليهم السلام

من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا
بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن امن بلوط
فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا
ثلثة عشر وتركنا فيها اي في القرية اية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود
فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شانهم الخوف لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم
من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون ولا يعدونها اية وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله
تعالى وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب باية
وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات
الباهرة فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره
فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه نسب
ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو
مليم اي ات بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم وصفت بالعقيم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي
النكباء او الدبور او الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت
من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام
قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العلامات التي بينها
صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق
وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين
بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون
معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء
المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة
وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها
وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن
كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس
والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه
المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام
رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان والطاعة
كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل لهم
فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان
كونه عليه السلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه السلام ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من
جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول
صلى الله عليه وسلم بان يامرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من
تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهرب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر نهي موجب
للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه
نذير مبين فان تعلق كلمة من بالنذارة مع كون صلتها الباء بتضمينها معنى الفرار يقال فر منه اي هرب وافره
غيره كانه قيل ولا تفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها اخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب
اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم
الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسول
من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل
ما بعد النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي
لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى
اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك
واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك
الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك
مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فما ابوا الا الاباء فما انت على التولي
بعدما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما
بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تعالى
ايمانهم او الذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى
تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود
ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم
بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات
جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها
بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه

وانا بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى
هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا القدر
وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن
البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى وتاخذ المقدمات
الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره
قيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان
المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة وما خلقت الجن والانس
من المؤمنين وهو قول مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه والسلام فيما يحكيه عن
رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة
بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى
لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شانه تعالى مع عباده
متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وتهيئة
ارزاقهم اى ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقى ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من
عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح
بانه غنى عنه وقرى انى انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر
وقرى بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد فان للذين ظلموا اى ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة
ذنوبا اى نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ
من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون اى لا يطلبوا منى ان اعجل في
المجىء به يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى
اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا
وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء
لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك و
من في قوله تعالى من يومهم الذى يوعدون للتعليل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة
وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الاتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب
الدنيوى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت
وجرت في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام

كلام

كلام الله عز وجل وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن
او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد
الذى يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه
الناس والبيت المعمور اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور
اى المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى ان الله تعالى يجعل البحار
يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اى لنازل حتما جواب القسم وقوله تعالى ما له من دافع
اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدا للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص
هذه الامور بالاقسام بها لانها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل
اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا
ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب
وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفا باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤه ...
وتسير الجبال سيرا اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما
عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اى اذا وقع ذلك
او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض اى اندفاع عجيب في الاباطيل والكذب
يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى
اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرى يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين
ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اى يقال لهم
ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا
يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار
التوبيخ ام انتم لا تبصرون اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سترت ابصاركم كما سترت
في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
اى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اى الامران في عدم النفع لا بدفع
العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع
حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اى في اية جنات واى نعيم على ان
التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرى
فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر اى خبر اخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على
ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله
او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اى يقال لهم كلوا واشربوا

كلوا واشربوا هنيئا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة
وما فاعل هنيئا اى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء لما ان التزويج مما يتعدى
الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اى المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق
بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين امنوا الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان
حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على امنوا
وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة ايمان الاباء واعتبار
هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر
الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اى فى
الدرجة كما روى انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا
هذه الاية وما التناهم وما انقصنا الاباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شئ بان اعطينا بعض
مثوباتهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم
بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من آلت يولت
ولتناهم من ولت يليت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل ان الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور
وبالذين امنوا اى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين و
قوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل و
هو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل
نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقنا بهم
كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان
عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم
المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الالاء يتنازعون فيها
اى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اى خمرا تسمية
لها باسم محلها لا لغو فيها اى فى شربها حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم
ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون
بالحكم واحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اى بالكأس غلمان لهم
اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم
وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام

ان ادنى

ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
اى يسأل كل بعض منهم بعضا اخر عن احواله واعماله فيكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا لا انه يسأل بعض معين منهم
بعضا اخر معينا قالوا اى المسؤولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا مشفقين
ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة
والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد
انا كنا من قبل ندعوه اى نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب
واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الايات
والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة
العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون و
هو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان
الموت قطوع اى بل ايقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم
كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض فى
المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام
موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن اداها اليه ام هم
قوم طاغون مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون
ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى اختلقه من
من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث
مثله مثل القران فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا
فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية
مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام
ولا ريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ اى ام احدثوا
وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة وجزاء ام هم الخالقون
لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه وتعالى ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اى اذا سئلوا
من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم
خزائن ربك اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة ويمسكوها عمن شاءوا او عندهم خزائن علمه وحكمته
حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اى الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاءوا
حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ مصيطرون بالصاد لمكان الطاء
ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا

ام هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما بالغيب يعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان
مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان
من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات
الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عم واعراض عنهم اي
بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل
فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في
ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فالذين
كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به
او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم
وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم
اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان
يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اي هم في
الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم
بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا
يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول او من صعقته الصاعقة او من اصعقه وقرئ
يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق
بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء بدل من يومهم
ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس
ذلك الا ما دبروه في امره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى
فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن
اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اي لهم ووضع الموصول
موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهؤلاء الظلمة عذابا اخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اي
قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها وهي دونه وهو عذاب
القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه
اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم
الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اي في
حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح
اي نزهه تعالى عما لا يليق ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اي مكان قمت قال
سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك

ولا اله

ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس
وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من اخر الليل اي غيبتها بضوء
الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ وادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها
اذا غربت او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان
ينعمه في جنته

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا
بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القران فهويه نزوله والعامل في اذا
فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك اتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام
بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه
اما على الاولين فلان النجم شانه ان يهتدى به الساري الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى
السبيل ما ضل صاحبكم اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة وما غوى اي وما اعتقد باطلا
قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث
فلانه تنويه بشان القران كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام
ومدار رشاده كأنه قيل والقران الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام
وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة
واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول
صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على
الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب
ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي
جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم
القيامة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات نطقه بالقران عن هواه ورأيه اصلا فان
المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القران
الا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي
علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا
على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم
قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي
حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان
لكيفية التعليم اي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي

بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحرا فطلع له جبريل عليهما السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملا الافق فخر رسول الله عليه السلام
فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما راه احد من الانبياء في صورته
عليهم النبي عليه السلام فانه راه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر
وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا اي اراد لدنو من النبي عليهما السلام
فتدلى اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى
دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اي مقدار استداد ما بينهما قاب قوسين اي مقدارهما فان القاب
والقيب والقاد والقيد والقيس للمقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هي مني معقد الازار
او ادنى اي على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه
بنفي البعد الملبس فاوحى اي جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى
ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى بواسطة جبريل ما لم
وحي قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي
فؤاد محمد عليه السلام ما راى اي ما راه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام اي ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك
ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته
افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او بعد ما ذكر من احواله المنافية لما راه تمارونه
من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرئ افتمرونه اي فتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلب عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا
وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده ولقد راه نزلة اخرى اي وبالله لقد راى جبريل في صورته
مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في
حكمها وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة
عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم
ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها
قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك
كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي
سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اي الجنة التي يأوي اليها
المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على
الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لراه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما
النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان

يغشاني كل حين اي ياتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى تاخره عن المفعول للتشويق
اليه اي ولقد راه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل
يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها
سبحات انوار الله تعالى عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه
من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام
يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما راه وما طغى وما تجاوزه مع
ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها
وما جاوزها لقد راى من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راى الايات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى
السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للايات والمفعول
محذوف اي شيئا عظيما من ايات ربه وان يكون من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي
اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون
عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به وكل كان يلت السمن بالزبيب و
يطعم الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعم الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل
كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تانيث الاعز
كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على راسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف
وكانها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا
يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتاخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان يكون
الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك
الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرايتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه
الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف
لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من اثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام
قدرته ونفاذ امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رايتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له
تعالى وقيل المعنى ارايتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن الهتكم
هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاي السابقة وقيل المعنى اظننتم انها تنفع الاصنام
التي يعبدونها تشفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الاخرة وقيل افرايتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها

لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى شهادة بينة فانه
توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع
اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني
عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه
الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة
الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من
التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب
الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة
الاستفهامية اذن قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور
لكنه كسرت فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه
اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى بالفتح اما على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى
ان هي الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها الا اسماء محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من
معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم
لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعلها اسما للمسمى وان قيست
الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام
التي يسمونها الهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية
لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على
تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وانت
خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الحاملة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة
بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف
يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم واباؤكم
بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة
للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية
والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه انفسهم
الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هو حال من فاعل يتبعون او اعتراض واياما كان ففيه تأكيد
لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه
الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل
للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي
نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها

اطماعهم

اطماعهم الفارغة في شفاعة الالهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى تعليل لانتفاء
ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر
من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من
شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على
الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عنهم
عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له
ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن
الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنكم بحال الاصنام
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين
عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله
قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة
والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به من علم
حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية
ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار
لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به
في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم وفي
وضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض
عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر للامور الآخرة
او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد الا
الحياة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك
في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك
اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه
الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق
باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر
الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر
بالاعراض وتكرير قوله تعالى من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا ومن اهتدى ممن من شأنه الاهتداء في الجملة
اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم
فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال الفريقين
عليه تعالى رمز الى انه يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا بما يليق به من الجزاء وفيه وعيد ووعد ضمنا كما سياتي

صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الخ
متعلق بما دل عليه الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من
خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي الذين اساؤا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال
الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة
الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كانه
قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان
يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال
الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال
في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره وبيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه
من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش
وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة و
والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين و
الاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء
اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل
المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين و
وعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى هو اعلم
بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشأكم في ضمن انشاء ابيكم ادم عليه السلام من الارض انشاء اجماليا حسبما مر
تحقيقه مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال
من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف
مقرر لما قبله والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم
المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر
كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى
على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل
كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء
فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من
المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرأيت الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات
عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه

العذاب

العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل في العاص بن وائل السهمي انه كان
يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور و
كان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده
من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى اي ايعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ام لم
ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد
الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليهما السلام حين يلقى في النار فقال
الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وروي انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه
والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا
تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما في صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما في
صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله
عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره
وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه
اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة
عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان
مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها نفع ما يدونه جعل النافع نفس عمله وان كان
بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له
يوم القيامة في صحيفته وميزانه من رايته النظر ثم يجزاه اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه
على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسره بقوله تعالى الجزاء الاوفى
او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلق ورجوعهم
اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بالكسر على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق
قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق
الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى
تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى يمنى قدر وان عليه النشأة الاخرى اي الاحياء بعد الموت
وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشأه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل
من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى
اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة
رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله عليه السلام ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم في دينهم
وانه اهلك عادا الاولى هم قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد

قوم نوح وقرئ عاد الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى
ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين فما ابقى اى احدا
من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اى من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى
من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه
السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هى قرى قوم لوط ائتفكت باهلها
اى انقلبت بهم اهوى اى اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشاها ما
غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباى آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التمارى الى الواحد
باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن
المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط
كما في تداعوهم اى يدعونهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان التمارى
متعدد بتعدد الالاء فتدبر ونسبة الامور المعدودة الالاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة
للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن
والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة
بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات
المتقدمة التى سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة
الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر
الى يوم القيامة اى دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من
دون الله كاشفة اى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها
الان نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها
الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف ان كانت كاشفة مصدرا كالعاقبة افمن هذا الحديث اى القرآن تعجبون
انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شئ من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من ان
يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه
او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود
بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود
بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفى والانكار
وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود
والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما
تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا

كان

كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس
رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتى
القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا و
يقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر
اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاستحكام اى
وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد
دائم يأتى به محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يتخلف بحال كسائر انواع السحر او قوى مستحكم لا يمكن ازالته
وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده
ما سيأتى لترديده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما
اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التى زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التى هى انشقاق
القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقيق وقوله تعالى
وكل امر مستقر استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما
قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اى وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها
امر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال
ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر
على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان
او اسم زمان اى ذو استقرار او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل
عطف على الساعة اى اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اى في القرآن وقوله تعالى من الانباء
اى انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء
ما فيه مزدجر اى ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه
موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة
تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفى للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء
على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد
مجيء الزاجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة اى فاى اغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى
الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعى

اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط اليا للاكتفاء بالكسرة تخفيفا
الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر
خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة
ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ
خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة
والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون
استيناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون ح فقيل
يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان
المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء
الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقرير لفحوى قوله تعالى فما تغني النذر اي فعل التكذيب
قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح
ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوا تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن
مكذب جاء عقيبه قرن اخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه
السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه
وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر
عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من مقالهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني
اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي مالي قدرة على الانتقام منهم فانتصر
اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر ياسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل
لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا
الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير لما ذكر في المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض
والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لـ
اختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير
تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو
هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر
ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي
مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام
لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله عز وجل على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على
حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين

ولقد

ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي
دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الاية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم اي كانا على كيفية هائلة
لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القران الخ جملة قسمية وردت في اواخر القصص
تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل
قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد
سهلنا القران لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد
للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر
احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده
المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارعة
الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء
الى ما يلقى اليهم قبل ذكره للتهويل والتعظيم والتعجيب من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل
سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف ببيان
ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او مستمر
عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز
نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقطع
رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله اعجاز نخل
خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة
تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات
والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول
الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له
او واحدا من احادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من
الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء و
قوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال
عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم
في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول
االقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي بطر

الامر كذلك بل هو كذاب لو كذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية
لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد
وقت نزول العذاب اى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله اشره وبطره على الترفع اهو ام من
كذبوه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر
فى حذر وقرئ الاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله
تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استيناف سيق لبيان مبادى الموعود حتما اى مخرجوها من الهضبة حسبما
سألوا فتنة لهم اى امتحانا فارتقبهم اى فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم
ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه فى
نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير
مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل بالناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ
بتكلف فكيف كان عذابى ونذر الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
هى صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اى فصاروا كهشيم المحتظر اى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم
الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم
حاصبا اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء الا ال لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهو اخر الليل وقيل هو السدس
الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اى انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اى مثل ذلك الجزاء
العجيب نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اى اخذتنا الشديدة
بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم
فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فتركهم يترددون
لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام فذوقوا عذابى ونذر اى فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة
او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة
على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى
ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهى اليه فذوقوا عذابى ونذر حكاية لما قيل لهم ح من جهته تعالى تشديدا للعذاب
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء ال فرعون النذر صدرت قصتهم
بالتوكيد القسمى لابراز كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الايات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب
وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر ال فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اى وبالله لقد جاءهم النذر
وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجئ النذر كأنه قيل فماذا فعلوا
فقيل كذبوا بجميع اياتنا وهى الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شئ اكفاركم
يا معشر العرب خير قوة وشدة ومرعدة وعدة اى مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم

ما اصابهم

ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا
واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة فى الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه اخر اى بل الكم
براءة وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصى وعواقبها فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه
وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه اخر من التبكيت والالتفات
للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اى بل ايقولون واثقين
بشوكتهم نحن اولوا الحزم والرأى امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا
بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اى يهزم
جمعهم البتة ويولون الدبر اى الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم
يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن سمعت عمر بن الخطاب رضه يقول لما نزلت
سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سنهزم الجمع اى الله عز وعلا بل الساعة
موعدهم اى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى
وامر اى فى اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذى لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار
الساعة فى موقع اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والاخرين فى ضلال وسعر اى فى هلاك
ونيران مسعرة وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الاخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب
اما بما يفهم من قوله تعالى فى ضلال اى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون فى النار على وجوههم واما بقول
مقدر بعده اى يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اى قاسوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك لم
ينصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شئ
من الاشياء خلقناه بقدر اى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور امر التكوين او مقدرا
مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبر
وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة
كلمح بالبصر فى اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اى اشباهكم
فى الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شئ فعلوه من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل
فى الزبر اى فى ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما
كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترتيب
والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اى من الكفر والمعاصى فى جنات عظيم الشان
ونهر اى انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد واسد فى مقعد صدق
فى مكان مرضى وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر اى مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شئ الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل

غنيت بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان
القران قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك وعدد في هذه السورة الكريمة
ما فاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم
بمواجب شكرها وبدى بتعليم القران فقيل الرحمن علم القران لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار
للسعادة الدينية والدنياوية عيارا على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنوا اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه
ومناط ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من
اثار الرحمة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان
تعيين للمعلم وتبيين لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة
والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيانه نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره
ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القران والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف
لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم
بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي
النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان
له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران اخران للرحمن جردتا عن الرابط
اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير
غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له واخلاء الجمل الاول عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من
حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين
وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث
جعلها منشا احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه و
سلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر كل
مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل
قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القران وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا
معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول
الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم
وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا فيه
على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اي لا تطغوا على انها مفسرة

لما في تشريعه من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول
واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة
باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي
هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره
ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي للخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل
الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افاده الجملة السابقة من كون الارض موضوعة
لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مؤكدة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال
هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية
الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه
والحب هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو
الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى
به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان
اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
والريحان اصله فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف وللفرق بينه
وبين الروحان وهو ماله روح قال القرطبي فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله
تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف
الالاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة
الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم
القران وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم
الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لالهتهم به تعالى
في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الالاء
المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل
فباي فرد من افراد الالاء المذكورة تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق
الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين
والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى ادم عليه السلام من تراب جعله
طينا ثم حماء مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الاية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخريين وخلق الجان
اي الجن او ابا الجن من مارج من دخان صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب

فبأي الاء ربكما تكذبان فما افاض عليكم في تضاعيف خلقهما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين
بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء
ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج البحرين
وقرئ بالجر على انهما بدل من ربكما فبأي الاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما
في مرأى العين وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما
برزخ اي حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وا-
بطال صاحبته او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي الاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل
التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار
الدر والمرجان صغاره ونسبة خروجهما الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا
يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما
يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول
من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فبأي الاء ربكما تكذبان وله الجوار اي
السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان
المنشئات المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن
الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي الاء ربكما تكذبان من
خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها
وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اي على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين
فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق
والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام وهبه للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته
تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول
يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففي
وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه
وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فبأي الاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم
اجل النعم واعظم الالاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم
حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم
الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين
العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال

وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام كل يوم اي كل وقت
من الاوقات هو في شان من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين و
ياتي باحوال ويذهب باحوال حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا
ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا
فبأي الاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم
القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد هو الجزاء فعبر
عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من
كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ
سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايه الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة ارائهما
او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي الاء ربكما التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى
سوء الحساب تكذبان بأقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير
ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما
كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي
وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون
على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع
الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فبأي الاء ربكما تكذبان
اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب
الخالص وقيل المختلط بالدخان اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج
من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة
لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ
بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظ ونحاس وقرئ نحس جمع نحاس
مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فبأي الاء ربكما تكذبان فان
بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف ونعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيامة
فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي فحصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد
كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت او نعت
لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو
الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فبأي الاء ربكما تكذبان
مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون
بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله

تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه. ففي موقف المناقشة وقيل ضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما
ان المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني. فبأي آلاء ربكما تكذبان. مع كثرة منافعها فان
الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له
بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد
الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو
القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوه واحذركم ونحوه واخذ به
اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث
خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة
تارة تأخذهم بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية
الاخذ بالنواصي والاقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ او حال من اصحاب النواصي والاقدام
لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اي بين النار يحرقون بها
وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم ويسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا
بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف
مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية
والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء
جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في
تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في
شأن من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث
ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها وان ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال
الهائلة التي تقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء
بها من اقتراف المعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقام ربه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم
الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد
المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف
الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة للعقيدة واخرى للعمل او جنة لفعل
الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى
بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب
كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار
او جمع فنن اي ذواتا غصون متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي

آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين
تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس رضي تجريان بالماء
الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر
الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان و
قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان
وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان
من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها
كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما
من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء
قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في
الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد
عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من
الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن
الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس والجنيات احد من الجن
قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ
يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فبأي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اي
مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع
بياضا من كباره وقيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة
البيضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما فصل
قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما
جنتان مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم
من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض
لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى
السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه
الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء
والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الافراد
على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن
هذا قال ابو حنيفة رح من حلف لا يأكل فاكهة فاكل تمرا او رطبا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن

خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيهما وخيرات مخففة من خيرات
لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فباي الاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة
اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من بيوتهن درة مجوفة فباي الاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما
تدلى من الاسرة على الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب
عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان
العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف
بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر
في اسم البلد فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في
السورة الكريمة من الايات الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة
من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الالاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها جحود
نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى
الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وصف به الرب
تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيمة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقيق
وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت
الحادثة وانتصاب اذا بمضمر من الاهوال لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة
اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى وتكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله يا ليتني
قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس
لاجل وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة
رافعة خبر مبتدا محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لاخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان من
الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات
ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو
كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة
وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اي زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق

خافضة

خافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق
اذا لته اي سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست
اي ارتجت وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة
الحاضرة والامم السالفة تغليب او للحاضرة فقط ازواجا اي اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف اخر في
الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة تقسيم
وتنويع للازواج الثلثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله فاصحاب الميمنة مبتدا وقوله ما اصحاب الميمنة
خبره على ان ما الاستفهامية مبتدا ثان ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان
ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم
او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة
والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال
واصحاب المشامة في نهاية سوء الحال واختلفوا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب
المشامة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم و
الذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار
وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها
بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم
مع كونهم اسبق الاقسام واقدامهم في الفضل ليقرن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان
السبق مطلق معرب عن احرازهم لقصب السبق مع جميع الوجوه واختلفوا فيهم ايضا فقيل هم الذين
سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل
والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار و
قيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما كان فالجملة مبتدا وخبر والمعنى
والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم
شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى رحمته السابقون الى
طاعة الله تعالى او السابقون الى الجنة السابقون الى الخير وقوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم و
اعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشرحه
والذي يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتداء محذوف وكذا قوله واصحاب
المشامة وقوله والسابقون فان المترقب عند انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام

الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير
فاحدها اصحاب الميمنة والاخرى اصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال الفريقين
الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين الفريقين منبئة عن ترقي احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا
مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتداء وما بعدها خبر على ما راه سيبويه
في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا
لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذلك الحال في ما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير
فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار
في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدا ثان او بدل من الاول وما بعده خبره او الثاني والجملة خبر للاول وقوله
تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان
لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم
وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السابقة من لدن ادم
الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الاخرين اي من هذه الامة ولا يخالفه
قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع
اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الاخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة
وقد روي مرفوعا ان الاولين والاخرين ههنا ايضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من
الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر اخر للضمير
والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها
متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب
يطوف عليهم حال اخرى او استيناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا
على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم
حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي وعن الحسن رضي الله عنهما وفي الحديث
اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بانية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اي انية ذات عرى وخراطيم
وكأس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت
مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون
ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفارق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي
لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه وياخذون خيره
وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدا

محذوف

محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور
او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون
صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي
يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع
كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
او صفة او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام
او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الاخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين
شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدا وقوله تعالى
ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة للتفخيم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع
على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدا او خبر لمبتدا
محذوف والجملة استيناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك
لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد
الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو
شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى
من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال اي القرآن
لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على
الارض في غير اخدود كانه مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور
لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت
من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة من متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا
وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر
اي منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها
كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء و
على التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء
جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا
رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله
فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء
اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين
متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لـ

لابكارا اى كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ محذوف اى هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ضمنت به قصة اصحاب اليمين اى هم امة من
الاولين وامة من الاخرين وقد مر الكلام وعن ابى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اى من
سابقى هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة فى اخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا من امتى واصحاب الشمال شروع فى تفصيل احوالهم التى اشير
عند التنويع اليها اثر تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى ما اصحاب الشمال
عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى فى سموم وحميم والسموم حر نار تنفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى
الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك
ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم
بالرفع اى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب
اى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة و
المقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى الذنب
العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون
لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها
عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية
والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها
وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية
له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راى الجمهور فان
المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين
فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى
انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير
الهمزة فى قوله تعالى اوآباؤنا الاولون لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك
للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ اوآباؤنا قل ردا لانكارهم
وتحقيقا للحق ان الاولين والاخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفى تقديم الاولين مبالغة
فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى
لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم
والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم

للتراخى

للتراخى زمانا او رتبة المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع
ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون
الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اى كائن من زقوم فمالئون منها
البطون اى بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اى الماء الحار
فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه للزقوم
وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اى لا
يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب
ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك
جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع
والتهاب النار فى احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو فى غاية
المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه
شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب
هذا الذى ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما
يقدم للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعدما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من
التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة
مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اى
فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يأتيه بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شىء وقيل
بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا
افرأيتم ما تمنون اى تقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها
ءانتم تخلقونه اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شىء فيه وام
قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجىء
الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه عليكم
ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا
وما نحن بمسبوقين اى لا يغلبنا احد على ان نبدل امثالكم اى انا قادرون على ان نذهبكم ونأتى مكانكم
اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن اى نجعلكم قردة
وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم و
المعنى وما سبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير
وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة

قوله والاول هو الوجه اقول [illegible]
[illegible] ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون واعادة الاوجه الثلاث [illegible]

دخل بين من فطرة ادم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تتذكرون ان من قدر عليها
النشأة الاخرى حتى فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
وقرئ فلولا تذكرون الثاني وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا
للمصدق بالنشأة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون اى تبذرون حبه وتعملون في
ارضه أانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اى المنبتون لا انتم والكلام
في ام كما مر انفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما تكسرا متفتتا بعدما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة
غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال
او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف
الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون اى تندمون وقرئ فظلتم على الاصل انا لمغرمون اى
لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة
على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اى قائلين او تقولون انا
لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون
افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم
المقاصد المنوطة به أانتم انزلتموه من المزن اى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض
وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام
ههنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية
وصعوبة الفقد والشرطيتان سيقتا موقتتين لبيان ان نعمته تعالى للزرع والماء مما يجب
بالتمتع بالنعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون
تخصيص على شكر الكل افرأيتم النار التي تورون اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أانتم انشأتم
شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون بقدرتنا والتعبير عن خلقها
بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين
سائر الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن
نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا اخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف
مبين لمنافعها اى جعلنا تذكرة لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا
به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها
بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار
من الشجر الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القوى وهي القفر وتخصيصهم بذلك
لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز
ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم اختصاصها بهم ويشد

فلهم

فلهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح
باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى
اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في
غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اى فاحدث
التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم
اى فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء
ويعضده قراءة من قرأ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وانه قيل من ان المعنى فلا
اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به بمواقع
النجوم اى بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود
مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان
عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به
البيان وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث اعترض بقوله و
انه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقران كريم اى كثير النفع لاشتماله على اصول المهمة
في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته
وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه او لعلمتم موجبه في كتاب
مكنون اى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون
اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار
او للقران فالمراد بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اى لا ينبغي ان يمسه الا
من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى
لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام
والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار
او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقران وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ
تنزيلا افبهذا الحديث الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاعظام والاجلال وهو القران الكريم
انتم مدهنون اى متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم
اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون
اى تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من
الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسباق النظم الكريم وسياقه
فان قوله تعالى عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقران فيما نطق به قوله تعالى

نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم
وشرابهم وساير اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتخصيص لاظهار عجزهم واذا ظرفية اى فهلا اذا
بلغت النفس اى الروح وميل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ اى يا ايها الحاضرون حول
صاحبها تنظرون الى ما فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون
من حاله الا ما تشاهدونه من اثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على
رفع ادنى شى منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون
لا تدركون ذلك لجهلكم بشونتا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير مربوبين من ادان السلطان
رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى
عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا
الاول والثانية مكررة للتاكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه
عدم تصديقكم بخلقنا اياكم ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين فى
اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم
قوله تعالى فاما ان كان من المقربين الخ شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة
اى فاما ان كان الذى بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم
فروح اى فله استراحة وقرئ بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة
وريحان ورزق وجنة نعيم اى ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق
اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الاخرين وقوله تعالى فسلام لك
من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم
على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين
الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها
الضالون المكذبون الخ ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اى فله نزل كاين
من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة
لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة الكريمة
لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيته ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما
لا يليق بشانه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب باياته الناطقة بالحق عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة واقعة فى كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه

من سبح فى الارض والماء اذ ذهب وابعد فيهما وحيث اسند هاهنا الى غير العقلاء ايضا فان ما فى السموات والارض
يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر فى اية الكرسى اريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به
لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات
يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد
بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما
فى نصحت له وشكرت له او تعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه فى بعض الفواتح
ماضيا وفى البعض مضارعا للايذان بتحققه فى جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شانه
التسبيح الاختيارى ان يسبح تعالى فى جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز
القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شئ الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض
تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اى التصرف الكلى فيهما وفيما
فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وساير التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تعالى وهو على كل
شئ من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ فى القدرة هو الاول السابق على
ساير الموجودات لانه مبدئها ومبدعها والاخر الباقى بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع
النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية والظاهر وجودا لكثرة
دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تكتنهه العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين
المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الاوقات والظهور والخفاء
وهو بكل شئ عليم لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه فى سورة سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى
بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم
فتاخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل على قوله تعالى
له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اى اليه وحده لا الى غيره
استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع
رجوعا يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اى مبالغ فى العلم
بذات الصدور اى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته
باعمالهم التى يظهرونها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من
غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق
فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق
وجعلكم خلفاء عمن قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل

من اسلم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين امنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير
وفيه من المبالغة ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير و
وصفت بالكبر وقوله تعالى عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استيناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما
امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما الجملة على ان حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
اي اي شيء ما بسبب حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب
لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة للانكار
الواقع كما في اتضرب اباك واخرى بانكار الوقوع كما في اتضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد يكون للانكار بسبب
الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون للانكار بسبب الوقوع و
نفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا
فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع
عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم
حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين
من النظر وقرئ وقد اخذ ميثاقكم بالمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب
لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح ايات بينات واضحات لتخرجكم
اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث
يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الايات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا
في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به الخطابية بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان
يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين
المنفق فيه للتشديد في التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة
وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل
الا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق
اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالاخرة لله عز
وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم
خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل
تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق
بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان

بانهم

بانهم اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من
انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة
الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء
اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة
بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول
الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى والله
بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من امن و
اول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان
درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق
بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار
المعنى كانه قيل ايقرض الله تعالى احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر
المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف و
قد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدأ اي فهو يضاعفه وقرئ
يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله
فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل
نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم
الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يؤتون نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام
رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة
بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات
او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات
المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة
كالبرق الخاطف على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم

فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان
يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما
بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة
يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين
خاسئين فالتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم
من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه
اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي
النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال
كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن معكم في الدنيا
يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها
بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي
من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الغرور اي غركم
الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ
تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا او باطنا ماواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى بكم
وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم
عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم
موجباتها وبئس المصير اي النار الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم
تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي
ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن
ابن مسعود رض ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان
الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران اي الم يجيء
وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه
من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ
الما يأن وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على ذكر الله تعالى فان كلا
هو المراد به ايضا والعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في
قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له
الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق
في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب

بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله
تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء
وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم
فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير
عن القساوة قد بينا لكم الايات التي من جملتها هذه الايات لعلكم تعقلون اي تعقلون ما فيها وتعملوا
بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ
كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا
قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القرائتين ورد
عقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة بما ليس منها وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا
وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف
على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص
المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين امنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار
التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية
الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار
وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن
التصدق من طيب النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول
مسند الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق
وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم ترغيب
من الكلام والذين امنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة
اولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد
مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر
للثاني وهو مع خبره خبر الاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم
بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث امنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله و
القائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم
بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول
او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخير للصديقين
والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذفت اداة التشبيه

تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء واثبت المماثلة بين الفريق
الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخرين من
الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى ان لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا
هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الخ والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في
الاخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء
فضلا عن الاطمئنان وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار
اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته
ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته
كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف
وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة
امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات
والالام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب
شديد لانه من نتايج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم
لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الاخرة عن سعيد بن
جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله فنعم المتاع ونعم
الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم
اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها
كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية
اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها
ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه
من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه
ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع والثمار ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتاب اي الا مكتوبة
مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان في ذلك اي
اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر
فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو ات وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة
الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم

والمراد به نفس الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص
التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من
كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان
الله هو الغني الحميد فان من يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان
الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء والانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي بالحجج و
المعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل
روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل
ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من
حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا
الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء
قوله تعالى فيه بأس شديد لان الات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد او ما يعمل بالحديد التها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على
محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو
اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط و
قوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه قوله تعالى ان الله قوي
عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته
في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا
فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله
لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط
بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى
الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان
بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم
اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن مريم والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسل اليهم او من عاصرهما من
الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه
مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي

ووفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوبة
اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة
اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي ووفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع
الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة
الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان
وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى
عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم
فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم
جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول الى اصل الفعل وقوله الا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم بقوله تعالى
فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه
الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها
لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا
عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها
استتباع الاجر اجرهم اي ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل
الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول
بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام
يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وفي الاطلاق ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم
بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت
حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم و
بايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله و
تؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة
ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى الا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول ليعلم اي
ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم
يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله

تعالى

تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والذي بيد الله حال لازم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم
اعتراض تذييلي مقرر لمضمونه وقد جوزوا ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى
اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين
في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين
احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا
الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة
وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا ايضا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي صلى الله عليه وسلم و
المؤمنين والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عليه السلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبادة
علم او نبوة من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله
تعالى وان الفضل بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين
آمنوا بالله ورسوله

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام في شأنه و
فيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع
اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة ابن مالك بن خزامة الخزرجية
ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها
ذلك فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه
وفي رواية ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع
رسول الله عليه الصلوة والسلام وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت وفي كلمة قد
اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به
ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت ترفع راسها الى السماء و
تقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى
بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على
استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام
اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله
عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته
ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار
الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى

الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف
والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة
دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول
اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي
ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي عليه السلام
فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول
على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل
والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان
الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق
التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما
قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى
تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله
واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند
الشافعي رح يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار
وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى
ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى
الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق
بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابي حنيفة رح ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ
خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات
والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي
هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال
التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود
ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فعليه صيام شهرين متتابعين من
قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب فاطعام
ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المس لكن لا
يستأنف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها

وما فيه

وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء والنصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك
واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في
جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله
التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان
كلا من المتعاديين كما هو في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود
المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي
اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا
معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين
من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من
واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم
من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك
الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم
وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما
لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة
فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من
الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه
الله استئناف جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف
ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى
ونسوه حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل
احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم
لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لاحصائه تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في
قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما
انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا
لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان مصدر مضاف الى ثلاثة
او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله

عز وجل رابعهم اى جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت
فى تناجى المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من
ذلك اى مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم وقرئ
ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفى الجنس اينما كانوا من الاماكن
ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا
وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم
ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم
يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا
راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه السلام والهمزة للتعجيب
من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول عطف عليه داخل فى حكمه اى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص
بمعصية الرسول وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم و
استعظام معصيتهم وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله فيقولون السلام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون
فى انفسهم اى فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا
حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير اى جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فى انديتكم
وفى خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا
وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن
معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذى اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان من الشيطان
لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين امنوا خبر اخر اى انما هى ليحزن المؤمنين
بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم وليس بضارهم اى الشيطان او التناجى بضار المؤمنين شيئا من
من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اى بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
فان الله تعالى يعصمهم من شره وضرره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا اى توسعوا وليفسح بعضكم
عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى اى تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى فى المجالس متعلق بقيل وقرئ فى
المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه السلام وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه السلام وحرصا
على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتى

الصف

الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا
اى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اى فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان و
الرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اى انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما
من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن
الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الاخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من
اثرتى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان
كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يتمثل بالامر وقرئ يعملون بالياء
التحتانية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فى بعض شؤنكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا
بين يدى نجواكم صدقة اى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول عليه السلام ونفع
الفقراء او الزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف
فى انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى ءاشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه
نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله اية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق
الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اى التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر
بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة
بلا تصدق ءاشفقتم اى اخفتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات اى اخفتم الفقر من تقديم الصدقات
او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق
عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم
من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم وقيل بمعنى ان
فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله فى ساير الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع من ذلك من التفريط
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم
وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اى الم تنظر الى الذين تولوا اى والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود
كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك
والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على
تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم
يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب فى غاية القبح وفيه
دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته

فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون
فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة
وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه
القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها
الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة
بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا
اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم
عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا
واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها
هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون
له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة
على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم و
يستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية ليس وراءها غاية حيث تجاسروا
على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين
استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل
كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون
بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون
بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير
الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المتضايفين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل
من فنون التأكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من
خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة
لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو اذل
خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله
عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين
اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي
بالحجة والسيف او بما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم

المنصورون

المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب
في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي عليه السلام او لكل واحد وتجد اما متعد
الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه
بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد
بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه
كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم اي آباء الموادين
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر تفصيله
مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى
البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل
من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم
اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية
اي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الآبدين وقوله تعالى رضي
الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ورضوا
عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم
به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام
في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله
يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول
ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني
النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي
عليه السلام وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة
لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا
قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من
الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج
فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم
لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم
الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاءوا من

منهم جلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت
طائفة بالحيرة وانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة
على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على
جعله مستعار الاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم
به اي بذلك وعليه قول رؤبة العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة
الذي اخرج الخ وفيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا
من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء
عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها
المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم
للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم
او يطمع في معارضتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لأن وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فأتاهم الله اي امر الله
تعالى وقدره المقدر لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما
اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة وقيل الضمير لأتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي
فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب في الخوف الذي يرعبها
اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد
جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث
كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكأنهم
كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب
التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم
من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا
من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على
حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه
الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف غير متعلق
بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك
اي ما حاق بهم وما سيحيق بهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما حكي عنهم من القبائح
ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام
وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه

الذل

اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكملة لما
قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل
بسبب مشاقتهم لله ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب
شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها
كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره
باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا
لها بشيء ما وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة من الواو او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما
فباذن الله فذلك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن
في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف او يتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع
والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم
واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية
اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع
في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من
التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع
في ايديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى عبادته فهو
جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف
وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب
الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة
ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا
مشيا وما كان فيهم راكبا الا النبي عليه السلام فافتتحها صلحا من غير ان يجري بينهم مسايفة كأنه قيل وما افاء
الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى
جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه هؤلاء تسليطا غير معتاد
من غير ان تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعتادة واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة
الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى
عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه السلام الى الامام
على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام

كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء الآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء
الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من الغنى
والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصرة
اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا
يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عزيز وقيل الدولة بالضم اسم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا
يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى
كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون اخذه تداولا بينهم لا يخرج منه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على
كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكموه من الفيء او من الامر
فخذوه فانه حقكم وتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه
واتقوا الله في مخالفته عليه السلام ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه للفقراء
المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي
القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من
الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم
للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده وينصرون الله
ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم
من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات
الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤا
الدار والايمان كلام مستأنف سوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم
باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا
فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا
الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني
والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه من قبلهم اي
من قبل هجرة المهاجرين على المعنى الاول من قبل تبوء المهاجرين على الآخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان
مباءة ولزومه واخلاصه على المعنى الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه
ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا
اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم
اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في انفسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك
اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من

الفيء ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده
امرأتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص
البيت وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي عليه السلام قسم اموال بني النضير على
المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن
الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم
لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم
بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء
والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق
دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئناف مقرر لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا ومن
يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم وان اضيف الى النفس لانه غريزة فيها
مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال
وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ
ويوق بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان
وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان
فالموصول مبتدأ خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم
لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كان ما عطفتا عليه من جملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون
لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا
بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا اي حقدا وهما اتحد للذين آمنوا
على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين
نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها
بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع
للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم
قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة
ولنذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شانكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال
الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم
اياهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى

وان قوتلتم لننصرنكم اى لنعاوننكم على عدوكم على ان وعدتهم الى صد لان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيه ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم
لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يجعله عليه السلام عند ذلك فتنهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم وانما
الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة
الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة قوله
تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على
الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير وذلك
سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن
الادبار فرارا ثم لا ينصرون اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم
او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية على انه مصدر من
المبني للمفعول في صدورهم من الله اى رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم
كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله تعالى
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
اى اليهود والمنافقون يعني لا يقدرون على قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين في موطن من المواطن
الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا ويبارزوكم لفرط رهبتهم
وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استيناف
سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد
وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون
اصلا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون
في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون
ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف
تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني
النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اى سوء عاقبة
كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا
والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق
به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم
بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى
ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل

مثل اليهود

مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك
وقرئ انا بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني
اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان
واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو و
ذلك جزاء الظالمين اى الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
اى في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى اى شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه
بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير
نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله
تكرير للتأكيد والاول في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد
بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اى من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه
حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اى جعلهم ناسين
لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة
الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور
الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة
ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل
يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة
في الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء
في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة
هم الفائزون فانه استيناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون
عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في
القوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل
لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ
الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة
اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز

الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار
المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد
او جبر احوالهم اى اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان
الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى شيء
منها اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها
من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني
الحسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع
للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد
وابا مرثد رضي الله عنهم وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها
وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله عليه السلام
حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني
كنت امرأ ملصقا في قريش ليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني
عنهم شيئا فصدقه رسول الله عليه السلام وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اى توصلون اليهم المودة على
ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة
التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من
هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استئناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من
فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اى كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم
اى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى
ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب
الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا
اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اى تسرون
اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اى والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي
على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء

على الاعلان

على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اى الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اى يظهروا ما في قلوبهم من
العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوؤكم من القتل والاسر والشتم
وودوا لو تكفرون اى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقيق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيامة
بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله
بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما
لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ونفصل مبنيا
للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة
اى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابراهيم والذين معه اى من اصحابه المؤمنين
صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من
لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ براء
كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اى
بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
اى هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فينقلب العداوة حينئذ ولاية و
البغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام
لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي
ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتى يترتب الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة
للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم
كون استغفاره عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من
السداد بالكلية لابتنائه على ورود النهي لاستغفاره عليه السلام وابتنائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان
لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل
ذلك قطعا وانما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره له بعد النهي
كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس
الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة
بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوكيد القسمي واما جعل
الاستغفار واردا عليها وترتيب التبري على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك
من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك و

وليس في طاقتي الا الاستغفار لا فيده الذي هو في نفس من خصال الخير لكونه اظهار العجز وتفويضا للامر الى الله
تعالى وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة
الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وشق العصا التي الجأ الله
تعالى عدوه جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز
الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة
وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا وانما جعل الايتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم
بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكميلا لما وصاهم
به من قطع العلايق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم و
من معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الايتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الاخر لا يترك
الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم
المشركين مودة بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين
والتشدد في معاداة اباءهم وابناءهم وساير اقرباءهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم و
لقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله
قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور
رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في
قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم
عن البر بهولاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تفضوا اليهم
بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى
قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول
فنزلت فامرها رسول الله عليه السلام ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة
وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم ساير
اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن توليهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا
بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من
بين الكفار فامتحنوهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان روي

الرسول

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت
رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن فانه
المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراضية فان علمتموهن مؤمنات بعد الامتحان علما يمكنكم تحصيله وتبليغه فانكم
بعد الكتب والتي من الاستدلال بالعلايم والدلايل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب تسميته علما
للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح
الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد واتوهم ما انفقوا اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور
وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية والنبي عليه السلام
بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد
علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن
وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم
مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اي لا يكن بينكم وبين
المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه
لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق
الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا
واسالوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله
او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى
المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت
منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة
في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على
المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى
بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
التي تزوجتموها ولا تؤتوه لزوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل
الفائت من الغنيمة فاعقبتم وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من
لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية
وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك

اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا اى شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن اريد به واد البنات ونحوه وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان
بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك فى معروف اى فيما تأمرهن به من معروف و
تنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على انه
لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما
بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اى على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى
المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشرائع الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن
لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما فى ضمن
المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن
ان الله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف
فى كيفية مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا و
معه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى انه كلف امرأة وقفت
على الصفا فبايعتهن وقيل دعى بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروى انه عليه السلام بايعهن
وبين يديه وايديهن ثوب قطرى والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضى الله عنها ما اخذ رسول الله على النساء
قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله عز وجل يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات
الخ الاية فمن اقر بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت
فى التوراة المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم ووقفوا على
حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل
المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى نظيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد

كرهوه

كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا يأباه الانتقال وروى انهم
قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى فى
سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل
لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد
فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل
كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين
ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت
الفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شئ تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف
على ان مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس
ترك الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان
المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من
باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه
اى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من
يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان
ما هو ممقوت عنده وهذا صريح فى ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عمال تقول المتمدح او انتحال المنتحل او حديث
المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا
مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم او مصفوفين
وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن فى الحال الاولى اى مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان
رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله
من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اى
واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد
عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى
قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك واذوه كل الاذية يا قوم لم تؤذوننى
اى بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء و
نفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اى والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة
ما ظهر بيدى من المعجزات الظاهرة التى معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته انى رسول الله اليكم لارشدكم الى خير
الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فلما زاغوا اى اصروا
على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اى صرفها عن قبول الحق والميل الى

الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية
موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في
موضع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا
وايا ما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم
الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية
من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه
فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا
تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم اما معطوف على اذ الاولى ومعمول لعامله واما معمول لمضمر
معطوف على عامله يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله تعالى اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم
اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث
ان البشارة واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل
من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا
بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه
جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين
مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين
فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم
من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر مرارا غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه مثل
لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون
ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه وكتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة
تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه
الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في حيز
الحال على ما بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزات ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره
على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين
من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه
يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله

ورسوله

ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل
او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال كأنه قد وقع فاخبر
بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم
اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بتأويله وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا غير مرة خير لكم على الاطلاق او من
اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم
كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون
وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات
الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار
يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف
وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر
اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى آمنوا كأنه
قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين
آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم
انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه
قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره
حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من
آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين
وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد
رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى
مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون قيل بدئت الكتابة
بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته

مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلوا اي يحملهم على
ما يصيرون به ازكيا من خبايث العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة
في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية
وتهذيبها المتفرع على تحكمها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة و
واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القران تارة بالقران واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار
كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرايع
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم و
ازاحة لما عسى ان يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة واخرين منهم عطف
على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة
الى يوم الدين فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لاخرين اي لم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه
من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين ساير الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة مثل الذين حملوا التورية
اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الايات التي من جملتها الايات الناطقة بنبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال
والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على
اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله
على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم
او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف
المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هولاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف
وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله
لا يهدي القوم الظالمين الواضعين التكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها
للعذاب المخلد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة
الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت
اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل
الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والبا

في قوله

والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول
النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم
بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما ياتون وما يذرون من الامور
التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم
والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم
موته احد كما ينبي عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد
قال عليه السلام لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان
تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي
لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي فعل
النداء لها اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من
الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة
وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك اجعل لنا يوما
نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى اية
الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم
خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله
وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم
اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا
من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى
وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا
ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام
والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر
وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير
استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة
مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا

تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على
المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم
والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان
بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم
انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم
من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة
عن اعتقاد واطمئنان قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي
من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة
عن اعدادهم وتهيئتهم لها وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر
عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء
في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن
اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ
ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم
فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون
من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول
الناعي عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم
امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر
ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر
واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته اصلا واذا
رأيتهم تعجبك اجسامهم يعني ان منظرهم يروقك لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم
وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله
وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن
يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب

منصوبة

منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية من العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو
جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون
كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما
يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى
الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان
مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم
الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون
تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جنايتهم بطريق
النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون يعرضون عن
القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من
جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا
بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار
لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين
في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موقع
الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون
اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى
التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته
حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم
انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من
يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤنه ولذلك يقولون من مقالات
الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه
نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من
فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم
به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من
رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون
روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال
لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم

ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره
عز وجل من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي وتوجيه النهي الى الاموال للمبالغة كما في
قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون
اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم ادخار الاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت بان تشاهد
دلايله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر
فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على
جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني
اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي اخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد
من اول العمر الخ والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا
لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها استمراريا
له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما
ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية فمنكم
كافر اي فبعضكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما
يقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شكرا لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم
فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام
التوبيخ وحمله على فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم
المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر
والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن
صوركم حيث برأكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع
الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته
وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية
والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من
الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبل لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله

تعالى والله

تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات
المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة
الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل تقديم تقرير القدرة على العلم لما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الاشياء الم يأتكم
ايها الكفرة نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على
كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة
اي الم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر
قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة بانه بسبب ان الشان
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من
المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدينا
كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس
فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي
بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن
ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن
ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال ومستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول
كفار مكة اي زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل رد عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي
تبعثون وقوله تعالى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت
الامر واردة لتأكيد ما افادته كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر اخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد
لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة
والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان
النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه
خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد
كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع
فيه الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس بعضا
بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس في الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري
مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة
وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيامة
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال
الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كأن الآيتين الكريمتين بيان
لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كأنها بذاتها
متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد
قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد
الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدا
قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي
قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد
التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل
للجواب المحذوف اي فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول
مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته
عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدأ وخبر اي هو المستحق للمعبودية
لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة
دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل
والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى ويخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم
الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول الحذر
عن الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على
العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن
مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم
يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم
واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين
قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون
وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا
منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم
في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد
والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه

واطيعوا

وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم
وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة
خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للامر
اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله
بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم
بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب
والله شكور يجزل الثواب بمقابلة القدر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة
لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة عن النبي صلى من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة
والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته ايضا للتشريف عليه السلام
واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه اياهم وتغليبه عليهم لا لانه
كنداء اياهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشموله حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم
تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته
لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها
والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة
واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن و
في وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق
الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي للازواج لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن
ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا
على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان يأتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة
الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني
للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها للعباد
ومن يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر
التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله
تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا
ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر
دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل

الدنيوي لكون اعراض الناس عنه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدرى خطاب للمتعدي لمزيد الاهتمام بالزجر
عن التعدي لا للنبي عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر نفسه فانك لا تدرى ايها المتعدي عاقبة
الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض
عنها اقبالا اليها ولا يتيسر تلافيه برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن
فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها
ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله
تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رح انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند
الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من
مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء فيها تعقيبا كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد
وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويكشف عنه ما يعتريه من
الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج
الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له
مخرجا وتخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي عليه السلام انه قرأها فقال مخرجا
من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله
فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب
امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان
او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء
قدرا اي تقديرا وتوقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق
وغيره لا يكون الا بتقديره لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن و
قد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم
يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبل عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى
عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود
رضه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث

الاسلمية

الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي
ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقه يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة
الى ما ذكر من الحكم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب
للجميع كما في نظيره قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما ان المراد الفرق بين الحضور والغيبة المقتضي للتعيين خصوصية المخاطبين وقد
مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن في سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته
فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم
اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير
ولا تضاروهن اي في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك
فاتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر
ولا يكن في حق الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز
مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي
من المال اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف
نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو
والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا
اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان
لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم
واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله
لهم جوابا لقوله تعالى الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف
لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما
ينبئ عنه ابداله قوله تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر
لك ولقومك كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله عند ذي العرش
مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن
ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا
منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلوا عليكم
آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون

اليه من الاحكام وقري مبينات اي بينها الله تعالى لقوله قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يتلوا او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين
بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم انه
سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف
ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقري ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا
حال من مفعول يدخل والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله
له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب و
التعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق
من الارض مثلهن في العدد وقري مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض
قال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل
ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي
والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب
الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين انا نسألك خير هذه القرية و
خير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين
خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم
وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون
السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء
يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر
بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من
امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره وقري ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ذلك قادر على كل شيء وان الله قد احاط
بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بين ما ذكر
ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحي ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي
من عجايب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقري ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال
لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة

وكانتا

كانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل
عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عليه السلام شرب عسلا في بيت زينب
بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله عليه السلام يكره التفل فحرم العسل
فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم
او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران
قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي
شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا والله مولاكم سيدكم
ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه
الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه اي حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به
اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقري انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
على افشاء حفصة عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم بعضه اي بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة
روي انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله
تعالى اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اي اخبر النبي عليه السلام
حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا اي افشاءها للحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه
خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما
الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب
عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقري فقد زاغت وان تظاهرا
عليه باسقاط احد التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط
في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله
هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس اراد بصالح
المؤمنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل
وهو اللائق بتوسيط جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف
لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة و
تمشية احكامها الظاهرة لان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان
حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء
السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج
مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله
تعالى بعد ذلك من فضل نصرته على سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة
صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم

فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام اعانا بعلو رتبة مظاهرتهم
وبعد منزلتها وجبر الفصل بينها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اى يعطيه عليه السلام
بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان
في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تعليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله
بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات
على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات
صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط
بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما
تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب المخاطبين
اى قوا انتم واهلوكم نارا وقودها الناس والحجارة اى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء
هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة اى تلى امرها وتعذيب
اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال
الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اى امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اى لا يمتنعون
من قبول الامر والتزامه ويفعلون ما يؤمرون اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول القول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اى يقال لهم ذلك عند
ادخال الملائكة اياهم النار حسب امره به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنها
اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اى بالغة
في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم
فيأتوا بها على طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين
على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن
على رضى الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة
الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق من النار وقيل نصوحا
من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص
من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة
في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اى
ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجرى من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير
موجبة له وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزى الله النبى

ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق
واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على
الصراط وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول اى يقولون اذا طفئ
نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم و
وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط و
بعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم
يرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اى جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه
المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء
الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به قوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط اى حالهما مفعوله
الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا في عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خير
الدنيا والاخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق
ما ينفيها من صحبة النبى اى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الخ بيان لما ادى
اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء
وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة
بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت فرعون اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة
الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهى في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف
لمحذوف اشير اليه اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك
او في اعلى درجات المقربين روى انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجنى من فرعون وعمله
اى من نفسه الخبيثة وعمله السئ ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة
عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اى وضرب مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة
والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التى احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اى في مريم من روحنا
من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحف المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وبجميع كتبه
المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل اليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اى من عداد
المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من
نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا اسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد

بياض صحيح

على ساير الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله تعالى توبة نصوحا

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته الى الله تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون للافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روي عن ابن عباس من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه تقديره او ازالة الحياة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مدارتهما لما نطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا

الا الى الحسن والاحسن فقط لا ابدان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلا هو ظهور كمال احسان المحسنين مع
تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع
فضلا عن الانتظام في سلك الغاية لما ان في الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها ما لا يخفى
وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز
الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما
اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول
الثاني في كونه مدار البلوى كما نطق به قوله تعالى والذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن
عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر
موكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع
فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما
جليلة او استيناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه
شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الاخر وقرئ
من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر وبالابانة
لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير
والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه
من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة
وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور
وتصديرها بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب
مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في ساير السموات و
ما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار في فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما
للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه جعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا
لهم في الاخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم
وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين عليهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم و
هو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها
شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي و
الحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها ممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق
يرده قوله تعالى تكاد تميز اي يتميز تتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من اثار الغضب عليهم

كما

كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فانه من هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم وجملة اما حال
منه فاعل تفور او خبر اخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال
من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سالهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة
الم ياتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرف منه جوابهم ايضا قالوا اعترافا
قد اتاهم عليهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بتحسرهم
على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيد البيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي قال كل
فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا و
تلا علينا ما نزل الله تعالى علينا من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه
من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات
عليكم آيات تنذروننا بما فيها ان انتم الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل
فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل
عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من
الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما يختلف
من الشرايع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل
حكاية عن كل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كل من
الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد
اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول
على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او الهلاك او عقاب الضلال تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل
للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل والله على بالحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل
لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله
تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كانت الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى
لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء
وقرئ بضمها مصدر مؤكدا ما لفعل مشتق من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من
رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما
في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت على
هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه و
المراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه
غايبا عنهم اي اما بان عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر
قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول

ومن جهره قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحي اليه عليه السلام فقال
بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر
على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات
كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق
حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى اولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من
شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه
بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام
الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس
واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به
ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه
سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر
من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة
للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من
خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول
باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة
لان نظم الكلام ح لا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك
فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده
فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا
في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب
بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه
والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه أأمنتم
من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على
زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان
ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها
ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف
فاذا هي تمور اي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء
اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي
حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها

ودونها

وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن
لا ينفعكم العلم ح وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة
كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب
اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
حينا فحينا للاستظهار به على التحريك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات
ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان براهن على
على اشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهوى والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شيء بصير يعلم
كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن
او حارس من عذابه تعالى هو الانسب بما سيأتي في قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
المعنى معا فلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم
عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما شاهدوه من احوال الطير المنبئة
عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير
الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفة كما في قوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده وايثار هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول
اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى
بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى
او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ... معادلة لقوله تعالى اولم يروا مع القول بان من
استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم
فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم
تحفظهم من بأس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في
الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى أمن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه
بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر فيما قبله ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور منبئ عن مقدر يستدعيه
المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار
وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشركين والموحدين
توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور

وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم
الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة لا لكون المعنى على العكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة
هل لقيل فهل من يمشي مكبا اي ساقطا على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته في كل ساعة ويخر على وجهه في
كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه امن يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط
والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى
عليه ولا حاجة الى ذلك فان معطوفه على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد
بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على
قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي
وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما
تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي
باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا
او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا لغرض
واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم ونفورهم
متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين يخاطبون به النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب
الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته
عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا
محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن
تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الخ كما مر تحقيقه في قوله
تعالى فلما رآه مستقرا عنده الآية لكن المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع
وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على
انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم
بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا للعذاب هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا
وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث
ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارأيتم اخبروني
ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك
ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم اي لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر

وتعليل

وتعليل نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما
نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون
عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارأيتم اي اخبروني ان
اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين
جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي من قرأ سورة الملك فكأنما احيا ليلة القدر والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في
موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع
الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة وبه ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي او باحد
الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف وقد مر
في فاتحة ص والقلم للقسم وان جعل نون مقسما به فهو المعطوف عليه واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين
فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لما في ايدي الناس كذلك لما فيه من المنافع ولو
لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو
وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم
ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه
مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة
ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت بريء
من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى
غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع
جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي وان
لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر
قدره غير ممنون مقطوع كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون به عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط
وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت
عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون و
الجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس فستعلم ويعلمون يوم القيامة
حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك
عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد

بعذاب يوم بدر بأيكم المفتون أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض
بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وقوله تعالى إن ربك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من
الوعد والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها إلى ما يقتضيه
إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره وهو أعلم
بالمهتدين إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما
يستحقه من العقاب والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب
النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب
للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم
بإظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فإنه
تعليل للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور
فيدهنون أي فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز
لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتي من بيان أن ادهانهم أمر محقق لا يناسب
إدخاله تحت التمني وأيا ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه
عليه السلام فالمعتبر بالنسبة إلى ودادتهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم
في غاية الكراهة له وإنما اعتباره بالنسبة إليه عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني المفهوم
من ودوا وأن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون
لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على
حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل
حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر
مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه
السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية مناع للخير أي بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الإيمان
والطاعة والإنفاق معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى
متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة
فإنه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الأخنس بن شريق
أصله من ثقيف وعداده في زهرة أن كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع أي لا تطع من هذه
مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين استئناف

جاري

جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على أن مدار تكذيبه كونه
ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ أأن كان على معنى ألأن كان ذا مال كذب بها
أو تطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأن إطاعة الكافر
لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على أكرم مواضعه لغاية إهانته وإذلاله
قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن
سائر الكفرة إنا بلوناهم أي أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله عليه السلام كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل
الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي
الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على
البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان
يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين
في الصباح ولا يستثنون أي لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث إن مؤداه
مؤدى الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يفعل أبوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها أي على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف
من ربك مبتدأ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فأصبحت كالصريم كالبستان الذي
صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أي احترقت فاسودت وقيل كالنهار أي
يبست وابيضت سميا بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا أي نادى بعضهم
بعضا مصبحين داخلين في الصباح أن اغدوا أي اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية
أي اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء إن كنتم صارمين
قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد
ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أي الجنة اليوم عليكم مسكين أي مفسرة لما في التخافت
من معنى القول وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول
كقولهم لا أرينك ههنا وغدوا على حرد قادرين أي على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت
الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا
بحال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على
محاورة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان
كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أي غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها
وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم إنا لضالون أي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون

فالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا
خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد كان قاله حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا
ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريده
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم
من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ
بالتشديد اى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجعون العفو
طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى انهم تعاقدوا ان
ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها
قالوا ان الله امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة
فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود
القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن قول
اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة
فتوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم
لافادة القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة
اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اى من الكفر والمعاصى عند ربهم
اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من
من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز
المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون
ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا
واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انحيف فى الحكم فنجعل المسلمين
كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له
وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اى تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اى
ما تختارونه وتشتهونه واصل ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو
فى قوله تعالى وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اى
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيامة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ

ونعطيكم

ونعطيكم ما تحكمون او بالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم يبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام
باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اى قائم يدعيه
وتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم
اذ لا اقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شئ يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذى
لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الاخرة يوم يكشف عن ساق اى يوم
يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال
حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشئ اصله الذى به قوامه
كساق الشجر وساق الانسان اى يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا و
تنكيره للتهويل والتعظيم وقرئ يكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف
بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا
او مضمر مقدم اى اذكر يوم او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق يكون من الاهوال وعظائم الاهوال ما لا يبلغه
الوصف ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسرا لهم على تفريطهم فى ذلك فلا يستطيعون
لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم
اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اى فقارة
واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى
الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا
والاظهار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلاة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون
متمكنون منه اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذلك ثقة بظهوره فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث
اى كله الى فانى اكفيكه امره اى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه
من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر عليها قبلها من احوالهم الحكية اى واذا كان حالهم فى الاخرة كذلك فذرنى
ومن يكذب بالقران وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم استيناف مسوق لبيان كيفية
التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى يكذب باعتبار لفظه
اى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه
استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم واملى لهم وامهلهم
ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدى متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشئ وتسميته ذلك
كيدا لكونه فى صورة الكيد ام تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اى غرامة
مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اى اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اى يونس عليه السلام

اذ نادى في بطن الحوت «وهو مكظوم» مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكون حالك وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه «لولا ان تداركه نعمة من ربه» وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان يقال فيه تتداركه «لنبذ بالعراء» بالارض الخالية من الاشجار «وهو مذموم» مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى «فاجتباه ربه» عطف على مقدر اى فتداركه نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة «فجعله من الصالحين» من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف «وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم» وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويرمقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية «لما سمعوا الذكر» اى وقت سماعهم القران على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه «ويقولون» لغاية حيرتهم في امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه «انه لمجنون» وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل «وما هو الا ذكر للعالمين» على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراتهم على تفوه تلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لاريب فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحاقة» اى الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم واياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه

الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها «ما الحاقة» على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ما هي اى اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الحاقة خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى «وما ادراك» اى واي شيء اعلمك «ما الحاقة» تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا تبتنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام متعلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر «كذبت ثمود وعاد بالقارعة» اى بالحاقة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه مما لا تدركه دراية احد كما في قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره فان المبين ليس نفس المسؤول عنه بل شان من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا «فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية» اى بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة «واما عاد فاهلكوا بريح صرصر» اى شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها «عاتية» شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى «سخرها عليهم» الخ استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة «سبع ليال وثمانية ايام حسوما» اى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته اى قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا انتصب على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخرى وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجوز وهي آخر الشتاء واساميها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن «فترى القوم» ان كنت حاضرا «فيها» في مهابها او في تلك الليالي والايام «صرعى» موتى جمع صريع «كانهم اعجاز نخل» اى اصول نخل «خاوية» متآكلة الاجواف «فهل ترى لهم من باقية» او بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر

كالكافرة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اى ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويؤيده
انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اى قرى قوم لوط اى اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات
خطاء التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها حين نهاهم عما
كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم اى الله عز وجل اخذة رابية اى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم
فى القبح من ربا الشئ اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه
عليه السلام فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيامة حملناكم اى فى اصلاب آبائكم فى الجارية فى
سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى
السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم
فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته
تعالى انما السفينة سبب صورى لنجعلها اى الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين
لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اى تحفظها والوعى ان
تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف
اذن واعية اى اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به
والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف
فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها
وانما اسند الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى
الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اى قلعت ورفعت
من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اى فضربت الجملتان
اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش ومنه بعير ادك وناقة دكاء
ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اى قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهى اى
السماء يومئذ واهية مسترخية بعدما كانت محكمة والملك اى الخلق المعروف بالملك على ارجائها اى جوانبها
جمع رجا بالقصر اى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجؤن الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق
الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبى صلى الله عليه وسلم هم اليوم
اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم
الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم
على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال
ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن

الله اعلم

الله اعلم الثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح
او من خلق اخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونه
اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ
تعرضون اى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان
فى يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ
الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه
النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية
حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة
فى العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه
بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه اسم لخذ وفيه ثلاث لغات اجودها
ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول
اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى
حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها فى الامام انى ظننت
انى ملاق حسابيه اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات
التى لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى
النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم
فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما
يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى
هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية
اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد
قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الاية واما من
اوتى كتابه بشماله وهو اى ما فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من
من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها ولم الق
ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لانه
وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق
حيا ما اغنى عنى ماليه ما لى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اى اى شئ اغنى
عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا
او تسلطى على القوى والالات فعجزت عن استعمالها فى العبادات خذوه حكاية لما يقول الله تعالى يومئذ لخزنة
النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى ليكون جزاء على

وفي المعصية حيث كان يتعظم على الناس اي لا تصلوه. ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه
فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا. وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة
على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به. وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة
في الشدة. انه كان لا يؤمن بالله العظيم. تعليل بطريق الاستئناف التحقيقي. ووصفه تعالى بالعظم للايذان بانه
المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات. ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث
على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة
فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين
بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب. فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب
يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه. ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل. لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب
من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة
ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله. فلا اقسم
اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات
والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
والاول منتظم للكل. انه اي القران. لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه. كريم
على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام. وما هو بقول شاعر قليلا كما تزعمون تارة. قليلا ما تؤمنون
ايمانا قليلا تؤمنون. ولا بقول كاهن كما تزعمون تلك تارة اخرى. قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا
او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية و
التذكر مع نفي الكاهنية لما ان عدم مشابهة القران الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة
فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم
وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما. تنزيل من رب العالمين نزله
على لسان جبريل عليه السلام. ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك. لاخذنا منه باليمين اي بيمينه. ثم لقطعنا منه
الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ
القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال [illegible] اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة
باليمين. فما منكم من احد عنه عن القتل والمقتول. حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام
وانه اي القران. لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به. وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم. وانه
لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين. وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب ما

فسبح

فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه شكرا على ما اوحى اليك عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل اي دعا داع. بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا
واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال
اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو حارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
في علي رض من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه
الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ
سال وهو اما من السؤال على لغة قريش [illegible] او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب
وقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا او قد مر حال
الفهري واما في الاخرة فهو عذاب النار. للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق
بسأل او بدعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استئناف. من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس
له دافع من جهته تعالى. ذي المعارج ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات
المترتبة بعضها فوق بعض. تعرج الملائكة والروح اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس. اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى
وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني. في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة مما يعد الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها
من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل
معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم يقطعه
الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان
فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار لكثرة ما فيه من الاهوال والمحاسبات
واياما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رض انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة
يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي
وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب
وقوعه فقد شارف وقت الانتقام. انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع
بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسالون. ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر
على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق

بعذاب اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل فيكون
من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل عن فى يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قلنا ولعل الاقرب ان قوله تعالى
سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد
ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لما دعى به النضر او ابو جهل والقهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن
كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة
وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكره وقوله
تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل
كالفلزات وقيل دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها
جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل
حميم حميما اى لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول
اى لا يطلب من حميم حميمه او لا يسأل منه حاله يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من
التساؤل الا تشاغلهم بحال انفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل
فى التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب
وقوله تعالى لو يفتدى من عذاب يومئذ اى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وكلمة
لو دادهم ولو فى معنى التمنى وقيل بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع
مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث
يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء
للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب وفصيلته اى
عشيرته التى فصل عنهم التى تؤويه اى تضمه فى النسب او عند الشدائد ومن فى الارض جميعا من الثقلين
والخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد
الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع
للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء والضمير فى انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم
ترجم عنه الخبر الذى هو قوله تعالى لظى وهو علم للنار منقول اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص
او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلد الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو خبر
ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ او نزاعة خبره تدعو اى تجذبه وتحضره وقيل تدعو وتقول لهم الى الى
يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل
تدعو زبانيتها من ادبر اى عن الحق وتولى اى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه
ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع
سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اى

الفقر

الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اى مبالغا فى الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اى السعة والغنى منوعا مبالغا فى
المنع والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا
والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبايح الماضية
لاباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة
وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبايح المذكورة الناشية من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه الذين
هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين فى اموالهم حق معلوم اى نصيب معين يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل للذى
يسأل والمحروم الذى لا يسأل فيظن انه غنى فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اى باعمالهم حيث يتعبون
انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم
الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا
لها واستعظاما لجنابه عز وجل لقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن بانه لا ينبغى لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى طاعته
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره فى سورة
المؤمنين فمن ابتغى اى طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك
هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشئ من حقوقها
والذين هم بشهاداتهم قائمون اى مقيمون لها بالعدل اصلا لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى
الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلوتهم يحافظون اى
يراعون شرايطها ويكملون فرايضها وسننها ومستحباتها واداءها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا
باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على ساير الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة
اختلاف الذوات كما فى قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم ايذانا بان كل
واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره فى جنات
اى مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر آخر او هو الخبر وفى جنات
متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمون كائنين فمال الذين كفروا
قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين و
الشمال عزين اى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه
الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه
عليه الصلوة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت

ايطمع كل امرى منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون
قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى ازمعت من ال ليلى ابتكارا وشطت
على ذي هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوا مقام
الكاملين فمن اين لهم ان تطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه
انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقديم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم و
قيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق باخلاق
الملائكة لم تستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده
من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من
الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشي بدلهم قوما اخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشاة
الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب
والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم وناتي بدلهم بخلق اخرين ليسوا على صفتهم وما نحن
بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تاخير عقوباتهم فذرهم
وشانهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل
من يومهم وقرى يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كانهم الى
نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرى بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا
يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور اثاره
فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا
يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل فانه
حذف مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر
وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف
المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء
في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث
المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي
ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لما في الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول

محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرى انذر بغير ان على ارادة القول
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عاجل او اجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية
ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة
الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم
اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف منها في الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره
الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى
وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا اخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان
اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان
والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجي ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا
اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل
موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول الذي لا يأباه المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة
للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون
ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي
نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد
الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به
العلل رب اني دعوت قومي اي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم
دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم
اي الى الايمان لتغفر لهم اي بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة
واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر
اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة
وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد لتراخي بعضها عن بعض
وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر
اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موضع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن
الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل
فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك
وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من المنافع العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس
الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان امنوا ان

ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويرفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اى كثير الدرور والمراد بالسماء
المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم
لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد
ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط
مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد الذى فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع
حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اى اى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة
موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اى والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه
بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما
ولحوما ثم انشاكم خلقا اخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع
العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تاملون له تعالى توقيرا اى
تعظيما لمن عنده والطاعم ولا تكونوا على حال تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان
للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى يستدعيه جزالة التنزيل فان الاية كما لكفرة
استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لاثاره واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما
واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع ان فى حمل الوقار
بمعنى التوقير من التعسف فى قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى
فان كونه بيانا للموقر يقتضى ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار
يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرته على احدكم بالعقوبة اى اى
عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه
ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم ارج اى لم ابال
وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن
نورا اى منورا لوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لما انها [illegible] السموات
وما فيها فيكون فى الكل ولان كل واحدة شفافة كالحجب فيرى الكل لانها سماء واحدة من
من ضروره وذلك ان يكون ما فى واحدة منها كانه فى الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل
ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها وجه الارض ويشاهدون الافاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون
الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشاكم فيها فاستعير
الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد
ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل
انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما
ذكر فى الاخرى كما مر فى قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وان يمسسك

الله بضر

الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم
منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم
على بسطكم فى بيوتكم والتوسيط لكم بين جعل ومفعوليه مع ان حقه التاخر لما مر مرارا من الاهتمام به
ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخره حقه التقديم لا سيما عند
كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها
سبلا فجاجا اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبله
لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح اعيد
لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اى قال مناجيا له تعالى رب انهم عصونى اى تمادوا على عصيانى
فيما امرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى
واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الاخرة
فصاروا اسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب
الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه
لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار
لفظها مكرا كبارا اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم فى
الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اى لا تتركوا عبادتها
على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اى ولا تذرن عبادة
هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام
عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير قيل هى اسماء رجال صالحين
كانوا بين ادم ونوح عليهما السلام وقيل من اولاد ادم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون
اليهم فتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود
على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر
وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اى الرؤساء كثيرا خلقا
كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى
رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب انهم عصونى وقال لا
تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به
والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم لا فى الضلال والهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال
وسعر ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليهم مما خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور
للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها زائدة جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم
اى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب اخر فادخلوا نارا المراد

العذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب
او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما للتعظيم او تهويلها
او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا
من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين
دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي
عددها نوح عليه السلام واشارة الى استحقاقهم الاهلاك لاجلها لانها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية
ما جرى بينه وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال
ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال
والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي
الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال
ان يكون من اخلافهم ان يؤمن منهم وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقراء
احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل
هما آدم وحوا وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا
بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في
سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين
الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم
بارادة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون
مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام
نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ اُحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد واذن في
وعد وورن انه استمع بالفتح فاعل اوحي والضمير للشان نفر اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة
ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر
الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا
مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي

الى الرشد

الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل
التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار
والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او ملكه
او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول
واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط
خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعاليه وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق
ربوبيته وحق الهيته من ان يتخذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا
للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان
يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة للحد
او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق
بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل
وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان لن يكذب على الله تعالى
احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا
كذبا او مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه
يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس
والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين
غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان
لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام
الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لاندراجهما تحت ما ذكر من الايمان
والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بان مما ينبغي ان يكون معطوفة على ذلك
على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارة اي طلبنا بلوغ السماء
او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت
حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب
وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن
الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد
اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يصده

عن الاستماع بالرجم او فوق ذى شهاب راصد له ولعل انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك الصحيح انه كان قبل المبعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعث وزاد زيادة حتى تنبه له الانس والجن
ومنع الاستراق اصلا فقالوا لكنه هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم ❊ وانا لا ندرى اشر اريد بمن
في الارض ❊ بحراسة السماء ❊ ام اراد بهم ربهم رشدا ❊ اى خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب
الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره ❊ وانا منا الصالحون ❊ اى الموصوفون بصلاح
الحال في شأن انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر و
الفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ❊ ومنا دون ذلك ❊ اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصرون
في صلاح الحال على ما دون الحد المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله
تعالى ❊ كنا طرائق قددا ❊ واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون
اى كنا قبل هذا ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اى متفرقة
مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع ❊ وانا ظننا ❊ اى علمنا الآن ❊ ان لن نعجز الله ❊ اى ان الشأن لن نعجز
الله تعالى كائنين ❊ في الارض ❊ اينما كنا من اقطارها ❊ ولن نعجزه هربا ❊ هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض
ان اراد بنا امرا او لن نعجزه هربا اى طلبنا ❊ وانا لما سمعنا الهدى ❊ اى القرآن الذى هو الهدى بعينه ❊ آمنا به ❊
من غير تلعثم وتردد ❊ فمن يؤمن بربه ❊ وبما انزله ❊ فلا يخاف ❊ فهو لا يخاف ❊ بخسا ❊ اى نقصا في الجزاء ❊ ولا رهقا ❊
ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اى لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه
دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن
واختصاصها به ❊ وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ❊ الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة
❊ فمن اسلم فاولئك ❊ اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى ❊ تحروا ❊ توخوا ❊ رشدا ❊ عظيما يبلغهم الى دار الثواب
❊ واما القاسطون ❊ الجائرون عن سنن الاسلام ❊ فكانوا لجهنم حطبا ❊ توقد بهم كما توقد بكفرة الانس
❊ وان لو استقاموا ❊ ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الي ان الشأن لو استقام
الجن والانس او كلاهما ❊ على الطريقة ❊ التي هي ملة الاسلام ❊ لاسقيناهم ماء غدقا ❊ اى لوسعنا عليهم الرزق
وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو
استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن
السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم ❊ لنفتنهم فيه ❊
لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم
الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ❊ ومن يعرض عن ذكر ربه ❊ عن عبادته او عن موعظته
او وحيه ❊ يسلكه ❊ يدخله ❊ عذابا صعدا ❊ اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة
❊ وان المساجد لله ❊ عطف على قوله تعالى انه استمع واوحى الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد
لله ❊ فلا تدعوا ❊ اى لا تعبدوا فيها ❊ مع الله احدا ❊ غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية

منه مسجد له

منه مسجد له وقيل مخصوصة اولانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل الاعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع
المصدر الميمي ❊ وانه ❊ من جملة الموحى اى واوحى الي ان الشأن ❊ لما قام عبد الله ❊ اى النبي صلى الله عليه وسلم وايراده
بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه ❊ يدعوه ❊ حال من
فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف ❊ كادوا ❊ اى الجن ❊ يكونون عليه
لبدا ❊ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرانه واقتداء اصحابه به قياما و
ركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله
وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة
الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة واللبدا جمع لابد كسجد وساجد واللبد بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن
قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه ❊ قل انما ادعوا ربي ❊ اى اعبد
ربي ❊ ولا اشرك به ❊ بربي في العبادة ❊ احدا ❊ فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي
وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى ❊ قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا ❊ كانه امر ان يقول لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر
❊ قل اني لن يجيرني من الله احد ❊ ان ارادني بسوء ❊ ولن اجد من دونه ملتحدا ❊ ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه
السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى ❊ الا بلاغا من الله ❊ استثناء من قوله لا املك
فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجى
الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب
محذوف لدلالة ما قبله عليه ❊ ورسالاته ❊ عطف على بلاغا ومن الله صفة لا صلة اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه
تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ❊ ومن يعص الله ورسوله ❊ في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه ❊ فان له نار جهنم ❊ وقرئ
بفتح الهمزة على فحقه او فجزاؤه ان له نار جهنم ❊ خالدين فيها ❊ في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ❊ ابدا ❊ بلا نهاية
وقوله تعالى ❊ حتى اذا راوا ما يوعدون ❊ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم
لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة ❊ فسيعلمون ❊ حينئذ
❊ من اضعف ناصرا واقل عددا ❊ وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى ❊ قل ان ادري ❊ اى ما ادري
❊ اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا ❊ فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود
انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون ❊ عالم الغيب ❊ بالرفع قيل هو بدل من
ربي او بيان له ويأباه الفاء في قوله ❊ فلا يظهر على غيبه احدا ❊ اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر على غيبه احدا فيه
من الاخلال ما لا يخفى وهو خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء
لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية
الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه ❊ الا من ارتضى من رسول ❊ اى الا رسولا ارتضاه لاظهاره

على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون
معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم
واجزيتها المترتبة عليها في الاخرة وما يتوقف هي عليه من الاحوال الاخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك
من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت
قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه
ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم
عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من
الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار
المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا
من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد
ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم
المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات
ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى
انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوا رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط
علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ
والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير
عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها
فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها
الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط بما لديهم اى بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك
باضمار قد او بدونه على خلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه
المذكور اى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا
واحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددا اى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اى معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء واياما كان ففائدته بيان ان
علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى
ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا
بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه
هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط
بما لديهم الخ فبمعزل من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا
وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام
متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود
الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة رضي الله عنها وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال
زملوني فحسب انه عرض له فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب
للملاطفة والتانيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا
ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اى حمله والزمل
الحمل وازدمله اى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب
الاجتهاد في العبادة قم الليل اى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة و
معنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقي بعد
الثنيا بدل الكل اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن
للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل
مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه اى انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة
الاولى قليلا اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اى زد القيام على
النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله نصفه بدل
من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن
للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو
النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه
بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل الا قليلا
الاستثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل
على البتات وبين اختيار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من
النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل وقيل والذي يليق بجزالة
التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اى اقراه على تؤدة وتبيين
حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اى سنوحي
اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما
على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه
عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره
على مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس كان اذا انزل

عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضـ رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اى ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه
اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعاقبة او ان العبادة التي تنشأ بالليل اى
تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ هى اشد وطأ
اى هى خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اى اشد مواطأة يواطئ قلبها
لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد
موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات
ان لك في النهار سبحا طويلا اى تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك
بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى
وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة وقراءة ودراسة علم وتبتل اليه اى وانقطع اليه بمجامع الهمة
واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن مراقبة
الله تعالى او قطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب
مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم وجوابه
لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية
به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم و
لا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اى دعني واياهم وكل امرهم الي
فاني اكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا
جمع نكل وهو القيد الثقيل مجد تعليل للامر اى ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة
ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اى تضطرب وتتزلزل
قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك مقدر لهم ومرصد وقوله تعالى حره الزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب
مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك مقدر لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اى
تضطرب وتتزلزل ظرف الاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا
يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل
بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم
يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى ارسلناه اليه
ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله
تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج
من التشبيه جئ به للتنبيه على انه سيحيق بهولاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلاء وبيل

اى وخيم

اى وخيم لا يستمر لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اى كيف تقون انفسكم ان كفرتم اى بقيتم على
الكفر يوما اى عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا
جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه
الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر به اى تنشق وقرئ متفطر
اى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها و
زال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسبة
اى ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل و
المصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الايات المنطوية على القوارع
المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى
مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اى اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين
الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي
الليل وطائفة من الذين معك اى ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده
لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا
كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا
ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرءوا ما تيسر
من القران فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان
التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة
القران بعينها قالوا من قرأ مائة اية من القران في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة اية كتب من القانتين
وقيل خمسين اية علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف
واخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء
الفضل لتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى التر
ضيص
فاقرءوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اى المفروضة واتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة
الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل اخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يريد
الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير
اى خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي يؤخر الى الوصية عند الموت وخيرا
ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من
حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من
التفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع
الله تعالى عنه العسر في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي أول سورة
نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك
رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض
يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن
الزهري أن أول ما نزل سورة اقرأ إلى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو
شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال إنك نبي الله فرجع إلى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع
إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الإلهية
وقيل المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أي الذي دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفي حرف أبي المتدثر
يا أيها المدثر على الأصل قم أي من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم فأنذر أي فاحدث الإنذار وأحدثه وقيل
أنذر قومك أو أهلك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين أو جميع الناس حسبما بينه قوله تعالى وما أرسلناك
إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا
ويروى أنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه
الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أي أي شيء حدث فلا تدع تكبيره ولعله
على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه من الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع
جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فإنه واجب في الصلاة وأولى وأحب في
غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها أيضا فإن طولها يؤدي إلى
جر الذيول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة وقيل أمر بتطهير النفس
مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان إذا وصفوه
بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق والرجز فاهجر أي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي
إليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا أي
رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير على أنه نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض
من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي إما للتحريم وهو
خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الأخلاق وأحسن الآداب
أو للتنزيه للكل وقرئ تستكثر على أنه من المن الذي في قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطي
يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب بإضمار أن مع إعمالها كقول من قال ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى
وقد قرئ بإثباتها ويجوز في قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع ولربك
أي لوجه الله تعالى أو لأمره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض

فإذا نقر

فإذا نقر في الناقور أي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب
الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك
عليه والعامل في إذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فإن معناه عسر الأمر على الكافرين
وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للإشارة إلى الإيذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة
ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر
إذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من
المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تأكيد لعسيره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في أن المراد به يوم
النفخة الأولى والثانية والحق أنها الثانية إذ هي التي تختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذي هو الصعاق
يعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور ثقبا بعدد الأرواح
كلها وأنها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزعت منه
فيعود الجسد حيا بإذن الله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الياء أي ذرني وحدي معه فإني
أكفيك في الانتقام منه أو من التاء أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أي ومن
خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد
فتهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد
أو وحيدا من أبيه لأنه كان زنيما كما مر أو وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا أو ممدا
بالنماء وهذه نهاية قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف
من صنوف الأموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وعن قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري أربعة
آلاف دينار وقال الثوري أيضا ألف ألف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم
لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا في الأندية والمحافل
لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له
تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع أن أزيد على ما أوتيته وهو استبعاد
واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم
ومعاندة المنعم وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي كلا ردع وزجر عن طمعه
الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي
فإن معاندة آيات المنعم ونصوصها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وإنما أوتي ما أوتي
استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه
بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق

وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله
ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه او بيان لعناده لاياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في
نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان تنتحيه قريش قاتلهم الله
او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم
لقوله ومعنى قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشناعة والشعر مبلغا حقيقا بان
يدعو عليه حاسده وروي انه لما قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقال قريش
صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا و
كلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه
يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا
في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده و
مواليه وما الذي يقوله الا سحر ياثره من اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله منه ثم
قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي في الزمان
ثم نظر اي في القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل
نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه وبسر
اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر
يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى
ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا
وما ادراك ما سقر اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد
افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هو في وصفها لما تقرر ان ما قد يطلب بها الوصف
وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها والانجاز للوعد
المعنى الذي يلوح به وما ادريك ما سقر وقيل حال من سقر بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلكته
لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر
لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس لقوله تعالى ثم لترونها
عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا
او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون العين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في
حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين
بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق

واقوهم

واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم باسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم
الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة
عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما
جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما
وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك وهو الحكم بان
عليها تسعة عشر اذ بذلك ليتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر
الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا
قال التخصيص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة
والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد و
الاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف او صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة
يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس
فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القران لما شاهدوا ما فيه
موافق لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما راوا من تسليم اهل الكتاب
وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما
لم ينتظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان
ارتفاع الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم
بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم
على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق فيكون اخبارا بما
سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد
بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافرادهم هذا بالتعليل مع
كونهم من فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من
معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم
وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله
لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره
عند مشاهدة تلك الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة

المذكورون كلا وهو اذ لا سبيل الى حصر الممكنات والوقوف على حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا على الاطلاع
على تفصيل احوالها مثلكم وكيف وشبهه وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر
اي تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر
كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صار كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر
اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت
الف التانيث كتاءها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة
اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبرى والدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا
نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع
على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء
منكم ان يسبق الى الخير يهديه الله تعالى او لمن شاء ذلك فيصل وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا
فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله بكسبها
والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء
الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة
وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا على يمين ادم عليه السلام يوم
الميثاق وقيل الذين يؤتون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف
والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في
جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد
بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه
عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا
بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الاخر لكنها قد تجرد عن
المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون
عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من
فاعل يتساءلون اي يسالونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون
مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام
لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين
اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي يوم الجزاء اضافه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي
والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم
من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين لبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم
المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة

الشافعين

الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القران
بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار
الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن
عن القران مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة حال من
المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر
وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه من
المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل
يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك
حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن
لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن تلك الجراة بل لا يخافون
الاخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القران
تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيتهم للذكر
كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشية العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله
استثناء مفرغ من اعم العلل او اعم الاحوال اي الا بان يشاء الله ذلك وهذا
تصريح بان افعال العباد بمشية الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل
التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن امن به واطاعه عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه السلام وكذب به

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم شايع وفايدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في
قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به
وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من
ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام
معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله
ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقيق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله
في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على
تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان
اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت

شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان
صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس ادم عليه السلام فانها
لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع
عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اى ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها
بعد تفتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار
وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريف وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اى
نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اى نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها
فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اى نحن قادرون
بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا
او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من
الزمان لا يرعوى عنه يسأل ايان يوم القيامة اى متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اى تحير فزعا من برق
الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه
وقرئ بلق اى انفتح وانفرج وخسف القمر اى ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر
بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران
في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اى يوم اذ يقع هذه الامور
اين المفر اى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اى موضع الفرار وقد يجوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع
كلا ردع من طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو
وزرك الى ربك يومئذ المستقر اى اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع
قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ اى يخبر كل امرء برا كان او فاجرا عند
وزن الاعمال بما قدم اى عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اى لم يعمل
خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة
فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله واخره
بل الانسان على نفسه بصيرة اى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه
كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم
اياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اى ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله
شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اى ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها

عن نفسه

عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل منه
ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير جمع اسم للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل
هو جمع معذار وهو الستر اى ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبرئيل عليه السلام
القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له
ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه الوحي ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اى بالقران
لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اى لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك
بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وقرانه اى اثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه اى اتممنا قراءته عليك
بلسان جبرئيل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التاني فاتبع قرانه فكن مقفيا له
ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن
عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة على تعميم الخطاب
للكل اى بل انتم يا بني ادم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة
الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اى وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة
بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدا او ناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في
قوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدا او نعت لناضرة والى ربها متعلقة بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدا
لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة
ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقها ان
يخبر به ومعنى لكونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف
ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند
الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا
ردع عن ايثار العاجلة على الاخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده
ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اى بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام
المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اى قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من
الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن
انه الفراق وظن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه
بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الاخرة وقيل هما ساقاه
حين تلفان في الكفن الى ربك يومئذ المساق اى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب
تصديقه من الرسول عليه السلام والقران الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه

والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة
كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى
اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد
القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد
اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا
يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان
استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى لقوله ثم جعلنا النطفة
علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه الزوجين
الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي انشأ هذا الانشاء البديع
بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها
قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم
القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر
اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية
اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد
الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاول رفع قوله تعالى انا خلقنا الانسان من
نطفة لزيادة التقرير او ادم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن
عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية
الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام
اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور ههنا
هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه السلام وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج
اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما
اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة
اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد ويخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم
وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار
فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف
فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة
الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الايات التنزيلية ومشاهدة الايات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء

فلذلك

فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه وقوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الايات ونصب الدلائل
اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا
او للتفصيل او التقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا وبعضهم كفورا
وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء
اختياره لا بمجرد اجبارنا من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران
ما وانما الموافق عليه الشكر المعتد به انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل
بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تاخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير
الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ
سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر
للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو
من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر
من لا يؤذي الذر يشربون من كاس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية
وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض
الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس قوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم
بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعلى هذين القولين يحل
نصب على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله
صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة و
يعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس
يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم ليجري بقوة واندفاع و
الجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل
على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما
اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار
غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي
كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون
ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سياتي من قوله
لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين
فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موضع الحال من فاعل

يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع
المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا
فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا
وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد
العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره
وقيل تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكر اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب
خوفهم وتحفظهم ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في
القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار
الاموال جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤوا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي
الله عنهم مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضي الله عنهم وفضة جارية لهما ان برئا ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون
الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا به
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة
فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه
ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءني ما ارى
بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام
وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل
فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل
الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما
قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين
كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة
في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها
تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها
عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية
معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له و
لا عروة كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها

والجملة

والجملة صفة الاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها
تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة
لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول
عليهم بقوله ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا
قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل
في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب وألذ ما تلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل
تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس
عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال
شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها
لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من
الطراوة والبهاء اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم
في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ
ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا
في الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال
له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب سندس
خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف
عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا
للمطوف عليهم ثياب الخ على انه مبتدا خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر
بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطف على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني
وقرئ بجرهما واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة و
التبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا
وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا
للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع اخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه
اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون
الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين
ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار يقول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون
الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب
انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيره كما يعرب عنه تكرير الضمير مع

انه فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من
مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن
الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق
والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على
ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض
الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه
ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية
ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبؤون به ووصفه
بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهي عنه
نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم
بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله
تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة
او الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى
ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل كما في تفسيره وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان
ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل
ولا يقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا
في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما شاء الله وقوله تعالى ان
كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة
فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته
بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي صرف مشيئته نحو
اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين
صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين
لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ
بالرفع على الابتداء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوائف
من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف
اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس

الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين
ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالعناية بها او للاشعار
بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام
بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق
او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن برياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى و
يجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون و
سائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى
بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم آثار رحمته في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها و
ينسبونها الى الانواء واسناد الالقاء اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت
او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن
آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف
اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف
للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران
من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل
انما توعدون لواقع جواب للقسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست
محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت
جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من
انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم
الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحصوله اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا
الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول
هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور
المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل
وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدأ ادراك خبره اي اي شيء
جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ
لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره
ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين
اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ
نهلك بفتح النون من هلك بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم

الا نكين لسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك
فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل
ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات
الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم
من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت
قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرناه وقرئ مشددا فنعم القادرون على ذلك
او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه
كالضمام لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها او
وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض
باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما
على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا
شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كرواسي وشامخات واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم
او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا وينابيع ويل يومئذ للمكذبين بامثال
هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من
العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي
اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا وكرها ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب
كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية
الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب
هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية
البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل
تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر
اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحد قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ
كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر جمع القصور كرهن ورهن
وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالة جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع
كالحجارة صفر فان الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول
تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة
وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون

فيه

فيه لان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون
في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص
واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن
واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل
بين الحق والباطل او المحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان
للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتذرون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم
للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان
المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع
التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقائدهم واعمالهم
لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا
لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم الخالد وعلل ذلك
باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان
مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا
اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة
لا يركعون اي لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا
بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي
فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون
الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة
فباي حديث بعده اي بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس
على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما فحذف الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل
وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي
شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء
لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان
ما وان وضعت لطلب حقيقة الشيء ومسمى اسمه كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب

بما الصفة وحال نقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يتساءلون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة
صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد
الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم
الاخر وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل
حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه
فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد
بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى
عن النبأ العظيم بيان لشأن المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم
منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه و
انعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون
هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن
متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال
هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ
عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ
العظيم وقيل قيل عن النبأ ثانية استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون عن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن
وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا
بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة
على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت و
نحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على
الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات
على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الاخرين
ليزدادوا كفرا وعنادا وقوله تعالى كلا سيعلمون فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين المنكرين له اذ عليه يدور
الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم
الضمير الاول للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق
ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور
الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق
والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان

الكل

الكل وان لم يتحقق الردع والوعيد لكن يختص بكل جانب انما ليس المخالفة للجانب الاخر اذ الحقية في شيء منهما حتى
يتحقق من يخالفه المؤاخذة بل المخالفة له على الكلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون
وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع
ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى
ليبين لهم الذي يختلفون فيه الاية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي
والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون
عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد
وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ
ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير
قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ
استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع و
الوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة
للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش
وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها وارساءها بها
كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الخ او على
ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من
الصنفين الى الاخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه
احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة
لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل اي الذي
فيه يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف
ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما
جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حيوة تبعثون
فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك
مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا
شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها
بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل
فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عنده فضل تمكن

مرجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الاية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واما كان فقيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء اخر بان يكون فيه او له او منه او نحوه ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كلا من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في كلام حتى اذا انتفى انتفى الكلام واما عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وربما تشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالي من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد به السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثجه وثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا بالحاء وعن مجاهد قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف بالتفاف اغصانه قال زهير ابن ابي سلمى كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرام والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال ولا قانون ينتهجه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة وعوائد جليلة للخلق يستحيل ان يفنيها ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الافاقية والانفسية الدالة

يغنون

يتعنون التيه الا على حقيقته الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفيته واحواله اثر ما لوح عند ذكره من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه والاول هو الانسب فانه بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى قوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدائه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه واثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحيوة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض

عيونا كان كل عين منفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح
مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء «وسيرت الجبال» اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى و
ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها راي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التي
تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت
في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب
تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى
وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن تلك الهيئة الهائلة عند حشر
الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى «فكانت سرابا» اي فصارت بعد
تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهما يكونان بعد النفخة الثانية
كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي
الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية «ان جهنم كانت مرصادا» شروع في
تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان و
المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي
ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها «للطاغين»
متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى «مآبا» بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة
واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد
للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل
انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد
صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام
الساعة بانها مرصاد للطاغين «لابثين فيها» حال مقدرة من المستكن في الطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى

صفة يدل على الثبوت

«احقابا» ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث
يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة
او سبعون الف سنة وقوله تعالى «لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا» جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم
لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون
فيها حميما وغساقا وقرئ البرد وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم «جزاء» اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق
لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه «انهم كانوا لا يرجون حسابا»
تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم «وكذبوا بآياتنا» الناطقة بذلك «كذابا» اي

كذابا

تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا باياتنا
فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من كذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب
فانتصابه على الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر
كذبوا فكذبوا كذابا مفرطا كذبه «وكل شيء» من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره «احصيناه» اي حفظناه
وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء «كتابا» مصدر مؤكد لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله
المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى «فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا»
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون
ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار «ان للمتقين مفازا» شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين
اثر بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع
فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى «حدائق واعنابا» اي بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة وكروما بدل من مفازا «وكواعب» اي نساء فلكت ثديهن «اترابا» اي لدات «وكاسا دهاقا»
اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه «لا يسمعون فيها» اي في الجنة وقيل في الكأس «لغوا ولا كذابا» اي لا ينطقون
بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه ولا يكاذبه «جزاء من ربك» مصدر مؤكد منصوب
بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام
«عطاء» اي تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء «حسابا» صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه
مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ
حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك «رب السموات والارض وما بينهما» بدل من ربك
وقوله تعالى «الرحمن» صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار
الجزاء وقوله تعالى «لا يملكون منه خطابا» استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله
تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني
نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال
لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على
رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه
ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان
منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية
ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون

لاهل السموات والارض اى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد
نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل ليس في
ايديهم مما يخاطب الله به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون تصرف الملاك فيزيدون فيه
او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من
رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس انه اذا كان يوم القيامة قام
هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم
رؤس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء
ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام
وصفا حال اى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق
لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة
وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظم سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من
مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان
اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في
التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق
الكلام واعز منه مراما على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان
يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال
فمن سلك مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا لا يملكون فقط اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن
الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا
اى حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان
احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك
اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم
الحق اى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه
مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء
وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل
واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل
ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله
تعالى من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها

وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة
اليه وان رأوه بعيدا او يرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانها
اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا
او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر
والعائد محذوف اى ينظر اى شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر
في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا
في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء
من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي
احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون
سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل
بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قال ابن عباس ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله
علي وابن مسعود رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر
اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار و
بارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف
مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا
لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على
ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اى
اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن
تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكافر وقيل
يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا
فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات فما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون
في مضيهم اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا
على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع
الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد
جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى
الغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا

فيتدبر امرا يتعلق بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق
الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بالنفس الغزاة او ايديهم
التي تنزع القسي باغراق السهام والتي ينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو ويدبرون
امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار
الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق
بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي
ترجف عندها الاجرام الساكنة التي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى
وقيل الراجفة الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية
حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة
لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع
ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقتا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع
الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى وقيل يوم ترجف منصوب
باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم
النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم
ترجف وصفت القلوب قيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وموصفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ
وقوله تعالى ابصارها اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر القلوب وقد تقرر ان حق
الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار و
الاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصارها سواء في المعرفة
والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني خبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا
على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من الخشوع
البصر واهون فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب
موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موضع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب
يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه
او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ تقع
النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما
في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون
من البعث المكذبين بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض
عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون
بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها

فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها بها مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضى او كقولهم
نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد و
نفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها
ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف
الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما
للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في
كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من
الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذن كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها
اي ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم
لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها
فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها
عينها وقيل هي راجع الى الرادفة وقوله تعالى فاذا هم بالساهرة بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اي
فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة
التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم
عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب
هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس ان الساهرة ارض من فضة لم يعص
الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي
بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال
وهب بن منبه هي بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى
كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان
اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب في استماع
حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه او هو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه
بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ
بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه
نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب
وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل
للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعد ما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التاءين من تتزكى
اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل
فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل

تخشيه غاية للهداية لأنه ملاك الأمر من خشي الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر النبي صلى الله عليه
وسلم بأن يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب
تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء في قوله تعالى فأراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن
جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الأخرى فإنه عليه السلام ما أراه إياها عقيب هذا الأمر بل بعد ما جرى بينه و
بين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات
إلى أن قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين والإراءة إما بمعنى التبصير أو التعريف فإن
اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهارا للتجلد ونسبتها إليه عليه السلام بالنظر إلى الظاهر
كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية
وهو قول ابن عباس فإنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها جميعا وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة
وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب أنت وأخوك بآياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور
التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فإن ما عدا هاتين
الآيتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة
كما مر في سورة ولا ريب في أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترتب عليه فكذب بموسى عليه السلام وسمى
معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ
على إنكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي
كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر فقط ثم أدبر أي تولى
عن الطاعة أو انصرف عن المجلس يسعى أي يجتهد في معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أي أنشأ يسعى
فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالإقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فإنه روي أنه عليه السلام
لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى
على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا
من قومه وقيل إنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا ويأباه أن ذلك
كان قبل الإصرار التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر أي جمع السحرة لقوله تعالى فأرسل فرعون
في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنده ويجوز أن يراد جمع الناس
فنادى في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي فقال أنا ربكم الأعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فأخذه الله نكال الآخرة
والأولى النكال بمعنى التنكيل [illegible] وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه
ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة
والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أي أخذه الله أخذ نكال الخ وقيل مفعول له أي أخذه الله لأجل نكال الخ وقيل
نصب على نزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما فإن ذلك

لا ينحصر في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي إليها لا محالة وقيل المراد
بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري قيل بين الكلمتين أربعون سنة فالإضافة إضافة
المسبب إلى السبب إن في ذلك أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى أي لمن من
شأنه أن يخشى وهو من شأنه المعرفة أأنتم أشد خلقا خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته
في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة
أي أخلقكم بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب في تقديركم أم السماء أي أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب
البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس
الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من
قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى
رفع سمكها بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة
عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتدابير
وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعله مظلما يقال غطش
الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلم وقد مر هذا في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال
أظلم وأخرج ضحاها أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان و
هو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام و
أكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن يكون إضافة الضحى إليها
بواسطة الشمس أي أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها والأرض بعد
ذلك دحاها أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها أخرج منها ماءها
بأن فجر منها عيونها وأجرى أنهارها ومرعاها أي رعيها وهو في الأصل موضع الرعي وقيل مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد
الجملة عن العاطف إما لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية
أمر المعاش من المأكل والمشرب حتما وإما لأنها حال من فاعله بإضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش
كما في قوله تعالى أو جاؤوكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره أرساها أي أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد
بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من
مقتضيات ذواتها بل هو بإرسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في أنفسها فضلا عن إثباتها للأرض وقرئ والأرض والجبال بالرفع
على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الإرساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء
بأمر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض
عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها
ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر في
سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله ثم استوى إلى السماء وهي دخان الآية ف

حمل ما فيه من خلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدل لان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق
السماء وما فيها وعليه الصباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث
في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق ادم عليه السلام في اخر ساعة منه وهي الساعة
التي تقوم فيها القيمة فالاقرب كما قيل ان ذيل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها و
تسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل بعدية الدحو عليها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود
لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية
في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار
بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله
اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان
وخلق السماء بلوا والتي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في ايات سورة السجدة من خلق و
ما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها على تقدم تقدير الارض
وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقوله
تعالى متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج
الماء والمرعى واصله اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكل الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي للتناول المأكول
على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر موكد لفعل المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان
قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر
الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل
فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو بدل من
اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسير الطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن
تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله
من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة عمله وقد كان نسيه في فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه
ويجوز ان يكون مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى كائنا من
كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير
الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار و
قوله تعالى فاما من طغى الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الاية وقيل هو تفصيل للجواب

المحذوف

المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فاما من طغى والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان
الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله يوم يجمع الله الرسل فاما من عتى وتمرد
عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع
به فيها ولم يستعد للحيوة الاخرة الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم الذي ذكر شانه هي المأوى اي هي
مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول
اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي ضمير فصل او مبتدأ قيل نزلت الاية في النضر وابنه الحارث
المشهورين في الغلو والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى
يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا
وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فان الجنة هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الايتان
في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير رضي الله عنه وقد قتل مصعب اخاه عزيزا يوم احد ووقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت
الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت
واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق او حالا من الانسان باضمار
قد او بدونه على غلظ اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان
الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى
ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة
حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء
انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اي ما انت من
ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب
ومن قال بصدد التعليل فان ذكراها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من
الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي
ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها
عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها بكنهها
وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك
فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهى علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء
يسألونك عنها انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو
المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشان فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره ان
ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين
وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان

اقربها وتفصيلها فيها من فنون الاهوال كما حيط بخبرها التعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس
من وظائفك بيانه على الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء
عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ
منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة
وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها
الخ تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار
بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما تردها وجوه في سؤالهم فانهم كانوا
يسألونك عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء به ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في
القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا
لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول المنذر كما ان قوله لم
يلبثوا الا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا
ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم
يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة
قدر صلوة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري
وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان
يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه
ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس
بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان
عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما
لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد
العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما
قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله
يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار

معنى

معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا
بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر
اصلا وقوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ
بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى
انك طمعت في ان يتزكى او يتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو
الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فانت له تصدى
اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان
الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصّدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تُصدى بضم التاء اي تعرض
ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان
لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي
اي شيء في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد
وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة ان لم يكن معه
قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى وقرئ
تتلهى وتُلهى اي يلهيك شأن الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته
عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض
باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع
له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن
الكريم مبالغة في الاهتمام بامره مع انهماكه على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها
تذكرة اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي
استغنى عنه من تصدى له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما
نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره
فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة
والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات
الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره
المفرط لنزولها بعد حادثته واما من جوز رجوعها الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضي
منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به
للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل
مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة
اي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان

وطبقتهم التلقي من اللوح الى الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجردة السفارة
اليهم وكذا حملهم على القراء لقرائتهم الاسفار او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة
لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا
الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون
هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة
اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه قتل الانسان
دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه
والمراد به اما من استغنى عن القران الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما
الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من
الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع في بيان افراطه في
الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر
والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه اي من اي
شيء حقير مهين خلقه مزيد تقرير خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره
اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي ثم سهل مخرجه من البطن
بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام
دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على
وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه ومكن منه وعد
الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره
انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته
غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان
لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن ادم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده
ما امره الله تعالى بامره اذ لا يخلو احد من تقصير كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الاية
الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك
لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني
سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على
ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض
افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة
قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب
الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل

من فنون

من فنون النعم الشامل للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره
وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي
فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء اي الغيث بدل اشتمال من طعامه
لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ اني بالامالة اي كيف صببنا الماء اي
صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اي بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا
وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء
في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات
الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض
بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى
على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول
تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما
قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اي رطبة سميت بمصدر
قضبه اي قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي امثالهما كما
في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ
مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من اب اذا امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب
لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما
الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال
اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم
فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد
لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما
مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع في بيان
احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن
قريب كما يشعر به لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق اي
يصخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصخون لها وقيل هي الصيحة
التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي
الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن
حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل فكأنه يعلم بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعة

وابيه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فانه استيناف وارد لبيان سبب الفرار اى لكل واحد
من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى
عن ابن عباس انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابرهيم عليه السلام من ابيه
ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من
اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اى يهمه من
عناه الامر اذا اهمه اى اوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل و
قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى
داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اى مضيئة
متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثرت صلوته بالليل
حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ضاحكة مستبشرة
بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها اى تعلوها وتغشاها
قترة اى سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى
سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغيره هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك
جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة
ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان
الثوب اذا اريد رفعه يلف ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء واما لف ضوئها المنبسط فى الافاق
المنتشر فى الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها
كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابى صالح كورت نكست وعن ابن عباس
تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل يفسره المذكور
وعند البعض على الابتداء واذا النجوم انكدرت اى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روى عن ابن
عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الارض وعنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل بايدى
ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى
الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال
سيرت اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا بحق فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشراء وهى الناقة
التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم
عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه
قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اى جمعت

من كل

من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا
يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى ادم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار
سجرت اى احميت او مليت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه و
مليت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف
واذا النفوس زوجت اى قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين واذا الموؤدة اى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق
او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست
سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت
على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت باى ذنب قتلت توجيه السؤال اليها
لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذونى وامى الهين وقرئ سألت اى خاصمت او سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لان
الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سئلت
ليقال قتلت على حكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس انه سئل عن اطفال
المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية واذا الصحف نشرت اى صحف الاعمال فانها تطوى عند
الموت وتنشر عند الحساب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء
فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت
اى فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع فى
صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ
المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اى
اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى ادم وقرئ سعرت بالتخفيف واذا الجنة
ازلفت اى قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست
منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش
جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الاخرة اى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت
جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سياقها وسياق ما عطف عليها من مبدأ النفخة الاولى
ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع
داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه
نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر و
بحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة فى هذه
النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على هيئات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب

والمعنى تجسّم ذلك وتصوّر بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر
في بطنه نار جهنم ولا يبعد في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على الصورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال
الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع
في الميزان واياما كان فاسناد حضورها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها عند احضارها علمها بما هي عليه في الحقيقة فان
كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان
كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هناك لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد
لثبوت العلم المذكور لبعض النفوس او للبعض منها للايذان بانه بثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث
لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل واحد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس
العاملة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل الى جناب الكبرياء الذي يشير الى بعض بدائع شئونه المنبئة عن
عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله
تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال ترك القوم مصفرا انامله ويقول من قال قد يحيى بحبل
عن غرو فرسانه رب فارس عندي وعنده المقاوب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته
من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن ان يتزيد فمن لواح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس منه
فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه كثيرا ما يود في الثاني كثيرا ما اترك وفي الثالث كثير من
الفرسان وكل واحد من ذلك قابل الافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر
من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به
القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرنا
فتأمل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها
مخافة ان يكون من تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت
وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل
يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى منه التندم اذ قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود وكثير الوقوع فلا اقسم بالخنس
اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة
والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس
فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان
الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها
والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على
ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة

اقبل

وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعنى
تنفس الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الذي
بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى ذي قوة شديد كقوله
تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي
العرش مكين ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين ملائكته المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف
الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما بهتته الكفرة و
التعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية
وقد استدل به على فضل جبريل عليه السلام فلتباين الوصفين بين وضعفه وهو ضعيف اذ المقصود رد قول
الكفرة في قوله عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه
اي وبالله لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل
بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم
اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في
في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك
الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى
لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق
وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاءون اي الاستقامة مشيئة مستتبعة
لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاقامة فان
مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا و
قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت
اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ
الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى
التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ بالتخفيف
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت
اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت

نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلم عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه
النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي
والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلفت من عمل خير او شر واخرت من سنة حسنة او سيئة يعمل
بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وهو قول
قتادة وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله واخره ومعنى علمها بها علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة و
العراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان
يكون مدارا للاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل
مثله في الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب
عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه و
قوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدأ
قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها والتعديل جعل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم
تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت
فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة
اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما
لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع
كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد
الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث
راسا او بدين الاسلام الذي هو من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه
قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما يقولون من
انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين
حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من
قبلنا الحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه
نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور
حيث يستعمل فيها هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة
الحفظة الكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة
لجحيم او استئنافي مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا
يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما تقرر من ان الجملة
الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تقيده من الدوام بعد النفي لا قبله وقيل معناه و

وكانوا غائبين

غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون
به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها
وكيفما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا
بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هنا
هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت
موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في
موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي
لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم
بالادراء قال ابن عباس كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي
عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس
من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه
يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما ان ابداله من يوم
الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق في الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين
خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وايا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف
البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه
صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة
والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط
الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا
الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون الخ صفة كاشفة للمطففين الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس
حقوقهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة
الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس
الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما
ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيال وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما

من ان ذلك لدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس بطريق الشراء ونحوه مع ان الغالب فيما بينهم يقتضى ان
يكون معنى الاستيفاء اخذهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مرادا
لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما يكون لهم عليهم مع كونهم بعيدا جدا مما لا يجدى نفعا فان
اعتبار كون الكيل لهم حالا كان او ذا لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور فيهما وهكذا حال ما نقل عن الفراء
من ان من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا
قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل
لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر
بتقديم الجار والمجرور انما يكون لتعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق
القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافي مما
لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما
وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اى اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه
يخسرون اى ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك
اكمؤا وعساقلا اى جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل و
الوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من
الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان
مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن
اولئك انهم مبعوثون استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك
اشارة للمطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم بان الاشارة الى الشئ متعرضة
له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح
عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اى الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون
ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه وهم يحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان
كان ظنا ضعيفا مشابها للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين اى لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعنى وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبرا لمبتدأ
مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين و
يؤيده القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس
فيه كلهم لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف
وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار
لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون

دون

فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو
الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم
وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم او كتابة
اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تهويل لامره اى هو بحيث
لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم
المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين
او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد
حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اى منهمك في الشهوات المخدجة الفانية
بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط
جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه اساطير الاولين اى هى حكايات الاولين وقال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم
هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل
وقرئ أئذا تتلى على الاستفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اى ليس في آياتنا ما يصح ان
يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ
في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة
سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال
ران فيه النوم اى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم
اى داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة
ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذى كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع
وزجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين استيناف مسوق لبيان كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار
متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان
الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما و
الكلام في قوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم كما في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب
اى يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن احوالهم اثر
بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار على الارائك اى على الاسرة في الحجال والارائك لا تطلق الا على

لم يُر عندهم الا عند كونه في الحجلة «ينظرون» اى الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل
من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار ولا يحجب الحجال ابصارهم من الادراك «تعرف في وجوههم نضرة النعيم»
اى بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام
البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء «يسقون من رحيق» شراب خالص لا غش فيه «مختوم ختامه مسك»
اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اى مقطع رائحته
مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اى ما يختم به ويقطع «وفي ذلك» اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده
او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار اما بعلو رتبته وبعد منزلته اى لكونه في الجنة اى في ذلك خاصة
دون غيره «فليتنافس المتنافسون» اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون
وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي
نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال
البغوي واصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره
اى يضن به «ومزاجه من تسنيم» عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى ما
يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين
بعينها سميت به لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق روى انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في
اوانيهم «عينا» نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى «يشرب
بها المقربون» فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى «ان الذين اجرموا الخ»
حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة «كانوا في الدنيا من الذين آمنوا
يضحكون» اى يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور
اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك
على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل «واذا مروا» اى فقراء المؤمنين «بهم» بالمشركين وهم في انديتهم
وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا «يتغامزون» اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم «واذا انقلبوا» من
مجالسهم «الى اهلهم انقلبوا فكهين» ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون
ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين
متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين «واذا رأوهم» اينما كانوا «قالوا ان هؤلاء لضالون» اى نسبوا المسلمين ممن
رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد «وما ارسلوا عليهم» على المسلمين «حافظين» حال من واو قالوا اى
قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز
ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن
الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف

ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن «فاليوم الذين آمنوا» اى المعهودون من الفقراء «من الكفار» اى
من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان
والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اى
فاليوم هم من الكفار «يضحكون» لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى «على الارائك ينظرون» حال من
فاعل يضحكون اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا
اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى «هل ثوب الكفار ما كانوا
يفعلون» فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب
والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم

بسم الله الرحمن الرحيم

«اذا السماء انشقت» اى بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضه تنشق من المجرة «واذنت
لربها» واستمعت اى انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور
المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه
الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الاتيان
والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف «وحقت» اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد
لكن لا بعد ان لم تكن كذلك في نفسها او بعد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة
بذلك لكن لا على ان المراد خصوصيتها وذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية
التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة
عليه «واذا الارض مدت» اى بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطا من مده بمعنى امده اى زاده «والقت ما فيها» اى رمت ما في
جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها «وتخلت» عما فيها غاية التخلي حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها
تكلفت في ذلك اقصى جهدها «واذنت لربها» في الالقاء والتخلي «وحقت» اى هي حقيقة بذلك اى بما ذكر
بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض ووقوعها في الوقت
الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر «يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا» اى جاهد ومجد الى الموت وما بعده
من الاحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح
جلده اذا خدشه «فملاقيه» اى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى «فاما من اوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الخ» قيل جواب اذا كما في قوله تعالى واما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايذان بقصور
العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورتي التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان
الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول وقيل

يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره اى يؤتاه بشماله وقيل تغل يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا اى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك وانى لدى ذلك ويصلى سعيرا اى يدخلها وقرئ ويصلى كقوله ونصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وماله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استيناف ببيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا اى ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها مسد مفعولى الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اى بلى يحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاشهل واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقن حالا بعد حال واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والقاف في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيامة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان يوم القيامة كما ذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اى فاى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رح على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد

والبغي

والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة متصل ان اريد به من امن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم وتبيين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اى يوم القيامة وشاهد ومشهود اى ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنوا ادم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنوا ادم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل والاظهر انه كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية والدال على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اى كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فقال من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال

الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها
النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على
الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما
صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد
ذلك ان الله حرمه فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح
من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى
عليه السلام فدعاهم فاجابوه فصار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا
فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا
عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة
ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين
احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما قوله وبات على النار الندى والمحلق
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود
يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى
وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه
النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها
علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله تعالى المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس
والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان
ضيفهم يلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه و
تاكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم
ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة
وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم
دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي من كفرهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله
تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن
المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف فيه الاخفش والمعنى لهم في الاخرة ولهم عذاب الحريق
وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين
وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار

فجريان

فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها
كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة الى الجنات الموصوفة والتذكير لانها بذكر للاشعار بان
مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة معترض لذات المشار اليه من حيث اتصافه
بالاوصاف المذكورة للذات فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور
حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان
فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها
والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله
ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا
من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ بعنف
وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام
كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي
هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ
البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب وامن الودود المحب لمن اطاع
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك
المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك
او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره و
هو خبر مبتدا محذوف قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة
والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب
الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي
في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر
قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب
عن مماثلتهم لهم ببيان انهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا امثالهم في تكذيب شديد للقران الكريم
او قيل ليست جناياتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد
للقران الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرانا من عند الله تعالى مع وضوح
امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله تعالى بعدم فوت
المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قران مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا
بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد
في لوح محفوظ اي من التحريف وهو وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع وهو الهواء اي ما فوق السما

السابقة التي فيه اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق * الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طروقا وطراقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق خيال ولا كخيلة مدلج سدد كابا رحلنا ولم يتعرج والمراد هنا الكواكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى * وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدأ اجمالي في نظائره اي اي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى * النجم الثاقب * خبر مبتدأ محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ابراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى قوله تعالى

ان كل نفس لما عليها حافظ * جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع تأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من المثقلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدإ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى * خلق من ماء دافق * استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى * يخرج من بين الصلب والترائب * اي صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء

ومقرها

ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط الجماع بالضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب * انه * الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر * على رجعه * اي اعادته بعد موته * لقادر * لبين القدرة * يوم تبلى السرائر * اي تتعرف وتتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه * فما له * اي للانسان * من قوة * في نفسه يمتنع بها * ولا ناصر * ينصره * والسماء ذات الرجع * اي المطر سمي رجعا لان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا * والارض ذات الصدع * هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للفاعل وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقيقة القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه بعنوان المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون * انه * اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده * لقول فصل * فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل * وما هو بالهزل * ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة * انهم * اي اهل مكة * يكيدون * في ابطال امره واطفاء نوره * كيدا * حسبما يبغي به قدرتهم * واكيد كيدا * اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون * فمهل الكافرين * اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى * امهلهم * بدل من مهل وقوله تعالى * رويدا * اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة في الاصل تصغير رود وانشد كانها ثمل يمشي على رود اي مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى * اي نزه اسمه تعالى عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت * الذي خلق فسوى * صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره

اى خلق كل شىء فسوى خلقه بان جعل له ما يتأتى كماله ويتبغى معاشه وقوله تعالى والذى قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول ومعطوف عليه وكذا حال ما بعده اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها فهدى اى فوجه كل واحد منها على ما يصدر عنه وينبغى له طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ما يحار فيه العقول روى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل وروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح فتح فاه فيدخل الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه وهذه من فنون هدايته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية التى لا يحيط به فلك العبادة والتحرير ولا يعلم الا العليم الخبير والذى اخرج المرعى اى انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اى دريا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان الهداية العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القران الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك ما نوحى اليك الان وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القران فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امى لا تدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى والالف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى مما تقرؤه شيئا الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى جملة من القلة والندرة كما روى انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية فى قراءته فى الصلوة فحسب ابى انها نسخت فساله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد بالنسيان رب النسيان بالكلية اذ هو المنفى رأسا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما اوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منها من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وبينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكنه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك

ملكة

ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما فى قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعل لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى اى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طال ما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز فى الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاشحين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اى سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى امر ما تذكر به على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذا كما فى قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم وقيل هى بمعنى ما اى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف فالتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع لقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجانى والزهراوى ويتجنبها اى الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذى يصلى النار الكبرى اى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها اى حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من الصلى فقد افلح اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب من الذكرى فى الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اى كبر يوم العيد فصلى اى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والاخرة خير وابقى حال من فاعل يؤثرون

مؤكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير فى نفسها لما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من
اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه
عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا لفى الصحف
الاولى اى ثابت فيها معناه صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها
وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روى ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر
صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل
والزبور والفرقان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف
انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اى قد جاءك يا محمد حديث
الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث
البديعة التى حقها ان تتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة
التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هى النار من
قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس
مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة اى قوله مبتوتة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقى كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتانى حديثها ما هو فقيل وجوه
يومئذ اى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عنها فقال وجوه يومئذ
الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موضع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران
آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى
النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار ووهادها وقيل عملت فى الدنيا اعمال السوء والتذت
بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل عملت ونصبت فى اعمال لا يجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى تصلى اى تدخل
نارا حامية اى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة
حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى ان صلى النار وما قبله
من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية فى الانتساب الى الوجوه معرفة وعدمها فجعل بعضها عنوانا للموضوع
قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين
استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين آنية اى متناهية فى الحر كما فى قوله وبين حميم آن
ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه
الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام
يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار

والقوم

والزقوم والغسلين لآخرين لا يسمن ولا يغنى من جوع اى ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام
الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى اكله من ان يكون له دافع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه
لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم
ليس من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من
البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما
فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى
احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به
عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل
الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة فى الجملة و
هو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوا يسلط عليهم العطش
فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفى
الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان
ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفى وقوله تعالى وجوه يومئذ
ناعمة شروع فى رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها و
لان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام فى اعراب
الجملة كالذى مر فى نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى
تعرف فى وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اى لعملها الذى عملته فى دار الدنيا حيث شاهدت
ثمرته فى جنة عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لا تسمع اى انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات
لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية
فيها عين جارية اى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او المقدار
واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اى بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم
مصفوفة بعضها الى بعض وزرابى اى بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة اى مبسوطة افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه
مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله متعلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على انها بدل اشتمال
من الابل اى ينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل
التى هى نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع
الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتى ما يصدر منها من الافاعيل الشاقة كالنوء
بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ

العشر فصاعدا او التقارب بالسير وربما تاكل ما يتيسر من شوك على الجوع والعطش حتى ان اا يرعاه ساير البهايم وفي
انقيادها مع ذلك للاسناد من حركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها
بقطارها كل صغير وكبير «والى السماء» التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار «كيف رفعت» رفعا سحيق المدى بلا عماد
ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك «والى الجبال» التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها «كيف
نصبت» نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد «والى الارض» التي يضربون فيها ويتقلبون عليها «كيف سطحت»
سطحا بتوطية وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلايق وقرى سطحت مشددا وقرئ
الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق
هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك
ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى «فذكر» لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار الخ
من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى «انما انت
مذكر» تعليل للامر وقوله تعالى «لست عليهم بمصيطر» تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمسلط عليهم تجبرهم
على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرى بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني
تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى «الا من تولى وكفر» استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم
فان لله تعالى الولاية والقهر «فيعذبه الله العذاب الاكبر» الذي هو عذاب جهنم وقيل الاستثناء متصل من قوله
تعالى فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه
قرى الا على التنبيه وقوله تعالى «ان الينا ايابهم» تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت
والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق
باعتبار لفظها وقرى ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كفعال من فعل قيل
اصله اوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية «ثم ان علينا حسابهم» في المحشر لا على
غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتب الزماني بين ايابهم وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران
وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلتها في الشدة من
الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية
حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

«والفجر» اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته «وليال عشر» هي عشر ذي الحجة
ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على
«والشفع والوتر» اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان
كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الترة وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء «والليل اذا يسر» اي يمضي

كقوله

كقوله تعالى والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور
النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاصل
وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من
حرف الاطلاق «هل في ذلك قسم» اي تحقيق وتقرير لما فيه من شأن المقسم به وكونه امورا جليلة
حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به
الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير
بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد
منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به «لذي حجر» يراه حقيقا بان يقسم
به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر
او فهل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر
العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا
من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل «الم تر كيف فعل ربك بعاد» الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل
عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف
عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجب من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد
بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد
قيل لاوايلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة قال عماد الدين بن كثير كلما ورد في القران خبر عاد الاولى الا ما
في سورة الاحقاف وقوله تعالى «ارم» عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط
ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما
كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم «ذات العماد» صفة
لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا
او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان
ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات
العماد على انه اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية
اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري
عدن في ثلاثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة

على انها صح

بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه
مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل
من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة
فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام و
القوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم
يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي
قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكان
عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي
قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت
الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك
لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة
للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد
اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلته
من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من
فنون العذاب التي شرحت في سائر الصحف الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في
الاخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن
اراقة شيء مايع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع
انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب و
قيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا
لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في الاول فان
كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان
كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان
متصل بما قبله كأنه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك
وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفا
في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم من الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه
والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه اشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان
والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام

وانما قدمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اي
وهو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله
ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى الكرامة في الدارين والتوسعة قد تفضي
الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهان بسكون النون في الوقف
كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين قال ابن عباس اي لم ابتله بالغنى لكرامته علي
ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير يأباه قوله تعالى
بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة
جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد
هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون
ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي
لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء وكذا
وتأكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال
حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا
الخ استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا اي دكا بعد دك وذهب كل ما على
وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية
فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وايا ما كان فهو عبارة
عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهر قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من
احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين
او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين
بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير ورواه مسلم في
صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر
ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة فيبرز كل من الحسنات
والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه
ليس يتذكر حقيقة لفوات زمانه عند الحذف بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق
به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى و
الاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له فان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه
عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر

او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني قدمت لاجل
حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد
بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاده كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق
الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من
صرف قدرته الى احدى طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف
لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اي
يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب
الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ بالفتحات
على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق
بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال
من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون
معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيره بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى
ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام
او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك
اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي
في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان
الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها
وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وفي جسد عبدي وقيل نزلت
في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة
المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله
به مناطا لاعظامه بالاقسام او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج
براعة الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما
لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك و
قتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على

احد قبل

احد قبلي ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة
وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم
تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا تحل لقطتها الا المنشد
فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لعيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف
على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلى الله عليه وسلم حسبما يلي بعنه المعطوف
عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم و
التعظيم والتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد
الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد
من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة
لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت
كبده واصل كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى
اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب
لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منه كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد
القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المستضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة
من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا
يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان
ينفق وانه تعالى لا يسأل عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين
واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة
التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة
لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه
الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا
والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك
رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان
ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على
طاعة الله تعالى وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل

اى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة «اصحاب الميمنة» اى اليمين او اليمن «والذين كفروا باياتنا» بما
نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن «هم اصحاب المشأمة» اى الشمال او الشوم «عليهم نار موصدة»
مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبى صلى من قرأ سورة
لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

«والشمس وضحيها» اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحى بالفتح والمد
اذا امتد النهار وكاد ينتصف «والقمر اذا تليها» بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستنارة
وكمال النور «والنهار اذا جليها» اى جلى الشمس فانها تنجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التى تبسطه او جلى
الظلمة او الدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها «والليل اذا يغشيها» اى الشمس فيغطى ضوءها او الافاق او الارض
وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا فى قولك
اقسم بالله حق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا «والسماء وما بنيها» اى ومن بناها
وانما اوثر على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدرية يخل بالنظم الكريم
وكذا الكلام فى قوله تعالى «والارض وما طحيها» اى بسطها من كل جانب لدحيها «ونفس وما سويها» اى انشأها وابدعها
مستعدة لكمالها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس ادم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب «فالهمها فجورها
وتقويها» اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت و
تقديم الفجور لمراعاة الفواصل «قد افلح من زكيها» اى فاز بكل مطلوب ونجى من كل مكروه من انماها بالتقوى وهو
جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى «وقد خاب من دسيها» لابراز الاعتناء بتحقيق
مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى
وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقويها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما قد تقول لا بد ولالته
قوله تعالى «كذبت ثمود بطغويها» عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دسيها
والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله
تعالى او صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ
بطغويها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى «اذ انبعث اشقيها» منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين
قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل
اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك
الكل فى الرضى به «فقال لهم» اى لثمود «رسول الله» اى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب
طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة الناقة الى الله تعالى فى قوله تعالى «ناقة الله»
اى ذروا ناقة الله «وسقيها» ولا تذودوها عنها فى نوبتها «فكذبوه» اى فى وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم

عذاب اليم

عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقيها «فعقروها» اى الاشقى والجمع على تقدير وحدة
لرضى الكل الفعل وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم واناثهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب
تقول هذان افضل الناس «فدمدم عليهم ربهم» فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها
الشحم «بذنبهم» بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب
«فسويها» اى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها فى الاهلاك «ولا يخاف
عقبيها» اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق
وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف
وقرى ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر
«والليل اذا يغشى» اى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشيها او النهار او كل ما يواريه بظلامه
«والنهار اذا تجلى» ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس «وما خلق الذكر والانثى» اى والقادر
العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما ادم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ
والذى خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية «ان سعيكم لشتى» جواب القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم
لاشتات مختلفة وقوله تعالى «فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى» الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها
اى فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى
وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة «فسنيسره لليسرى»
فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها و
الجمها «واما من بخل» اى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير «واستغنى» اى زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم
يتبعه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة «وكذب بالحسنى» اى بما ذكر من المعانى المتلازمة
«فسنيسره للعسرى» اى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته الاختيارية لها
ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى
للايذان بان كلا منهما اصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتكذيب والاستغناء وتقرير الاول
باعطاء الطاعة والثانى بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى «وما يغنى عنه ماله» اى ولا يغنى
او اى شئ يغنى عنه ماله الذى يبخل به «اذا تردى» اى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك او تردى فى
الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم «ان علينا للهدى» استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا
المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق
الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا
وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هى الدلالة الى ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا
«وان لنا للاخرة والاولى» اى التصرف الكلى فيهما كيف ما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التى من
جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى الدنيا والاخرة فلا يضرنا تركهم

الابتداء بهدانا «فانذرتكم نارا تلظى» بحذف احدى التائين من تتلظى اى تتلهب وقرى على الاصل
لا يصلاها صليا لازما «الا الاشقى» الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى «الذى
كذب وتولى» اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة «وسيجنبها» اى سيبعد عنها «الاتقى» المبالغ فى اتقاء الكفر
والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد
عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق «الذى يؤتى ماله» يعطيه
ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى «يتزكى» اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز
النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة
«وما لاحد عنده من نعمة تجزى» استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى اى ليس
لاحد عنده نعمة تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى «الا ابتغاء وجه ربه الاعلى» استثناء
منقطع من نعمة وقرى بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن
مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة والايات نزلت
فى حق ابو بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم و
لذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس عذب
المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال احد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال
لابى بكر ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى
به الى امية بن خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر
الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى «ولسوف يرضى» جواب قسم مضمر اى والله لسوف يرضى وهو
وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الرضى مبنيا للمفعول من الارضاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم

«والضحى» هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم فيها موسى
عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما فى قوله تعالى ان ياتيهم
باسنا ضحى فى مقابلة بياتا «والليل» اى جنس الليل «اذا سجى» اى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر
سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله فيه
موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى «ما ودعك ربك» جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع
وقرى بالتخفيف اى ما تركك «وما قلى» اى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى
نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحى تاخر عن رسول الله صلى الله
عليه ايام لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه
فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحالية والمترقبة كما ينبئ عنه ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال

مع الاضافة

مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفى التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشر
عليه السلام بان ما سيؤتيه فى الاخرة اجل واعظم من ذلك فقيل «وللاخرة خير لك من الاولى» لانها باقية صافية عن الشوائب
على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتى عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف
ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عبارة عما اعد له
عليه السلام فى الاخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون
امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية
التى لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالاخرة عاقبة امره عليه السلام
اى لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى»
عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء
الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه السلام وفى ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو
الدعوة فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس عن شمة
منها حيث قال له عليه السلام فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد
مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا
مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة
التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة عنها صورتين احداهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف
التنفيس كهذه الاية وكقوله والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله
تحشرون وقد قال ابو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا لقائم بل هى التى فى قولك
لاقومن ونابت سوف عن احدى نونى التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام فى قوله تعالى وللاخرة الخ وقوله
تعالى «الم يجدك يتيما فاوى» تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اوائل امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء
العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفى
وتقرير المنفى على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما
حال من مفعوله روى ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين
فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرى فاوى وهو اما من اواه بمعنى اواه
او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى «ووجدك ضالا» عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع
المنفى بلم داخل فى حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى ووجدك غافلا عن الشرائع التى لا تستقل بها العقول كما فى
قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل
مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من
السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد
المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته

مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في بلاد الشام حين خرج به
ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ
ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف
ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي فقيرا
ذا عيال وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم
قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال
مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده
ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد
الاخرة يجيء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين
واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار اثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله
من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا
وعائلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما يكون من شيء فلا تنس نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث و
واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فاوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك و
لا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام
للضلال وتعليمه للشرايع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله بعدد كل سائل ويتيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرايرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات
وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دايرة تصرفها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم
نفسح حتى حوى عالم الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق
الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون
الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه
فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني مما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن
ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه
بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه
عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام وتشويقا الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت
وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه
قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر
عنه لما مر انفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور

كل شيء بسبب اطراف الشغل الكريم اي فحططنا عنك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو
صوت الانتقاض والانفكاك لما سمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان
يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام
المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا
وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي رفعناه
حيث قرن اسمه اسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعة الله تعالى وصلى عليه هو وملائكته
والمؤمنين بالصلاة عليه وسماه رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى
فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك
من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء
اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب
الاخرة كقولك ان للصايم فرحة ان للصايم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه
قوله صلى الله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان
معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ
وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك
من الالاء الانفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب
في صلاتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرئ
فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح لك
فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما
بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع
ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال
روى ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت
ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن
علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام
ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته
هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك
به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة و
سمعته يقول سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا

لانهما منبت التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل
ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس
وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين
مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على
الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح
هو الاول قال ابن عباس هو تينكم الذى تاكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة
وابراهيم النخعى وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبى «وطور سينين» هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين
وسينا علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كبيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء
والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية «وهذا البلد الامين» اى الامن من امن الرجل امانة
فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها ان يحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان
يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذى
امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح و
التبيين «لقد خلقنا الانسان» اى جنس الانسان «فى احسن تقويم» اى كائنا فى احسن ما يكون
من التقويم والتعديل صورة ومعنى براه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة
والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى انموذج من الصفات
السبحانية واثاره لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق ادم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن
وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة
فى البدن ولا خارجة عنه متعلقة به متعلق به تعلق التدبير والتصرف يستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت
فعلا من الافاعيل الجسمانية يلقيه الى ما فى القلب الى الروح الحيوانى الذى هو اعدل الارواح واصفاها واقربها
واتمها مناسبة الى عالم المجردات الفارسية روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما فى الشرايين من الارواح الى الدماغ
الذى هو منبت الاعصاب التى فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يتحرك من الاعضاء ما يباشر بذلك
الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف على هذه الكيفية من صفاتها
وافعالها تيسر له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه
كاملا فى العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل
على شؤونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة فى عالم الانسان الذى هو نسخة للعالم الكبير وانموذج منه
وقوله تعالى «ثم رددناه اسفل سافلين» اى جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل
لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى اعلى عليين وقيل رددناه
الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه
فى الخلق واياما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان

محذوف

محذوف اى رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى «الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات» على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا
صالحين من الهرمى «فلهم اجر غير ممنون» غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة
المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء
من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم فى الخطاب فى قوله تعالى «فما يكذبك بعد بالدين» للرسول عليه السلام
اى فاى شىء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب
للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره
بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا و
نقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاى شىء يضطرك بعد هذا الدليل
القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان «اليس الله باحكم الحاكمين» اى اليس الذى
فعل ما فعل ذكرنا باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه
احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء وعيد للكفار وانه يحكم
عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين
وعنه عليه السلام من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام فى دار الدنيا
واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

«اقرا» اى ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل
بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام
كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تعالى «باسم ربك» متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقرا
ملتبسا باسمه تعالى اى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية
والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية
القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى «الذى خلق» لتذكير اول النعماء
الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات
العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم
اى الذى انشا الخلق واستاثر به او خلق كل شىء وقوله تعالى «خلق الانسان» على الاول تخصيص لخلق الانسان
بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات
بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا
خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير وما لتفخيم فطرته وقوله تعالى «من علق» اى دم
جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء

على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين ساير المواد المفطرة الانسانية
مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان
اول النعم الفايضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف
ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى «اقرأ» اى افعل ما امرت
به تاكيد للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى «وربك الاكرم» الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه
عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارى يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امى فقيل له وربك الذى
امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم «الذى علم بالقلم» اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارى
بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى «علم الانسان ما لم يعلم» بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه
به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان
عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا يحيط به
العقول ما لا يخفى «كلا» ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى
«ان الانسان ليطغى» اى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى اخر السورة
نزل في ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى «ان راه استغنى» مفعول له اى ليطغى لان راى نفسه مستغنيا
على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما في علمتنى وان جوزه
بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عايشة رضى الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لنا طعام الا الاسودان تعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل
جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى «ان الى ربك الرجعى» تهديد للطاغى وتحذير له من
عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار
والمجرور عليه للقصر اى ان الى ربك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى «ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى» تقبيح وتشنيع وتعجيب منها و
ايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقضى منها العجب روى ان
ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلى لاطأن عنقه فراه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم
نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد و
تنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهى وتأكيد التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما في قوله تعالى
«ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى» وما في قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرنى فان
الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى اجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب ونظم الامر

والتكذيب

والتكذيب والتولى في تلك الشرطية متردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من
حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد واصلا باعتبار اوصافها التى هى كونها امرا بالتقوى و
تكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به والمفعول الاول لارايت محذوف وهو ضمير يعود
الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثانى سدت مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى
لارايت لا يكون الا جملة استفهامية والمعنى اخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى
او امرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن «الم يعلم بان
الله يرى» اى يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة
بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع
في نفس الامر واستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع
الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت في
الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارايت في
الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهى على
طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان
كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى
ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى
والمنهى على الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثالث للكافر فانه تعالى كالحاكم
الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلوته هدى ودعاؤه
الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة «كلا» ردع للناهى اللعين
وقوله واللام في قوله تعالى «لئن لم ينته» موطئة للقسم اى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر
«لنسفعا بالناصية» لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة
وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن
الاضافة لظهور ان المراد ناصيته المذكور «ناصية كاذبة خاطئة» بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهى نكرة
لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى
وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ «فليدع ناديه» اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى
ينتدى فيه القوم اى يجتمعون روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله
عليه السلام فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت «سندع الزبانية» ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد
زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكانه نسب الى الزبن ثم غير كامسى واصله زبانى فقيل زبانية
بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبى صلى الله عليه وسلم لو دعى ناديه لاخذته الزبانية عيانا
«كلا» ردع وزجر اثر زجر «لا تطعه» اى دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلوتك

بزمكرت به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشان القران الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وبتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مرت كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قران وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قران فالانسب ان يجعل الضمير للسورة التي هي جزء من القران لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف الا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة الانبياء ما قيل في شان الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على قياس كالمشرق

وهي

وهي متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في اخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متاخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسالونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه او من ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمذكورون باعتبار اتفاقهم على الراي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عندما اخبر بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور ليس بطريق الاتفاق على راي

احرى بطريق الاسلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى
وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الموعود في كتبهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما امروا بما امروا
في كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اى جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم
خالصة له في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين
ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله
تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته
دين القيمة اى دين الملة القيمة وقرئ دين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل بعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون عن دينهم الى ان يبعث و
يعدون ان يتفقوا ... ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم
الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل سببا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم
انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى يغنيني الله فيغنيه فيزداد
فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت
خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن
الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان
يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا. ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الاخرة بعد بيان حالهم في الدنيا و
ذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في
الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها
لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم
فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الاخرة
وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف خالدين فيها
حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم
في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة الى انهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح
المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اى اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية
شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار
او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

بيان

بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك
المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية
وهو جمع خير كجيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها
فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية
وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها
بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف
مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من
المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضوان
لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة
للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير
من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اى زلزالها المخصوص بها على مقتضى المشيئة
الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها
الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة
خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية
لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اى ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت و
اظهار الارض في موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها
وقال الانسان اى كل فرد من افراده لما يبهرهم من الطامة التامة ويدهمهم من الداهية العامة ما لها زلزلت
هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت
الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ المؤمن يعلم بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله
بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان
ينتصب بمضمر اى يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على
ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها
اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها
كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ

اى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب «اشتاتا» متفرقين بحسب طبقاتهم بيض
الوجوه امنين وسود الوجوه فزعين كما فى قوله تعالى فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين
الى الجنة وذات الشمال الى النار «ليروا اعمالهم» اى اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرى ليروا بالفتح وقوله تعالى «فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» تفصيل ليروا وقرى يره والذرة النملة الصغيرة وقيل
ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء اياما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مختصة
بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة و
ما قيل من ان حسنات الكافر تؤثر فى نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه جزاؤه ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر
المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع قبائحه وما روى عن ابن
عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقبه بسيئاته عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا زلزلت اربع
اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله

بسم الله الرحمن الرحيم

«والعاديات» اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى «ضبحا» مصدر منصوب اما بفعله المحذوف
الواقع حالا منها اى يضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو يستلزم الضبح كانه
قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات «فالموريات قدحا» الايراء اخراج النار والقدح
الصك يقال قدح فاورى اى التى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة
«فالمغيرات صبحا» اسناد الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها لما ان يغير بهم العدو وجمعون
عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى «فاثرن به» عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل
اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن به اى فهيجن بذلك الوقت «نقعا» اى غبارا وتخصيص
اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل و
لله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرى فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير
فيه معنى الاظهار «فوسطن به» اى توسطن بذلك الوقت اى توسطن ملتبسات بالنقع «جمعا» من جموع الاعداء
والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان
توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى «ان الانسان
لربه لكنود» اى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان احد
النقباء فابطا عليه خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى صلى الله عليه السلام
بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل

الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء
فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران «وانه على ذلك» اى وان الانسان على كنوده «لشهيد» يشهد
على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه «وانه لحب الخير» اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا «لشديد» اى قوى مطيق
مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل
اى لانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه بخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود
للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم
ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى «افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور» الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور
من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرى بحثر وبحث على بنائهما للفاعل «وحصل» اى
جمع محصلا او ميز «ما فى الصدور» من الاسرار الخفية
التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية «ان ربهم» اى المبعوثين كنى عنهم بعد
الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث
التفت الى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا
بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبل كما اشير اليه «بهم» بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها «يومئذ»
يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور «لخبير» اى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا
للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم
ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرى ابن السماك انّ ربهم بهم
يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

بسم الله الرحمن الرحيم

«القارعة» القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الاولى
ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع
والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس و
النجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى «ما القارعة» على
ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو خبر لا المبتدأ ولا ريب فى
ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة اى اى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع
الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى «وما ادراك ما القارعة» تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها
عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شانها ومدى شدتها بحيث لا يكاد تناله دراية احد حتى يدركها وما فى
حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع

الحرف فصل لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية
متعلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول
اى واى شيء اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى
الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين اى هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في
الانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب
باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ
فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره
ستاتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش اى كالصوف الملون بالالوان المختلفة
المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل غير الارض ويغير هيئاتها
ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند
النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام
وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت
موازينه الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان
الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قال الفراء
او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف
الاعمال فينظر اليها اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل
وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الى معرفة مقادير
الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض حقيقية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه
النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن
عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان اى فمن
ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اى ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم
يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اى فماواه هاوية هي من اسماء النار سميت
بها لغاية عمقها وغاية مهواها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها
وعبر عن الماوى بالام لان اهلها ياوون اليها كما ياوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام
راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها

والاشعار بخروجها عن المعهود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها
وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر اى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا
وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم
نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم
والمعنى انهم تكاثروا بالاحياء حتى زرتم المقابر اى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات
فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا
قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في
طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ االهاكم على الاستفهام
التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي الا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيم
سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان
الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو
تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب
للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه
بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اى الرؤية التي هي نفس اليقين فان
علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسالن يومئذ عن النعيم اى عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به
عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب و
يلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة
وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر
كانما قرا الف اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى
او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة
ان الانسان لفي خسر اى خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس
والتنكير للتفخيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الخسيس الفاني واشتروا

النفس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى ﴿وتواصوا بالحق﴾ الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصّى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

﴿ويل﴾ مبتدأ خبره ﴿لكل همزة لمزة﴾ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها ولذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم ﴿الذي جمع مالا﴾ بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى ﴿وعدده﴾ وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام ﴿يحسب ان ماله اخلده﴾ اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه بالحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستأنفة او حال من فاعل جمع ﴿كلا﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى ﴿لينبذن﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة ﴿في الحطمة﴾ اي في النار التي شأنها ان تحطم كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله ﴿وما ادراك ما الحطمة﴾ لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى ﴿نار الله﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اي هي نار الله ﴿الموقدة﴾ بامر الله عز سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل

امرها ما لا مزيد عليه ﴿التي تطلع على الافئدة﴾ اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تألما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة ﴿انها عليهم مؤصدة﴾ اي مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته ﴿في عمد ممددة﴾ اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص او خبر مبتدأ مضمر اي هم في عمد او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وارابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فعظم في عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساط وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم

اللهم لا يكلفني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع
الى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن
فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا
يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ
الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى «الم يجعل كيدهم في تضليل» الخ بيان لما
فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعده كانه قيل قد جعل
كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير «وارسل عليهم طيرا ابابيل» اي
خوارق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد
وشماطيط لا واحد لها «ترميهم بحجارة» صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار
المعنى «من سجيل» من طين متحجر معرب سنك وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما
ان سجين علم للديوان الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه
من الاسجال وهو الارسال «فجعلهم كعصف ماكول» كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله
الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اليه باحوال احواله النبي عليه السلام من قرا
سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

بسم الله الرحمن الرحيم

«لايلاف قريش» متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم
غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا
من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم
كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة
ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم
فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتهم امنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس
بين متخطف ومنهوب والايلاف في قولك الفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم
وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة
عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى «ايلافهم رحلة الشتاء والصيف» بدل من الاول ورحلة
مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن
المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم ورحلة الشتاء والصيف

وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها «فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم» بسبب تينك الرحلتين
اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه «من جوع» شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه
الجيف والعظام «وآمنهم من خوف» عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم و
مسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر
حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

بسم الله الرحمن الرحيم

«ارايت الذي يكذب بالدين» استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في
قوله تعالى «فذلك الذي يدع اليتيم» جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي
يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا
قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض بوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى
البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه
دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص
بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه
«ولا يحض» اي اهله وغيرهم من الموسرين «على طعام المسكين» واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر
فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى «فويل» الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف
كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ
«فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم» غافلون غير مبالين بها «الذين هم يراءون» اي يرون الناس اعمالهم ليروهم
الثناء عليها «ويمنعون الماعون» اي الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان
كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة
الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع
ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان انهم قبائح اخر غير ما ذكر عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

«انا اعطيناك» وقرئ انطيناك «الكوثر» الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة العامة
المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي عليه السلام انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر
انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته انه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول واردیه فقراء المهاجرين الدنسو
الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في
صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون

هو نهر في الجنة فقال هو من نهر الكوثر وقيل هو مخصوص بنهره وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القران العظيم او النبوة والدين

والفاء في قوله تعالى «فصل لربك وانحر» لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطايا التي لم يعطها ولن يعطها احدا من العالمين مستوجب للمامور به اي مستجاب اي قدم على الصلوة لربك الذي

افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق

شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج

خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل

هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي عليه السلام

وعن ابن عباس استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص «ان شانئك» اي مبغضك كائنا من

كان «هو الابتر» الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك

واثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل واياما كان

فلا ريب في عموم الحكم عن النبي عليه السلام من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات

بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل يا ايها الكافرون» هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من

عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد

الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا

الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقراها عليهم فايسوا «لا اعبد ما تعبدون» اي

فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال

والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم «ولا انتم عابدون ما اعبد» اي ولا انتم فاعلون

فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي «ولا انا عابد ما عبدتم» اي وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد

مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام «ولا انتم عابدون ما اعبد» اي وما عبدتم في وقت

من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما

لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام

لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود

العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل

الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى «ولا انا عابد ما عبدتم» تاكيد لقوله تعالى لا اعبد

ما تعبدون وقوله تعالى «ولا انتم عابدون ما اعبد» ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى «لكم دينكم» تقرير

لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى «ولي دين» تقرير لقوله تعالى ولا انتم

عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول الي كما تطمعون

فلا تعقلوا

فلا تعقلوا بالاماني الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه

الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم او استلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك

وحيث كان مبنى قولهم نعبد الهتك سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر

المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني

لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني

ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن النبي عليه السلام من قرا سورة الكافرين فكانما قرا

ربع القران وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

«اذا جاء نصر الله» اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك «والفتح» اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح

فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كان نفسها ام القرى وكانها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق

به امره عليه الصلوة والسلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه

الصلوة والسلام وانهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل

في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الخ غير

منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي عليه السلام عشرة الاف من المهاجرين

والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده

لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ

كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله عليه السلام وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم

عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوا على الاسلام ثم خرج الى هوازن «ورايت الناس» اي

ابصرتهم وعلمتهم «يدخلون في دين الله» اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال

لان الرؤية بصرية وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله تعالى «افواجا» حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيفة

كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين

اثنين روي انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم

فليس لنا به يدان وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام

افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول «فسبح بحمد ربك» فقل سبحان

الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم المحترم واحمده على جميل

صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما

لنعمه لا بإحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء

عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات

او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام

واستغفره هضما لنفسك واستقصارا للعمل واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك
الاولى عن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك
وعنه عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انها لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم
على اصحابه استبشروا وبكى العباس رض فقال عليه الصلوة والسلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك
قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك
فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وكمال امر الدين كقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم وروي انه لما نزلت خطب رسول الله عليه السلام فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين
لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه
دعى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن
ابن مسعود رض ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار للامة انه كان توابا منذ خلق
المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد عليه السلام يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى
يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه
فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به وتب اي وهلك كله وقيل المراد
بالاول جملته لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله من قال جزاني جزاه الله
شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان
الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني
اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو
طالب وقرئ ابو لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية
او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب به من الارباح والنتائج
والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في
عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وعن ابن عباس ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي
بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير
المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعى عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة
بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا
بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام

بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا
ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من
تكليفه الايمان بالقرآن يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور
فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار
الى جواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم
ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت
حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم
وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب
بينهم اي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير
حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل
الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ
حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر
والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى
وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من الليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء
شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من
ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تأتي كل يوم بابالة من حسك
فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من
من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه سورة تبت رجوت الا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشأن ومدار وصفه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث
يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد اطلق على المفعول
مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشأن الذي عبر عنه ومن فوائده تحقيق و
تقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره و
يزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا همزة ما يلازم النفي ويراد
به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس
غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت
احداهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان
ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو بما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي

ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتداء والله خبره واحد بدل منه او خبر
ثان او خبر مبتداء محذوف وقرى هو الله احد بغير قل وقرى الله احد بغير قل هو وقرى قل هو الواحد وقوله تعالى
الله الصمد مبتداء او خبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه في
الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل
الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من
لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا
الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب
بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار
جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وساير احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سنته الواضح ثم صرح ببعض
الاحكام الجزئية المندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة
والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه
صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة
والفناء عليه سبحانه ولم يولد اى لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح
به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد
وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون
كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اى لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت
عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا والصلة
ويكون كفوا حالا من احد وليس بذلك واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل
غني عن البيان وقرى بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء
السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها
تعدل ثلث القران فان مقاصده منحصرة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر
المقصود بالذات منه روى عن النبي عليه السلام انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل
هو الله احد اى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه
عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد
من المفلوق والمفروق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات
والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم
الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة

باعاذة

باعاذة العايذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظايره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء
بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العايذ
ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اى من شر
خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن
توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل
عمومها مدار الاضافة الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس
على امتزاج المواد المتباينة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة و
قوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة
منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن
شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت
دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته
له لحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اى
دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل
وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روى عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
اخذ رسول الله عليه السلام بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب
وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في اخر الشهر
والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو
هو المناسب للنزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين
وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات في العقد اى ومن شر النفوس
او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرى
النافثات كما قرى النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه
وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه
وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن اعصم
اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه السلام فنزل جبريل
بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا رضي الله عنهم
فنزحوا ماء البئر فكان نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا
من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيها احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه السلام
فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة
الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث

فقال اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها «ومن شر حاسد اذا حسد» اي اذا ظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل اعوذ» وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام «برب الناس» اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى «ملك الناس» عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان التام وكذا قوله تعالى «اله الناس» فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد المرحمة والرافة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسليطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية وقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة «من شر الوسواس» هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة «الخناس» الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه «الذي يوسوس في صدور الناس» اذا غفلوا عن ذكر الله تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع والنصب على الذم «من الجنة والناس» بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ودفعنا لاداء حقوق شكره قال عبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل «اللهم يا ولي العصمة عليك توكلي «واليك متاب» انت

المغيث

المغيث لكل حائر ملهوف «والمجير من كل هائل مخوف «الوذ بحماك المامون «من غوائل ريب المنون» والتجي الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسالك من خزائن برك المخزون «في لطائف سرك المكنون «فيما يجري تحت التكوين «من امور الدنيا والدين» واعوذ بك من فنون الفتن والشرور» لا سيما الاطمينان بدار الغرور «والاغترار بنعيمها وزهرتها» والافتتان بزبرج زخارفها وزينتها» فافض علي من غوارق الانوار الربوبية» وبوارق الاثار السبحانية» ما يخلصني من العوائق الظلمانية «ويجردني من العلائق الجسمانية» ويهذب نفسي الابية من دنس الطبايع والاخلاق» وينور قلبي القاسي بلوامع الاشراق» ليستعد للعثور على سائر الانس» ويتهيا للحلول في حظائر القدس» ويثبتني على الحق والصدق» وارشدني الى مسلك البر والتقى» واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك» واشرف اماني يوم لقاك «يوم يقوم الناس لرب العالمين» فريقا فريقا» واحشرني مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين» والشهداء والصالحين» وحسن اولئك رفيقا» كتب المؤلف مد الله تعالى ظلاله وختم بالصالحين اعماله» ومتع العالم بطول بقائه» في اخر نسخة الاصل اتفق الفراغ بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلاثة وسبعين وتسعمائة حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اجمعين وسلم تسليما كثيرا

تم